

جو نيسبو

JO NESBO

الشبح

PHANTOM

رواية

«لقد انتهيت للتو من قراءة الشبح لجو نيسبو، وقد أحببت

سلسلة قصص هاري هول».

- روجر مور



N O R L A



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الشبح

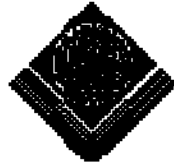
Phantom

رواية

جو نيسبو
JO NESBO

ترجمة
معن الكشك

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة



دار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي لرواية

Phantom

عن الأصل النرويجي: Gjenferd الصادر عن دار: Co &Aschehoug.
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،
ش.م.ل.

of support financial with published been has Translation This
.NORLA

Gjenferd as Norway in Published Originally

2011 Nesbo Jo © Copyright

Norway ,Co & Aschehoug with agreement by Published
reserved rights All

S.A.L .Inc ,Publishers Scientific Arab by 2014 © Copyright Arabic

الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

ISBN: 978-614-02-2368-4

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: (1-961+) 785107 - 785108 - 786233

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: (1-961+) 786230 - البريد الإلكتروني: jchebaro@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو
الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة
أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات،
واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية
للعلوم ناشرون ش. م. ل

تصميم الغلاف: سامح خلف

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (9611+) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (9611+) 786233

القسم الأول

كانت الصرخات تناديها، وتخرق كرمح صوتية ضجيج الليل في وسط مدينة أوسلو؛ الأزيز المستمر للسيارات خارج النافذة، والصفارات البعيدة التي تتعالى وتنخفض، وأجراس دار العبادة التي بدأت تفرع في مكان قريب. بدأت بالبحث عن الطعام، فقامت بتمرير أنفها على المشمع القذر على أرض المطبخ، وهي تسجل وتصنف الأشياء بسرعة البرق إلى ثلاثة أصناف: يمكن أكله، يمكن أكله ولكنه خطر، ولا علاقة له بالنجاة... الرائحة اللاذعة لرماد السجائر الرمادي... الرائحة المستساغة للدم على قطعة من القطن... الرائحة المنفرة للشراب على غطاء زجاجة... شراب رنغيس... جزيئات الكبريت والملح الصخري وثنائي أكسيد الكربون المنبعثة من علبة خراطيش معدنية فارغة مصممة لرصاصات من عيار تسعة ملم تسمى ماكاروف باسم المسدس المصنعة له في الأصل... الدخان من سيجارة لا تزال تحترق مع فلتر أصفر وورقة سوداء تحمل صورة النسر القيصري الروسي. كانت تفوح في المكان رائحة الشراب والجلد والدهن والأسفلت... حذاء... تنشقت رائحته لتتوصل إلى أنه ليس من السهل تناوله، كالسترة في الخزانة التي تفوح منها رائحة البترول والحيوان المصنوعة من جلده. ثم ركزت الفأرة على كيفية شق طريقها عبر ما هو موجود أمامها. حاولت المرور من كلا الجانبين، وعلى الرغم من كونها بطول خمسة وعشرين سنتم ووزن أقل من نصف كيلو لكنها لم تستطع. كان العائق مستلقياً على جانبه ويولي الجدار ظهره ويسد مدخل الوكر، بينما كانت صغارها الثمانية حديثة الولادة العمياء ومن دون زغب تصرخ بصوت مرتفع طلباً للحليب. كانت رائحة الملح والعرق والدم تفوح من كومة اللحم... كان جسداً بشرياً... إنساناً حياً... فقد تمكنت أذناها الحساستان من سماع ضربات القلب الواهنة بين صرخات صغارها الجائعة.

خافت، لكن لم يكن أمامها أي خيار، فإطعام صغارها له الأولوية على أي خطر أو جهد أو حدس آخر، ثم وقفت رافعة أنفها في الهواء تنتظر الحل ليأتي إليها.

كانت أجراس دار العبادة ترن بالتناغم مع قلب الإنسان... سمعت ضربة... اثنتين... ثلاث ضربات... أربع... فكشفت عن أسنانها.

يوليو... تبا... لا ينبغي أن يموت أحد في يوليو... أهذه حقاً أجراس دار العبادة التي أسمعها أم إنها هلوسات بسبب الرصاصات؟ حسناً... إذأ، سأوقفها الآن... وما الفرق في ذلك؟ هنا أو هناك... الآن أو في ما بعد... لكن، هل حقاً أستحق الموت في يوليو؛ بينما تغرد الطيور، وتدق الكؤوس، وتدوي الضحكات من الأسفل عند أكرسلفا وينتشر المرح الصيفي السخيف خارج النافذة؟ هل أستحق أن أستلقي على أرض حفرة ملوثة مع ثقب إضافي في جسدي يخرج منه كل شيء: الحياة... الثواني... الذكريات عن كل ما قাদني إلى هنا؟ كل شيء... صغيراً كان أو كبيراً... الأحداث العابرة كاملة وشبه المقصودة؟ أهذا أنا؟ أهذا كل شيء؟ أهذه حياتي؟ كانت لدي مخططات... أليس كذلك؟ ستصبح الآن مجرد كيس من القذارة... دعابة من دون نهاية... قصيرة جداً لدرجة أنه بإمكانني روايتها قبل أن يتوقف ذلك الجرس المجنون عن الرنين. ياالله... لماذا لم يخبرني أحد من قبل أن الموت مؤلم للغاية؟! هل أنت هناك الآن ياأبي؟ لا تذهب... ليس الآن... اسمع... الدعابة كالتالي: اسمي غاستو وقد عشت حتى بلغت التاسعة عشرة من العمر. أنت كنت شخصاً سيئاً، وقد عاشت امرأة سيئة لآتي إلى الحياة بعد تسعة أشهر، ويتم إرسال لعائلة ترعاني قبل أن أتمكن من لفظ كلمة "بابا"، وهناك تسببت بالكثير من المشاكل فكانوا يلفون الغطاء حولي بشدة ويسألونني عما أريده لأهدأ... مثلجات؟ لم تكن لديهم أدنى فكرة عن أن الناس مثلي ومثلك ستنتهي حياتهم في نقطة ما، مرميين بالرصاص ليتم القضاء علينا كوباء ينشر العدوى والفساد ويتكاثر كالجرذان؛ إن حظينا بفرصة لذلك. لم يكن هناك أحد ليلوموه سوى أنفسهم... لكنهم أيضاً لديهم رغبات... الجميع لديهم رغبات... كنت في الثالثة عشرة من عمري حين رأيت في عيني الراعية التي تحنو عليّ كأمي ما ترغب به.

قالت لي بعد أن دخلت الحمام:

- أنت وسيم للغاية ياغاستو.

كنت قد تركت باب الحمام مفتوحاً، وأحجمت عن فتح الدش لئلا يحذرها الصوت. وقفت هناك لثانية، بدت طويلة للغاية قبل أن تخرج، أما أنا فضحكت لأنني كنت أعرف... هذه موهبتي: يمكنني رؤية ما يرغب به الناس. هل ورثت ذلك عنك؟ أكنت كذلك؟ بعد أن خرجت نظرت إلى نفسي في المرآة... لم تكن هي أول من يقول في ذلك؛ إنني كنت وسيماً. فقد كنت طويلاً ورشيقاً بمنكبين عريضين وعضلات نامية، وكان شعري أسود فاحماً يلمع كما لو أن الضوء يرتد عنه، أما عظم وجنتي فكان مرتفعاً

مع ذقن مربع وفم كبير وشرة ذي شفتين ممتلئتين كشفتني فتاة وبشرة ناعمة ومسمرة وعينين بنيتين داكنتين. كان أحد الصبية في الصف يدعوني "الجرذ البني"... ديدريك... أظن أن هذا اسمه... كان سيصبح عازف بيانو. حين كنت في الخامسة عشرة من العمر قال بصوت مرتفع في الصف:

- ذلك الجرذ البني لا يعرف كيف يقرأ بشكل صحيح.

ضحكت، وبالطبع كنت أعرف لماذا قال ذلك... فقد كنت أعرف ما يرغب فيه... كامبلا... كان مغرمًا بها سرًا... لكنها كانت مغرمة بي علانية. وفي حفلة أقامها الصف، تلمست ما لديها... لم يكن الأمر رائعاً جداً، وقد ذكرت ذلك لبعض الصبية، وأفترض أن ديدريك علم بالأمر وقرر أن يعمل على إبعادي. لم أكن مهتماً بأن أكون مقرباً لكن التنمر تنمر. لذا، توجهت إلى توتو في نادي الدراجات النارية حيث كنت قد قمت ببعض الصفقات غير المشروعة بالنيابة عنهم في المدرسة، وأخبرتهم أنني بحاجة إلى الاحترام لأتمكن من القيام بعملتي بشكل جيد، فأخبرني توتو أنه سيتولى أمر ديدريك. وفي ما بعد، رفض ديدريك أن يفسر لأي كان كيف علقت إصبعاه تحت المفصلة العليا لباب حمام الذكور، لكنه لم يعد يدعوني باسم "الجرذ البني"، كما أنه لم يصبح عازف بيانو. تبا! هذا مؤلم للغاية! لا، لست بحاجة إلى أي مواساة يا أبي... أنا بحاجة للعلاج... رصاصة أخيرة؛ لأغادر هذا العالم من دون أي إزعاج... أعدكم... هناك... قرع جرس دار العبادة مجدداً. أبي؟

عند منتصف الليل في غاردموين، المطار الرئيس لمدينة أوصلو، هبطت طائرة أس كيه 459 قادمة من بانكوك في موقعها المخصص عند البوابة 46. ضغط الطيار تورد شالتز على المكابح ليوقف طائرة أيرباص 340 بالكامل، ثم أغلق مزود الوقود بسرعة لينخفض الطنين المعدني لمحرك الطائرة، ويصبح هديراً بطيئاً قبل أن يتلاشى بالكامل. دون تورد شالتز الوقت تلقائياً... ثلاث دقائق وأربعون ثانية منذ ملامسة الأرض، أي قبل اثنتي عشرة دقيقة من الوقت المحدد. وبدأ ومساعدته بالتحقق من إطفاء المحرك وركنها كما ينبغي بما أن الطائرة ستبيت هناك في الليل مع البضائع. بحث في الحقيبة التي تحوي سجل الطائرة... سبتمبر 2011. في بانكوك كان الطقس لا يزال مائلاً وحراراً كالعادة، وكان يتوق للوطن، ولأولى أمسيات الخريف الباردة... أوصلو في سبتمبر... ما من مكان أفضل على وجه الأرض. ملأ الاستثمار لأجل فاتورة الوقود، فقد كان عليه العثور على طريقة لتفسير ذلك، فبعد الرحلات من أمستردام أو مدريد كان قد خلق بسرعة كبيرة وغير معقولة اقتصادياً، محرقاً وقوداً بقيمة آلاف الكرونات لتحقيق ذلك، وفي النهاية كشفه رئيسه.

كان يصرخ في وجهه:

- لماذا؟ ليس لديك أي مسافرين برحلات متصلة!

تمتم تورد شالتز مقتبساً الشعار الإعلاني:

- أكثر الخطوط الجوية دقة في العالم.

- أكثر الخطوط الجوية خسارة اقتصادياً في العالم! أهذا أفضل

تفسير لديك؟

هزّ تورد شالتز كتفيه... أياً يكن الأمر لم يكن بإمكانه ذكر السبب الحقيقي... وهو أنه فتح فوهات الوقود لأن هناك شيئاً عليه القيام به بنفسه... الرحلة التي تم تعيينه لها... الرحلة إلى بيرغن أو تروندهايم أو ستافانجر. كان من المهم للغاية بالنسبة إليه أن يقوم هو بالرحلة وليس أي طيار آخر.

كان كبيراً جداً بالنسبة إليهم ليفعلوا له أي شيء سوى التوبيخ والتعنيف، وكان قد تجنب ارتكاب الأخطاء الفادحة، كما أن المنظمة ترعاه ولم تبق سوى بضع سنوات قبل أن يبلغ الخامسة والخمسين ويتقاعد في كل الأحوال. تنهد تورد شالتز... لم تتبق سوى بضع سنوات ليصلح الأمور

ويتفادى أن يصبح أكثر الطيارين خسارة اقتصادياً في العالم.
وقّع على سجل الطيران، ونهض مغادراً قمرة القيادة ليظهر للمسافرين
صفاً من الأسنان البيضاء في وجهه المسمر... ابتسامة تؤكد لهم أنه واثق
بنفسه لأقصى الدرجات؛ وهو ما جعله أيقونة في عيون الناس. كان قد رأى
كيف كان الناس رجالاً ونساءً، وكهولاً وشباباً ينظرون إليه ما إن يتم نطق
كلمة "طيار"، وحين يكتشفون الجاذبية ورباطة الجأش والسحر الصبياني
والدينامية والدقة والذكاء والشجاعة لدى رجل تحدى القوانين المادية
والخوف الفطري من البشر. لكن ذلك كان منذ أمد بعيد... أما الآن، فإنهم
ينظرون إليه كما لو أنه سائق الحافلة، ويسألونه عن أرخص التذاكر إلى
لاس بالماس، ولماذا هناك مساحة أكبر للسائقين في طائرات لوفتهانزا.
تباً لهم جميعاً... تباً لهم جميعاً.

وقف تورد شالتز عند المخرج إلى جانب المضيفين منتصباً ومبتسماً،
وهو يقول بلهجة تكساس واضحة كما علموهم في مدرسة الطيران في
شيبارد:

- أهلاً بك آنستي.

فتلقى ابتسامة رضى... في ما مضى، كان يرتب للقاء في صالة القادمين
مع مثل هذه الابتسامة... نساء... الكثير من النساء... من كيب تاون إلى
آلتا... هناك كانت المشكلة... والحل... النساء... الكثير من النساء... نساء
جديدات... والآن؟ كان شعره ينحسر وراء قبعة الطيار، لكن البذلة أبرزت
جسده الطويل ومنكبيه العريضين. هذا ما كان يلقي عليه اللوم لعدم
ركوبه الطائرات الحربية في مدرسة الطيران... لينتهي به المطاف كطيار شحن
على هرقل... فرس السماء. كان قد أخبر عائلته أنه كان أطول ببضعة
سنتيمترات وأن قمرة القيادة في طائرات أف 5 وأف 16 لا تتسع سوى
للأقزام. أما الحقيقة فهي أنه لم ينجح في المنافسة؛ وكان جسده هو كل
ما استطاع الحفاظ عليه منذ ذلك الحين... الشيء الوحيد الذي لم ينهَر...
والذي لم يتهاو... كزواجه... كعائلته... كأصدقائه... كيف حصل ذلك؟ أين كان
حين حصل ذلك؟ ربما في غرفة فندق في كيب تاون أو آلتا وهو منتشٍ
بالكوكايين للتعويض عن المشروبات القاتلة للقدرة في المشرب... كما أنه لا
يبدو ماهراً بالشيء الذي يهّمه للتعويض عن كل ما لم يكن عليه أو لن
يكون عليه.

وقع نظر تورد شالتز على رجل متجه نحوه في الممر برأسٍ منحنيٍ
لكنه لا يزال أطول من جميع المسافرين. كان نحيلاً بمنكبين عريضين مثله،

لكنه أصغر منه مع شعر أشقر واقف كالفرشاة... كان يبدو كزوجي، لكنه ليس سائحاً عائداً إلى وطنه، وإنما مغترب مع سمرة خفيفة كتلك التي تظهر على ذوي البشرة البيضاء بعد قضاء وقت طويل في جنوب شرق آسيا. وقد منحته البذلة البنية انطباعاً بالجودة والجدية... ربما كان رجل أعمال... وبفضل اهتمامه بنجاحه فقد سافر في الدرجة السياحية. لكن، لم تكن البذلة ولا طوله ما جعل تورد شالتز يحرق بهذا الشخص وإنما الندبة التي تمتد من الزاوية اليسرى من فمه لتصل تقريباً إلى أذنه كمنجل على شكل ابتسامة مذهلة ورائعة.

- أراك.

أجفل تورد شالتز، لكنه لم يتمكن من الرد قبل أن يمر الرجل ويخرج من الطائرة. كان الصوت خشناً وأجش، بينما أوحى العينان الحمراء أنه استيقظ للتو.

فرغت الطائرة بينما وقف الباص الصغير مع طاقم التنظيف على المدرج ريثما يغادر الطاقم كجماعة، ولاحظ تورد شالتز أن الروسي القصير والبدن أول النازلين من الباص، وشاهده وهو يصعد السلم بسترته الصفراء الواضحة التي تحمل شعار الشركة سولوكس.

أراك .

ردد تورد شالتز الكلمة في ذهنه وهو يمشي في الممر نحو مركز طاقم الطيران.

سألته إحدى المضيفات وهي تشير إلى حقيبة تورد السامسونيت:

- أليست معك حقيبة في الطائرة؟

لم يتمكن من تذكر اسمها... ميا؟ ماجا؟ في كل الأحوال كان قد عاشرها في إحدى محطات الوقوف في القرن الماضي... أو هل قام بذلك حقاً؟

- لا.

أراك كما في عبارة "أراك لاحقاً"؟ أو كما في عبارة "أرى أنك تنظر

إلي"؟

مشوا عبر الحاجز في المدخل باتجاه مركز طاقم الطيران، حيث كانت هناك غرفة لضابط الجمارك لكن المقعد وراء الحاجز كان فارغاً في تسعة وتسعين بالمائة من الأوقات. وطوال فترة عمله في شركة الطيران لثلاثين عاماً لم يتم إيقافه إطلاقاً للتفتيش.

أراك .

كما في "أستطيع أن أراك... مفهوم"، و"أستطيع أن أرى من أنت".
أسرع توردد شالتز عبر الباب نحو المركز.

سعى سيرغيبه إيفانوف كالعادة كي يكون أول النازلين من الحافلة الصغيرة حين توقفت على الأسفلت بجانب الطائرة، وصعد السلم إلى الطائرة الفارغة. أخذ المكنسة الكهربائية إلى قمرة القيادة، وأقفل الباب وراءه، ثم ارتدى قفازيه المطاطيين وسحبهما حتى الوشم، ثم فتح خزانة الطيار ورفع حقيبة السامسونيات الصغيرة وفتحها، ثم أزال الطبقة المعدنية في الأسفل، وتحقق من الرزم الأربع بوزن أربعة كلغ، ثم وضعها في المكنسة بين الأنبوب وكيس الغبار الكبير الذي كان قد تأكد من إفراغه مسبقاً، وأغلق باب الخزانة وفتح قفل باب قمرة القيادة ثم شغل المكنسة الكهربائية... تمّ كل ذلك خلال ثوانٍ.

بعد ترتيب القمرة وتنظيفها، نزلوا بتمهل من الطائرة، وكدسوا أكياس القمامة الزرقاء في مؤخر عربة دايباتسو، ثم قفلوا عائدين إلى الردهة. لم يكن هناك سوى بعض الطائرات التي تهبط وتقلع قبل أن يغلق المطار خلال الليل. ألقى إيفانوف نظرة على جيني مديرة الدورية، ثم حدق بشاشة الحاسب التي تظهر الرحلات القادمة والمغادرة... ما من تأخير.

قال سيرغيبه بصوته الأجش:

- سأتولى رحلة بيرغن.

على الأقل كان يتكلم اللغة... كان يعرف أشخاصاً روسيين يعيشون في النروج منذ عشر سنوات لكنهم لا يزالون يضطرون لتكلم الإنكليزية. لكن، حين تقدّم سيرغيبه للعمل قبل سنتين أوضح له عمه أن عليه تعلم النروجية، وواساه بقوله إنه قد تكون لديه بعض مهارات عمه في تعلم اللغات.

قالت جيني:

- هناك من سيتولى رحلة بيرغن. يمكنك الانتظار حتى تروندهايم.

- سأتولى رحلة بيرغن، ويمكن لنيك تولى رحلة تروندهايم.

نظرت جيني إليه:

- كما تشاء. لكن، لا ترهق نفسك لدرجة الموت ياسيرغيبه.

توجه سيرغيبه إلى كرسي إلى جانب الجدار وجلس عليه مستنداً إلى الوراء بهدوء، فكتفاه لا تزالان تؤلمانه بسبب الوشم الحديث الذي وضعه له الاختصاصي النروجي الذي رسم له رسومات كان سيرغيبه قد حصل

عليها من إيمر اختصاصي الوشم في سجن نيزهني تاجيل، ولا تزال هناك أجزاء لم تكتمل بعد. فكر سيرغييه في الوشوم لدى الملازمين قائدي عمه أندريه وبيتر... الخطوط الزرقاء الباهتة على بشرة السلافيين من ألتاي تخبر عن حياتهما الحافلة بالإثارة والإنجازات العظيمة. لكن، لدى سيرغييه أيضاً عمل يحمل اسمه... جريمة قتل... كانت جريمة قتل بسيطة... لكنه وضع وشماً يرمز لها... وربما تكون هناك جريمة قتل أخرى... جريمة كبيرة... في حال اقتضت الضرورة... هذا ما قاله عمه، وحذره ليبقى على استعداد... ليبقى مستعداً ذهنياً... ويستمر بتدريباته على استخدام السكين... كان قد قال إن هناك رجلاً قادمًا... لم يكن الأمر مؤكداً... لكنه محتمل جداً. محتمل.

نظر سيرغييه إيفانوف إلى يديه... كان لا يزال يرتدي القفازين المطاطيين. بالطبع، كانت مصادفة أن محيط عملهم يضمن أن لا يتركوا أي بصمات على الرزم في حال ساءت الأمور يوماً ما. لم يكن هناك أدنى ارتباك، فيداه اعتادتا القيام بذلك منذ زمن لدرجة أنه يذكر نفسه بالمخاطر بين الفينة والأخرى ليبقى على حذر. كانوا يأملون أن يكون هادئاً بهذا الشكل عندما تقتضي الضرورة، حين سيضع الوشم الذي طلب تصميمه لأجله. تصور الأمر مجدداً: حين سيفتح أزرار قميصه في غرفة الجلوس في تاجيل بحضور جميع إخوته المجرمين ويريهم وشمه الجديد... لن يحتاج الأمر لأي تعليق أو كلمات. لذا لن يقول شيئاً، وإنما سيرى الأمر في أعينهم... لم يعد سيرغييه الصغير. منذ أسابيع وهو يدعو كي يأتي الرجل... وأن تقتضي الضرورة تنفيذ الجريمة الأخرى.

أرسلت رسالة عبر جهاز اللاسلكي للبدء بتنظيف طائرة بيرغن. فنهض سيرغييه وتثاءب.

كانت الإجراءات في قمرة القيادة الثانية أبسط.

افتح المكنسة الكهربائية، وضع المحتويات في الحقيبة في خزانة المساعد. في طريقهم للخروج التقوا الطاقم الذي كان في طريقه للدخول. تجنب سيرغييه إيفانوف نظرات المساعد، ونظر إلى الأرض ليلاحظ أن لديه حقيبة مماثلة لحقيبة شالتز... سامسونات أسباير جي آر تي... اللون الأحمر نفسه... بدون الحقيبة الحمراء الصغيرة التي يمكن تعليقها بها في الأعلى... لم يكن أي منهم يعرف شيئاً عن الآخر... لا شيء عن الدافع... لا شيء عن الخلفية أو العائلة... كل ما يربط سيرغييه بشالتز والمساعد الشاب هو أرقام هواتفهم المحمولة غير المسجلة التي تم شراؤها من تايلنده ليتمكنوا

من إرسال رسالة نصية في حال حدوث أي تغيير في المواعيد. شك سيرغييه في أن يكون كل من شالتز والمساعد يعرف الآخر، فقد حد أندريه جميع المعلومات بالأساسيات اللازمة. ولذلك لم تكن لدى سيرغييه أدنى فكرة عما سيحصل للرزم، مع أنه كان بإمكانه التخمين؛ لأنه حين مر المساعد في رحلة داخلية بين أوسلو وبيergen لم يكن هناك أي تفتيش جمركي أو أمني. أخذ المساعد الحقيقية إلى الفندق في بيرغن حيث كان الطاقم ينزل... طريقة خفيفة على الباب في منتصف الليل، وتبادل لأربعة كيلوغرامات من الهيرويين في منتصف الليل. على الرغم من أن المخدر الجديد فيولين قد خفض أسعار الهيرويين لكن السعر في الشارع لا يزال 250 كرونر لكل ربع؛ أي إنه ألف لكل غرام. وبضمان أن المخدر الذي تم تخفيفه مسبقاً سيتم تخفيفه مجدداً، سيصل المبلغ إلى ثمانية ملايين كرونر بالكامل. يمكنه حساب ذلك... هذا كافٍ ليعرف أنه يتقاضى أجراً ضئيلاً... لكنه يعرف أيضاً أنه سيفعل ما يكفي ليضمن حصة أكبر حين يقوم بما هو ضروري. وبعد بضع سنوات بهذا الراتب، يمكنه شراء منزل في تاجيل، وسيجد لنفسه فتاة جميلة من سيبيريا، وقد يحضر أمه وأباه للإقامة معه حين يتقدمان بالعمر. أحس سيرغييه إيفانوف بمكان الوشم يؤمله بين لوحى كتفيه؛ كما لو أن البشرة تتطلع للجلسة القادمة.

نزل الرجل الذي يرتدي البذلة الكتانية في محطة أوسلو المركزية في يوم دافئ ومشمس في مدينته القديمة، حيث كان الهواء عليلًا ولطيفًا. كان يحمل حقيبة قماشية صغيرة مضحكة، وخرج من المحطة من الجانب الجنوبي بخطوات سريعة ورشيقة. كان قلب أوسلو- التي كان الكثيرون يؤكدون أنه ليس لديها أي قلب- يدق بنبض هادئ... بتناغم ليلى. وكانت السيارات القليلة هناك تدور حول الساحة، ثم تتبعثر واحدة تلو الأخرى نحو ستوكهولم وتروندهايم، وشمالاً نحو الأجزاء الأخرى من المدينة، أو غرباً إلى درامن وكريستيانساند. كان الازدحام المروري يشبه في شكله وحجمه عملاقاً ميتاً على وشك الاختفاء ليتم استبداله ببيوت وشركات في الحي الجديد الرائع في أوسلو مع بنائه الجديد الرائع... دار الأوبرا. وقف الرجل ونظر إلى الجبل الجليدي الأبيض بين زحمة السيارات والخليج الذي كان قد ربح جوائز معمارية من أنحاء العالم كافة، وقد جاء ناس من أقاصي الدنيا ليمشوا على الرخام الإيطالي المنحدر إلى البحر. كانت الأضواء المنبعثة من النوافذ الكبيرة للبناء ساطعة جداً، بينما أضواء شعاع القمر عليها.

فكر الرجل... يا إلهي... يالهداه التحسينات .

لم يكن ما رآه هو الوعود المستقبلية بالتطوير المدني الحديث وإما الماضي، فقد كانت هذه المنطقة حافلة بإطلاق النار وتناول المخدرات، حيث كان الناس يحقنون أنفسهم ويعيشون أوهاماً وراء المخابئ التي تخفيهم... وحيث أطفال المدينة الضائعين. حاجز بسيط يقف بينهم وبين جهلهم... والدان ديمقراطيان اجتماعيان بنوايا طيبة. فكر... يا لهداه التحسينات ... كانوا في رحلة إلى مكان لا رجوع منه؛ في محيط أكثر جمالاً.

كانت قد مضت ثلاث سنوات منذ أن وقف هنا لآخر مرة... كل شيء أصبح جديداً... كل شيء أصبح متشابهاً.

كانوا قد أخفوا أنفسهم على شريط عشبي بين المحطة والطريق السريع... منتشين كما في الماضي... ومستلقين على ظهورهم، ومغمضين عيونهم؛ كما لو أن أشعة الشمس ساطعة... ومشغولين في البحث عن عرق يمكن استخدامه... أو منحنيين بركب مثنية وهم يحملون أكياساً من دون أن يعرفوا إن كانوا قادمين أو ذاهبين... الوجوه نفسها... لكن ليس الأشخاص أنفسهم الذين كان يراهم حين كان معتاداً على المشي هنا... فقد مات أولئك من زمن... لكن الوجوه ظلت نفسها.

كان عددهم يتزايد على الطريق المؤدي إلى تولبوغاتا. وبما أنهم مرتبطون بسبب عودته حاول تشكيل انطباع، أو تحديد إن كان عددهم قد ازداد أو نقص. ولاحظ أنهم عادوا للتجارة في بلاتا مجدداً... الساحة الأسفلتية الصغيرة غرب جيرنبايتورغيت التي تم طلاؤها باللون الأبيض وأصبحت تايوان أوسلو... أي منطقة التجارة الحرة للمخدرات؛ لتتمكن السلطات من إبقاء أعينها على ما يحصل، ولتعتزض سبيل المشتريين الصغار المبتدئين. لكن، مع تنامي حجم التجارة وإظهار بلاتا الوجه الحقيقي لمدينة أوسلو كواحدة من أسوأ مراكز تجارة الهيرويين في أوروبا، أصبح المكان يجذب السياح بشدة. وقد كانت تقلبات الهيرويين والجرعات المفرطة سبب خزي للعاصمة، لكنها لم تكن لطخة واضحة كما في بلاتا. وقد غدى كل من التلفاز والصحف بقية البلاد بصور للشباب المتصلين وشبه الأموات المتجولين في مركز المدينة في وضوح النهار، ملقاة اللوم على السياسيين. حين كان اليمينيون في السلطة كان اليساريون مهتاجين: "ما من مراكز علاج كافية"، "الأحكام بالسجن هي التي تؤدي للإدمان"، "المجتمع بطبقاته الجديدة يؤدي إلى تشكيل العصابات وتجارة المخدرات في مناطق المهاجرين"... لكن، حين تولى اليساريون السلطة اهتم اليمينيون: "ما من رجال شرطة كافين"، "يمكن الوصول بسهولة إلى نزلاء مراكز الحجر"، "من بين كل سبعة سجناء هناك ستة أجنب".

لذا، بعد أن تمت مطاردتهم من جميع النواحي، توصل مجلس مدينة أوسلو إلى القرار المحتوم: أن يحفظ ماء وجهه ويخفي القذارة تحت الطاولة... أن يغلق بلاتا.

رأى الرجل في بذلة الكتان شاباً يرتدي قميص فريق أرسنال الأحمر والأبيض، ويقف على درج مع أربعة أشخاص يجرون أقدامهم أمامه. كان رأس لاعب الأرسنال يدور يمناً ويسرى كرأس دجاجة، بينما وقف الأربعة الآخرون بلا حراك وهم يحدقون بالبائع الذي يرتدي قميص الأرسنال، والذي كان ينتظر حتى يصبح هناك عدد يكفي منهم... مجموعة كاملة... ربما خمسة أو ستة، ثم سيقبل استلام الدفعات للطلبات، وسيأخذهم إلى مكان وجود المخدرات عند ناصية الشارع، أو في الساحة حيث ينتظر شريكه. كان المبدأ بسيطاً: الشخص الذي يحمل المخدرات لا يلمس النقود، والشخص الذي يحمل النقود لا يلمس المخدرات؛ مما يجعل من الصعب على رجال الشرطة الحصول على دليل وثيق بتجارة المخدرات ضد أي منهما. لكن الرجل الذي يرتدي بذلة الكتان تفاجأ حين رأى أن الطريقة المتبعة هي

الطريقة نفسها المتبعة في الفترة الممتدة بين ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. فحين استسلمت الشرطة ولم تعد تحاول القبض على التجار في الطرق، ترك البائعون روتينهم المطول وتجمعاتهم وبدأوا بالبيع مباشرة حين يأتيهم المشترون، فكانوا يحملون النقود بيد والمخدرات باليد الأخرى. هل عادت الشرطة لاعتقال تجار الشوارع؟

مر رجل على دراجة مرتدياً خوذة، ونظارة برتقالية، وقميص جيرسي بألوان مشرقة، بينما برزت عضلات فخذه من تحت السروال القصير الضيق. بدت الدراجة باهظة الثمن... ربما لهذا السبب أخذها معه في حين قام مع باقي المجموعة باللحاق بالشاب المرتدي قميص أرسنال إلى ناصية الشارع، إلى الجانب الآخر من البناء. كان كل شيء جديداً... كان كل شيء متشابهاً... لكن أعدادهم قد تناقصت... أليس كذلك؟

تحدثت المومسات عند زاوية شارع سكيبرغاتا إليه بإنكليزية مكسرة... أهلاً حبيبي! انتظر لحظة أيها الوسيم! لكنه هز رأسه فحسب. يبدو أن شائعات عفته أو ربما ضائقته المادية قد سبقته لأن الفتيات في ما بعد لم يظهرن أي اهتمام به. في أيام شبابه، كانت مومسات أوصلو يرتدين ملابس عملية من الجينز والستر السميقة، ولم يكن هناك الكثير منهن. أما الآن فقد أصبحت المنافسة أشد، وأصبحن يرتدين تنانير قصيرة وجوارب مخرمة وينتعلن أحذية عالية الكعبين. بدت النساء الإفريقيات كما لو أنهن يشعرن بالبرد... انتظرن حتى ديسمبر.

تعمق أكثر في كفادراتورين التي كانت أول مركز لمدينة أوصلو، لكنها أصبحت الآن مجرد صحراء من الأسفلت والطوب تضم أبنية إدارية ومكاتب تضم 250000 عامل يتوجهون إلى منازلهم في تمام الساعة الرابعة أو الخامسة ويتكون الحي للقوارض الليلية. حين بنى الملك كريستيان الرابع المدينة بساحات وفقاً لفن العمران السائد في عصر النهضة، تم ضبط السكان باستخدام النار، وقد ذكرت الأساطير أنه يمكنك في كل ليلة سنة كبيسة أن ترى الناس الملتهبين وهم يركضون بين المنازل، وأن تسمع صرخاتهم وتشاهدهم وهم يحترقون ويتلاشون لتبقى طبقة من الرماد على الأسفلت. وفي حال تمكنت من الإمساك بها قبل أن تعصف بها الرياح بعيداً فإن منزلك لن يحترق أبداً. وبسبب مخاطر النيران قام كريستيان الرابع ببناء طرق واسعة حسب معايير فقراء أوصلو، كما انتصبت المنازل المبنية من مواد البناء غير الزوجية كالطوب. عبر أمام الجدران حتى تجاوز باب مقهى مفتوحاً، تصدح منه موسيقى "غانز أند روزيز" و"ويلكم تو ذا

جانغل" والموسيقى الراقصة، فيما كان المدخنون واقفين في الأرجاء. وقف أمام شخص يمد ذراعه.
- أمعك ولاة؟

رفعت سيدة بدينة في أواخر العقد الثالث نظرها إليه، بينما تأرجحت سيارتها باستفزاز بين شفيتها الحمراءوين.

رفع حاجبه ونظر إلى صديقتها الضاحكة التي كانت تقف وراءها مع سيجارة مشتعلة، فلاحظت المرأة البدينة ذلك، ثم ضحكت أيضاً وخطت جانباً لتستعيد توازنها.

- لا تكن بطيئاً.

قالت ذلك بلكنة سورلاند نفسها؛ كالأميرة ولاة العهد. كان قد سمع أن هناك مومساً في السوق المغطاة جنت ثروة لأنها تبدو مثلها وتتكلم مثلها وتلبس مثلها، وأن الأجر البالغ 5000 كرونر في الساعة يمنح الزبون حق استخدام صولجان بلاستيكي شبه مجاناً.

اتكأت يد المرأة على ذراعه بينما كان يحاول التقدم، وانحنت عليه، ففاحت رائحة الشراب في فمها في وجهه.

- تبدو وسيماً. ما رأيك أن تعطيني... ولاة؟

أدار الجانب الآخر من وجهه إليها... الجانب السيئ... الجانب غير الجذاب، وشعر بها تجفل وتراجع وهي ترى الآثار التي خلفها المسمار عند زيارته للكونغو، حيث كان يمتد من الفم إلى الأذن كدمعة سيئة الشكل.

مشى بينما تغيرت الموسيقى إلى أغنية "كام آز يو آر".

- خليط؟

أقى الصوت من المدخل لكنه لم يتوقف أو يلتفت.

- سييد؟

لقد تجنب الأمر لثلاث سنوات ولا يريد البدء مجدداً.

- فيولين؟

على الأقل الآن.

وقف قربها على الرصيف شاب أمام بائعين، حيث كان يريهما شيئاً بينما كان يتكلم. نظر الصغير إلى الأعلى وهو يقترب وتفحصه بعينين رماديتين، عيني رجل شرطة... فكر الرجل... ثم أخفض رأسه وعبر الشارع. ربما كان مرتاباً قليلاً، كما أنه من غير المرجح أن يتمكن شرطي شاب كهذا من التعرف عليه.

كان الفندق هناك... النزل... ليون.

كان ذلك الجانب من الشارع مهجوراً نوعاً ما. أما على الجانب الآخر فرأى تحت المصباح بائع المخدرات يقف على الدراجة إلى جانب راكب آخر يرتدي ملابس خاصة بركوب الدراجات. كان بائع المخدرات يساعد الشاب الآخر على حقن نفسه في الرقبة.

هز الرجل الذي يرتدي بذلة الكتان رأسه، ورفع نظره إلى واجهة المبنى أمامه.

كانت هناك اللافتة الرمادية القذرة نفسها، المعلقة تحت نوافذ الطابق الثالث والأخير... أربعمئة كرونر لليلة... كل شيء كان جديداً... كل شيء كان متشابهاً.

كان موظف الاستقبال في فندق ليون جديداً. رحّب الموظف الشاب بالرجل الذي يرتدي بذلة الكتان بابتسامة مهذبة للغاية وانعدام ارتياب لافت للنظر. رحّب به بحرارة من دون أي أثر للسخرية في صوته، وطلب رؤية جواز سفره. افترض الرجل أنهم دائماً يظنونهم أجنياً بسبب بشرته المسمرة وبذلة الكتان التي يرتديها، ثم ناول موظف الاستقبال جواز سفره النروجي الأحمر المهترئ والمليء بالأختام... هناك أختام كثيرة جداً ليتم اعتبارها حياة جيدة.

قال موظف الاستقبال وهو يعيده إليه:

- آه، حسناً.

ثم وضع استمارة على الطاولة وناولها قلماً.

- الأقسام التي تحمل إشارة كافية.

استمارة تسجيل الدخول في فندق ليون! فكر الرجل باستغراب... ربما تغيرت بعض الأمور. أخذ القلم، ورأى موظف الاستقبال يحدق بيده... بإصبعه الوسطى التي كانت الأكثر طولاً بين كل أصابعه قبل أن تنقطع في منزل في هولمكولفن ريديج. الآن تم استبدال المفصل الأول بقطعة رمادية من التيتانيوم غير اللامع. لم تكن تلك القطعة مفيدة جداً في الاستخدام، لكنها قدّمت التوازن لأصابعه المجاورة، كما أنها لا تسبب أي عوائق نظراً إلى كونها قصيرة. كان الضرر الوحيد يكمن في التبريرات اللامتناهية حين كان عليه العبور عبر التفتيش في المطارات.

كتب الاسم والكنية.

تاريخ الولادة.

كتب وهو يعرف أنه يبدو كرجل في منتصف العقد الرابع، وليس كما بدا حين غادر النروج قبل ثلاث سنوات؛ أي كعجوز متأدّب. فقد فرض

على نفسه نظاماً قاسياً من التمارين والطعام الصحي والنوم الكافي وبالطبع امتنع عن تناول المواد التي تسبب الإدمان. لم يكن الهدف من هذا النظام أن يبدو أصغر سنًا، وإنما أن يتجنب الموت. كما أنه أحبه... في الواقع، كان دائماً يحب الروتين الثابت... النظام... الترتيب. إذًا، لم كانت حياته فوضوية هكذا ومليئة بالتدمير الذاتي وبسلسلة من العلاقات المنهارة بين الفترات المظلمة من الانتعاش؟ نظرت الخانات الفارغة إليه بتساؤل، لكنها كانت صغيرة جداً لتتسع للإجابات التي تطلبها.

العنوان الدائم.

حسنًا... تم بيع الشقة في بوابة صوفيز مباشرة بعد أن غادر منذ ثلاث سنوات، وكذلك الحال مع بيت والديه في أوبسال. وفي عمله الحالي، قد يؤدي العنوان الرسمي إلى مخاطر متأصلة مؤكدة، لذا كتب ما يكتبه عادة حين يقوم بتسجيل الدخول في الفنادق الأخرى: تشانغكينغ مانشن-هونغ كونغ؛ الأمر الذي لم يكن أبعد عن الحقيقة من أي شيء آخر. المهنة.

قاتل. لم يكتب ذلك... هذا القسم لا يحمل إشارة.

رقم الهاتف.

كتب رقمًا مزيفًا. يمكن تعقب الهواتف المحمولة... وتعقب المحادثات ومعرفة من أين تجريها.

رقم هاتف أحد الأقارب.

أحد الأقارب؟ أي زوج هذا الذي سيعطي رقم هاتف زوجته حين يسجل الدخول في فندق ليون؟!

يبدو أن موظف الاستقبال استطاع قراءة أفكاره:

- في حال شعرت بالتوعك واضطررنا للاتصال بأحد.

هز هاري رأسه... في حال أصبت بنوبة قلبية خلال القيام بالعمل.

- لست مضطراً لكتابة شيء إن لم تكن...

- لا.

قال الرجل وهو ينظر إلى الكلمات... أحد الأقارب... لديه سيس... أخت مصابة بما تدعوه "مس من متلازمة داون" لكنها تتعامل مع الحياة دائماً أفضل بكثير من أخيها الأكبر سنًا. عدا عن سيس لم يكن هناك أحد آخر... قطعاً لا أحد... حسنًا... أحد الأقارب.

وضع إشارة عند كلمة "نقدًا" عند طريقة الدفع، ووقع ثم ناول الاستمارة لموظف الاستقبال الذي راجعها بسرعة... وأخيراً، رأى هاري الارتياح.

- هل أنت... هل أنت هاري هول؟

هز هاري هول رأسه:

- هل من مشكلة؟

هز الشاب رأسه بالنفي وابتلع لعابه.

قال هاري:

- ممتاز... أليديك مفتاح لي؟

- آه آسف... ها هو.. 301.

أخذه هاري، ولاحظ أن حدقتي الشاب اتسعتا وصوته انكمش.

قال الشاب:

- إنه... إنه عمي... إنه يدير الفندق... اعتاد على الجلوس هنا قبلي،

وقد أخبرني عنك.

قال هاري:

- متأكد من أنها أشياء لطيفة فقط.

وحمل حقيبته القماشية وتوجه نحو السلم.

- المصعد...

قال هاري من دون أن يلتفت:

- لا أحب المصاعد.

كانت الغرفة كما كانت من قبل؛ رديئة وصغيرة ونظيفة نوعاً ما... لا،

في الواقع، كانت الستائر جديدة ونظيفة ومتصلبة، وربما جافة؛ مما ذكره

بالماضي. علق بذلته في الحمام، وتوجه إلى الدش لعل البخار يزيل الطيات.

كانت البذلة قد كلفته ثمانمائة دولار في هونغ كونغ، من بونجاب هاوس

في شارع ناثنان، لكنها كانت استثماراً ضرورياً في عمله، فلا أحد يحترم رجلاً

يرتدي الأسما. وقف تحت الدش، بينما تخدرت بشرته تحت الماء الساخن.

بعد ذلك مشى عارياً في الغرفة باتجاه النافذة وفتحها... الطابق الثاني...

الساحة الخلفية. ومن النافذة المفتوحة سمع تأوهات الحماسة الزائفة،

فأمسك عمود الستارة وانحنى للخارج، ثم نظر إلى الأسفل مباشرة إلى

مساحة مفتوحة وميز رائحة القمامة التي تتصاعد إليه. بصق وسمع صوت

ارتطام بصاقه بورقة في السلة. لكن الحفيف الذي تلا ذلك لم يكن صادراً

عن ورقة. كانت هناك قرقرة، ثم وقعت الستارة الخضراء الصلبة على

الأرض إلى جانبه... تبا! سحب العمود الرفيع من طرف الستارة التي كانت

من النوع القديم. كان مكسوراً من قبل، لكن أحداً ما قد حاول إصاقه

باستعمال لاصق بني. جلس هاري على السرير وفتح الدرج في الطاولة

المجاورة للسريير... كتاب مقدس بغلاف جلدي أزرق، ومجموعة خياطة تتكون من خيط أسود ملفوف حول بطاقة مع إبرة مغروزة فيها. بعد تفكير عميق، أدرك هاري أنها ليست فكرة سيئة في كل الأحوال؛ إذ يمكن للضيوف خياطة الأزرار والقراءة في الكتاب المقدس. استلقى على السريير وهو يحدق في السقف... كان كل شيء جديداً... كان كل شيء... أغمض عينيه... لم يغمض له جفن في الطائرة... مع أو بدون اضطراب الرحلات الجوية الطويلة... مع أو بدون ستائر... كان سينام. وبدأ يحلم بالحلم نفسه الذي كان يراوده كل ليلة خلال السنوات الثلاث الماضية: كان يركض في ممر هرباً من كرة ثلجية ضخمة كانت تمتص كل الهواء لتتركه غير قادر على التنفس.

كان الأمر يتطلب مجرد الاستمرار وإبقاء عينيه مغمضتين لفترة أطول. تشتت أفكاره التي بدأت بالتلاشي بعيداً.
أحد الأقارب.
قريب.
أحد الأقارب.
هذا ما كان عليه... ولهذا عاد.

كان سيرغييه يقود سيارته على الطريق إي 6 باتجاه أوصلو وهو يحلم بالسريير في شقته في فاراسيت ويحاول إبقاء سرعته أقل من 120؛ على الرغم من أن الطريق السريع كان فارغاً في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل. رن هاتفه المحمول... الهاتف المحمول... كانت المحادثة مع أندريه موجزة... لقد تكلم مع عمه أو القائد كما كان أندريه يدعو عمه. وبعد أن أنهيا الاتصال، لم يتمالك سيرغييه نفسه فوضع قدمه على دواسة الوقود وصرخ بسرور... لقد وصل الرجل... الآن... هذا المساء... إنه هنا! لم يكن على سيرغييه فعل أي شيء في الوقت الحاضر، فقد يُحلُّ الأمر من تلقاء نفسه حسب ما قال أندريه، لكن عليه الآن أن يكون أكثر استعداداً ذهنياً وجسدياً، وأن يتدرب على استخدام السكين ويبقى على أهبة الاستعداد في حال اقتضت الضرورة.

لم يكد تورد شالتز يسمع هدير الطائرة في الجو وهو جالس على الأريكة ويتنفس بصعوبة حتى بدأ العرق يسيل على الجزء الأعلى العاري من جسده، بينما استمر صدى الحديد يتردد بين جدران غرفة الجلوس المعزولة. كانت الأثقال وراءه وكذلك المقعد المنجد بالجلد المزيف المتلألئ بعرقه، في حين ظهر دونالد درابر على شاشة التلفاز وهو يحدق عبر دخان سيجارته ويرتشف الشراب من كأس، بينما هدرت طائرة أخرى في الجو. رجال مجانيين... الستينيات... الولايات المتحدة الأمريكية... نساء يرتدين ملابس محتشمة... مشروبات محترمة في كؤوس محترمة... سجاير محترمة بدون منتول أو فلتر... أيام ما لا يقتلك يزيدك قوة... كان قد اشترى الموسم الأول فحسب وشاهده مراراً وتكراراً لأنه لم يكن متأكداً من أنه سيحب الموسم التالي.

نظر تورد شالتز إلى الخط الأبيض على طاولة القهوة الزجاجية، وجفف حافة بطاقة تعريفه الشخصية. كان قد استخدم بطاقة التعريف للتقطيع كالمعتاد... البطاقة المعلقة بجيب بذلة الطيار... البطاقة التي منحتة حق الدخول إلى منطقة الطيران... إلى قمرة القيادة... إلى السماء... إلى الراتب... البطاقة التي صنعت منه ما هو عليه... البطاقة التي سيتم أخذها منه - مع كل شيء آخر - في حال تم اكتشاف ما يقوم به... لهذا أحس أنه من الصواب استخدام بطاقة التعريف الشخصية... فمن بين كل الخيانات التي يقوم بها كان هناك شيء شريف متعلق بها.

كانوا عائدين إلى بانكوك في وقت باكر من صباح الغد ليرتاحوا ليومين في فندق سوخومفيت ريزيدانس... جيد... سيكون الأمر جيداً الآن... أفضل من ذي قبل... لم يكن يحب الترتيبات حين يحلق من أمستردام... إذ هناك الكثير من المخاطر. فبعد اكتشاف مدى تورط طواقم الطيران الأمريكيين الجنوبيين في تهريب الكوكايين إلى شيفول... أصبح جميع الطواقم بغض النظر عن خطوطهم الجوية معرضين لتفتيش حقائب يدهم والتفتيش الجسدي. وبالإضافة إلى ذلك، أصبحت الترتيبات أنه بعد الهبوط سيحمل الرزم ويبقيها في حقيبته حتى وقت لاحق من اليوم حين يحلق برحلة داخلية إلى بيرغن أو تروندهايم أو ستافانجر... رحلات داخلية عليه القيام بها حتى لو كان ذلك يعني أن يعوض التأخير من أمستردام بإحراق المزيد من الوقود. وفي غاردموين كان في منطقة الطيران طوال الوقت بالطبع،

حيث لا يكون هناك أي تفتيش جمركي، لكن كان عليه أحياناً حفظ المخدر في حقيبته ست عشرة ساعة قبل أن يتمكن من التسليم. ولم يكن التسليم دائماً خالياً من المخاطر... في مرأب السيارات العام... في المطاعم قليلة الزبائن... في الفنادق التي تضم موظفي استقبال شديدي الانتباه.

لف ورقة ألف كرونر كان قد أخذها من مغلف حصل عليه آخر مرة كان فيها هنا، حيث كانت هناك أنابيب بلاستيكية مصممة خصيصاً لهذا الغرض لكنه لم يكن من هذا النوع: لم يكن ذلك المدمن الذي أخبرت زوجته السابقة محامي الطلاق أنه كذلك. لقد حرصت الخبيثة على الحصول على الطلاق لأنها لا تريد لأطفالها أن يكبروا مع أب مدمن على المخدرات، كما أنها غير مهتمة بمشاهدته وهو يتنشق في منزلهم، ولم يكن لذلك أي علاقة بمضيفات الطيران؛ فهي لا تكترث لذلك، إذ توقفت عن التفكير بذلك منذ سنوات. وقد منحته مع محاميها إنذاراً بأنها ستستولي على البيت والأطفال وبقايا الميراث الذي لم ينفق منه شيئاً، أو سيبلغان عنه لامتلاكه واستخدامه الكوكايين، فقد جمعت أدلة كافية ليخبره محاميه أنه سيتم الحكم عليه وطرده من الخطوط الجوية.

كان الخيار بسيطاً... ولم تسمح له بالاحتفاظ بشيء سوى الديون. وقف على قدميه وتوجه إلى النافذة وحدق نحو الخارج... بالتأكيد سيأتون عما قريب... أليس كذلك؟

كان ذلك ترتيباً جديداً نوعاً ما، حيث عليه أخذ رزمة في رحلة خارجية إلى بانكوك... الله وحده يعلم السبب. في كل الأحوال، كانت هذه هي الرحلة السادسة، ولم تحدث حتى الآن أي متاعب.

كان الضوء منبعثاً من البيوت المجاورة التي كانت بعيدة عن بعضها... فكر... مساكن وحيدة... كانت مساكن للضباط حين كان مطار غاردموين قاعدة حربية... صناديق متشابهة من طابق واحد مع مروج كبيرة جرداء بين البيوت بأقل ارتفاع ممكن لئلا ترتطم بها الطائرات التي تحلق على ارتفاع منخفض، وأكبر مسافة ممكنة بين المنازل لئلا ينتشر الحريق الذي يلي التحطم.

كانوا قد أقاموا هنا خلال الخدمة الإلزامية، حين كان يحلق بطائرة هرقل بينما كان الأطفال يركضون بين المنازل ويزورون الأطفال الآخرين في أيام السبت وفي فصل الصيف. وكان الرجال يقفون للشواء مرتدين المآزر، وهم يحملون شراباً فاتحاً للشهية، بينما تعالت الثرثرة من النوافذ المفتوحة، حيث كانت النساء يعددن السلطة ويحتسين الشراب كمشهد من فيلمه

المفضل "ذا رايت ستاف" الذي يضم أول رائد فضاء والطيار التجريبي شك
ييغر... يالسحر نساء الطيارين، على الرغم من أنهم كانوا مجرد طياري
طائرات هرقل... لقد كانوا سعداء... أليس كذلك؟ أذلك عاد؟ أهى رغبة
غير واعية للعودة بالزمن إلى الوراء؟ أو لمعرفة كيف ساء الوضع كي يحاول
إصلاحه؟

رأى السيارة قادمة فنظر إلى ساعته تلقائياً، وسجل في ذهنه أنهم
تأخروا ثماني عشرة دقيقة.

اتجه إلى طاولة القهوة وتنشق مرتين، ثم وضع الورقة النقدية
الملفوفة عند طرف الخط وانحنى ثم تنشق المسحوق بأنفه، فأحس بوخز
في الغشاء المخاطي، ثم لعق طرف إصبعه ومرره على المسحوق المتبقي
وفركه بلثته... كان مذاقه مرأ... رن جرس الباب.

كانا الشابين المورمونيين نفسيهما كالعادة... واحد صغير والآخر طويل،
وكلاهما يرتديان أفضل ملابسهما، لكن الوشوم ظهرت من تحت أكمامهما
بشكل مضحك.

ناولاه الحزمة... نصف كيلو بلفافة واحدة يمكن أن تتسع أسفل
الطبقة المعدنية في الحقيقية. كان عليه إزالة الرزمة بعد الهبوط في
سوفارنابوهومي ووضعها تحت البساط في مؤخر خزانة الطيار في قمرة
القيادة، وبعدها لن يراها أبداً؛ إذ من الممكن أن يكون طاقم العمل على
الأرض هو الذي يتولى الباقي.

حين قدّم له السيد كبير والسيد صغير الفرصة لأخذ الرزم إلى بانكوك
بدا الأمر جنوناً؛ إذ لم تكن هناك أي دولة في العالم تبيع المخدرات بسعر
أعلى من أوصلو... فلم التصدير؟ لكنه لم يسأل لأنه يعرف أنه لن يحصل
على إجابة. وقد كان الأمر رائعاً، لكنه أشار إلى أن تهريب الهيرويين إلى
تايلنده قد يؤدي إلى الحكم عليه بالإعدام في حال تم القبض عليه؛ لذا
طلب رفع الأجر.

ضحكا... أولاً الصغير... ثم الكبير... فتساءل تورد عما إذا كانت القنوات
العصبية القصيرة تقوم بردة فعل أسرع... ربما لذلك جعلوا قمرة قيادة
الطائرات المقاتلة منخفضة الطول؛ لاستثناء الطيارين طويلي القامة والبطيئين.

شرح الصغير لتورد باللغة الإنكليزية مع لكنة روسية جافة أن ما
سيهرّبه ليس هيرويين وإنما هو عقار جديد... جديد للغاية، لدرجة أنه لم
يصدر أي قانون يمنعه بعد. لكن، حين سأل تورد عن سبب تهريب مادة
قانونية ضحكا بصوت مرتفع أكثر، وأخبراه أن يخرس ويجب بنعم أو لا

فقط.

أجاب تورّد شالتز بنعم بينما راودته فكرة أخرى: ماذا ستكون العواقب في حال قال لا؟

كان ذلك منذ ست رحلات.

تفحص تورّد شالتز الرزم، وقد فكر عدة مرات بتلطيخ سائل التنظيف على الواقي وأكياس الثلجة التي كانوا يستخدمونها، لكنهم أخبروه أن بإمكان الكلاب البوليسية تمييز الرائحة ولا يمكن خداعها بسهولة. كانت الخدعة تتمثل في أن يتأكد من أن الأكياس البلاستيكية مختومة بالكامل. انتظر... لم يحدث شيء... فسعل.

قال السيد صغير:

- آه... كدت أنسى. بالنسبة لعملية البارحة...

ووضع يده في جيبه مكشراً بخبث... أو ربما لم يكن مكشراً بخبث... ربما كان ذلك حس الفكاهة الشرقي. رغب تورّد بلكمه ونفث دخان السجائر في وجهه وبصق الشراب في عينيه... حس الفكاهة الشرقي! ولكن، بدلاً من ذلك تمتم بالشكر، وأخذ المغلف الذي بدا رقيقاً بين أصابعه. كان من المفترض أن تكون أوراقاً نقدية كبيرة.

في ما بعد، وقف بجانب النافذة مجدداً، وشاهد السيارة وهي تختفي في الظلام، وسمع الصوت يتلاشى مع صوت البوينغ 737... ربما أ 600... من الجيل التالي... ذات الصوت الأجش والأعلى من أصوات الطائرات الكلاسيكية القديمة... ثم رأى خياله على زجاج النافذة.

نعم... لقد قام بالمخاطرة وسيستمر بها... سيأخذ كل ما ترميه الحياة في وجهه... لأنه لم يكن دونالد درابر ولا تشاك بيغر ولا نيل أرمسترونغ... لقد كان تورّد شالتز... إنه طيار طويل القامة، ومليء بالشكوك... ومشكلة كوكابين... يفترض أن...

غرقت أفكاره بصوت الطائرة التالية.

يا للأجراس اللعينة! أيمنك رؤيتهم ياأبي؟ أيمنك رؤية أقاربي الواقفين جميعاً عند تابوتي؟ يذرفون دموع التماسيح بوجوه كئيبة ويقولون:

- لماذا لم تتعلم أن تكون مثلنا ياغاستو؟

حسناً، أيها المنافقون الصالحون... لم أستطع! لم أستطع أن أكون كالراعية الحنون، المعتوهة والحمقاء والفاصلة... التي تفكر في مدى روعة كل شيء في حال قرأت الكتاب الصحيح واستمعت للواعظ الصحيح وتناولت

الأعشاب الصحيحة. وما إن يقوم أحد بانتقاد حكمتها المبهمة فإنها تستخدم البطاقة ذاتها: لكن، انظر إلى العالم الذي أوجدناه... إنه عالم مليء بالحرب والظلم والناس الذين لا يعيشون بانسجام مع بعضهم... هناك ثلاثة أمور عليك معرفتها يا حبيبتى . الأول أن الحرب والظلم والتنافر أمور طبيعية، والثاني أنك الأقل انسجاماً من الجميع في عائلتنا الصغيرة المفرفة؛ إذ إنك لا تأبهين سوى بالحب الذي حرمت منه، ولم تكتري للحب الذي حصلت عليه. آسف يارولف وشتاين وإيرين، لكن ليس لديها متسع سوى لي. وما يجعل الأمر الثالث أكثر متعة هو أنني لم أحبك يا حبيبتى مهما فكرت في أنك تستحقين الحب. لقد كنت أدعوك حبيبتى لأن ذلك يجعلك سعيدة ويجعل الحياة أبسط بالنسبة لي. حين قمت بما قمت به كان ذلك لأنك سمحت لي، ولأنني لم أستطع كبح نفسي، ولأنني كنت هكذا.

رولف... على الأقل أنت طلبت مني أن لا أناديك هكذا... لقد حاولت أن تحبني لكنك لم تستطع خداع الطبيعة، فقد أدركت أنك تحب ابنيك من لحمك ودمك أكثر: شتاين وإيرين. وحين أخبرت الناس الآخرين أنكما راعياي كنت أرى تعابير الألم في عيني راعيتي الحنون والكرامية في عينيك؛ ليس لأن كلمة "الراعيين" تحدكما بالوظيفة الوحيدة التي تؤديانها في حياتي، وإنما لأنني جرحت المرأة التي تحبها بشكل غامض. أظن أنك كنت صريحاً بما يكفي لترى نفسك كما رأيتك: أنت شخص انتشى في مرحلة من حياته بمثله وقرر القيام بتحدٍّ، لكنه أدرك سريعاً أن هناك عجزاً في الحسابات؛ فالمبلغ الشهري الذي كانوا يدفعونه لك لقاء الرعاية لم يكن يغطي التكاليف الحقيقية، ثم اكتشفت أنني كنت مختلفاً عن ابنيك، وأني قضيت على كل شيء... كل شيء تحبه... كل شخص تحبه... كان عليك أن تدرك ذلك من قبل وتطردي يارولف! كنت أول من رأني يسرق. في البداية، كانت مائة كرونر فقط، وأنكرت الأمر وقلت إن الرعاية الحنون أعطتني إيّاها.

- أليس كذلك؟ ألم تعطيني إيّاها؟

وهزت رأسها بعد شيء من التردد، وتلألأت الدموع في عينيها وقالت إنها نسيت. في المرة المقبلة كانت ألف كرونر من درج مكتبك... نقوداً قلت إنك كنت قد ادخرتها لإجازتنا فأجبت:

- الإجازة الوحيدة التي أريدها هي إجازة منك.

فصفعتني لأول مرة كما لو أنني أثرت شيئاً فيك؛ لأنك استمررت في ضربتي، وقد كنت أطول وأعرض منك لكني لم أكن قادراً على القتال على

الإطلاق. ليس هكذا... ليس بقبضة وعضلات. كنت أقاتل بأسلوب آخر، لكنك استمرت بضربي بقبضة مغلقة، وكنت أعرف السبب؛ فقد كنت تريد تحطيم وجهي وأخذ قوتي مني، لكن المرأة الحنون تدخلت، فقلت تلك الكلمة... لص ... لكن ذلك عنى لي أن علي تحطيمك أيها الرجل الصغير.

شتاين الأخ الكبير الصامت... كان أول من ميز اختلافي، لكنه كان ذكياً بما فيه الكفاية ل يبقى بعيداً... إنه الذئب الوحيد الذي ارتقى وغادر إلى مدينة طلابية بعيدة بما فيه الكفاية بأسرع ما يمكن، وحاول إقناع إيرين أخته العزيزة بالانضمام إليه. كان يظن أن بإمكانه إنهاء المدرسة في تروندهايم، وأنه سيكون من الأفضل لها الابتعاد عن أوصلو لكن والدتها عارضت ابتعادها. لم تكن تعلم شيئاً بالطبع ولم ترغب بالمعرفة.

إيرين... الجذابة والجميلة والهشة والمليئة بالنمش. كنت طيبة جداً في هذا العالم... كنت كل ما لم أكن عليه. لكنك أحببتني... هل كنت ستحبيني لو عرفت؟ هل كنت ستحبيني لو عرفت أنني كنت على علاقة بتلك الراقية الحنون منذ أن كنت في الخامسة عشرة؟ وأنا أهمس في أذنها لأن ذلك يثيرها ويثريني. كانت تعطيني المال وتغطي علي في حال حصل أي خطأ... كانت تقول إنها تريد استعاري فقط ريثما تصبح عجوزاً قبيحة وألتقي فتاة حلوة جميلة. وحين أحببتها:

- لكنك عجوز قبيحة.

ضحكت وطلبت المزيد.

لا تزال الكدمات من ضربات الراعي ولكماته على جسدي يوم اتصلت به في العمل وطلبت منه العودة إلى البيت في تمام الساعة الثالثة؛ إذ إن هناك شيئاً هاماً عليّ إخباره به. تركت الباب الأمامي مفتوحاً لئلا تسمعه حين يدخل، وتكلمت في أذنها لأطغى على صوت خطواته... كنت أقول الأشياء التافهة الحلوة التي كانت تحب سماعها.

رأيت خياله على نافذة المطبخ وهو يقف عند الباب.

غادر المنزل في اليوم التالي بعد أن أخبرا شتاين وإيرين أنهما لا ينسجمان مع بعضهما منذ زمن، وقد قررا الانفصال لبرهة. كانت إيرين في غاية الحزن، أما شتاين فكان في مدينته الطلابية فأجاب برسالة نصية:

- حزين... إلى أين تريداني أن آتي في الكريسماس؟

أما إيرين فبكت وبكت... كانت تحبني... بالطبع بحثت عني... عن

اللص.

رنت الأجراس للمرة الخامسة... كانوا سيكون وينشجون من المقاعد...

كوكايين... دخل هائل... استأجر شقة في مركز المدينة في الجانب الغربي، وسجلها باسم مدمن على المخدرات، وبدأ ببيع كميات صغيرة عند السلام أو البوابات، وكان يرفع الأسعار حين يشعر بالأمان... المدمنون على الكوكايين يدفعون أي سعر مقابل الشعور بالأمان. انهض على قدميك... انهض... أوقف المخدرات... كن إنساناً ذا قيمة. لا تمت جاثياً كخاسر تافه... سعل رجل الدين:

- نحن هنا لنخلد ذكري غاستو هانسن.

أتاه صوت من الخلف:

- لص.

كانت هناك مجموعة من راكبي الدراجات الذين يرتدون ستراً وأوشحة كبيرة، ووراءها نشيج كلب... رافوس... رافوس المطيع والمخلص... أعدت إلى هنا؟ أم إنني أنا من أتى إليك؟

وضع تورد شالتز حقيبته السامسونيت على الحزام الناقل المتجه إلى آلة الأشعة السينية إلى جانب موظف الأمن المبتسم. قالت مضيقة الطيران:

- لا أفهم، لِمَ تقبل أن يعطوك مثل هذا الجدول... بانكوك مرتين في الأسبوع؟!

قال تورد:

- أنا طلبت منهم ذلك.

عبر من خلال جهاز الكشف عن المعادن. كان أحد العاملين في الاتحاد قد اقترح أنه على طواقم الطيران الإضراب عن التعرض للأشعة عدة مرات في اليوم، فقد أظهر بحث أمريكي أن نسبة الطيارين وطواقم الطيران الذين يموتون من السرطان أعلى من باقي الناس، لكن المحرضين على الإضراب لم يقولوا شيئاً عن ارتفاع متوسط الحياة، فالعاملون في الطيران يموتون من السرطان لعدم وجود شيء آخر يموتون بسببه، فقد عاشوا الحياة الأكثر أمناً في العالم والأكثر مللاً.

- أترغب بالطيران لهذه الدرجة؟

- أنا طيار. أنا أحب الطيران.

كان تورد يكذب... حمل حقيبته ومد المقبض ومشى بعيداً.

لحقت به خلال ثوانٍ، بينما طرطق كعباً حذائها على الأرضية الرخامية الرمادية لمطار غاردموين، مما أغرق أزيز الأصوات تحت الفولاذ والعوارض

الخشبية في السقف، لكن لسوء الحظ لم يغرق سؤالها الهامس.
- أذلك لأنها تركتك ياتورد؟ أذلك لأنه أصبح لديك متسع من الوقت ولا شيء تملأه به؟ أذلك لأنك لا ترغب بالجلوس في البيت... قاطعها:

- ذلك لأنني بحاجة للوقت الإضافي.
على الأقل لم تكن تلك كذبة.
- لأنني أعرف بالضبط كيف يكون الأمر... لقد تطلقت الشتاء الماضي كما تعلم.
قال تورد الذي لم يكن يعلم أصلاً أنها كانت متزوجة:
- آه نعم.

حدجها بنظرة سريعة... خمسون؟ وتساءل كيف كانت تبدو في الصباح بدون التبرج أو السمرة الزائفة... مضيعة طيران متلاشية مع حلم متلاشٍ. كان متأكداً من أنه لم يعاشرها قط. أسرع بينما انعطفا إلى الممر المتجه إلى مركز طاقم الطيران. كانت أنفاسها متقطعة، لكنها بقيت تجاربه. لكنه إن حافظ على سرعته فقد لا تبقى قادرة على الكلام.

- حسناً ياتورد، بما أننا سنبيت في بانكوك ربما يمكننا...
تثاءب بصوت مرتفع، وأحس بمدى شعورها بالأذى، فهو لا يزال مترنحاً قليلاً بعد الليلة الماضية. كان هناك المزيد من الشراب والمسحوق بعد مغادرة المورمونيين. لم يكن الأمر لأنه تنشق الكثير لدرجة أنه سينكشف أمره باختبار الكشف عن النفس، وإنما لأنه يكره مكافحة النوم خلال الساعات الإحدى عشرة في الجو.

صرخت بالنبرة الغبية التي تستخدمها النساء حين يرغبن بقول شيء حلو للغاية.

نظر وراه يأتي باتجاههما... كلب صغير بشعر فاتح وأذنين طويلتين وعينين حزينتين وذيل متأرجح بحماسة... كلب صغير وثاب تقوده امرأة شقراء الشعر وبنية العينين تضع قرطين كبيرين متدليين وتبتسم.

همست:

- أليس رائعاً؟

وضع الكلب أنفه على فخذ الطيار ومر، فاستدار رافعاً حاجبه ومبتسماً باحتيال كما لو أنه كان يقترح تعابير صيبانية وقحة. لكن تورد لم يستطع الاستمرار بهذا النوع من التفكير، كما لم يستطع الاستمرار بأي نوع من التفكير سوى تفكيره.

كان الكلب يرتدي كنزة صفراء مثل كنزة المرأة التي تضع القرطين
الكبيرين المتدليين مكتوباً عليهما "الجمارك".

اقترب أكثر حتى لم يعد يبعد عنه سوى خمسة أمتار.
لا ينبغي أن يثير الأمر أي مشاكل؛ فالمخدرات معبأة في واقٍ مع
طبقتين من أكياس الثلجة من الخارج. لا يمكن لأي جزيء من الرائحة أن
يتسرب، لذا ابتسم فحسب... استرخ وابتسم... ليس كثيراً... ابتسامة بسيطة
فحسب. استدار تورد نحو صوت الثرثرة إلى جانبه كما لو أن الكلمات
التي تصدر تحتاج لتركيز عميق.

- لو سمحت.

تجاوزا الكلب واستمر تورد بالكلام.

- لو سمحت!

استمر تورد بالتقدم، ولم يكن باب مركز طاقم الطيران يبعد سوى
عشرة أمتار... الأمان... عشر خطوات.

- لو سمحت ياسيدي!

سبع خطوات.

- أظن أنها تقصدك ياتورد.

- ماذا؟

وقف تورد ونظر إلى الوراة نظرة كان يأمل أن لا تكون دهشة
مختلقة. كانت المرأة التي ترتدي كنزة صفراء متجهة نحوهما.

- لقد اختارك الكلب.

- حقاً؟!

نظر تورد إلى الكلب... كيف ؟ كان يفكر.

نظر إليه الكلب وهو يهز ذيله كما لو أن تورد صديقه الجديد.

كيف؟ هناك طبقتان من أكياس الثلجة وواقٍ سميك... كيف؟

- هذا يعني أن علينا تفتيشك. أيمكنك القدوم معنا لو سمحت.

كان اللطف لا يزال في عينيها البنيتين، لكن من دون أي إشارة

استفهام وراء كلماتها. وفي تلك اللحظة، أدرك السبب حين لمس بطاقة
التعريف الشخصية على صدره.

الكوكابين.

لقد نسي مسح البطاقة بعد قطع آخر خط... لا بد أن هذا هو

السبب.

لكنها مجرد بضع حبات، يمكنه تبرير الأمر بسهولة بالقول إنه أعار

بطاقة تعريفه الشخصية لأحد ما في حفلة. لم تكن تلك مشكلته الآن وإنما الحقيبة التي سيتم تفتيشها. وكطيار، كان قد تدرّب ومارس إجراءات الطوارئ كثيراً لدرجة أن الأمر أصبح تلقائياً بالنسبة له... كان الغرض أن تقوم بذلك حتى لو سيطر الهلع عليك... كم مرة تخيل موظفي الجمارك يطلبون منه القدوم معهم؟ كم مرة فكر في ما سيفعله وتدرّب على ذلك في ذهنه؟ استدار إلى مضيعة الطيران بابتسامة مذعنة، ولمح اسمها على بطاقتها.

- لقد تم اختياري يا كريستين. يمكنك أخذ حقيبتني؟

قالت الموظفة:

- سنأخذ الحقيبة معنا.

استدار تورد شالتز إليها:

- أظن أنك قلت إن الكلب اختارني ولم يختَر الحقيبة.

- هذا صحيح لكن...

- هناك ملفات تتعلق بالرحلة بداخلها يحتاج إليها الطاقم؛ ما لم ترغبني بتحمل مسؤولية تأخير طائرة أيرباص 340 متجهة إلى بانكوك. لاحظ أنه انتفخ وملاً رثتيه بالهواء ومدد عضلات صدره تحت سترة الطيار:

- في حال فوتنا الرحلة فهذا يعني التأخير لعدة ساعات وخسارة الخطوط الجوية مئات الآلاف من الكرونات.

- آسفة، لكن القوانين...

قاطعها شالتز:

- هناك ثلاثمائة واثان وأربعون مسافراً... الكثير منهم من الأطفال.

تمنى أن تحس باهتمامه كطيار، وليس بهلعه الوشيك كمهرب مخدرات.

ربتت الموظفة على الكلب ونظرت إليه.

كانت تبدو كسيدة منزل لديها أطفال ومسؤوليات... امرأة ينبغي أن تفهم مأزقه.

قالت:

- ستأتي الحقيبة معنا.

ظهر موظف آخر وراءها، ووقف مباعداً بين ساقيه وشابكاً ذراعيه.

فتنهّد تورد:

- حسناً، دعينا ننتهي من الأمر.

انحنى رئيس فرقة مكافحة الجرائم في أوصلو غونار هاغن على كرسية الدوار، وتفحص الرجل في بذلة الكتان. كانت قد مضت ثلاث سنوات منذ أن كان الجرح المٌخاط في وجهه أحمر، وكان يبدو كرجل في آخر أيام حياته، لكن مساعده السابق بدا الآن بصحة وافرة، وقد اكتسب عدة كيلوغرامات، بينما ملأت كتفاه البذلة... بذلة! تذكر هاغن محقق الجرائم بالجينز والأحذية مرتفعة الساقين ولا شيء آخر. كان الفرق الآخر هو أن اللصاقة على سترته تقول إنه ليس من الموظفين وإنما هو مجرد زائر: هاري هول.

لكن جلسته على الكرسي لا تزال نفسها... أفقية أكثر من الجلوس.
- تبدو بحال أفضل.

أجاب هاري بينما تأرجحت سيجارة غير مشعلة بين أسنانه:
- وكذلك مدينتك.

- أتظن ذلك؟

- دار الأوبرا رائعة، كما أن عدد المدمنين في الشارع قد تناقص.
نهض هاغن وتوجه إلى النافذة حيث أمكنه من الطابق السادس في مركز الشرطة رؤية الحي الجديد في أوصلو بيورفيكا يستحم بضوء الشمس. كانت عملية التنظيف مستمرة بينما انتهت أعمال التدمير.
- هناك تناقص واضح في أعداد الوفيات نتيجة الجرعات الزائدة عمّا كان عليه الحال في السنة الماضية.

- لقد عادت أيام السعادة إلى هنا.

وضع هاري يديه وراء رأسه، وبدا كما لو أنه على وشك الانزلاق من على الكرسي.

تنهد هاغن:

- لم تقل لي ما الذي أعادك إلى أوصلو يا هاري.

- حقاً؟

- لا. أو على الأقل إلى فرقة مكافحة الجرائم.

- أليس من الطبيعي أن أزور زملائي السابقين؟

- نعم، بالنسبة للأشخاص الاجتماعيين الطبيعيين الآخرين.

عض هاري فلتز سيجارته:

- حسناً... مهنتي هي التحقيق في جرائم القتل.

- كانت كذلك.

- دعني أعيد الصياغة: مجال خبرتي هو التحقيق في جرائم القتل. فهذا هو المجال الوحيد الذي أعرف شيئاً عنه.
- إذًا، ماذا تريد؟
- أن أمارس مهنتي... أن أحقق في جرائم القتل. رفع هاغن حاجبيه:
- أترغب بالعمل لحسابي مجدداً؟
- لِمَ لا؟ إلا إن كنت مخطئاً في أنني واحد من النخبة. قال هاغن وهو يستدير إلى النافذة:
- دعني أصح لك. أنت النخبة. ثم ردد بصوت مُنخفض:
- أنت الأفضل والأسوأ.
- أفكر في واحدة من جرائم القتل المتعلقة بالمخدرات. ابتسم هاغن ابتسامة جافة:
- أي واحدة؟ لدينا أربع جرائم في الأشهر الستة الماضية، ولم نتقدم خطوة واحدة في أي منها.
- غاستو هانسن.
- لم يجب هاغن، وإنما استمر بمراقبة الناس المبعثرين على العشب لتأتيه فكرة مفاجئة. إنهم مخادعون ولصوص وإرهابيون... لماذا لم يرهّم هكذا من قبل بدلاً من أن يراهم موظفين مجدين يستمتعون ببضع ساعات في شمس سبتمبر؟ نظرة الشرطة... عمى الشرطة... أنصت جزئياً لصوت هاري من ورائه.
- غاستو هانسن الذي كان في التاسعة عشرة من العمر معروف لدى رجال الشرطة... إنّه بائع ومشتري تم العثور عليه ميتاً في شقة في بوابة هوسمنز في 12 يوليو، حيث نزل حتى الموت من طلبة تلقاها في الصدر.
- انفجر هاغن ضاحكاً:
- لماذا تريد القضية الوحيدة التي تم حلها؟
- أظن أنك تعرف.
- تنهد هاغن:
- نعم أعرف. لكن، إن كنت سأوظفك مجدداً فسأعينك في قضية أخرى... قضية الشرطي المتخفي.
- أريد هذه القضية.

- هناك حوالى مائة سبب يمنعني من تسليمك هذه القضية
يا هاري.

- وما هي هذه الأسباب؟

استدار هاغن إلى هاري:

- أظن أنه يكفي ذكر السبب الأول... لقد تم حل القضية.

- وغير ذلك؟

- لم تعد القضية بين أيدينا، وإنما صارت بأيدي مكتب التحقيق
المركزي كريبوس. وليست لدي وظائف شاغرة بل على العكس، أنا أحاول
الاختصار وأنت غير كفاء... هل أستمر؟

- مممم. أين هو؟

أشار هاغن إلى خارج النافذة عبر المروج إلى البناء الحجري الرمادي
خلف الأوراق الصفراء لأشجار اليزفون.

- بوستن... في سجن احتياطي.

- للوقت الراهن.

- هل الزيارات ممنوعة؟

- من الذي وصل إليك في هونغ كونغ وأخبرك عن القضية؟ هل
هي...؟

قاطع هاري:

- لا.

- إذاً؟

- إذاً.

- من؟

- قرأت عن القضية على الإنترنت.

قال هاغن بابتسامة طفيفة:

- غير ممكن. ظهرت القضية في الصحف ليوم واحد ثم غابت في
طي النسيان. كما أنه لم يتم ذكر أي أسماء... كانت مجرد مقالة عن
مدمن مخدرات منتشٍ قام بإطلاق الرصاص على مدمن آخر من أجل
جرعة. ولم يكن هناك أي شيء مثير للاهتمام أو يجعل القضية لافتة
للنظر.

- باستثناء أن مدمني المخدرات كانا مراهقين... ثماني عشرة سنة
وتسع عشرة سنة.

هز هاغن كتفيه:

- سنّ كبيرة كفاية ليقتل أحدهما ويموت الآخر. عند بداية العام الجديد كان سيتم استدعاؤهما للخدمة العسكرية.
- أيمكنك مساعدتي في الحديث معه؟
- من الذي أخبرك ياهاري؟
- فرك هاري ذقنه:
- صديق من كريمتكيسك.
- ابتسم هاغن ابتسامة وصلت إلى أذنيه:
- يا لك من خبيث ياهاري! حسب معرفتي، إن لديك ثلاثة أصدقاء في الشرطة، من بينهم بيورن هولم في كريمتكيسك وبتي لون في كريمتكيسك، فمن منهما؟
- بتي. أيمكنك مساعدتي في زيارته؟
- جلس هاغن على حافة مكتبه وراقب هاري، ثم نظر إلى الهاتف.
- بشرط واحد ياهاري. عدني أن تبقى بعيداً عن هذه القضية. علاقتنا مع كريبوس رائعة ومشرفة، وأفضل أن لا تحدث أي مشاكل بيننا.
- كشر هاري الذي صار شبه مستقلٍ على الكرسي؛ حيث يمكنه مراقبة مشبك حزامه:
- إذًا، هل أصبحت أنت وملك كريبوس صديقين حميمين؟!
- توقف مايكل بيلمان عن العمل في كريبوس ولهذا فإن علاقتنا مشرقة ورائعة.
- أتخلصت من ذلك المضطرب عقلياً؟ يالأيام السعيدة...
ضحك هاغن ضحكة جوفاء:
- على العكس. أصبح بيلمان أكثر حضوراً. إنه في هذا المبنى.
- تباً. أهو في فرقة مكافحة الجرائم؟
- لا سمح الله. إنه يقود فرقة الجريمة المنظمة أورغكريم منذ أكثر من سنة.
- سمعت أن لديكم فروعاً جديدة.
- الجريمة المنظمة. لقد دمجوا مجموعة من الأقسام القديمة كالسطو والاتجار بالمخدرات... فأصبحت جميعها مدمجة ضمن أورغكريم التي تضم أكثر من مائتي موظف. إنها أكبر وحدة في قسم الجرائم.
- ممم. مركز أهم مما كان عليه في كريبوس.
- لكن مرتبه انخفض. وأنت تعرف ما يحصل حين يتولى الناس وظائف برواتب أقل.

- إنهم يسعون للمزيد من النفوذ.
- إنه من سيطر على سوق المخدرات ياهاري. عمل خفي جيد مليء بالاعتقالات والمداهمات، حيث انخفضت أعداد العصابات، ولم يعد هناك أي قتال بينها. كما أن أرقام الوفيات بسبب الجرعات المفرطة تنخفض...

وأشار هاغن بإصبعه إلى السقف:
- بيلمان في طريقه للأعلى. الصبي يترقى ياهاري.
وقف هاري على قدميه وقال:
- سأذهب إلى بوستن. أتمنى أن أجد إذناً بالزيارة في مكتب الاستقبال حين أصل إلى هناك.
- في حال توصلنا لصفقة؟
- بالطبع.

أمسك هاري بيد مديره السابق الممدودة وهزها مرتين ثم اتجه إلى الباب. كانت هونغ كونغ مدرسة جيدة للكذب، فقد سمع هاغن يرفع سماعة الهاتف لكنه حين وصل إلى عتبة الباب استدار.

- من الثالث؟
- ماذا؟
كان هاغن ينظر إلى لوحة المفاتيح وهو يضغط على الأزرار بقوة.
- الصديق الثالث الذي لدي في الشرطة.
وضع رئيس الوحدة غونار هاغن السماعة على أذنه، ونظر إلى هاري بسأم وقال متنهداً:
- من تظن؟ ألو؟ هاغن يتكلم... أرغب بالحصول على إذن بالزيارة...
نعم؟

وضع هاغن يده على السماعة:
- لا مشكلة... إنهم يتناولون الطعام الآن... اذهب إلى هناك حوالى الساعة الثانية عشرة.
ابتسم هاري وشكره ثم أغلق الباب وراءه بهدوء.

وقف تورد شالتز في الكбин وهو يغلق أزرار بنطاله ويرتدي سترته. كانت موظفة الجمارك التي أوقفته تنتظر في الخارج.
قالت وهي تشير إلى المخرج:
- شكراً على تعاونك.

خمن تورد أنهم قد أجروا مناقشات مطولة حول ما إذا كان عليهم الاعتذار في كل مرة يتعرف فيها كلب بوليسي على أحد لكنهم لا يجدون معه أي مخدرات. فالشخص الذي يتم إيقافه وتأخيرته والاشتباه به سيُعتبر أن من اللازم الاعتذار إليه، لكن هل ستشتكي من شخص يقوم بعمله؟ فالكلاب تتعرف على أشخاص أبرياء طوال الوقت، والشكوى ستكون بمثابة اعتراف جزئي بوجود خطأ في الإجراءات وفشل في النظام. من جهة أخرى، يمكنهم من شارته معرفة أنه طيار؛ فهو لا يضع ثلاثة أشرطة، وليس واحداً من الفاشلين بعمر الخمسين الذين بقوا على المقاعد اليمنى كمساعدين لأنهم أفسدوا عملهم. لا... إنه يضع أربعة أشرطة؛ مما يظهر أنه صاحب الكلمة والنفوذ... إنه سيد الموقف وسيد حياته. الطيار شخص ينبغي أن يرحب بالشكوى من موظف الجمارك؛ سواء أكانت الشكوى صحيحة أو لا.

- لا على الإطلاق... من الجيد معرفة أن شخصاً ما يعمل بدقة.
بحث تورد عن حقييته. في أسوأ الاحتمالات سيكونون قد فتشوها، كما أن الكلب لم يكشف عن أي شيء فيها، والصفائح المعدنية حول المكان حيث أخفى الرزمة لا تسمح للأشعة السينية بالاختراق.
- ستصل فوراً.

فكر تورد... مطلقاً.
في تلك اللحظة، ظهر مسؤول آخر.

- حقيبتك...
نظر تورد إليه ورأى ذلك في عينيه، فشعر بكتلة تنمو في معدته وترتفع وترتطم بالمريء. كيف؟ كيف؟

- أخرجنا كل شيء وقمنا بوزنها. حقيبة سامسونيت أسباير جي آر تي الفارغة تزن 5.8 كلغ أما حقيبتك فتزن 6.3. هل يمكنك أن تفسر لنا السبب؟

كان الموظف مهيناً للغاية حيث لم يبتسم علانية، لكن تورد شالتز تمكن من رؤية النصر يتلأأ على وجهه. انحنى المسؤول إلى الأمام للحظة وأخفض صوته:

- أو هل نقوم نحن بذلك؟

توجه هاري إلى الشارع بعد تناول الطعام في أولمبمن. مقهى دار الضيافة القديم الذي كان يتذكره قد تم تجديده إلى نسخة مترفة من غرب أوصلو مع لوحات كبيرة لمنطقة الطبقة العاملة القديمة في المدينة. لم

يكن الأمر أنه ليس جذاباً مع الثريات وكل شيء، حتى إن سمك الإسقمري كان جيداً... ولكن، لم يكن... على نمط أوليمبن.

أشعل سيجارة وعبر منتزه بوتس بين مركز الشرطة والجدران الرمادية القديمة للسجن، ومر برجل يضع ملصقاً أحمر مهترئاً على شجرة، ويثبته على لحاء شجرة الزيزفون القديمة والمحمية. لم يكن مدركاً لكونه يرتكب جريمة على مرأى جميع النوافذ في مقدمة بناء يضم أكبر عدد من رجال الشرطة في الزوج. وقف هاري للحظة؛ ليس ليوقف الجريمة، وإنما ليرى المملصق الذي يعلن عن حفلة موسيقية في نادي أمكار الروسي في ساردينز. استطاع هاري تذكر الفرقة التي تم حلها منذ زمن والنادي المهجور... أوليمبن... هاري هول... لا بد أن هذه السنة مليئة بعودة الموتى للحياة. كان على وشك التحرك حين سمع صوتاً مرتعشاً من ورائه.

- أمعك فيولين؟

استدار هاري ليرى الرجل وراءه. كان يرتدي سترة جي ستار نظيفة وجديدة، وتقدم للأمام وكأن رياحاً قوية من ورائه تدفعه. وكانت لديه ركبتيان مقوّستان كمدمني الهيرويين. كان هاري على وشك الرد حين أدرك أن الرجل في سترة جي ستار كان يتكلم مع الرجل الذي يضع المملصق. لكنه أكمل مشيه من دون إجابة... فروع جديدة للوحدات... أسماء جديدة للمخدرات... فرق قديمة... نوادٍ قديمة.

كانت واجهة سجن أوصلو أو كما يدعوها العامة بوستن مبنية في منتصف القرن التاسع عشر، وتتكون من مدخل محشور بين جناحين كبيرين؛ كان يذكر هاري بمعتقل بين شرطين. رن الجرس وحدق بالكاميرا، ثم سمع أزيزاً منخفضاً وانفتح الباب. في الداخل، وقف ضابط يرتدي بذلة، رافقه على السلم عبر الباب ليتجاوزا شرطين آخرين ويدخلا غرفة الزوار المستطيلة الخالية من النوافذ. كان هاري قد دخل إلى هذا المكان من قبل، فهنا يلتقي السجناء أحببهم وأقاربهم، وكانت هناك محاولات حثيثة لجعل المكان يبدو كبيت. تجنب الأريكة وجلس على كرسي، وهو يدرك تماماً ما يحصل خلال بضع الدقائق التي يسمح للسجين بقضائها مع زوجته أو حبيبته.

انتظر، ثم لاحظ أن لصاقة مركز الشرطة لا تزال على سترته فسحبها ووضعها في جيبه. كان كابوس الممر الضيق والكتلة الثلجية في الليلة الماضية أسوأ من ذي قبل، فقد دفن وامتلأ فمه بالثلج. لكن ذلك لم يكن السبب وراء تسارع ضربات قلبه الآن. أهى التوقعات؟ أم الرعب؟

انفتح الباب قبل أن تسنح له الفرصة للتوصل إلى نتيجة.

قال ضابط السجن:

- لديكما عشرون دقيقة.

ثم غادر وصفق الباب من ورائه.

كان الصبي الواقف أمامه متغيراً جداً، لدرجة أن هاري كان على وشك الصراخ بأن هذا هو الشخص الخطأ؛ فهذا ليس هو. هذا الصبي كان يرتدي جينز ديزل وكنزة سوداء عليها إعلان لفرقة ماشين هيد التي أدرك هاري أنها لا تشير إلى تسجيل ديب بيربل ولكن لفرقة ميتال جديدة. كانت فرقة ميتال دليلاً بالطبع، لكن البرهان يكمن في العينين والوجنتين المرتفعتين. وبدقة أكبر، كانت لديه عينا راكيل البنيتان ووجنتاها. كانت صدمة له أن يرى الشبه الذي ضمن أنه لم يرث جمال أمه؛ فجبته كانت بارزة، وقد منحت الصبي مظهراً قائماً وعدوانياً عززته الغرة ناعمة الشعر التي كان هاري يفترض دائماً أنه ورثه من أبيه في موسكو المدمن على الشراب، والذي لم يعرفه الصبي جيداً. فقد كان عمره بضع سنوات حين أعادته راكيل معها إلى أوصلو حيث التقت هاري في ما بعد. راكيل.

حب حياته العظيم... بكل بساطة وبكل تعقيد.

أوليج... أوليج الجاد والمبتهج. أوليج الانطوائي الذي ما كان لييوح لأي أحد سوى هاري بأي شيء. لم يكن هاري قد أخبر راكيل، لكنه يعرف أكثر منها ما يفكر به أوليج أو يحس به أو يريده. كان يلعب مع أوليج الألعاب الإلكترونية، ويحرصان على تحطيم الرقم القياسي. وكان هو وأوليج يتزلجان في فالي هوفين... أوليج المبتسم والصبور والمتسامح كلما وعده هاري أن يذهبا في الخريف أو الربيع إلى لندن لرؤية توتنهايم كان يلعب في ملعب وايت هارت لين. أوليج الذي كان أحياناً يناديه بابا حين يتأخر الوقت ويشعر بالنعاس ويفقد التركيز. كانت قد مرت سنوات منذ أن رآه هاري... سنوات منذ أن أخذته راكيل من أوصلو بعيداً عن البقايا الرهيبة للرجل الثلجي، وبعيداً عن عالم هاري المليء بالعنف وجرائم القتل.

والآن، ها هو يقف هنا عند الباب وقد بلغ الثامنة عشرة من العمر، وهو ينظر إلى هاري من دون أي تعابير؛ أو على الأقل من دون تعابير يستطيع هاري تفسيرها.

قال هاري:

- مرحباً.

تباً... لم يجرب صوته... لقد خرج خشناً وأجش، وسيظن الصبي أنه

على حافة الانفجار بكاء أو ما شابه. ولتشتيت نفسه أو أوليغ سحب علبة سجائر، ووضع واحدة بين شفثيه.

حرق في الأعلى، ورأى الاحمرار الذي انتشر على وجه أوليغ من شدة الغضب... الغضب المنفجر الذي ظهر فجأة لتظلم عيناه وتنتفخ الأوعية الدموية في رقبته وجبهته وترتعش كحبال الغيتار.

قال هاري وهو يشير إلى لافتة ممنوع التدخين على الجدار:

- استرخ، لن أشعلها.

- إنها ماما... أليس كذلك؟

كان الصوت رجولياً وخشناً ومليناً بالحنق.

- ما بها؟

- هي التي أرسلت وراءك.

- لا. أنا...

- بالطبع هي.

- لا، يا أوليغ. في الواقع، هي لا تعلم أنني في البلاد.

- أنت تكذب! تكذب كالمعتاد!

أمسكه هاري:

- كالمعتاد؟

- كما كنت تكذب دائماً حين تقول إنك ستكون إلى جانبنا وكل

تلك الترهات... لكن الأوان قد فات الآن، لذا يمكنك العودة إلى تيمبوكتو!

- أوليغ! اسمعني...

- لا! لن أستمع إليك... ليس لك أي شأن بي! لا يمكنك القدوم

وأداء دور الأب الآن... أتفهمني؟

رأى هاري الصبي يبتلع ريقه بصعوبة، ورأى الغضب يتزايد:

- لم تعد شيئاً بالنسبة لنا... كنت شخصاً دخليلاً بقي معنا لبضع

سنوات، ثم...

حاول أوليغ فرقة أصابعه لكنها لم تصدر أي صوت:

- اختفى.

- هذا ليس صحيحاً يا أوليغ. وأنت تعرف ذلك.

سمع هاري صوته الصارم والواثق ليشير إلى أنه هادئ ومطمئن

كحاملة طائرات، لكن التشنج في معدته أخبره العكس. كان معتاداً أن يتم

الصراخ في وجهه خلال الاستجواب؛ فهذا لا يشكل أي فارق بالنسبة له،

وقد يجعله أكثر هدوءاً وعقلانية... لكن مع هذا الصبي... مع أوليغ...

وليست لديه أي حجة للدفاع عن نفسه.

ضحك أوليغ بمرارة:

- لنزّ إن كان بإمكانني فعلها الآن.

ضغط إصبعه الوسطى على الإبهام وفرقع بإصبعيه:

- اختفى... ها نحن ذا!

رفع هاري راحة يده:

- أوليغ...

هز أوليغ رأسه وهو يطرق الباب وراءه من دون أن يبعد عينيه

الداكنتين عن هاري:

- أيها الحارس، انتهت الزيارة. أخرجوني.

بقي هاري على الكرسي لبضع ثوانٍ بعد مغادرة أوليغ؛ ثم وقف على

قدميه ومشى خارجاً إلى منتزه بوتس الملليء بأشعة الشمس.

وقف هاري عند مركز الشرطة مفكراً، ثم مشى باتجاه مبنى الوصاية،

لكنه توقف في منتصف الطريق، وانحنى إلى الخلف على الشجرة، وفرك

عينيه بقوة حتى شعر أنه يمكنه عصرهما.

يا للضوء اللعين! يلاضطراب الرحلات الجوية الطويلة اللعين!

قال هاري:
 - أريد رؤيتها فحسب... لن آخذ شيئاً.
 نظر الموظف المسؤول وراء المنضدة في مبنى الوصاية إلى هاري وارتعش.

- هيا ياتور، أنت تعرفني.

سعل نيلسن:

- نعم. لكن، هل تعمل هنا مجدداً يا هاري؟
 هز هاري كتفيه.

أمال نيلسن رأسه، وأخفض جفنيه حتى أصبحت حدقتا عينيه شبه مخفيتين؛ كما لو كان يصنف الانطباع البصري... يصنف ما كان غير مهم... ويبدو أن ما تبقى خدم لمصلحة هاري.

تنهد نيلسن بثقل، واختفى ثم عاد ممسكاً بصندوق. كما افترض هاري، إنَّ الصندوق يحتوي على الأشياء التي تم العثور عليها حين تم القبض على أوليغ، فالمساجين لا يتم نقلهم إلى بوستن إلا بعد أن يتم اتخاذ القرار باحتجازهم لأكثر من يومين؛ لكن الممتلكات الشخصية لا تنتقل دائماً.

فحص هاري المحتويات: عملات نقدية، حلقة بها مفتاحان، جمجمة وشارة سليبر... سكين عسكري سويسري بنصل واحد، والباقي مفكات ومفاتيح، مصباح صغير... وغرض أخير.

صدم هاري على الرغم من أنه يعرف مسبقاً... لقد دعتة الصحف "البرهان".

كان حقنة للاستخدام لمرة واحدة لا تزال في غلافها.

- أهذا كل شيء؟

أمسك هاري حلقة المفاتيح وأنزلها أسفل المنضدة وهو يتفحص المفتاحين. من الواضح أن نيلسن لم يكن يحب أن يمسك هاري أي شيء خارج نطاق نظره فانحنى إلى الأمام.

- أما من محفظة أو بطاقة مصرفية أو بطاقة تعريف شخصية؟

- لا يبدو ذلك.

- أيمكنك التحقق من قائمة المحتويات؟

أمسك نيلسن القائمة المطوية في داخل الصندوق، ووضع نظارته ثم

نظر إلى الورقة.

- كان هناك هاتف محمول لكنهم أخذوه... ربما أرادوا معرفة إن كان قد اتصل بالضحية.

- ممم. هل من شيء آخر؟

- ماذا يفترض أن يكون هناك أيضاً؟ لا.

- شكراً. هذا كل شيء. شكراً على المساعدة يانيلسن.

هز نيلسن رأسه ببطء وهو يضع النظارة وقال:

- حلقة المفاتيح.

- آه صحيح.

وضع هاري الحلقة في الصندوق، وشاهد نيلسن وهو يتأكد من وجود المفتاحين.

غادر هاري وعبر مرأب السيارات متوجهاً إلى أكبيرغفين وأكمل إلى توين وأورتيغاتا... ليتل كراتشي... بقاليات صغيرة... رجال عجائز على كراسٍ بلاستيكية خارج مقاهيهم... حتى وصل إلى مقهى سالفيشن آرمي الذي كان هاري يعلم أنه سيكون في مثل هذا اليوم هادئاً. لكن، ما إن يأتي الخريف والبرد حتى يمتلئ بالكامل. قهوة، وشطائر طازجة، وملابس نظيفة من آخر صيحات السنة الماضية، وأحذية زرقاء... في غرفة المرضى في الطابق الأول تتم العناية بالجروح الحديثة الناجمة عن معارك المخدرات، أو إن كان الوضع سيئاً فسيتلقى المريض حقنة من فيتامين ب. فكر هاري للحظة بالدخول وزيارة مارتين؛ فقد تكون لا تزال تعمل هنا، فقد كتب شاعر أنه بعد الحب العظيم هناك حب ثانوي، وقد كانت مارتين حبه الثانوي. لكن ذلك لم يكن السبب، فأوسلو ليست مدينة كبيرة، والمدمنون يتجمعون هنا أو في مقهى ميشن في سكيبرغاتا، ولم يكن من غير المحتمل أن تكون على معرفة بغاستو هانسن وأوليغ.

في كل الأحوال، قرر هاري أن يأخذ الأمور بالترتيب الصحيح، وبدأ المشي مجدداً حتى تجاوز أكرسلفا، ونظر من الجسر إلى المياه البنية التي كان يذكر أنها كانت في طفولته صافية كجدول جبلي. يقال إنه يمكنك صيد سمك التروته فيها الآن. ها نحن ذا على الطريق على جانبي النهر مع تجار المخدرات... كان كل شيء جديداً، ومتشابهاً.

توجه إلى بوابة هوسمنز وعبر جاكوبسكيرك ثم بدأ بتتبع أرقام المنازل. لافتة لمسرح كرولتني، وباب مغطى بالرسومات مع وجه مبتسم، ومنزل محترق مفتوح وخاو. ها هو... مبنى سكني نموذجي لمدينة أوسلو

مبني في القرن التاسع عشر... باهت وامتزن من أربعة طوابق. دفع هاري الباب الأمامي فوجده مفتوحاً وغير مقفل، ويؤدي مباشرة إلى السلم الذي كانت تفوح منه رائحة الفضلات والقذارة.

لاحظ هاري الإشارة المشفرة على الطريق إلى الطوابق العليا، والسياح المهترئ، والأبواب التي تحمل علامات تحطيم الأقفال ووُضعت أقفال إضافية قوية وجديدة في مكانها. وقف في الطابق الثاني، وعرف أنه وجد مسرح الجريمة؛ فقد كان هناك شريط أبيض ورمادي ملصق على الباب.

أدخل يده في جيبه، وأخرج المفتاحين اللذين أزالهما من حلقة مفاتيح أوليخ بينما كان نيلسن يقرأ القائمة. لم يكن هاري متأكداً بأي من مفاتيحه قد استبدلتهما؛ لكن هونغ كونغ ليست بالمكان الذي يصعب فيه تغيير المفاتيح.

كان أحد المفاتيح لقفل آباس الذي عرفه هاري فوراً لكونه قد اشترى واحداً لنفسه. لكن المفتاح الثاني كان لقفل فينغ، فأدخله في القفل لكنه توقف في منتصف الطريق. دفعه بقوة أكبر وحاول تدويره.

- تباً.

أخرج هاتفه المحمول حيث كان رقمها مدرجاً في جهات الاتصال باسم ب. وبما أن هناك ثمانية أسماء محفوظة فحسب فإن الحرف الأول كافٍ.

- لون.

أكثر ما كان هاري يحبه في بيتي لون عدا عن كونها واحدة من أفضل المحققين الجنائيين الذين عمل معهم هو أنها تقلص المعلومات للأساسيات، وأنها كهاري لا تقيس القضية بالكلمات الزائدة.

- مرحبا يا بيتي. أنا في بوابة هوسمنز.

- مسرح الجريمة؟! ماذا تفعل؟

- لم أستطع الدخول. هل المفاتيح معك؟

- أمعي المفاتيح؟

- أنت مسؤولة عن المبنى كله، أليس كذلك؟

- بالطبع، المفاتيح معي. لكنني لا أنوي إعطائك إيّاها.

- بالطبع لا. لكن هناك بعض الأشياء التي عليك التحقق منها في

مسرح الجريمة أليس كذلك؟ أتذكر شيئاً عن واعظ كان يقول إنه في جرائم القتل لا يمكن أن يكون المحقق الجنائي دقيقاً بما فيه الكفاية.

- إذاً أنت تذكر ذلك؟

- كان ذلك أول شيء قالته لكل المتدربين لديها. أفترض أنه يمكنني

الانضمام إليك ورؤية كيف تعملين.

- هاري...

- لن ألمس شيئاً.

حل الصمت. كان هاري يعلم أنه يستغلها؛ فهي أكثر من مجرد زميلة... إنها صديقة، والأهم من ذلك أنها أم.

تنهدت:

- أعطني عشرين.

قولها كلمة "دقيقة" يعتبر أمراً زائداً بالنسبة لها.

وقول "شكراً" يعتبر أمراً زائداً بالنسبة له، لذا أنهى الاتصال.

مشى الشرطي ترولس بيرنستن ببطء عبر ممرات أورغكريم لأنه وفقاً لخبرته كلما كانت خطواتك أبطأ مضي الوقت بسرعة أكبر، وإن كان هناك شيء لديه الكثير منه فهو الوقت. كان بانتظاره في المكتب كرسي مهترئ، ومكتب صغير عليه كومة من التقارير الموجودة هناك فقط للمظاهر، وجهاز حاسب يستخدم لتصفح الإنترنت لكنه أصبح مملاً أيضاً بعد أن صارت هناك حملة لفرض نظام على المواقع الإلكترونية التي يمكنهم زيارتها. وبما أنه يعمل على جرائم المخدرات وليس التحرش فقد وجد نفسه مضطراً لتقديم تفسير. حمل الشرطي بيرنستن كوب القهوة المليء متجهاً إلى المكتب، وهو متنبه لئلا يهرقه على كتيب سيارة باكستاني... سيارة لص... اترك سيارة الدورية من نوع فولفو ف70 واقفة... إنها سيارة تظهر أنك شخص مهم... تظهر لتلك التي تقطن في المنزل الجديد في هوينهول أنك شخص مهم ولست نكرة.

وبالنظر إلى الوضع الراهن، كان ذلك أول اهتماماته. قال مايكل في

الاجتماع العام يوم الاثنين إنهم قد حققوا مكاسب محتومة؛ مما يعني أن عليهم أن يحرصوا على أن لا يقوم أي أحد جديد بالتدخل في شؤونهم.

- يمكننا دائماً أن نتمنى لو أن المدمنين على المخدرات في الشوارع

أقل. لكن، بتحقيقنا كل هذا في هذه الفترة القصيرة من الوقت فهناك دائماً خطر الانتكاس. تذكروا هتلر وموسكو: ينبغي أن لا نعص أكثر مما يمكننا أن نمضخ.

كان الشرطي بيرنستن يعرف تقريباً ما يعنيه ذلك... إنه يعني تمضية

أيام طويلة مريحاً قدميك على المكتب.

أحياناً، كان يتوق للعودة إلى كريبوس فجرائم القتل ليست مثل

المخدرات... لم تكن سياسية، بل كانت مجرد حل قضية فحسب. لكن

مايكل بيلمان بنفسه أصر على أن يرافقه ترولس من برين إلى مركز الشرطة، وقال إنه بحاجة لحلفاء هناك في أراضي العدو... بحاجة إلى أحد يثق به... أحد يغطي ظهره في حال تمت مهاجمته... قالها بدون أن يقولها؛ كما غطى مايكل ظهر ترولس في قضية الصبي المحتجز الذي كان ترولس عنيفاً معه نوعاً ما، وآذاه في وجهه لسوء الحظ. بالطبع، قام مايكل بتعنيف ترولس، وقال إنه يكره العنف من رجال الشرطة ولا يريد أن يراه في قسمه، وقال إنه أصبح الآن من مسؤوليته كمدير أن يكتب تقريراً لمحمي الشرطة لتقييم ما إذا كان سيحول القضية للوحدة الخاصة. لكن بصر الصبي عاد إلى وضعه الطبيعي، واتفق مايكل مع محامي الصبي؛ حيث تم إسقاط تهمة حيازة المخدرات ولم يحدث أي شيء آخر. إنه اللاشيء نفسه الذي حدث هنا.

إنه يمضي أياماً طويلة مريحاً قدميه على المكتب. كان ترولس على وشك وضع قدميه على المكتب - كما كان يفعل عشر مرات في اليوم على الأقل - حين نظر إلى منتزه بوتس وأشجار الزيزفون المعمرة في وسط الشارع المؤدي إلى السجن. وضعهما هناك. الملقق الأحمر. أحس ببشرته تتخدر، ونبضه يتسارع، ومزاجه يتحسن. خلال لحظة نهض وارتدى سترته وترك القهوة.

كانت دار العبادة غامليين تبعد ثماني دقائق مشياً على الأقدام عن مركز الشرطة. مشى ترولس بيرنستن عبر بوابة أوصلو إلى منتزه مين، وعبر جسر ديفيكيس حتى وصل إلى قلب أوصلو حيث نشأت المدينة. لم تكن دار العبادة مزينة لدرجة أنها بدت فقيرة. كانت من دون أي زينة مبتذلة كتلك الموجودة في الدار المجاورة لمركز الشرطة. لكن دار عبادة غامليين تتمتع بتاريخ أكثر إثارة؛ على الأقل، إن كان نصف ما أخبرته به جدته خلال طفولته في مانغروود حقيقياً. كانت عائلة بيرنستن قد انتقلت من مبنى متهدم في مركز المدينة إلى ضاحية مانغروود حين تم إنشاؤها في نهاية عام 1950. لكن الغريب أنهم هم - عائلة أوصلو الأصلية مع عمال بيرنستن الممتدين لثلاثة أجيال - من شعروا وكأنهم مهاجرون؛ لأن معظم الناس في الضواحي كانوا من الفلاحين أو القادمين من مناطق نائية لبدء حياة جديدة. وحين فقد والد ترولس رشده في السبعينيات والثمانينيات

وجلس في شقتهم وهو يصرخ على الجميع، هرب ترولس إلى صديقه الوحيد والمقرب مايكل أو إلى جدته في غامليين. كانت جدته قد أخبرته أنه تم بناء دار العبادة غامليين لتحمي الزاهدين الذين حبسوا أنفسهم فيها بعيداً عن الطاعون الأسود الذي انتشر عام 1200، وذلك بهدف التضرع؛ على الرغم من أن الناس قالوا إنهم فعلوا ذلك للتهرب من واجبهم برعاية حاملي الوباء. وحين لم تظهر أي دلائل على وجود حياة في دار العبادة بعد ثمانية أشهر، كسر المستشار الأبواب ليجد الجرذان تلتهم جث الزاهدين المتعفنة.

كانت قصة جدته الخرافية المفضلة في وقت النوم تدور حول بناء مصح عقلي يعرف محلياً باسم "دار المجانين" في الموقع نفسه حيث اشتكى بعض النزلاء من أن هناك رجالاً يرتدون قلنسوات ويمشون في الممرات في الليل، وأنه حين تمت إزالة إحدى القلنسوات بدا وجه شاحب مع قضبات الجرذان ومحجري عينين فارغين. لكن أكثر قصة أحبها ترولس تدور حول آسكيلد أوريغود... آسكيلد ذو الأذنين الجيدتين الذي عاش وتوفي منذ أكثر من مائة عام، في وقت كانت فيه كريستانيا- كما كانت أوصلو تدعى في ذلك الحين- مدينة كاملة تضم دار عبادة. يحكى أن شبحة كان يمشي بجوار المقبرة في الشوارع ومنطقة الميناء وكفادراتورين لكنه لا يتعد أكثر لأنه ليست لديه سوى ساق واحدة، ويحتاج للعودة إلى المقبرة قبل بزوغ الفجر حسب ما قالت جدته. كان آسكيلد أوريغود قد فقد ساقه تحت عجلة عربة نارية حين كان في الثالثة من عمره. لكن جدة ترولس قالت له إنه حصل على لقبه بسبب أذنيه الكبيرتين؛ مما يدل على حس الفكاهة في شرق أوصلو. كانت أوقاتاً عصيبة... وبالنسبة لطفل بساق واحدة، إن اختيار المهنة كان واضحاً نوعاً ما، لذا بدأ آسكيلد أوريغود بالتسول، وأصبح مظهره مألوفاً وهو يعرج عبر البلدة... وكان ودوداً دائماً ومستعداً دائماً للاشتراك في حديث. كان من دون أي عمل، لكن الناس كانوا يعطونه النقود عطفاً عليه، غير أنه أحياناً كان يحتاج للمزيد، وعندها كان يخبر رجال الشرطة عمّن يكون سخياً زيادة في الآونة الأخيرة ومن عرض عليه فرصة سرقة الصائغ في بوابة كارل جوهانس أو تاجر أخشاب في درامن. وبدأت الشائعات تنتشر أن أذني آسكيلد كانتا جيدتين، وبعد اعتقال عصابة من السارقين في كامبن اختفى آسكيلد ولم يره أحد قط في ما بعد. لكن، في صباح شتوي، ظهرت على سلام دار العبادة غامليين عكاز وأذنان مقطوعتان. تم دفن آسكيلد في مكان ما في المقبرة. لكن، بما أن أحداً من

رجال الدين لم يباركه قط فقد ظلّ شبّحه يجوب المكان. وبعد هبوط الظلام في كفادراتورين أو حول دار العبادة قد تصطمم برجل يعرج ويغطي رأسه بالكامل بقبعته وهو يشحذ فلسين. وإن لم تعطه قطعة نقدية فسيلحقك النحس.

هذا ما كانت جدته قد أخبرته به، لكن ترولس بيرنستن تجاهل الشحاذ الهزيل الذي يرتدي معطفاً أجنبياً وتكسوه بشرة مسمرة ويجلس إلى جانب بوابة المقبرة ويمشي في الحقل الحصوي بين القبور وهو يعد، ثم استدار إلى اليسار حين وصل للرقم سبعة وإلى اليمين حين وصل إلى الرقم ثلاثة، ووقف عند القبر الرابع.

لم يكن الاسم المنقوش على الحجر يعني له شيئاً... أ. س. رود. كان قد توفي حين نالت النروج استقلالها عام 1905 بعمر تسع وعشرين سنة فحسب. لكن، باستثناء الاسم والتاريخ لم تكن هناك أي كتابات أو أدعية ليرقد بسلام، أو أي كلمات منمقة؛ ربما لأن الحجر القاسي كان صغيراً للغاية. لكن السطح الفارغ للحجر بدا مناسباً لكتابة الرسائل، الأمر الذي قد يكون سبب اختيارهم له.

فك ترولس شيفرة النص باستخدام الرموز البسيطة التي وضعوها لئلا يفهمها المارة العاديون. بدأ من النهاية، وقرأ الأحرف بشكل زوجي وهو ينتقل من الخلف على طول الخط حتى وصل إلى آخر ثلاثة أحرف.

أحرق تورّد شالتز

لم يكتبها ترولس بيرنستن، إذ ما من حاجة لذلك؛ فقد كانت ذاكرته جيدة في حفظ الأسماء التي تقربه من المقاعد الجلدية في سيارة أودي كيو 5 بناقل سرعة بست درجات. استخدم كمّي سترته ليمحو الأحرف.

رفع المتسول رأسه بينما مر به ترولس في طريقه نحو الخارج، ونظر بعينين بنيتين تشبهان عيني الكلب. ربما كانت هناك عصابة من المتسولين وسيارة كبيرة ضخمة تنتظر في مكان ما... مرسيدس... أليس ذلك ما يحبونه؟ رن جرس دار العبادة. وفقاً لقائمة الأسعار، تبلغ قيمة كيو 5 حوالي 666000 كرونر. إن كانت هناك رسالة مخفية في هذه الأرقام فإن ترولس بيرنستن لم يفهمها.

قالت بتي وهي تدخل المفتاح في القفل:

- تبدو بحال جيدة، ولديك إصبع جديدة أيضاً.
- صنعت في هونغ كونغ.

وفرك هاري قطعة التيتانيوم القصيرة.

راقب المرأة الشاحبة القصيرة وهي تفتح الباب، وانتبه إلى الشعر الأشقر القصير المربوط وبشرتها الهشة والشفافة لدرجة أنه تمكّن من رؤية شبكة عروقها في صدغيها. ذكرته بالفأرة الخالية من الشعر التي يتم استخدامها في تجارب أبحاث السرطان.

- حين كتبت أن أوليغ كان يعيش في مسرح الجريمة ظننت أن مفاتيحه ستسمح لي بالدخول.

- كان ذلك القفل مدمراً منذ زمن، حيث يمكنك الدخول مباشرة، ولذلك وضعنا هذا القفل كي لا يعود أي من المدمنين ويفسد مسرح الجريمة.

هز هاري رأسه. كان الأمر طبيعياً، فما من المغزى من وضع قفل؟ فقد كان القفل مكسوراً بالأصل، ومدمنو المخدرات يقتحمون الأماكن التي يعرفون أن سكانها قد تكون لديهم مخدرات. حتى إن أولئك الذين يعيشون هناك كانوا يسرقون من بعضهم.

سحبت بتي الشريط اللاصق بينما حشر هاري نفسه. كانت الملابس والأكياس معلقة في الصالة. نظر هاري داخل أحد الأكياس فوجد لفائف ورق حمام، وعلب شراب فارغة، وقميصاً مبللاً ومطلقاً بالدم، وقطعاً من ورق الألمنيوم، وعلبة سجائر. وعلى أحد الجدران كانت هناك كومة من علب بيتزا غرانديوزا التي وصلت إلى منتصف الحائط، وأربعة مشاجب معاطف بيضاء بالشكل نفسه. أحس هاري بالحيرة حتى أدرك أنها كانت مسروقات لم يتمكنوا من تحويلها إلى عملة نقدية. وتذكر أنه في شقق المدمنين على المخدرات كانوا يجدون دائماً أشياء كان الناس يظنون أن بإمكانهم بيعها في وقت ما. فقد وجدوا في أحد البيوت ستين هاتفاً محمولاً قديماً في كيس، وفي آخر آلة كهربائية شبه مفككة موضوعة في المطبخ.

دخل هاري غرفة الجلوس التي فاح منها مزيج من العرق والخشب المنقوع بالشراب والرماد المبلل وشيء حلو لم يتمكن هاري من تعرّفه. لم تكن الغرفة تحتوي أي مفروشات مألوفة، وإنما أربع فرشاة موضوعة على الأرض كما لو كانت حول نار مخيم، وقد برز من أحدها سلك معقوف بزاوية تسعين درجة، ومشكل على شكل الحرف Y في النهاية. كان مربع الأرض الخشبية بين الفرشات أسود مع علامات احتراق حول منفذة سجائر فارغة. افترض هاري أن وحدة مسرح الجريمة قد أفرغتها.

- كان غاستو بجوار جدار المطبخ هنا.

وقفت بتي في الممر بين غرفة الجلوس والمطبخ وهي تشير.

وبدلاً من التوجه إلى المطبخ، بقي هاري إلى جانب الباب ينظر حوله... كانت هذه عاداته وليست عادة الشرطيين الجديين الذين كان يفتشون مسرح الجريمة من الخارج، ثم يبدأون بالتمشيط الدقيق على الأطراف، ثم يتوجهون خطوة خطوة باتجاه الجثة. كما أنها ليست عادة رجال الشرطة في سيارات الدوريات الذين يكونون أول الواصلين إلى مسرح الجريمة، والذين يدركون أنهم قد يفسدون مسرح الجريمة ببصماتهم، أو الأسوأ، أنهم قد يفسدون البصمات الموجودة. كان زملاء بتي قد فعلوا ما ينبغي فعله منذ زمن. أما هو فيعرف أن لديه فرصة واحدة للحصول على انطباع حسي، والاطلاع على التفاصيل الدقيقة، والقيام بعمله، وترك بصمته قبل أن يجف الإسمنت. ينبغي أن يحدث ذلك الآن قبل أن يبدأ الجزء التحليلي من الدماغ بعمله... الجزء الذي يطلب حقائق مصاغة بالكامل. اعتاد هاري على تعريف الحدس على أنه النتائج المنطقية البسيطة التي يتم الحصول عليها من الانطباعات العادية التي يكون الدماغ بطيئاً أو غير قادر على تحويلها إلى شيء مفهوم.

لكن مسرح الجريمة هذا لم يخبر هاري بالكثير حول الجريمة التي وقعت.

فكل ما رآه وسمعه وشمه يشير إلى مكان يقيم فيه أشخاص يجتمعون، ويتعاطون المخدرات، وينامون، وأحياناً يتناولون الطعام وبعد ذلك ينامون، ثم ينتقلون إلى مكان آخر... إلى غرفة في نزل، أو منتزه، أو حاوية، أو حقيبة نوم رخيصة تحت جسر، أو مكان ما في مقبرة.

قالت بتي مجيبة عن سؤال لم يحتج أن يطرحه:

- بالطبع علينا التنظيف قليلاً هنا، فقد كانت القمامة تملأ المكان.

- أعثرتم على مخدرات؟

- كيس من النايلون يحتوي على حشوات غير مغلقة من القطن.

هز هاري رأسه... يقوم أسوأ المدمنين بالاحتفاظ بالقطن المستخدم لتنظيف الشوائب من المخدرات وهم يسحبونه بالحقنة، وفي أيام القحط يمكن غلي القطن وحقن السائل.

- بالإضافة إلى واطي يحوي منياً وهيرويين.

رفع هاري حاجبه:

- حقاً؟! أهو جيد؟

رآها هاري تحمر خجلاً كالشرطية الخجولة المتخرجة حديثاً من الكلية التي لا يزال يتذكرها.

- بدقة أكبر... بقايا هيرويين. نفترض أن الواقي كان يستخدم لتخزين الهيرويين، ثم في ما بعد تم استخدامه لغرضه الأساسي.
- مدمم. مدمنون يخشون من العدوى. ليس الأمر سيئاً... هل عرفتم من...

- الحمض النووي من الداخل والخارج يطابق اثنين من المعارف القدامى. فتاة سويدية وإيفار تروستينسين المعروف بين الرجال المتخفين باسم هيفار.

- هيفار؟

اعتاد على تهديد رجال الشرطة بإبر ملوثة، حيث كان يدعي أنه مصاب بفيروس نقص المناعة المكتسبة.
- مدمم. هذا يفسر سبب استخدامه الواقي. هل يضم سجله أي أعمال عنف؟

- لا. مجرد مئات السرقات وحياسة المخدرات والمتاجرة بها بالإضافة إلى بعض التهريب.

- لكنه يهدد بالقتل باستخدام حقنة، أليس كذلك؟

تهددت بتي وخطت باتجاه غرفة الجلوس وهي تدير ظهرها له:
- آسفة ياهاري، لكن لا توجد أي خيوط مفككة في هذه القضية.
- أوليغ لم يؤذ ذبابة قط يابتي... إنه غير قادر على ذلك. أما هيفار هذا...

- هيفار والفتاة السويدية... حسناً لقد تم استثناءهما من التحقيق.

- هل ماتا؟

- بجرعة مفرطة قبل أسبوع من جريمة القتل؛ بسبب الهيرويين غير الصافي والمخلوط مع الفينتانيل. أظن أنهما لم يكونا قادرين على دفع تكاليف الفيولين.

نظر هاري إلى الجدران من حوله. معظم المدمنين المشردين يكون لديهم مخبأ أو اثنان... مكان سري حيث يخفون مخزوناً احتياطياً من المخدرات وأحياناً المال أو بعض الممتلكات الثمينة، فحمل هذه الأشياء معك باستمرار غير معقول لأن مدمن المخدرات المشرد يقوم بحقن نفسه بالمخدرات في الأماكن العامة، وما إن تصل المخدرات إلى السوق حتى يصبح فريسة. ولذلك، إن وجود المخبأ ضروري للغاية؛ إذ يمكن للمدمنين

أن يستثمروا الكثير من الطاقة والخيال في إخفاء حاجياتهم، لدرجة أن الكثير من الباحثين المحنكين قد فشلوا في العثور عليهم وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكلاب البوليسية. ولا يقوم المدمنون بالإفصاح عن مخبئهم لأي كان، ولا حتى لأقرب المقربين إليهم؛ لأنهم يعرفون من خبرتهم أنه لا يمكن لأحد أن يكون مقرباً أكثر من الكودائين أو المورفين أو الهيرويين.

- هل بحثتم عن مخبأ هنا؟

هزت بتي رأسها بالنفي.

- لِمَ لا؟

كان هاري يعرف أنه سؤال غبي.

- لأنني أفترض أنه سيكون علينا تحطيم الشقة حتى نجد شيئاً ما، كما أنه لن يفيدنا في التحقيقات لأن علينا البحث عن الأولويات في الموارد المحدودة، ولأن لدينا الدليل الذي يلزمنا.

هز هاري رأسه... هذا هو الجواب الذي يستحقه.

ثم سأل بصوت ناعم:

- والدليل؟

- نظن أن القاتل قد أطلق النار من حيث أقف الآن على بعد أقل من متر، إذ إن هناك آثار سخام داخل وحول الجروح. كانت من عادة المحققين الجنائين عدم ذكر الأسماء.

- أهناك جروح؟

- اثنان.

نظرت إليه بشفقة، وتبين أنها تعرف ما كان يفكر به، فقد تلاشت فرصة الدفاع بأن المسدس قد انطلق بدون قصد.

باعدت بتي بين الإبهام والوسطى في يدها اليمنى ووضعتها على الجانب الأيسر من قميصها كما لو أنها تستخدم لغة الإشارات:

- دخلت كلتا الرصاصتين الصدر. ونظن أن كلاً من القاتل والضحية كانا واقفين، وأن القاتل قد أطلق النار من السلاح غريزياً. كما يشير الجرح الأول إلى أن طوله يتراوح بين متر وثمانين سنتيمتراً ومتر وخمسة وثمانين سنتيمتراً، والمشتبه به يبلغ طوله متراً وثلاثة وثمانين سنتيمتراً.

يا إلهي! فكر بالصبي الذي رآه عند باب غرفة الزوار. يبدو له وكأنهما كانا البارحة يتصارعان معاً، وكان أوليغ بالكاد يصل إلى صدر هاري. عادت إلى المطبخ، حيث أشارت إلى الجدار بجانب موقد مليء

بالدهن.

- دخلت الرصاصتان من هنا وهنا كما يمكنك أن ترى؛ مما يتوافق مع تتابع الطلقة الثانية وراء الأولى بسرعة شديدة حين سقط الضحية. فقد ثبتت الرصاصة الأولى الرثة، أما الثانية فمرت عبر أعلى صدره مما شق لوح الكتف. الضحية...

- غاستو هانسن.

توقفت بتي ونظرت إليه ثم هزت رأسها:

- غاستو هانسن لم يمّت فوراً، فبصماته تملأ بركة الدم من حوله، كما أن ثيابه مليئة بالدم مما يظهر أنه تحرك بعد سقوطه؛ لكن ذلك لم يستغرق فترة طويلة.

- فهمت. وما...؟

مرر هاري يده على وجهه. عليه أن ينام بضع ساعات:

- ما الذي يربط أوليخ بالجريمة؟

- اتصل شخصان بشرطة النجدة في الساعة التاسعة إلا ثلاث دقائق، وقالوا إنهما سمعا ما يمكن أن يكون صوت طلقات نارية صادرة من المبنى. أحدهما يقطن في مولرغاتا عند التقاطع، أما الآخر ففي الجهة المقابلة لهذا المبنى.

حدق هاري عبر النافذة المتسخة ونظر إلى بوابة هوسمنز:

- ليس سيئاً أن تتمكن من السماع من مبنى لآخر في مركز المدينة.

- لا تنسَ أن ذلك حصل في يوليو؛ حيث الأمسيات الدافئة، وجميع النوافذ مفتوحة مع بدء عطلات الصيف والقليل من السيارات. كان الجيران يحاولون دفع الشرطة لإغلاق هذا الوكر لكي تنخفض الضجة. وقد أخبرهم الشرطي في قسم العمليات أن يحافظوا على هدوئهم، كما طلب منهم مراقبة المبنى حتى تصل سيارات الشرطة، وقد تم إبلاغ جميع السيارات مباشرة، فوصلت سيارتان في تمام التاسعة وعشرين دقيقة، وأخذوا مواضعهم وهم ينتظرون الفرسان.

- دلنا؟

- دائماً يستغرق الشباب وقتاً في اعتماد الخوذ وحمل الأسلحة، ثم جاء خبر من غرفة العمليات بأن الجيران قد رأوا صبياً يغادر عبر الباب الأمامي، ويمشي حول المبنى باتجاه أكرسلفا. لذا، قام شرطيان بالنزول إلى النهر حيث وجدوا...

تابعت حين تلقت هزة بسيطة من رأس هاري.

- ... أوليغ. لم يقاوم لأنه كان منتشياً للغاية، لدرجة أنه لم يكذب
يدري ما الذي يجري، وقد وجدنا بقايا السخام على ذراعه ويده اليمنى.
- سلاح الجريمة؟
- بما أن العيار غير شائع فإنه مسدس ماكاروف تسعة على ثمانية
عشر ملم. ليس هناك الكثير من البدائل.
- حسناً... الماكاروف هو المسدس المفضل للجريمة المنظمة في دول
الاتحاد السوفييتي السابق. كما يوجد فورت 12 الذي تستخدمه الشرطة في
أوكرانيا، بالإضافة إلى نوعين آخرين.
- صحيح، لكننا وجدنا الخراطيش الفارغة على الأرض مع بقايا
البارود. بارود الماكاروف يتكون من مزيج مختلف من الملح الصخري
والكبريت، كما أنهم يستخدمون بعض البارود الخالي من الكبريت. وقد
تطابق الخليط الكيميائي للبارود على الخراطيش الفارغة وحول الجروح مع
البقايا على يد أوليغ.
- ممم. والسلاح؟
- لم يتم العثور عليه. لقد أرسلنا غواصين وفرقاً للبحث في النهر
وحوله من دون أي نجاح. هذا لا يعني أن المسدس ليس هناك مع كل
الوحد والترسبات... كما تعلم.
- أعلم.
- وقد قال اثنان من الشباب الذين يعيشون هناك إن أوليغ كان
يصوب مسدساً ويفتخر أن ذلك كأسلوب المافيا الروسية. ولم يكن أي منهما
من الخبراء بالمسدسات. لكننا حين أريناهم صور حوالي مائة مسدس اختار
كلاهما أوديسا، وهو كما تعلم يستخدم...
- هز هاري رأسه... ماكاروف... تسعة على ثمانية عشر ملم... لا يمكن
الخطأ به. في أول مرة رأى فيها أوديسا تذكر المسدس المستقبلي على غلاف
أسطوانة فو فايترز؛ وهي واحدة من الكثير من الأسطوانات التي بقيت مع
راكيل وأوليغ.
- وأفترض أنهم شهود موثوقون مع مشكلة مخدرات بسيطة للغاية،
أليس كذلك؟
- لم تجب بتي، إذ لم تكن هناك أي حاجة لذلك، فهاري يعرف أنها
تعرف ما يفعله... يتعلق بقشة.
- عدل هاري كمي سترته كما لو كان من المهم أن لا يرتفعا:
- وما الذي أظهرته عينات دم وبول أوليغ؟

- كان الفيولين مكوناً نشطاً. وبالطبع، يمكن استخدام كونه منتشياً لتخفيف العقوبة.

- ممم. هذا يفترض مسبقاً أنه كان منتشياً قبل أن يطلق النار على غاستو هانسن، لكن ماذا عن الدافع؟

نظرت بتي إلى هاري بحماسة:

- الدافع؟

عرف ما تفكر به: هل من الممكن تخيل أن يقوم مدمن بقتل آخر لأي سبب عدا عن الحصول على جرعة؟

سألها:

- إن كان أوليغ منتشياً فلم سيقتل؟ فجرائم القتل المتعلقة بالمخدرات كهذه تنجم عادة كتصرف يائس وعفوي مدفوع بالحاجة للجرعة، أو بداية أعراض انسحاب المخدر من الجسم.

قالت بتي:

- الدافع هو اختصاصك. أنا محققة جنائية.

- حسناً، هل من شيء آخر؟

قالت بتي وهي تفتح حقيبة جلدية رقيقة:

- افترضت أنك قد ترغب برؤية الصور.

أخذ هاري كومة الصور. كان أول ما أذهله هو جمال غاستو... فهو وسيم وجذاب بوضوح؛ حتى وهو ميت ومغمض عينيه بينما امتلأ قميصه بالدم. لا يزال غاستو هانسن يحتفظ بالوسامة الواضحة التي يتعذر تحديدها لإليس بريسي الشاب. المظهر الذي يعجب كلاً من الرجال والنساء. قلب الصور. بعد العديد من اللقطات بالطول الكامل، كان المصور قد أخذ لقطات قريبة للوجه والجروح.

أشار إلى صورة ليد غاستو اليمنى وسأل:

- ما هذا؟

- كان لديه دم تحت أظافره. أخذنا عينات عنها لكنها تضررت.

- تضررت؟!

- تحدث مثل هذه الأمور يا هاري.

- ليس في قسمك.

- لقد تضرر الدم في طريقه إلى اختبار الحمض النووي في وحدة

علم الأمراض. في الواقع، لم ننزعج كثيراً، فعلى الرغم من أن الدم حديث نوعاً ما لكنه ملوث بما فيه الكفاية حيث لا يمكن أن يكون متعلقاً بزمان

الجريمة. وبما أن الضحية كان مدمناً على حقن المخدرات فإن من المحتمل أن يكون الدم دمه هو. لكن...

- ... لكن، إن لم يكن كذلك فمن المهم أن تعرني مع من كان يتعارك في ذلك اليوم. انظري إلى حذائه...

أظهر لبتى واحدة من اللقطات بالطول الكامل:

- أليس حذاء ألبيرتو فاشياني؟

- لم تكن لدي أدنى فكرة أنك تعرف هذا القدر عن الأحذية ياهاري.

- أحد عملائي في هونغ كونغ يصنعها.

- عميل! وحسب معرفتي، إن أحذية فاشياني الأصلية لا يتم صنعها إلا في إيطاليا.

هز هاري كتفيه:

- من المستحيل كشف الفرق. لكن، إن كان حذاء فاشياني فإنه لا يتطابق مع باقي ملابسه التي تبدو وكأنه عثر عليها مرمية عند المنارة.

- يمكن أن يكون الحذاء مسروقاً. فغاستو هانسن ملقب باسم "الرص"، فقد اشتهر بسرقة أي شيء يصادفه. وهناك قصة حول قيامه بسرقة كلب بوليسي متقاعد في السويد واستخدامه في البحث عن مخابئ المخدرات.

- ربما يكون قد وجد مخبأً أوليغ. هل قال شيئاً عند الاستجواب؟

- لا يزال صامتاً بالكامل، وهو لا يقول شيئاً سوى أنه لا يتذكر أي شيء ولا حتى كونه في الشقة.

- ربما لا يكون كذلك.

- لقد وجدنا حمضه النووي ياهاري... شعره وعرقه.

- أهو يعيش وينام هنا؟

- على الجثة ياهاري.

صمت هاري وهو يحدق في الأفق.

رفعت بتي يدها، ربما لتضعها على كتفه لكنها غيرت رأيها وأنزلتها:

- هل تحدثت معه؟

هز هاري رأسه:

- لقد طردني.

- إنه يشعر بالخزي.

- أظن ذلك.

- أنا متأكدة من ذلك. أنت مثله الأعلى، ومن المخجل بالنسبة إليه أن تراه بهذه الحالة.

- مخجل! لقد مسحت دموع الصبي وأبعدت عنه المخاوف وأبقيت النور مضاء.

- الصبي لم يعد موجوداً ياهاري. أوليخ الحالي لا يريد مساعدتك الآن، وإنما يريد الارتقاء إليك.

خبط هاري بقدمه على الأرض وهو ينظر إلى الجدار:

- أنا لا أستحق ذلك يابتي، وهو يعرف ذلك.

- هاري...

- أمهكننا النزول إلى النهر.

وقف سيرغييه أمام المرأة واضعاً كلتا ذراعيه إلى جانبيه، ثم نقر على قفل الأمان وضغط على الزر ليخرج النصل ويعكس الضوء. كانت سكيناً جذابة من سيبيريا أو "حديدية" كما يدعوها الأوركا؛ وهم طبقة المجرمين في سيبيريا. كانت أفضل سلاح للطعن في العالم، حيث تتكون من قصبة طويلة ونحيلة مع نصل طويل ونحيل. كانت التقاليد أن تحصل عليها من مجرم أكبر في العائلة حين تستحقها بالفعل. لكن التقاليد تلاشت، وأصبح بإمكانك في هذه الأيام شراؤها أو سرقها أو السطو عليها. لكن هذه السكين هدية من عمه. فوفقاً لأندريه كان القائد يخبئ السكين تحت فراشه قبل أن يعطيها لسيرغييه. فكر في الأسطورة التي تقول إنك إن وضعت الحديدية تحت فراش شخص مريض فإنها تمتص الألم والمعاناة وتحولهما إلى الشخص التالي الذي سيطعن بها. كانت هذه إحدى الأساطير التي يحبها الأوركا كثيراً؛ كتلك التي تدعي أنه في حال امتلك أحد ما سكينك فإنه سيلقى حتفه بحادث... ياللرومانسية والخرافات التي تكاد تتلاشى. ومع ذلك، فقد تلقى الهدية بتبجيل هائل ومبالغ به، ولم لا؟ فهو مدين لعمه بكل شيء حين أخرجته من المأزق الذي وقع فيه، ورتب له أوراقه ليتمكن من القدوم إلى الزوج، كما رتب له وظيفة التنظيف في مطار غاردموين. من الواضح أنها وظيفة بأجر جيد ويمكن العثور عليها بسهولة، لكن مثل هذا العمل يرفض النرويجيون القيام به، فهم يفضلون الحصول على الضمان الاجتماعي. ولم تشكل التهم التي أحضرها سيرغييه معه من روسيا أي مشكلة، فقد قام عمه بالتلاعب بسجله الإجرامي. وهكذا، قام سيرغييه بتقبيل يد عمه حين حصل على الهدية. كما أن عليه الاعتراف بأن السكين في يده جميلة للغاية... مقبض بني غامق مصنوع من قرون الغزال ومطعم

بالعاج.

دفع سيرغييه من وركه كما تعلم، وأحس أن بإمكانه التوازن وإقحامها في الأعلى... للداخل والخارج... للداخل والخارج... لكن ليس بسرعة كبيرة لئلا يدخل النصل في المقبض في كل مرة.

سبب قيامه بذلك بالسكين هو أن الرجل الذي سيقتله شرطي، وحين يتم قتل شرطي فإن المطاردة تكون ضارية، لذا من الضروري عدم ترك أي دليل قدر الإمكان. إذ يمكن دائماً تتبع الرصاصة والسلاح والشخص، أما الضربة من سكين نظيفة فمجهولة المصدر. لم يكن الطعن مجهول المصدر بالكامل، إذ من الممكن التعرف على طول النصل وشكله، ولذلك أخبره أندريه أن لا يطعن الشرطي في قلبه وإنما أن يقطع شريانه السباتي. لم يكن سيرغييه قد قطع حنجرة أحد من قبل، أو طعن أحداً في قلبه، وإنما طعن جورجياً في فخده لمجرد كونه جورجياً. لذا، كان بحاجة إلى شيء ليتدرب عليه... شيء حي، وكانت لدى جاره الباكستاني ثلاث قطط، وكان كلما مر من المدخل تهاجمه رائحة بولها.

أخفض سيرغييه سكينه، ووقف مطأطئاً رأسه، وأدار عينيه في محجريه للأعلى لكي يرى نفسه في المرآة. يبدو جيداً؛ رشيقاً ومتوعداً وخطراً وجاهزاً كما في ملصق أفلام. وسيظهرُ وشمه أنه قد قتل رجل شرطة. سيقف وراء الشرطي ويخطو للأمام، ثم سيمسك شعره بيده اليسرى ويسحبه للخلف، ثم سيضع نصل السكين على رقبته إلى اليسار وسيجعله يخترق البشرة ويدير النصل حول الحنجرة على شكل هلال... هكذا. وسيضخ القلب شلالاً من الدم: ثلاث نبضات ثم سيتلاشى التدفق، حيث سيموت الرجل سريراً.

بعد ذلك، سيطوي السكين ويضعها في جيبه وهو يغادر بسرعة... لكن، ليس بسرعة كبيرة... ولن ينظر في عين أحد... فقط سيمشي وهو يشعر بالحرية.

خطا خطوة للوراء ووقف منتصباً، ثم تنشق وتخيل المشهد. وبعدها زفر وخطا للأمام وأدار النصل لكي يلمع كجوهرة نفيسة.

خرج هاري وبتي من بوابة هوسمنز وانعطفا يساراً، ثم تجاوزا موقع المبنى المحترق ذي الزجاج الأسود والطوب المحترق وسط الانقراض. وكان وراءهما منحدر يصل حتى النهر. لاحظ هاري عدم وجود أي أبواب في مؤخر مبنى أوليغ، وأنه مع انعدام أي مخرج آخر هناك مخرج طوارئ ضيق ينزل من الطابق العلوي.

سأل هاري:

- من يعيش في الشقة المجاورة؟
- لا أحد. هناك مكاتب شاغرة لأناركيستن وهي صحيفة صغيرة...
- أعرفها. لم تكن سيئة. يعمل كتاب القسم الثقافي الآن في الصحف الكبرى. أكانت الغرف غير مقفلة؟
- تم اقتحامها، وربما كانت مفتوحة منذ زمن.
- شاهد هاري بتي التي هزت رأسها باستسلام؛ كتأكيد لما لم يحتج هاري لقوله: قد يكون هناك أحد في شقة أوليغ وهرب من دون أن يراه أحد...
- مشيا في الطريق بجوار أكرسلفا، حيث رأى هاري أن النهر ضيق بما يكفي ليقوم صبي ذو ذراع طويلة برمي المسدس إلى الضفة الأخرى.
- ما دمتم لم تجدوا المسدس بعد...
- مجلس الادعاء العام لا يحتاج للمسدس ياهاري.
- هز رأسه... بقايا السخام على يديه، والشهود الذين رأوه وهو يستعرض بالمسدس، وحمضه النووي على جثة الصبي... كافية لاتهامه.
- كان أمامهما شابان أبيضان متكئان على مقعد حديدي أخضر ويرتديان كنزتين رماديتين. وحين رأياهما تهامسا ثم مشيا.
- يبدو أن تجار المخدرات ما زالوا قادرين على الإحساس بالشرطي داخلك ياهاري.
- ممم. ظننت أن المغاربة فقط هم من يبيعون الحشيش هنا.
- أصبحت هناك منافسة. فهناك ألبانيون من كوسوفو، وصوماليون، وأوروبيون شرقيون من طالبي اللجوء الذين يبيعون كل الأصناف... الحشيش والميثامفيتامين وإكستاسي والمورفين.
- والهرويين.
- مشكوك به. لا يوجد هيرويين صافي في أوصلو، وإنما الفيولين

الذي لا يمكنك الحصول عليه إلا بالقرب من بلاتا؛ ما لم ترغب بالسفر إلى غوتنبرغ أو كوبنهاغن حيث بدأ الفيولين بالظهور مؤخراً.

- سمعت كثيراً عن الفيولين. ما هو؟
- إنه مخدر اصطناعي جديد لا يعيق التنفس بقدر الهيرويين الأصلي. لذا، حتى لو كان يدمر الحياة فلا توجد هناك جرعات مفرطة. وهو يسبب الإدمان الشديد؛ فكل من يجربه يطلب المزيد، لكنه باهظ الثمن ولا يمكن لأي كان دفع ثمنه.

- لذا، هم يشترون مخدرات أخرى.

- هناك المورفين.

- خطوة للأمام، وخطوتان للوراء.

هزت بتي رأسها بالنفي:

- الحرب على الهيرويين هي الأهم وقد ربحها.

- بيلمان؟

- إذًا، لقد سمعت بالنبأ.

- قال هاغن إنه اعتقل معظم عصابات الهيرويين.

- العصابات الباكستانية والفييتنامية. وقد دعت مجلة داجلاديت

بالجزال روميل بعد أن قضى على شبكة كبيرة من شمال إفريقيا وعصابة أم سي في ألنابرو.

- أتعنين راكبي الدراجات؟! في ما مضى كان الشبان راكبو

الدراجات يبيعون الحشيش والهيرويين كالمجانين.

- لوس لوبوس وهيلز أنجلز واناباي. نعتقد أنهم في شبكتين

تتاجران بالفيولين، لكن تم القبض عليهم في عملية اعتقال جماعية من

خلال هجوم لاحق في ألنابرو. كان يفترض بك رؤية الابتسامة على فم

بيلمان في الصحف، فقد كان حاضراً عند تنفيذ العملية.

- فلنقم ببعض الأمور الجيدة.

ضحكت بتي. من المزايا الأخرى التي يعشقها فيها أنها كانت مطلعة

بما فيه الكفاية على الأفلام، حيث إنها تفهمه حين يستخدم بعض العبارات

الجيدة من بعض الأفلام السيئة. قدم لها هاري سيجارة لكنها رفضتها

فأشعلها.

- ممم. كيف استطاع بيلمان تحقيق ما لم تكن وحدة المخدرات

قريبة حتى من تحقيقه طوال السنين التي كنت فيها في المركز؟

- أعلم أنك لا تحبه، لكنه في الواقع قائد جيد. وقد كان محبوباً

في كريبوس لدرجة أنهم اغتاضوا من رئيس الشرطة حين نقله إلى مركز الشرطة.

تنشق هاري تاركاً الدخان يهدئ عطش دمه... نيكوتين... كلمة متعددة المقاطع... كالهرويين... كالفيولين.

- إذًا، من بقي؟

- هذه عاقبة القضاء على الحشرات. فأنت تتسبب باضطراب في السلسلة الغذائية، ولا تعرف إن كان ما فعلته سيفسح المجال لشيء آخر... شيء أسوأ من الذي قضيت عليه...

- هل من دليل على ذلك؟

هزت بتي كتفيها.

- فجأة، لم نعد قادرين على الحصول على أي معلومات من الشارع، ولم يعد مخبرونا يعرفون شيئاً، أو إنهم يحافظون على صمتهم. ليس هناك سوى بعض الهمس حول الرجل الشرق أوسطي الذي لم يره أحد أو يعرف باسمه. إنه كمحرك دمي خفي. يمكننا رؤية الفيولين يباع لكننا لا نستطيع تتبعه إلى مصدره، والبائعون الذين نعتقلهم يقولون إنهم يشترونه من بائعين بالمستوى نفسه. من غير العادي أن يتم إخفاء الآثار إلى هذه الدرجة؛ مما يدلنا على أن هناك فريقاً سرياً محترفاً وبسيطاً للغاية يتحكم بالاستيراد والتوزيع.

- الرجل من دبي... العقل المدبر الخفي... ألم نسمع بهذه القصة من قبل ثم تبين أنها مجرد شائعة؟

- الأمر مختلف الآن يا هاري. فهناك عدد من جرائم القتل المتعلقة بالمخدرات خلال السنة الجديدة؛ بوحشية لم نعهدها من قبل، ولا أحد ينسب بنت شفة. فقد وجدنا تاجرين فييتناميين معلقين من أقدامهم بعوارض السقف في الشقة حيث كانوا يعملون... غارقين... كان رأس كل منهما موضوعاً في كيس من النايلون مليء بالماء.

- هذا الأسلوب ليس شرق أوسطياً... إنه روسي.

- عفواً؟!

- يعلقونهم رأساً على عقب، ويضعون كيساً من النايلون على الرأس، ويربطونه حول الرقبة، ثم يبدأون بصب الماء على كعبي القدمين، فينسب على الجسد حتى يصل إلى الكيس فيمتلئ. هذه الطريقة تدعى الرجل على القمر.

- كيف تعرف ذلك؟

هز هاري كتفيه:

- كان هناك جراح ثري يدعى بيراييف حصل في الثمانينيات على واحدة من بذلات رواد الفضاء الأصلية من أبولو 11 بسعر مليوني دولار في السوق السوداء. وكلما حاول أحد خداع بيراييف أو لم يسدد ما اقترضه منه من مال يتم وضعه في البذلة ويصورون وجه المسكين وهم يسكبون الماء، ثم يتم إرسال الفيلم إلى باقي المقترضين.
نفث هاري الدخان إلى الأعلى.

نظرت إليه بتي بامعان ثم هزت رأسها ببطء:

- ماذا كنت تفعل في هونغ كونغ يا هاري؟

- لقد سألتني هذا السؤال على الهاتف.

- لكنك لم تجبني.

- بالضبط. قال لي هاغن إن بإمكانه تسليمي قضية أخرى بدلاً من هذه القضية، وذكر شيئاً عن شرطي متخفٍّ تم قتله.

- نعم.

بدت بتي مرتاحة لأنهما توقفا عن الحديث عن غاستو وأوليغ.

- ما هي القصة؟

- شرطي مخدرات شاب متخفٍّ وصلت جثته إلى الشاطئ عند منحدرات دار الأوبرا. كان هناك سياح وأطفال وغيرهم؛ مما أحدث ضجة كبيرة.

- أكان مرمياً بالرصاص؟

- غرقاً.

- وكيف عرفتُم أنها جريمة قتل؟

- ما من جروح أو آثار تعذيب خارجية. في الواقع، بدا كما لو أنه وقع في البحر عرضاً، فمنطقة عمله هي المنطقة المحيطة بدار الأوبرا، لكن بيورن هولم تحقق من رثتيه، واكتشف أنه غرق بمياه عذبة. وكما تعلم، إن مياه خليج أوسلو مالحة. يبدو الأمر كما لو أن أحداً رماه في البحر ليُظنَّ أنه غرق هناك.

- حسناً. نظراً إلى كونه شرطي مخدرات لا بد أنه تجول عند

النهر. ومياه النهر عذبة، وهي تصب في البحر بالقرب من دار الأوبرا.

ابتسمت بتي:

- من الجيد عودتك إلينا يا هاري، لكن بيورن فكر في ذلك وقارن

البكتيريا والميكروبات وغيرها. كانت المياه في رثتيه نظيفة للغاية، ولا يمكن

أن تكون من أكرسلفا... لا بد أنها مياه مفلترة. أظن أنه قد غرق في حوض استحمام أو في حوض سباحة تحت جهاز تنقية المياه أو... رمى هاري عقب السيجارة على الطريق أمامه:

- كيس من النايلون.

- نعم.

- الرجل من دبي... ماذا تعرفون عنه؟

- ما أخبرتك به يا هاري.

- لكنك لم تخبريني شيئاً.

- بالضبط.

توقفا عند جسر أنكير حيث تحقق هاري من محفظته.

سألته بتي:

- هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟

- لا. فعلت ذلك لإعطائك ذريعة لتقولي إن عليك الذهاب من

دون أن تشعري بأنك تطرديني.

ابتسمت بتي... فكر هاري في أنها جذابة للغاية حينما تبتم. من

الغريب أنها ليست مع أحد أو ربما قد تكون... إنها واحدة من الثمانية في قائمة جهات الاتصال في هاتفه.

ب بدلاً من بتي.

هدبلاً من هالفورسن؛ زميله السابق ووالد ابنها. لقي حتفه خلال

أدائه عمله، لكنه لم يحذف رقمه بعد.

سألته بتي:

- هل اتصلت براكيل؟

هز رأسه نافياً. انتظرت بتي لكنه لم يصف شيئاً.

ثم تكلموا معاً في الوقت نفسه:

- أفترض أنك...

- في الواقع علي...

ابتسمت:

- أن أغادر.

- طبعاً.

شاهدها وهي تمشي باتجاه الطريق.

ثم جلس على أحد المقاعد وهو يحدق في النهر والبط الذي يسبح

في المياه الهادئة.

عاد الشابان اللذان يرتديان كنزتين رماديتين متوجهين إليه.

- هل أنت من الشرطة؟

لقد أحسا ببتي وليس به.

هز هاري رأسه نافياً.

- أتريد بعض...؟

أكمل هاري:

- بعض السلام... السلام والهدوء.

وأخرج نظارة شمسية من نوع برادا من جيبه الداخلي كان قد أعطاه إيّاها مالك متجر في شارع كانتون شبه مفلس لكنه اعتبر نفسه قد تلقى معاملة حسنة. كان طرازها نسائياً لكن هاري لم يأبه فقد أحبها.

صرخ وراءهما:

- بالمناسبة، هل معكما أي فيولين؟

أجاب أحدهما بصوت كالشخير بينما قال الآخر:

- مركز المدينة.

- أين بالضبط؟

- ابحث عن فان بيرسي أو فابريغاس.

وتلاشت ضحكتاهما بينما توجهتا نحو نادي الجاز.

اتكأ هاري للخلف، وراقب الركلات القوية للبطات التي جعلتها تنزلق

على الماء كمتزلجين سريعين على جليد أسود.

أولئح مصر على البقاء صامتاً كما يفعل المذنبون؛ إذ إن هذا ما

يُميّزهم، واستراتيجيتهم المنطقية الوحيدة. إذًا، من أين يبدأ؟ كيف تقوم

بالتحقيق بشيء محلول مسبقاً وتجنب عن أسئلة لها إجابات كافية؟ ما

الذي كان يظن أنه سيحققه؟ أسيغّر الحقيقة بإنكارها؟ فقد سبق له أن

رأى حين كان يعمل محققاً في فرقة مكافحة الجرائم الأقارب وهم يقولون

بشكل مثير للشفقة:

- ابني؟ مستحيل!

إنه يعرف سبب رغبته التحقيق في الجرائم... لأن هذا هو الشيء

الوحيد الذي كان بوسعه القيام به، الشيء الوحيد الذي عليه المساهمة به.

كان كسيدة المنزل التي تصر على الطبخ عند استيقاظ ابنها، والموسيقي

الذي يأخذ آتته الموسيقية إلى جنازة صديقه... إنها تلك الحاجة للقيام بشيء

ما كنوع من الإلهاء أو التخفيف عن النفس.

سبحت إحدى البطات باتجاهه متأملة بعض فتات الخبز... ليس لأنها

واثقة، لكن عليها أن تجرب. لقد قامت بحساب استهلاك الطاقة مقابل احتمال الحصول على مكافأة... الأمل... الجليد الأسود.
نهض هاري فجأة، وأخرج المفاتيح من جيب سترته، فقد تذكر سبب شرائه القفل من قبل... لم يكن القفل له وإنما للزلاجات السريعة... لأجل أوليغ.

تحدّث الشرطي ترولس بيرنستن باقتضاب مع المفتش في المطار. كان بيرنستن قد وافق، فقد كان يعرف أن المطار يخضع لسلطة شرطة رومرايك، وأنه لا علاقة له بالاعتقال. لكنه كمحقق في العمليات الخاصة كان يراقب الرجل المعتقل منذ أمد، وقد تم إعلامه من قبل أحد مصادره أنه تم القبض على تورد شالتز وبحوزته مواد مخدرة. أظهر بطاقة تعريفه الشخصية التي تبين أنه شرطي من الدرجة الثالثة تم توظيفه في منطقة شرطة أوصلو من قبل العمليات الخاصة وأورغكريم. هز المفتش كتفيه، وقاده إلى واحدة من زنانات الاعتقال الثلاث.

بعد أن تم صفق الباب وراء ترولس، نظر هذا الأخير حوله ليتأكد من أن الممر والزنانتين الآخرين فارغة، ثم جلس على غطاء المرحاض ونظر إلى السرير الصغير والرجل الذي دفن رأسه بين يديه.

- هل أنت تورد شالتز؟

رفع الرجل رأسه. كان قد خلع سترته، ولولا الشرائط على قميصه لما تمكن بيرنستن من معرفة أنه الطيار الرئيس. لا ينبغي أن يبدو الطيار هكذا... لا ينبغي أن يبدو خائفاً وشاحباً وحدقتا عينيه كبيرتان وسوداوان من هول الصدمة. لكن معظم الناس يبدون هكذا حين يشعرون بالخوف لأول مرة. استغرق الأمر فترة طويلة حتى تمكن بيرنستن من تحديد مكان تورد شالتز في المطار لكن ما تبقى كان سهلاً. وفقاً لستراساك السجل الإجرامي الرسمي، لم يكن لشالتز أي سجل، ولم يتعامل قط مع الشرطة، ولم تكن - وفقاً لسجلهم غير الرسمي - لديه أي علاقات معروفة مع مجتمع المخدرات.

- من أنت؟

- أنا هنا بالنيابة عن الناس الذين تعمل لصالحهم يا شالتز، ولا أعني بذلك الخطوط الجوية وإنما الآخرين... أتفهمني؟

أشار شالتز إلى بطاقة التعريف الشخصية المتدلّية من الحبل حول عنق بيرنستن:

- أنت شرطي. إنك تحاول خداعي.

- ستكون أخباراً جيدة لو كنت كذلك يا شالتز؛ إذ سيكون ذلك خرقاً للإجراءات، وفرصة لمحاميك لكي يطلق سراحك؛ لكننا سننتهي من هذا من دون أي محامٍ.

استمر الطيار بالتحديق بعينين محمقتين تمتصان كل الضوء الذي يمكنهما امتصاصه... أقل لمحة من التفاؤل. تنهد ترولس بيرنستن، فقد كان يأمل أن ما سيقوله سيتم استيعابه.

- أتعلم من هو الحارق؟

توقف بيرنستن بانتظار إجابة:

- إنه شخص يخرب قضايا الشرطة، ويضمن أن يتلوث الدليل أو يختفي، وأن تحصل أخطاء في الإجراءات القانونية؛ مما يمنع القضية من الوصول إلى المحكمة، أو أن تحصل عثرات يومية خلال الاستجواب؛ مما يسمح للمشتبه به بالخروج حراً. أتفهم؟

رمش شالتز مرتين ثم هز رأسه ببطء.

قال بيرنستن:

- عظيم. الوضع هو أننا رجلان في سقوط حر ومعنا مظلة واحدة، وقد قفزت من الطائرة لإنقاذك، لكن يمكنك في الوقت الحالي أن تؤجل امتنانك لي؛ إلا أن عليك الثقة بي مائة بالمائة، وإلا سنرتطم كلانا بالأرض. مفهوم؟

المزيد من الرمش. من الواضح أنه غير مفهوم.

- كان هناك شرطي ألماني حارق يعمل لحساب عصابة من الألبانيين من كوسوفو الذين يستوردون الهيرويين عن طريق البلقان. كانت المخدرات تنقل بالشاحنات من حقول الأفيون في أفغانستان إلى تركيا، ثم يتم نقلها عبر يوغوسلافيا إلى أمستردام، حيث ينقلها الألبان إلى الدول الإسكندنافية. كانوا يعبرون الكثير من الحدود، ويدفعون للكثير من الناس؛ ومن بينهم هذا الحارق. وفي أحد الأيام، تم القبض على ألباني بحوزته عبوة مليئة بالأفيون الخام، ولم تكن الكتل ملفوفة. تم احتجازه، وفي اليوم نفسه، اتصل الألبانيون بحارقهم الألماني الذي توجه إلى الشاب وشرح له أنه حارقه، وأن بإمكانه الاسترخاء الآن إذ سيسوون الوضع. أخبره الحارق أنه سيعود في اليوم التالي، وسيخبره بالتصريح الذي عليه قوله للشرطة، وكل ما عليه فعله في الوقت الحالي هو البقاء صامتاً. لكن هذا الشاب الذي تم القبض عليه متلبساً لم يكن قد دخل السجن من قبل، وكان قد سمع الكثير من القصص حول الانحناء في حمام السجن للحصول على الصابون. في كل الأحوال، انهار تماماً من أول استجواب، ووشى بالحارق أملاً بالحصول على معاملة أفضل من القضاء. وهكذا، وضعت الشرطة جهاز تنصت خفياً في الزنزانة للحصول على دليل ضد الحارق؛ لكن الشرطي الفاسد لم يظهر كما

هو متفق عليه، ثم وجدوه بعد ستة أشهر مقطعاً ومرمياً في حقل توليب.
إنني ابن المدينة، لكنني سمعت أن الجثث تشكل سماداً جيداً.
توقف بيرنستن ونظر إلى الطيار وهو ينتظر السؤال المعتاد.
جلس الطيار مستقيماً على السرير بعد أن استعاد وجهه لونه
الطبيعي ثم سعل:

- لماذا؟ ممم... الحارق؟ لم يكن الشخص الذي وشى.
- لأنه لا توجد عدالة ياشالتز. هناك حلول ضرورية لمشاكل عملية.
الحارق الذي كان سيخرب الدليل أصبح دليلاً بحد ذاته؛ فقد تم كشفه،
وفي حال قبضت عليه الشرطة فسيقود المحققين إلى ألباني كوسوفو. وبما
أنه لم يكن واحداً من إخوتهم وإنما مجرد شرطي فاسد فمن المنطقي
القضاء عليه. وقد كانوا يعرفون أن قتل هذا الشرطي لن يكون أمراً ذا
أولوية بالنسبة للشرطة؛ فالحارق قد تلقى عقوبته، والشرطة لا تبدأ بتحقيق
يكون الهدف الوحيد منه إعلام الرأي العام بفساد الشرطة. صحيح؟
لم يجب شالتز.

انحنى بيرنستن للأمام وتكلم بحدة:

- لا أريد أن يتم العثور علي في حقول التوليب ياشالتز. طريقتنا
الوحيدة للخروج من هذا المأزق هي أن نثق ببعضنا... مظلة واحدة...
أفهمني؟

سعل الطيار:

- ماذا عن ألباني كوسوفو؟ هل تم تخفيف عقوبته؟
- من الصعب معرفة ذلك، فقد تم العثور عليه معلقاً على جدار
في زنزانته قبل وصول القضية للمحكمة. كان أحد ما قد حطم له رأسه
بالمشجب.

عاد الشحوب إلى وجه الطيار.

- تنفس ياشالتز.

كان هذا أكثر ما يحبه بيرنستن في عمله... الشعور بأنه مسؤول ولو
لمرة.

اتكأ شالتز إلى الخلف، وأسند رأسه على الجدار، وأغمض عينيه:

- وإذا رفضت مساعدتك واعتبرت أنك لم تأت إلى هنا؟
- لن يتم الأمر. لا أنا ولا مدير عملك نريدك في قفص الشهود.
- أتقصد أنه ليس لدي خيار؟
ابتسم بيرنستن وقال جملة المفضلة:

- لم يعد لديك أي خيار منذ زمن بعيد يا شالتز.

ملعب فالي هوفين واحة صغيرة من الإسمنت وسط المروج الخضراء والأشجار والحدائق وأحواض الزهور في الشرفات. في الشتاء، يتم استخدام المضمار كحلبة تزلج. أما في الصيف فيصبح مكاناً لإقامة الحفلات الكبيرة لعمالقة الفرق مثل رولينغ ستونز وبرينس وبروس سبرينغستين. وكانت راكيل قد أقنعت هاري ذات يوم بالذهاب معها لمشاهدة يو 2 على الرغم من أنه كان دائماً يحب النوادي ويكره حفلات الملاعب. وفي ما بعد، صارت تهزأ منه بأنه ضمناً متعصب للموسيقى لكنه لا يصرح بذلك خجلاً. لكن فالي هوفين كان في معظم الأحيان مهجوراً ومتروكاً كمصنع مهجور كان يصنع منتجاً لم يعد أحد يستخدمه. كانت فضلى ذكريات هاري عن هذا المكان هي رؤيته أوليغ وهو يتدرب على الجليد؛ حيث كان يجلس ويشاهده وهو يبذل قصارى جهده ويكافح ويفشل ويفشل ثم ينجح. لم تكن إنجازاته عظيمة؛ كان الثاني في بطولة النادي لفتته العمرية، لكن ذلك كان أكثر من كافٍ لجعل قلب هاري يطير فرحاً، لكنه تظاهر باللامبالاة لئلا يجرح كليهما:

- ليس سيئاً يا أوليغ.

نظر هاري حوله... ما من أحد هنا، ثم أدخل مفتاح فيغ في قفل باب غرفة تغيير الملابس تحت المدرجات. في الداخل، كان كل شيء على حاله؛ باستثناء كونه أكثر اهتراء. كانت هناك بعض الفضلات على الأرض؛ كما لو أن أحداً لم يأت إلى هنا منذ زمن... إنه مكان يمكنك الاختلاء فيه بنفسك. مشى هاري بين الخزانات التي كان معظمها غير مقفل حتى وجد ما يبحث عنه... قفل آباس.

دفع طرف المفتاح إلى داخل الشق لكنه لم يدخل... تباطأ.

استدار هاري، وبدأت عيناه تتفحصان الخزائن الحديدية، ثم توقف وتوجه إلى قفل آخر من نوع آباس، فوجد دائرة محفورة في الطلاء الأخضر... الحرف "O".

كان أول ما رآه هاري حين فتح الخزانة زلاجتي أوليغ بشفرائهما الطويلة والرفيعة.

وفي الجهة الداخلية لباب الخزانة، كانت هناك صورتان عائليتان تظهر إحداهما خمسة وجوه... إذ يظهر فيها طفلان ومن افترض أنهما الوالدان. لم يكونوا مألوفين، لكن الطفل الثالث كان مألوفاً؛ لأنه رآه في صور أخرى...

صور مسرح الجريمة.

كان الشاب الوسيم... غاستو هانسن.

تساءل هاري إن كان المظهر الوسيم هو السبب، أو إحساسه الفوري أن غاستو هانسن لا ينتمي للصورة، أو بدقة أكبر لا ينتمي للعائلة.

يمكن قول الشيء نفسه عن الرجل الطويل الأشقر الذي يجلس وراء المرأة ذات الشعر الأسود وابنها في الصورة الثانية. كانت الصورة قد التقطت في يوم خريفي قبل عدة سنوات؛ حيث ذهبوا للمشبي في هولمكولفن، وشقوا طريقهم بين أشجار النباتات البرتقالية. حينها، وضعت راكيل الكاميرا على صخرة وضغطت زر التوقيت الزمني.

أهذا هو بالفعل؟ لا يذكر أنه كانت لديه مثل هذه الملامح اللطيفة. توهجت عينا راكيل، وتخيل أنه يمكنه سماع ضحكتها... الضحكة التي يحبها، والتي لم يمل منها يوماً... والتي حاول دائماً تذكرها. كانت تضحك مع الآخرين أيضاً، لكنها معه ومع أوليغ كانت تستعمل ضحكة مختلفة لا تستعملها إلا معهما.

فتش هاري باقي الخزانة.

كانت هناك كنزة بيضاء ذات حواف زرقاء فاتحة ليست من النوع الذي يلبسه أوليغ، فقد كان يرتدي ستراً قصيرة وكنزات سوداء مزخرفة بأسماء سليبر وسليبنوت. شم هاري الكنزة، فوجد عطراً خفيفاً أنثوياً. كما كان هناك كيس من النايلون على رف القبة ففتحه، وبنفس واحد عرف ما فيه... عدة مدمن المخدرات؛ إذ توجد فيه حقنتان وملعقة وعصبة مطاطية وولاعة وبعض القطن، ولم تكن تنقصها سوى جرعة المخدر. كان هاري على وشك إعادة الكيس حين وجد شيئاً قميصاً في مؤخر الخزانة باللونين الأحمر والأبيض. أخذه فوجده قميص كرة قدم مع عبارة على الصدر... طيران الإمارات... أرسلال.

نظر إلى الصورة... إلى أوليغ... لكنه كان مبتسماً... مبتسماً كما لو أنه كان يظن - على الأقل حينها - أن هناك ثلاثة أشخاص جالسين هناك ومتفقين على أن هذا أمر رائع، وأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنا هكذا نريد الأمور. لذا، لِمَ قد يتغير الأمر؟

"كما كنت تكذب دائماً حين تقول إنك ستكون إلى جانبنا".

أزال هاري الصورتين عن باب الخزانة ووضعهما في جيبه.

وحين خرج، كانت الشمس قد نزلت وراء حافة أوليرن.

أترى أي أنزف يابابا؟ إني أنزف دمك السيئ ودمك أنت أيضاً
يا أوليغ. كان من المفترض أن تفرع أجراس دار العبادة في جنازتك أنت...
ألعنك وألعن اليوم الذي التقيت فيه. كنت تحضر احتفالاً لفرقة غبية في
مدرج سيكتروم... جوداس بريست حيث كنت أتجول في الأرجاء وانضمت
إلى حشد من الناس الخارجين من المكان. قلت:

- واو... قميص رائع. من أين أحضرته؟

نظرت إلي نظرة غريبة:

- أمستردام.

- رأيت جوداس بريست في أمستردام؟

- لِمَ لا؟

لم أكن أعرف شيئاً عن جوداس بريست، لكنني على الأقل قمت
بعمل جاد وعرفت أنها فرقة وليست شخصاً، وأن اسم المغني الرئيس هو
روب ولا أدري ما هو لقبه.

- عظيم. بريست رائعة.

تشنجت للحظة، ونظرت إلي بتركيز كحيوان التقط رائحة خطر أو
فريسة أو شريك صراع، أو في حالتك رائحة صديق حميم؛ لأنك كنت
تحمل وحدتك كمعطف مبلل وثقيل يا أوليغ، وكنت تمشي بظهر منحنٍ
وتجر قدميك. وأنا اخترتك بالتحديد بسبب وحدتك. قلت لك إنني سأشتري
لك الكولا إن أخبرتني عن فرقة أمستردام.

وهكذا بدأت تحكي لي عن جوداس بريست، والحفل في قاعة هينكين
للموسيقى قبل سنتين، وعن الصديقين اللذين يبلغان الثامنة عشرة والتاسعة
عشرة من العمر، واللذين أطلقا النار على نفسيهما بعد الاستماع لتسجيل
لفرقة بريست مع رسالة خفية تقول: "افعلها". لكن أحدهما نجا. وبعد
عشرين دقيقة، كنت قد تكلمت الكثير حول القوطيين والموت، حيث حانت
الفرصة لإدخال المخدرات إلى المحادثة.

- دعنا نستمتع قليلاً يا أوليغ ونحتفل بهذا اللقاء بين العقول

المتشابهة. ما رأيك؟

- ما الذي تعنيه؟

- أعرف بعض الناس المرحين الذين يدخنون قليلاً في المنتزه.

- حقاً؟

كنت مليئاً بالشكوك.

- ليس من النوع الثقيل وإنما من النوع الخفيف فقط.
 - أنا لا أفعل هذا... آسف.
 - تَباً... ولا أنا. يمكننا تدخين الغليون... أنا وأنت كما يفعل روب.
 - توقف أوليغ فاتحاً فمه:
 - روب؟
 - نعم.
 - روب هالفورد؟!
 - بالتأكيد. مخدراته تأتي من الشخص نفسه الذي سأشتري منه الآن.
- هل معك أي نقود؟

قلت ذلك بأسلوب عادي للغاية لكي لا يبقى أي مجال للشك في العينين الجادتين اللتين ثبتهما علي.

- هل يدخن روب هالفورد الحشيش؟

ناولتني الخمسمائة كرونر التي طلبتها، ثم طلبت منك الانتظار، ونهضت مغادراً باتجاه جسر فاترلاند. وحين ابتعدت انعطفت يمينا، ومشيت ثلاثمائة متر باتجاه محطة أوسلو المركزية؛ حيث وصلت إليها خلال دقائق وأنا أظن أن هذه آخر مرة سأراك فيها يا أوليغ فوك الغبي.

ولم أدرك أنني مخطئ إلا حين كنت أجلس في نفق تحت المنصات مع غليون في فمي ورأيتك فوق رأسي من دون أن تنبس ببنت شفة، ثم انحيت وانزلقت بجواري ومددت لي يدك. أعطيتك الغليون فتنشقته ثم مددت لي يدك الأخرى:

- باقي النقود.

وهكذا تشكل فريق غاستو وأوليغ. ففي كل يوم، بعد انتهائك من كلاس أوهلسون حيث تقوم بعمل صيفي هناك، كنا نتجه إلى مركز المدينة، إلى المنتزهات حيث نستحم في المياه القذرة في منتزه ميدلادير ونشاهدهم وهم يبنون جزءاً جديداً من المدينة حول دار الأوبرا.

أخبرنا بعضنا عن جميع الأشياء التي سنفعلها، وعن الأماكن التي سنزورها، وعن التدخين وشم كل شيء يمكننا شراؤه بالنقود التي تجنيها من عملك الصيفي.

أخبرتك عن الرجل الذي يرعاني، وكيف طردني لأن زوجته معجبة بي. وأنت أيضاً يا أوليغ تكلمت عن رجل كانت أمك معه... عن شرطي يدعى هاري ادعيت أنه كان من الطراز الأول... وأنه شخص يمكنك الثقة به...

لكن شيئاً سيئاً حصل... أولاً بينه وبين أمك، ثم تورطت في جريمة قتل كان يعمل عليها، وعندها انتقلت أنت وأمك إلى أمستردام. قلت لك حينها إن الرجل قد يكون من الطراز الأول فعلاً لكن هذا تعبير سخيف، في حين قلت لي إن تعابيري أسخف. وقد سألتني عن سبب تكلمي هذه اللغة الزوجية المبتذلة؛ فأنا لست من الجانب الشرقي في أوصلو. قلت إن المبالغة مجرد مبدأ لدي؛ لأنها تؤكد على نقطة. ثم طلعت الشمس وكنت أظن أن هذا أفضل شيء يقوله عني أحد ما.

شحننا المال عند بوابة كارل جوهانس لمجرد التسلية، وسرقت لوح تزلج من رادها سبلاسين وقايضت به مقابل الحشيش في جيربانايتورغيت بعد نصف ساعة. ركبنا القارب إلى هوفيدويا، وسبحنا وتسكعنا وشربنا. أرادت بعض الفتيات أن أنضم إليهن على يخت والدهن، بينما غطست أنت من على ظهر المركب، ثم ركبنا قطار الأنفاق إلى إكبرغ لرؤية غروب الشمس، حيث كان هناك مدرب كرة قدم من ترونديلاغ، فاحتلنا عليه، وأخذنا منه ألف كرونر وهربنا. كم ضحكنا حينها ونحن نتذكر تعابير وجهه!

ذلك الصيف لم ينقض قط... ثم انتهى في النهاية؛ حيث أنفقنا آخر مرتب لك على الماريجوانا التي دخنّاها في سماء الليل الفارغة والشاحبة. قلت إنك ستعود إلى المدرسة وتحصل على درجات عالية وتدرس الحقوق كأموك، ثم ستلتحق بعد ذلك بكلية الشرطة اللعينة! ضحكنا كثيراً حتى اغرورقت عيوننا بالدموع.

لكن حين بدأت المدرسة لم أعد أراك كثيراً. كنت تعيش في هولمنكولفن ريدج مع أمك، بينما كنت مرمياً على فرشة في غرفة تدريبات فرقة اعتبرت أن وجودي جيد طالما أنني أحرس معداتها وأبقى بعيداً أثناء التمرين. لذا، فقدت الأمل منك حيث ظننت أنك مرتاح في حياتك التقليدية الصغيرة، وفي ذلك الحين بدأت بالاتجار بالمخدرات.

حصل الأمر بمحض الصدفة، حيث سرقت امرأة كنت أقيم معها، ثم توجهت إلى محطة أوصلو المركزية وسألت توتو إن كان معه أي آيس. كان توتو يتأثّر قليلاً، كما كان خاضعاً لسلطة أودين رئيس لوس لوبوس في ألنابرو. كان قد حصل على اسمه منذ أن قام أودين - الذي كان بحاجة لغسيل حقيبة من الأموال التي جناها من المخدرات - بإرسال توتو إلى وكيل مراهنات حكومي في إيطاليا للمراهنة على مباراة كان أودين يعلم أن نتيجتها ملفقة. كان من المفترض أن يربح الفريق المضيف بنتيجة 2-0، وكان كل شيء هادئاً وعلى ما يرام؛ باستثناء توتو الذي كان قد رأى للتو

على قصاصة المراهنة أنه قد راهن بنتيجة 2-2. كان يعلم أن أودين سيطلق النار على ركبتيه، ثم جاءت نقطة التحول الثانية. كان على المقعد البعيد لاعب مقدمة بولندي، كانت لغته الإيطالية سيئة كلغة توتو الإنكليزية، لذا لم يستوعب أن عليهم خسارة المباراة. وحين أنزله المدير إلى الملعب لعب بشكل جيد، كما ظن أنهم يدفعون له ليلعب جيداً وسجل هدفين مما أنقذ توتو. لكن، حين هبط توتو في أوصلو في تلك الليلة، وتوجه مباشرة إلى أودين لإخباره بضربة الحظ التي فعلها خذله حظه، فقد بدأ بخبر أنه أخطأ ووضع النقود على النتيجة الخطأ. وبما أنه كان يتأثر كثيراً فقد نفذ صبر أودين، وسحب مسدسه من الدولاب، وأطلق الرصاص على ركة توتو قبل أن يصل إلى النقطة المتعلقة بضربة الحظ.

في كل الأحوال، في ذلك اليوم في محطة أوصلو المركزية، قال لي توتو إنه لم يعد معه أي آيس، وإنه يمكنني الحصول على بعض البودرة التي كانت أرخص وتتكون من الميتمافيتامين لكنني لا أحبها. الآيس يتكون من بلورات بيضاء جميلة تنعش رأسك، لكن القذارة الصفراء التي تحصل عليها في أوصلو مخلوطة بمسحوق الخبز والسكر المكرر والأسبيرين والفيتامين ب12 أو مسكن ألم طعمه كطعم المخدر. لكنني اشتريته بسعر مخفض نوعاً ما، وبقي معي القليل من النقود. وبما أن الأمفيتامين غذاء صحي وغير مغشوش بالمقارنة مع الميث، وإنما بمفعول أبطأ، فقد تنشقت بعض السبيد وخففت الميث بالمزيد من مسحوق الخبز وبعته في بلاتا بسعر رائع.

في اليوم التالي، عدت إلى توتو وكررت الأمر؛ حيث تنشقت بعضه، وخففت الباقي وبعته، وكذلك في اليوم الذي تلاه، لكنني قلت له إنني سأخذ المزيد إن خفض لي السعر فضحك. وحين عدت إليه في اليوم الرابع، قال توتو إن رئيسه يظن أن علينا العمل على أساس متفق عليه، فقد رأوني وأنا أبيع وأحبوا ما رأوه. إذا بعت دفعتين في اليوم فهذا يعني خمسة آلاف صافية. وهكذا أصبحت تاجراً في الشارع أعمل لمصلحة أودين ولوس لوبوس. كنت أحصل على البضاعة من توتو في الصباح، وأعيد ما جنيته خلال النهار مع أي بقايا في تمام الساعة الخامسة؛ لكن لم تكن هناك أي بقايا في أي يوم.

كانت الأمور تسير على ما يرام لمدة ثلاثة أسابيع. وفي أحد أيام الأربعاء، على رصيف ميناء فيبيتانغن، كنت قد بعت دفعتين وكانت جيوبي مليئة بالنقود وأنفي مليئاً بالسبيد حين لم أجد أي سبب للقاء توتو في المحطة. وبدلاً من ذلك، أرسلت له رسالة نصية قلت له فيها إنني ذاهب

في إجازة، وقفزت على متن القارب المتجه إلى الدانمارك. هذا هو نوع الغشيان الذي يصيبك حين تتعاطى المخدرات كثيراً ولفترة طويلة. وعند عودتي سمعت شائعات عن أن أودين يبحث عني؛ مما أخافني قليلاً، وخاصة لأنني أعرف كيف حصل توتو على اسمه. لذا بقيت متخفياً وبقيت بالقرب من غرونلوكا منتظراً يوم الحساب. لكن أودين كان لديه ما يهمه أكثر من مجرد تاجر يدين له ببضعة آلاف، فالمنافسة قد احتدت في المدينة. والرجل من دبي لم يكن يعمل في سوق الحشيش وإنما الهيرويين التي كانت أهم من أي شيء آخر بالنسبة للوس لوبوس. يقول بعضهم إنه من الروس البيض، بينما يقول الآخرون إنه من ليتوانيا، ويقول غيرهم إنه باكستاني نروجي. لكن الجميع اتفقوا على أنه تنظيم احترافي لا يخشى أحداً، ومن الأفضل أن تعرف الكثير على أن تعرف القليل. كان خريفاً تافهاً.

كنت قد أفلست منذ أمد، ولم يعد لدي عمل، كما كنت مضطراً للبقاء متخفياً. وجدت مشترياً لتجهيزات الفرقة الموسيقية في بيسبيغاتا وأقنعتة أنها لي فأنا أعيش هناك. وكانت المشكلة الوحيدة هي الاتفاق على وقت أخذها. وعندها ظهرت منقذتي إيرين... إيرين الجميلة والمليئة بالنمش. كان ذلك في صباح أحد أيام أكتوبر، وكنت مشغولاً مع بعض الشباب في منتزه سوفينبرغ حين أتت ودموع الفرح في عينيها. سألتها إن كانت معها أي نقود فلوحت لي ببطاقة ائتمان... بطاقة أبيها رولف. توجهنا إلى أقرب صراف آلي وأفرغت حسابه. في البداية، لم تقبل إيرين بذلك، لكنني حين شرحت لها أن حياتي تتوقف على ذلك عرفت أنه من المفترض القيام بذلك. توجهنا إلى أوليمبن، وتناولنا الطعام والشراب، واشترينا بضعة غرامات من السبيد وعدنا إلى البيت في بيسبيغاتا حيث أخبرتني أنها تشاجرت مع أمها فباتت معي تلك الليلة. وفي اليوم التالي، أخذتها معي إلى المحطة، حيث كان توتو يجلس على دراجته النارية ويرتدي سترة جلدية على ظهرها رأس ذئب، وقد أطال لحيته قليلاً، ووضع وشاحاً كوشاح القراصنة حول رأسه بينما برزت الوشوم من تحت ياقة قميصه؛ لكنه بدا كمخادع متزلف. كان على وشك القفز والركض ورائي حين أدرك أنني متجه نحوه، فأعطيته العشرين ألفاً التي أدين له بها، بالإضافة إلى خمسة آلاف كفائدة... وقلت له: شكراً على إقراضي نقود الإجازة، وأتمنى أن نفتح صفحة جديدة. اتصل توتو بأودين وهو ينظر إلى إيرين... استطعت أن أرى ما يريده، ثم نظر إلي ثم إلى إيرين مجدداً... إيرين الشاحبة والجميلة

والمسكينة.

- يقول أودين إنه يريد خمسة أخرى، وإلا فإن معي أوامر
بضررررر.

أخذ نفساً عميقاً.

أكملت:

- بضربي.

- على الفور.

- حسناً... سأبيع دفعتين لك اليوم.

- عليك أن تدفع ثمنهما.

- هيا. يمكنني بيعهما خلال ساعتين.

نظر إلي توتو وهز رأسه نحو إيرين التي كانت تقف في أسفل
درجات جيربانييتورغيت منتظرة:

- ماذا عنها؟

- ستساعدني.

- الفتيات بارعات في البيع. هل تتعاطى المخدرات؟

- ليس بعد.

قال توتو وهو يكشر عن فم خالٍ من الأسنان:

- أهي لصة؟

عددت نقودي... آخر ما معي... دمي يسيل مني.

بعد أسبوع، إلى جانب مقهى إلم ستريت روك وقف شاب أمامي

وأمام إيرين.

قلت وأنا أقفز عن الجدار:

- رحبي بأوليغ... رحب بأختي ياأوليغ.

ثم تعانقنا. شعرت أنه لم يخفض رأسه، وإنما كان ينظر من فوق

كتفي إلى إيرين، ومن فوق سترته الجينز أحسست بنبضات قلبه تتسارع.

جلس الشرطي بيرنستن واضعاً قدميه على طاولة المكتب وسماعة
الهاتف على أذنه، حيث اتصل بمركز الشرطة في ليلستروم في منطقة شرطة
رومرايك، وعرف عن نفسه باسم توماس لاندر مساعد مختبر في كريبوس.
وقد أكد الشرطي الذي يتحدث إليه أنهم تلقوا كيساً مما يفترض أنه
هيرويين من مطار غاردموين، فقد كانت الإجراءات المتبعة أن يتم إرسال

جميع العقارات المصادرة لتخضع للتدقيق في مختبرات كريبوس في برين في أوصلو، حيث تقوم عربة بجمعها مرة في الأسبوع من جميع مناطق الشرطة في أوستلاند، أما المناطق الأخرى فتُرسل المواد عبر مراسليها.

قال بيرنستن وهو يعث ببطاقة التعريف الشخصية المزيفة التي توجد عليها صورة توماس لندر في كريبوس وتوقيعه:

- جيد. سأمر على ليلستروم في كل الأحوال، لذا سأحضر الكيس إلى برين لأننا نرغب بفحص مثل هذه الكمية الكبيرة في الحال. حسناً... أراكم غداً.

أنهى الاتصال، ونظر من النافذة إلى المنطقة الجديدة حول بيورفيكا التي ترتفع عالياً، وفكر في جميع التفاصيل الصغيرة: حجم البراغي، والخيوط، ونوعية الإسمنت، ومرونة الزجاج، وكل التفاصيل الأخرى، وأحس برضى بالغ لأن هذه المدينة رائعة.

ارتفعت الجذوع النحيلة والطويلة لأشجار الصنوبر إلى تنورة الأوراق الخضراء التي ألفت ظللاً سديمية في المساء على الحصى أمام المنزل. وقف هاري في أعلى الطريق يجفف عرقه بعد أن تسلق التلال الشاهقة من هومليندامن، ويراقب المنزل المظلم. كانت الغابات الكثيفة المظلمة تعبر عن التماسك والأمان وتبدو كحاجز. لم يكن ذلك كافياً، فاليوت المجاورة كبيرة وغير مصقولة ومنفصلة وتخضع لتحسينات وتوسعة مستمرة. كان أويستن-الذي سماه "أو" في قائمة جهات الاتصال في هاتفه - قد قال إن الغابات المتشابكة كانت تعبيراً عن سعي البرجوازيين وراء الطبيعة والبساطة والصحة. أما ما رآه هاري فكان عائلة مريضة ومنحرفة، محاصرة من قاتل متسلسل لكنها اختارت الحفاظ على المنزل.

مشى هاري نحو الباب ورن الجرس.

صدرت أصوات خطوات ثقيلة من الداخل، وأدرك هاري أنه كان ينبغي عليه الاتصال أولاً.

فتح الباب.

كانت لدى الرجل الواقف أمامه غرة شقراء كانت كثيفة في شبابه، وقد جنت له مكاسب بالطبع، وبالتالي أبقاها حتى عندما تقدم في السن؛ أملاً في أن النسخة الأكثر سوءاً ستبقى لها ميزات. كان الرجل يرتدي قميصاً أزرق فاتحاً من النوع الذي خمن هاري أنه قد ارتداه أيضاً في شبابه.

قال الرجل:

- نعم؟

كانت تعابيره تدلّ على الودّ، وعيناه تبدوان كما لو أنهما لم تلاقيا سوى الود. وكان هناك لاعب بولو صغير مطرز على جيب الصدر.

أحس هاري بحنجرته تجف، وألقى نظرة على لوحة الاسم تحت

الجرس.

راكيل فوك.

لكن الرجل ذا الوجه الضعيف الجذاب كان يقف هناك فاتحاً الباب

كما لو كان باب بيته. عرف هاري أن أمامه العديد من الخيارات لمنورة افتتاحية عظيمة، لكن خياره كان:

- من أنت؟

أظهر الرجل الواقف أمامه تعابير لم يتمكن هاري يوماً من القيام
بمثلها؛ فقد عبس وابتسم في اللحظة نفسها... كما لو أن الرجل ذا الشأن
يتسلى بصفاقة الرجل الوضيع.

- بما أنك في الخارج وأنا في الداخل، فقد يبدو من الطبيعي أكثر
أن تقول لي أنت من أنت وما تريده.

قال هاري وهو يتثاءب... بالطبع يمكنك إلقاء اللوم في ذلك على
الاضطراب الناجم عن الرحلات الجوية الطويلة:

- كما تحب. أنا هنا لأتكلم مع السيدة المكتوب اسمها قرب زر
الجرس.

- ومن أنت؟

قال هاري وهو يتحقق من ساعة يده:

- اسمي هاري، وقد أتيت من هونغ كونغ. أين هي؟

قوس الرجل حاجبيه:

- أنت هاري؟

- بما أنه كان واحداً من أقل الأسماء شيوعاً في النروج خلال
السنوات الخمسين الماضية فيمكنك الافتراض أنني هاري.

تفحص الرجل هاري وهو يهز رأسه ويبتسم ابتسامة خفيفة؛ كما لو
أن ذهنه يسترجع المعلومات التي تلقاها عن الشخصية الواقفة أمامه، لكن
من دون أي رد فعل يشير إلى ما إذا كان سيتحرك من عند الباب أو
يجيب عن أي من أسئلة هاري.

قال هاري:

- إذاً؟

- سأخبرها أنك أتيت إلى هنا.

كانت قدم هاري سريعة، فقام بطريقة فطرية بضرب أسفل قدمه
على الباب بدلاً من أعلى الحذاء. كانت هذه إحدى الخدع التي تعلمها في
عمله الجديد. نظر الرجل إلى قدم هاري ثم إليه لتختفي التسلية. كان
على وشك قول شيء ما... عبارة مدمرة قد تعيد له السيطرة، لكن هاري
عرف أنه سيغير رأيه حين يرى النظرة على وجهه، والتي تجعل الناس
يغيرون آراءهم.

قال الرجل:

- من الأفضل...

توقف ورمش... انتظر هاري الارتباك والتردد والتراجع... رمش مرة

ثانية... سعل الرجل:

- ليست هنا.

وقف هاري بـثبات، تاركًا الصمت يخيم لثانيتين... لثلاث ثوانٍ.

- أنا... لا أعرف متى ستعود.

لم تتحرك أي عضلة في وجه هاري، بينما تحول وجه الرجل من تعبير لآخر؛ كما لو أنه يبحث عن تعبير مناسب ليختبئ خلفه، وانتهى به الأمر بما بدأ به... التعبير الودود.

- اسمي هانز كريستيان. أعتذر عن كوني سلبياً إلى هذه الدرجة، لكن كان هناك الكثير من التساؤلات الغريبة حول القضية، ومن الضروري لراكيل أن ترتاح الآن. أنا محاميها.

- محاميها!

- محاميها... محاميها ومحامي أوليخ. أترغب بالدخول؟

هز هاري رأسه.

على طاولة غرفة الجلوس كانت هناك أكوام من الورق، فتوجه هاري إليها مباشرة... كانت مستندات متعلقة بالقضية... تقارير. أشار ارتفاع الكومة إلى أنهما لم يفترا في بحثهما.

سأل هانز كريستيان:

- أيمكنك أن تخبرني بما جاء بك إلى هنا؟

بحث هاري في الأوراق... اختبارات حمض نووي... إفادات شهود، ثم

أجاب:

- حسناً... أيمكنك؟

- أيمكنني ماذا؟

- لماذا أنت هنا؟ أليس لديك مكتب حيث يمكنك الإعداد للدفاع؟

- راكيل تريد المشاركة، فهي محامية. اسمعني يا هول... أنا أعرف

جيداً من أنت، وأعرف أنك كنت مقرباً من راكيل وأوليخ، لكن...

- وكم أنت مقرب بالتحديد؟

- أنا؟

- نعم. يبدو كما لو أنك تتحمل مسؤولية رعايتهما بالكامل.

تجاهل هاري ما بدا في صوته، وعرف أنه قد كشف عما بداخله،

وعرف أن الرجل يراقبه بذهول، وعرف أنه قد فقد السيطرة.

قال هانز كريستيان:

- أنا وراكيل صديقان قديمان، فقد ترعرعنا بالقرب من هنا، ودرسنا

معاً و... حسناً... حين تمضي أجمل أيام حياتك مع شخص آخر فستكون هناك روابط بينكما بالطبع.

هز هاري رأسه، فقد كان يعلم أن عليه إبقاء فمه مغلقاً، ويعلم أن كل ما سيقوله سيزيد الوضع سوءاً.

- ممم... مع وجود مثل هذا الروابط، من الغريب أنني لم أرك أو أسمع عنك حين كنت مع راكيل.

لم يستطع هانز كريستيان الإجابة، فقد فُتِحَ الباب ودخلت. أحس هاري بقبضة تعصر قلبه.

كان قوامها لا يزال نفسه؛ فهو نحيل ومنتصب. ووجهها نفسه أيضاً... على شكل قلب، مع عينين بنيتين وفم واسع يحب الضحك كثيراً. والشعر نفسه كذلك... فهو طويل، لكنه أصبح أفتح بقليل. لكن العينين تغيرتا وأصبحتا عيني حيوان مطارد... فهما متسعتان وجامحتان. لكنها حين رأت هاري عاد شيء إليهما... شيء من الشخص الذي كانت عليه... شيء مما كانتا عليه.

- هاري.

ومع صوتها عاد ما تبقى... عاد كل شيء.

خطا خطوتين طويلتين وأمسكها بين ذراعيه... رائحة شعرها... أصابعها على ظهره. ابتعدت أولاً، فتراجع خطوة ونظر إليها:

- تبدين بحالة جيدة.

- وأنت أيضاً.

- كاذبة.

ابتسمت بسرعة، بينما اغرورقت عيناها بالدموع.

بقيا واقفين هكذا، وتركها هاري تتفحصه وتتمعن بوجهه المتقدم بالسن بنديته الجديدة.

- هاري.

رددت، ثم أمالت رأسها وضحكت. ارتعشت الدمعة الأولى على رموشها، وسقطت على بشرتها الناعمة.

في مكان ما من الغرفة، سعل الرجل الذي يرتدي قميصاً عليه لاعب بولو، وقال شيئاً عن أنه سيذهب إلى اجتماع.

ثم بقيا بمفردهما.

بينما كانت راكيل تعد القهوة رأى نظراتها ثابتة على إصبعه المعدنية،

لكن أحداً منهما لم يتفوه بأي تعليق. كان هناك اتفاق غير محكي على عدم ذكر رجل الثلج، لذا جلس هاري على طاولة المطبخ، وبدأ بالكلام عن حياته في هونغ كونغ، وأخبرها بما يمكنه قوله وما يريد قوله... وهو أن العمل كاستشاري ديون في حسابات هيرمان كلوت يشمل اللقاء بالعملاء الذين توقفوا عن الدفع، وتذكيرهم بطريقة ودودة أي أن الاستشارة تشمل باختصار نصحهم بالدفع بأسرع وقت ممكن وبشكل عملي وسهل. وقال هاري إن مؤهلاته الأساسية والأهم هي أن طوله متر و92 سنتم، ولديه منكبان عريضان وعينان حمراوان وندبة جديدة.

- أشخاص متعدّدو الجنسيات، محترفون وودودون يرتدون بذلات ويضعون ربطات عنق في هونغ كونغ وتايوان وشنغهاي... فنادق مع خدمة غرف... أبنية مكاتب أنيقة... مصارف خاصة على النمط السويسري مع لمسة صينية... مصافحات غربية وعبارات مجاملة... ابتسامات آسيوية... وفي النهاية، يدفعون في اليوم التالي. هيرمان كلوت يشعر بالرضى... ونحن نفهم بعضنا. سكتب القهوة لكليهما، وجلست وهي تتنفس بعمق.

- حصلت على وظيفة في محكمة العدل الدولية في هاغ مع مكتب في أمستردام. ظننت أننا إن تركنا هذا المنزل وراءنا... هذه البلدة... كل هذا الاهتمام...

فكر هاري... وأنا أيضاً.

- ... الذكريات... فسيكون كل شيء على ما يرام. وقد كان الأمر كذلك لبرهة من الزمن. ثم بدأ كل شيء. في البداية، نوبات الغضب التي لا معنى لها. كصبي، لم يكن أوليخ يرفع صوته مطلقاً... نعم، لقد كان حانقاً لكنه لم... يكن كذلك. قال إنني دمرت حياته بإبعاده عن أوصلو... لقد قال ذلك لأنه يعرف أنه ليس لدي أي عذر، وحين بدأت بالبكاء بدأ هو أيضاً يبكي، وسألني عن سبب إبعادك عنا، فأنت أنقذتنا من... من... هز رأسه لئلا تضطر لقول الاسم.

- بدأ بالعودة إلى البيت في وقت متأخر، والقول إنه كان مع أصدقائه، لكنني لم ألتق أولئك الأصدقاء على الإطلاق. وفي أحد الأيام، اعترف لي أنه كان في مقهى في ليدسبلين ودخن الحشيش.

- أتعنين ذا بولدوغ بالاس المليء بالسياح؟

- نعم. ظننت أن ذلك جزء من تجربة أمستردام، لكنني شعرت بالخوف في الوقت نفسه، فأبوه... كما تعرف.

هز هاري رأسه... جينات أوليخ الأرستقراطية الروسية من أبيه... من

أرض دوستويفسكي.

- كان يجلس في غرفته كثيراً ويستمتع للموسيقى الصاخبة والكثيية.
حسناً... تعرف هذه الفرق...

هز هاري رأسه مجدداً.

- ولأسطواناتك أيضاً... فرانك زابا، ومايلز ديفيس، وسوبرغراس، ونيل
يونغ، وسوبرسايلنت.

ذكرت الأسماء بشكل طبيعي وسريع، لدرجة أن هاري شك في أنها
كانت تتنصت عليهما.

- وفي أحد الأيام، بينما كنت أنظف غرفته وجدت حبتين عليهما
وجهان باسمان.

- إكستاسي؟

هزت رأسها.

- بعد شهرين، تقدمت بطلب وظيفة في مكتب المدعي العام.
وحين حصلت عليها عدت إلى هنا.

- إلى أوصلو القديمة البريئة الآمنة.

هزت كتفيها:

- كان بحاجة للتغيير... لبداية جديدة... وقد أثمر ذلك إيجابياً. إنه
ليس من النوع الذي لديه الكثير من الأصدقاء كما تعرف، لكنه التقى

صديقين قديمين وأبلى بلاء حسناً في المدرسة حتى...

بدأ صوتها يرتعش.

انتظر هاري وارتشف رشفة من القهوة.

- كان يتعد لعدة أيام متواصلة، ولم أكن أعرف ما علي فعله؛

فقد كان يفعل ما يريده. اتصلت بالشرطة، وأطباء نفسيين، ومستشارين

اجتماعيين لكنه لم يكن بالغاً بعد قانونياً، لذا لم يكن هناك شيء يمكن

فعله ما لم يكن هناك دليل على تعاطي المخدرات أو خرق القانون. كنت

أشعر بالعجز... أنا! أنا التي كنت أظن أن الوالدين هما المخطئان دائماً

والتي كانت لدي دائماً حلول حين يعجز آباء الأطفال الآخرين. لا تكوئي

غير مبالية! لا تكبتي نفسك! تصرفي!

نظر هاري إلى يدها إلى جانب يده على الطاولة... الأصابع الرقيقة،

العروق الدقيقة على اليد الشاحبة المسمرة بشكل طبيعي في هذا الوقت

الباكر من الخريف... لكنه لم يطع رغباته بأن يمك يدها، فهناك عائق؛

أوليغ هو العائق.

تنهدت.

- وهكذا توجهت إلى مركز المدينة وبحثت عنه ليلة تلو الأخرى حتى وجدته. كان يقف عند زاوية تولبوغاتا، وقد سر لرؤيتي، وقال إنه سعيد؛ فقد حصل على وظيفة، وهو يتشارك شقة مع بعض الأصدقاء، لكنه بحاجة للحرية، ولا ينبغي أن أسأله الكثير من الأسئلة. كان سيسافر... كان هذا تعبيره عن سنة يجوب بها حول العالم كباقي الشبان في هولمنكولفن ريديج... يجوب حول عالم مركز مدينة أوصلو.

- ما الذي كان يرتديه؟

- ما الذي تعنيه؟

- لا شيء. استمري.

- قال إنه سيعود عما قريب، وسينهي دراسته. وهكذا، اتفقنا على أن يأتي ويتناول الغداء معي يوم الأحد.

- وهل أتى؟

- نعم. وحين غادر اكتشفت أنه دخل غرفتي وسرق صندوق مجوهراتي. كان الخاتم الذي أحضرته لي من فيستكانتورغيت في الصندوق.

- فيستكانتورغيت؟

- ألا تذكر؟

عمل ذهن هاري بسرعة قصوى... كانت هناك بعض الفجوات السوداء وبعض الفجوات المضيئة التي كتبها، وفترات كبيرة قضى عليها الشراب، كما توجد مناطق مليئة بالأشكال والألوان كاللوم الذي كانا يمشيان فيه معاً في سوق الأشياء المستعملة في فيستكانتورغيت. أكان أوليخ معهما؟ نعم، بالطبع... الصورة... المؤقت الزمني... أوراق الشجر الخريفية... أم كان ذلك في يوم آخر؟ ساروا من كشك لآخر... ألعاب قديمة... أدوات مطبخ... علب سيجار صدئة... أسطوانات مع أو بدون علب... ولاعات... وخاتم ذهبي.

بدا وحيداً هناك، لذا اشتراه هاري ووضعها في إصبعها ليمنحه موطناً جديداً كما قال لها، أو إنه قال شيئاً آخر كثرة كان يعرف أنها ستلاحظها كنوع من الخجل في إعلان مبطن عن الحب. في كل الأحوال، ضحك كلاهما على التصرف، وعلى الخاتم، وعلى كون كليهما يعرفان أن الآخر يعرف، وعلى كون كل شيء على ما يرام. فكل ما أراداه كان يمثله ذاك الخاتم الرخيص الرديء... الوعد بأن يحبا بعضهما بالشغف نفسه طالما أمكنهما ذلك، وأن يفترقا حين يتلاشى الحب. لكنها حين غادرت كان ذلك لأسباب أخرى بالطبع... أسباب أفضل. لكنها اهتمت بخاتمها الرخيص

واحتفظت به في صندوق مجوهراتها التي ورثتها عن أمها النمساوية.
سألت راكيل:

- أيمكننا الخروج قبل أن تغرب الشمس؟
- قال هاري مبتسماً:
- نعم. هيا بنا.

مشيا على الطريق المنعطف إلى قمة التلال. كانت الأشجار في الشرق حمراء وكأنها تشتعل ناراً، بينما عبث النور بالخليج؛ مما جعله يبدو كمعدن متوهج. لكن، كالمعتاد كان هاري مسحوراً بما صنعه البشر في المدينة في الأسفل... المنازل، والمنتزهات، والطرق، والرافعات، والقوارب في المرفأ، والأضواء التي بدأت تتلألأ، والسيارات، والقطارات المتسارعة، وكل الأنشطة الأخرى... والسؤال الوحيد الذي يمكن أن يسأله الإنسان الذي لديه وقت ليقف وينظر نحو الأسفل إلى النمل هو: لماذا؟
قالت راكيل:

- أحلم بالهدوء والسلام لا أكثر. ماذا عنك؟ بماذا تحلم؟
- هز هاري كتفيه:
- أجد نفسي في ممر ضيق مع كرة ثلجية قادمة باتجاهي وتدفنني.

- واو.
- حسناً. أنت تعرفيني، وتعرفين أن لدي رهاب الأماكن المغلقة.
- نحن نحلم غالباً بما نخافه أو نرغب به... الاختفاء... الدفن...
بشكل ما يؤمن لنا الأمان. أليس كذلك؟

أدخل هاري يديه في جيبيه:
- لقد دفنت تحت كرة ثلجية قبل ثلاث سنوات. دعينا نقول إن الأمر بهذه البساطة.

- إذًا، لِمَ تهرب من جميع أشباحك على الرغم من أنك ابتعدت إلى هونغ كونغ؟
- آه، بلى، لقد خفت الرحلة من الدرجة.
- حقاً؟!

- في الواقع، من الممكن وضع الأمور وراءك ياراكيل. فن التعامل مع الأشباح هو أن تتجربي على النظر إليها مطولاً وبصلابة حتى تعرفي أن هذا ما هي عليه... إنها مجرد أشباح... أشباح لا قوة لها، ولا حياة فيها.

- قالت راكيل بنبرة جعلته يدرك أنها لم تحب موضوع الحديث:
- إذًا، هل من نساء في حياتك؟
 - جاء السؤال سهلاً لدرجة لم يصدقها.
 - حسناً.
 - أخبرني.
 - كانت قد وضعت نظارتها الشمسية، فكان من الصعب عليه تقييم مدى رغبتها بالسماع. قرر هاري إجراء مقايضة إن أراد أن يسمع.
 - كانت صينية.
 - كانت؟! أهي ميتة؟
 - ابتسمت بخبث. فكر في أنها تبدو كما لو أنها بدأت تتحمس، لكنه كان يفضل أن يجدها أكثر حساسية.
 - سيدة أعمال في شنغهاي، تهتم بعملها وبشبكة معارفها وبزوجها الصيني الثري، وحين يناسبها الأمر بي.
 - بتعبير آخر، كنت تستغل طبيعتها كثيرة الاهتمام.
 - ليتني أستطيع قول ذلك.
 - حقاً؟!
 - تقوم بتحديد دقيق للزمان والمكان والكيفية. إنها تحب...
 - يكفي.
 - ابتسم هاري بتهكم:
 - كما تعرفين، نقطة ضعفي هي النساء اللاتي يعرفن ما يردنه.
 - قلت لك يكفي.
 - حسناً، فهمت.
 - استمرا بالمشي صامتين حتى قال هاري الكلمات التي تخيم عليهما:
 - ماذا عن هانز كريستيان؟
 - هانز كريستيان سيمونسين؟ إنه محامي أوليخ.
 - لم أسمع قط باسم هانز كريستيان سيمونسين وأنا أحقق بجرائم القتل.
 - إنه من هذه المنطقة. كنا في السنة نفسها في كلية الحقوق، وقد أتى وعرض علي خدماته.
 - ممم حسناً.
 - ضحكت راكيل:
 - أذكر حين دعاني مرة أو مرتين عندما كنا طالبين؛ حيث كان

يريد أن نحضر معاً دروساً في رقص الجاز.

- لا سمح الله.

ضحكت راكيل مجدداً. يا إلهي... كم كان يتوق لسماع هذه الضحكة.
وكزته:

- كما تعرف، نقطة ضعفي هي الرجال الذين يعرفون ما يريدونه.
قال هاري:

- آه، وما الذي فعلوه لك؟

لم تجب. لم تكن بحاجة لذلك. وبدلاً من ذلك، قطبت حاجبيها
الأسودين العريضين اللذين كان يربت عليهما كثيراً بإصبعه.

- أحياناً، من المهم أن يكون لديك محام متفانٍ أكثر من أن يكون
لديك محامٌ خبير يعرف النتيجة مقدماً.

- ممم... تعنين شخصاً يعرف أنها قضية خاسرة.

- أتعني أنه كان علي توكيل أحد الكادحين المنهكين العجائز.

- في الواقع، النخبة متفانون للغاية.

- هذه جريمة قتل تحت تأثير المخدرات يا هاري... النخبة منشغلون
بقضايا ذات أهمية أكبر.

- إذًا، ما الذي قاله أوليغ لمحامي المتفاني عما حصل؟

تنهدت راكيل:

- إنه لا يذكر شيئاً، ولا يرغب بقول أي شيء حول أي شيء.

- وهل هذا ما تعتمدان عليه في الدفاع؟

- اسمعني، هانز كريستيان محامٌ بارع في مجاله. إنه يعرف ما

يحصل، ويتلقى النصائح من النخبة، وهو يعمل ليلاً ونهاراً... صدقني.

- بتعبير آخر، أنت تستغلين طبيعته كثيرة الاهتمام.

هذه المرة لم تضحك راكيل:

- أنا أم. الأمر ببساطة أنني مستعدة للقيام بكل ما يتطلبه الأمر.

وقفا حيث بدأت الغابة، وجلسا على جذعي شجرتي صنوبر، بينما

هبطت الشمس في أعلى الأشجار نحو الغرب كمنطاد مرهق.

- أعرف بالطبع سبب مجيئك. لكن، ما الذي تخطط له؟

- أن أعرف إن كان أوليغ مذنباً بدون أي شك منطقي.

- لماذا؟

هز هاري كتفيه:

- لأنني محقق، ولأن العالم منظم بهذا الشكل. لا يمكننا إدانة أي

شخص حتى نكون متأكدين.

- وأنت لست متأكداً؟

- لا، لست متأكداً.

- وهل هذا هو السبب الوحيد لكونك هنا؟

زحفت ظلال أشجار الصنوبر عليهما، بينما ارتعش هاري في بذلة الكتان. لا بد أن مقياس جسده الحراري لم يعتد على 59.9 درجات بعد.
قال هاري:

- هذا غريب. لكن لدي مشكلة في تذكر أي شيء سوى اللحظات المفتتة من كل الأوقات التي كنا فيها معاً. حين أنظر إلى صورة أتذكرها هكذا... كما كنا في الصورة... حتى لو كنت أعلم أن ذلك ليس صحيحاً. نظر إليها. كانت تجلس واضحة ذقنها على إحدى يديها، بينما تلاًت الشمس في عينيها المتضيقتين.

استمر هاري:

"لكن، ربما لهذا السبب نحن نلتقط الصور... للحصول على دليل زائف، لإثبات الادعاء الزائف بأننا كنا سعداء؛ لأن فكرة أننا لم نكن سعداء - على الأقل خلال فترة من حياتنا - لا يمكن احتمالها. الكبار يطلبون من الصغار الابتسام في الصور ليشركوهم في الكذبة. لذا، نحن نبتسم متظاهرين بالسعادة. لكن أوليخ لم يكن باستطاعته الابتسام ما لم يكن سعيداً حقاً؛ إذ لم يكن بإمكانه الكذب، ولم تكن لديه الموهبة للقيام بذلك". أدار هاري ظهره للشمس، حيث كانت آخر أشعتها تمتد كأصابع صفراء بين الأغصان العالية في قمة التلال.

- وجدت صورة لثلاثتنا معلقة على باب خزانته في فالي هوفين. وهل تعرفين ماذا ياراكيل؟ كان مبتسماً في تلك الصورة.

ركز هاري نظره على أشجار الصنوبر، كان اللون البسيط المتبقي يختفي بسرعة عنها. وهكذا، وفقاً كالحراس الذين يرتدون بذلات سوداء. ثم سمعها تتماسك، وأحس بيدها تحت ذراعه، ورأسها على كتفه، ووجنتها الساخنة على بذلته الكتانية، واستطاع تنشق عطر شعرها.

- لست بحاجة لصورة لأتذكر كم كنت سعيدة يا هاري.

- ممم.

- ربما يكون قد علم نفسه الكذب. هذا يحصل لنا كلنا.

هز هاري رأسه وهو يرتعش من الريح. متى علم نفسه الكذب؟ أحصل ذلك حين سألته سيس إن كان باستطاعة أمهما رؤيتهما؟ أتعلم

الكذب منذ ذلك الوقت الباكر؟ أذلك وجد أنه من السهل الكذب حين تظاهر أنه لم يكن يعرف ما كان أوليخ يفعله؟ لم يفقد أوليخ براءته حين تعلم الكذب، ولا حين تعلم كيف يحقن نفسه بالهيريوين، ولا حين سرق مجوهرات أمه. كان ذلك حين تعلم كيف يقوم بفعالية وبطريقة خالية من المخاطر ببيع المخدرات التي تستنزف الروح وتدمر الجسد وترسل الشاري إلى الهاوية. إن كان أوليخ بريئاً من قتل غاستو فإنه لا يزال مذنباً. فقد أرسلها بالطائرة إلى دبي.

- طيران الإمارات.

دبي في الإمارات العربية المتحدة.

هناك مجرد بائعين يرتدون قمصان الأرسنال ويبيعون الفيولين. القمصان التي حصلوا عليها مع تعليمات حول كيفية بيع المخدرات بالطريقة الصحيحة: رجل واحد للمخدرات، ورجل واحد للمال. قميص واضح وشائع يظهر ما يبيعه والمنظمة التي ينتمون إليها. ليست إحدى العصابات سريعة الزوال التي يدمرها الطمع والغباء والبلادة والرعونة، بل إنها منظمة لا تقوم بأي مخاطر إضافية، ولا تكشف عن داعميها، لكنها لا تزال تهيمن على العقار الجديد المفضل لدى المدمنين، وقد كان أوليخ واحداً منهم. لم يكن هاري يعرف الكثير عن كرة القدم، لكنه متأكد من أن فان بيرسي وفابريغاس كانا لاعبين في فريق الأرسنال. وهو متأكد تماماً أنه ما من أحد من مشجعي فريق توتنهام سيفكر بامتلاك قميص أرسنال إلا لسبب خاص. كان هذا ما علمه إياه أوليخ.

كان هناك سبب وجيه لثلا يتكلم أوليخ معه أو مع الشرطة؛ فقد كان يعمل لحساب أحد أو شيء لا يعرف أحد شيئاً عنه... أحد أو شيء جعل الجميع يبقون صامتين... من هنا على هاري أن يبدأ. هبط الظلام بسرعة.

كان سيرغيه مستلقياً على سريره يحدق في السقف.

مرت الثواني واحدة تلو الأخرى.

كان هذا الجزء هو الأبطأ: الانتظار. حتى إنه لم يكن يعلم بشكل مؤكد إن كان ذلك سيحدث أو إن كان ضرورياً. كان قد نام بشكل سيئ وحلم بشكل سيئ... كان يريد أن يعرف، لذا اتصل بأندريه وسأله إن كان بإمكانه الحديث مع عمه، لكن أندريه أجابه أن القائد غير متوفر... لا أكثر.

هكذا يكون الأمر دائماً مع عمه. لم يكن سيرغييه يعرف حتى إنه موجود حتى ظهر وابتكر نظاماً جديداً، فبدأ سيرغييه بالاستفسار عنه، وكان الغريب أن الآخرين في العائلة لا يعلمون الكثير عن هذا القريب. عرف سيرغييه أن عمه قد أتى من الغرب وتزوج من العائلة في فترة عام 1950؛ حيث قال البعض إنه من ليتوانيا من عائلة كوكية من الطبقة المالكة للأراضي التي هجرها ستالين، فتوجهت عائلة العم إلى سيبيريا. بينما قال آخرون إنه كان جزءاً من مجموعة صغيرة تم نقلها إلى سيبيريا من مولدافيا عام 1951. أما عمته العجوز فقالت إنه على الرغم من أن العم رجل مثقف وماهر باللغات ومهذب، إلا أنه سرعان ما تكيف مع أسلوب حياتهم البسيط، وتبنى التقاليد السيبيرية القديمة كما لو كانت تقاليدهم. ومن الممكن أن قدرته على التكيف، بالإضافة إلى ذكائه الواضح في الأعمال التجارية هما اللذان جعلتا الآخرين يتقبلونه كقائد لهم. وخلال فترة قصيرة، بدأ بإدارة واحدة من أكثر عمليات التهريب ربحاً في جنوب سيبيريا، وقد اتسعت استثماراته في الثمانينيات لدرجة أن السلطات لم تعد قادرة على الارتشاء للبقاء صامته. وحين ضربت الشرطة أثناء انهيار الاتحاد السوفييتي من حولهم، كانت الضربة عنيفة ودامية للغاية، وفقاً لأحد الجيران الذين يتذكرون العم؛ حيث ذكرتهم الضربة بحرب خاطفة بدلاً من قبضة القانون. في البداية، جاءت أخبار بأن العم قد لقي حتفه برصاصة في الظهر، وأن الشرطة قد تخلصت من جثته في نهر لينا خوفاً من الانتقام، وأن أحد رجال الشرطة قد سرق سكينه القابلة للطي ولم يكن يتوقف عن التباهي بذلك. لكن، بعد سنة ظهرت دلائل على أن العم على قيد الحياة وأنه في فرنسا. قال إنه قد اختبأ، وإن الشيء الوحيد الذي يريد معرفته هو إن كانت زوجته حاملاً أو لا. وحين علم أن الإجابة لا، لم يعد أحد من تاجيل يسمع عنه لعدة سنوات؛ حتى ماتت زوجته وظهر في الجنازة. قام بدفع كل النفقات؛ مع أن الجنازة الروسية مكلفة للغاية، كما أعطى أقاربها المحتاجين نقوداً. لم يكن أبوه من بينهم، لكن العم توجه إليه حين أراد ملخصاً عما تركته عائلة زوجته في تاجيل، وهنا انتبه لسيرغييه الصغير. وفي الصباح التالي رحل العم بشكل غامض وخفي كما أتى. ومضت السنون، وأصبح سيرغييه مراهقاً ثم بالغاً، وكان معظم الناس يظنون أن العم - الذي كانوا يذكرون أنه كان عجوزاً منذ أن أتى إلى سيبيريا - قد توفي منذ زمن. لكن، حين تم اعتقال سيرغييه بتهمة تهريب المخدرات، ظهر رجل أرمني فجأة، وعرف عن نفسه بأنه ممثل العم، وسوى الأمور لسيرغييه، ورتب

لدعوة العم له إلى التزوج.

نظر سيرغييه إلى ساعة يده فوجد أنه لم تمر سوى اثنتي عشرة دقيقة منذ أن نظر إليها لآخر مرة. أغمض عينيه وحاول تخيله... الشرطي. في الواقع، كان هناك أمر آخر في قصة موت عمه المزعوم، فقد تم العثور على الشرطي الذي زعم أنه سرق سكينه في غابة تايجا، أو تم العثور على ما تبقى منه؛ لأن الدببة كانت قد أكلته. كان الظلام حالكاً في الداخل والخارج حين رن الهاتف. كان أندريه.

فتح تورد شالتز باب بيته، وحدث في الظلام وهو ينصت للصمت المطبق لبرهة، ثم جلس على الأريكة من دون أن يشعل الضوء؛ منتظراً الزئير المطمئن للطائرة التالية.

لقد تركوه يذهب.

دخل رجل عرف عن نفسه على أنه محقق زنزانتة، وجثم أمامه، وسأله عن سبب إخفائه الطحين في حقيبته.

- الطحين!

- هذا ما يقول المحققون الجنائيون في مختبر كريبوس إنهم قد وجدوه.

كرر تورد شالتز ما كان قد قاله عند اعتقاله... وهو أنه لا يعرف كيف وصل الكيس إلى حقيبته أو ما يحتويه.
قال المحقق:

- أنت تكذب. وسنلقي أعيننا عليك.

ثم فتح باب الزنزانة، وهز له برأسه قائلاً إن عليه المغادرة.
جفل تورد حين صدر صوت رنين في الغرفة المظلمة الجرداء، ثم نهض وتحسس طريقه إلى الهاتف الموضوع على مقعد خشبي بجانب مقعد التدريب.

كان المتصل مدير العمليات الذي أخبره أنه قد تم منعه من القيام برحلات دولية في المستقبل القريب، وأنه تم نقله إلى الرحلات المحلية.
سأل تورد عن السبب، فأجاب المدير أنه تم عقد اجتماع للإدارة لمناقشة وضعه.

- ينبغي أن تكون ممتناً؛ لأننا لا نستطيع تعيينك في الرحلات الخارجية مع وجود كل هذه الشكوك حولك.

- إذًا، لِمَ لا تطردونني؟

- حسناً.

- حسناً؟

- في حال أوقفناك وتسرب خبر الاعتقال للصحافة فسيتوصلون مباشرة إلى نتيجة أنك مذنب، وسيكون ذلك بمثابة خبر يعتاشون منه.

- وأنتم؟

ساد الصمت قليلاً قبل أن تأتي الإجابة.

- سيكون أمراً مضرّاً بالخطوط الجوية اعترافنا أننا كنا نشك في أن أحد طيارينا كان مهرب مخدرات. ألا تظن ذلك؟
طغى ضجيج تي يو 154 على باقي ما قاله.
أعاد تورّد السماعة إلى مكانها، وتلمس طريقه عائداً إلى الأريكة، وجلس ممرراً أنامله على طاولة القهوة الزجاجية ليشعر بالبقايا الجافة للمخاط والبصاق والكولا... ماذا الآن؟ شراب أم خط؟ شراب وخط؟ نهض. كانت طائرة توبوليف تهبط، حيث ملأت أضواؤها غرفة الجلوس، فحدق تورّد لثانية بانعكاس صورته على النافذة.
ثم حل الظلام مجدداً، لكنه رآها... رآها بعينه، وعرف أنه سيرها في عيون زملائه... الازدراء... الإدانة... والأسوأ من ذلك الشفقة.
- ... سنبقي أعيننا عليك... أراك.

إن لم يتمكن من السفر للخارج فلن تكون له أي قيمة بالنسبة لهم، وسيصبح مجرد خطر مدمن على الكوكابين ومليء بالديون ويأس... رجل تراقبه الشرطة... رجل معرض للضغوط. لم يكن يعرف الكثير، لكنه يعرف أكثر من اللازم ليدرك أن بإمكانه تدمير البنية التحتية التي بنوها، وسيقومون بما ينبغي فعله للحوول دون ذلك. لف تورّد شالتز يديه حول رأسه من الخلف وتأوه بصوت مرتفع. لم يكن مولوداً ليحلق بطائرة حربية، فقد بدأت بالدوران ولم يستطع استعادة السيطرة عليها، فجلس وهو ينظر إلى الأرض وهي تقترب. كان يعلم أن أمله الوحيد بالنجاة هو التضحية بالطائرة من خلال تفعيل مقعد القذف وإطلاق نفسه نحو الخارج... فوراً.
عليه الذهاب إلى شخص ذي منزلة عالية في الشرطة... شخص يمكنه التأكد من أنه أعلى من المال الفاسد لعصابات المخدرات... عليه الذهاب إلى الأعلى.

فكر تورّد شالتز وهو يزفر، ويشعر بعضلاته التي لم يكن منتبهاً لتشنجها تبدأ بالاسترخاء... سيذهب إلى الأعلى.
لكن، في البداية... شراب.
وخط.

حصل هاري على مفتاح الغرفة من الشاب نفسه في مكتب الاستقبال. شكره وصعد السلم بخطوات طويلة. لم يكن قد رأى أي قميص أرسلال في طريقه من محطة المترو في إيغرتورغيت إلى فندق ليون. وحين اقترب من الغرفة 301 أبطأ. كان هناك مصباحان مطفآن في

الممر، مما جعل الظلام حالاً لدرجة أنه تمكن بصعوبة من رؤية الضوء تحت بابه. كانت الكهرباء في هونغ كونغ قيمتها مرتفعة للغاية؛ مما جعله يغير العادة النروجية السيئة بترك النور مضاء حين يخرج. لكن، لا يمكنه التأكد إن كانت عاملة التنظيف قد تركته مضاء. إن كانت هي التي تركته فلا بد أنها نسيت أيضاً أن تقفل الباب.

وقف هاري ممسكاً المفتاح بيده اليمنى، بينما فتح الباب من تلقاء نفسه. وتحت الضوء الصادر عن المصباح الوحيد في السقف، رأى شخصاً يقف منحنيّاً على حقيقته على السرير مديراً ظهره له. وحين ضرب الباب الجدار مصدراً صوتاً مرتفعاً، استدار الشخص بهدوء، ونظر الرجل ذو الوجه المغضن المستطيل إلى هاري بعينين بريئتين. كان طويلاً ومحدودباً، ويرتدي معطفاً طويلاً وكنزة صوفية تحيط ياقتها القذرة بعنقه. كان شعره الطويل الأشعث متديلاً على جانبي وجهه إلى جانب العينين اللتين لم ير هاري أكبر منهما على الإطلاق. كان الرجل في السبعين من عمره على الأقل. وعلى الرغم من أنهما كانا مختلفين عن بعضهما كلياً، إلا أن أول ما خطر ببال هاري هو أنه ينظر إلى انعكاسه.

سأل هاري من الممر كإجراء روتيني:

- ما الذي تفعله؟

- ما الذي يبدو لك؟

كان الصوت أصغر من الوجه، وجهورياً، مع اللكنة السويدية المميزة التي يعشقها ملقو المواعظ وفرق الرقص السويدية لعدة أسباب غير قابلة للتعليل.

- اقتحمت غرفتك لأرى إن كان معك أي شيء ذي قيمة بالطبع.

لم تكن لكنته سويدية فحسب، وإنما كان يتكلم السويدية. رفع كلتي يديه؛ حيث كان يحمل محولاً كهربائياً بالأولى وبالثانية نسخة ورقية من كتاب أميركان باستورال لفيليب روث.

- ليس معك أي شيء.

رمى الأغراض على السرير وهو يحدق في الحقيبة الصغيرة ويرمق

هاري باستفسار:

- ولا حتى آلة حلاقة.

- ما الذي...

تجاهل هاري الإجراءات الروتينية، ودخل الغرفة، ثم أغلق غطاء

الحقيبة.

- قال الرجل وهو يرفع راحتي يديه:
- رويدك يا بني. لا تأخذ الأمر على محمل شخصي. أنت جديد في هذا الفندق... كانت القضية هي من سيسرقك أولاً.
- من؟ ما الذي تعنيه؟
- مد الرجل يده:
- مرحباً بك... أنا كاتو، وأعيش في الغرفة 310.
- نظر هاري إلى اليد القذرة.
- هيا يا بني. يداي هما الجزء الوحيد مني الذي أنصحك بلمسه.
- قال هاري اسمه، وصافح الرجل الذي كانت يده ناعمة للغاية.
- قال الرجل كإجابة على أفكاره:
- يدا رجل دين. أليديك ما نشربه يا هاري؟
- هز هاري رأسه نحو الحقيقية والخزانة المفتوحة:
- أنت تعرف.
- أنه ليس لديك أي شيء... نعم. أقصد معك... في جيب سترتك على سبيل المثال.
- أخرج هاري اللعبة الإلكترونية وربماها على السرير حيث كانت جميع أغراضه مرمية.
- أمال كاتو رأسه ونظر إلى هاري، حيث لمست أذنه كتفه:
- مع هذه البذلة ظننت أنك واحد من النزلاء لساعات ولست مقيماً. ما الذي تفعله هنا؟
- ما زلت أظن أنني أنا من يفترض به أن يسأل هذا السؤال.
- وضع كاتو يده على ذراع هاري ونظر في عينيه، ثم قال بصوته الجهوري وهو يتلمس القماش بإصبعيه:
- بني، هذه بذلة رائعة... كم دفعت ثمنها؟
- كان هاري على وشك قول شيء ما... مزيج من المجاملة والصد والتهديد، لكنه أدرك أنه لا جدوى من ذلك فاستسلم وابتسم.
- ابتسم كاتو أيضاً.
- كانعكاس.
- ليس لدي وقت للثرثرة. علي الذهاب إلى العمل الآن.
- وما عملك؟
- ها أنت ذا. أنا مهتم نوعاً ما بالبشر الفانين مثلك. ادعُ الله أن يوفق قبلي الحظ.

- الآن؟

- أنا مشغول وليس لدي وقت للتحدث إليك. وداعاً.

استدار الرجل بهرح وغادر، وحين مر بجوار الباب، رأى هاري علبه سجائر الجمل المختومة في جيب سترته. أغلق هاري الباب وراءه، بينما بقيت رائحة الرجل العجوز مخيمة في الغرفة، ففتح النافذة لتمتلئ الغرفة على الفور بأصوات المدينة: الطنين المستمر للسيارات، وموسيقى الجاز المنبعثة من نافذة مفتوحة، وصفارات سيارات شرطة بعيدة ترتفع وتنخفض، وشخص بائس يصرخ بألامه بين البيوت، يتبعه صوت كسر زجاج وصوت الرياح التي تحف بأوراق الأشجار اليابسة، وطرطقة أحذية النساء... أصوات أوصلو.

حركة بسيطة جعلته ينظر للأسفل... وقع التوهج من مصباح الساحة على المحيط، حيث لمع ذيل بني لجرذ كان جالساً على الحافة رافعاً أنفه المتلألئ. تذكر هاري شيئاً كان قد قاله له مديره كثير الاهتمام هيرمان كلوت والذي كان متعلقاً بعمله.

- الجرذ ليس جيداً ولا سيئاً... إنه يفعل ما على الجرذان فعله.

كانت هذه الفترة هي الأكثر سوءاً في شتاء أوصلو. الفترة التي تسبق استقرار الجليد على الخليج، وهبوب الريح عبر شوارع مركز المدينة، والبرد المالح المتجمد. وكالمعتاد، وقفت عند بوابة درونينجينز أبيع سبيد وستيسوليد وروهيبنول. ضربت بقدمي على الأرض؛ إذ كنت قد فقدت الإحساس بأصابع قدمي، وفكرت إن كان من المفترض أن أنفق أرباح اليوم على الحذاء الثمين الذي رأيته على واجهة متجر ستين آند ستروم، أو أنفقتها على الآيس الذي سمعت أنه يباع بسعر مخفض في بلاتا. ربما يمكنني سرقة بعض السبيد من دون أن يلاحظ توتو وشراء الحذاء. لكن بعد التفكير في الأمر، وجدت أن الأكثر أماناً أن أسرق الحذاء وأن أضمن أن يحصل أودين على ما يعود له. فأنا أفضل من أوليغ الذي بدأ من نقطة الصفر ببيع الحشيش إلى جانب النهر المتجمد؛ حيث عينه توتو في المنحدر تحت جسر نيبروا ليتنافس مع أشخاص من جميع الأماكن حول العالم، وكان الشخص الوحيد الذي يتكلم النروجية بطلاقة من جسر أنكير حتى المرفأ.

رأيت شاباً يرتدي قميص أرسنال في مكان بعيد من الشارع. عادة، يقف هناك بيسكن المغطى بالثور، والذي يضع طوق كلب مليئاً بالأزرار،

أما الآن فهناك رجل جديد؛ لكن الإجراءات نفسها: كان يجمع مجموعة، حيث كان لديه في الوقت الحالي ثلاثة مشترين ينتظرون. الله وحده يعلم ما الذي يخافون منه لهذه الدرجة؛ فالشرطة قد تخلت عن هذه المنطقة، وإن كان يتم إيقاف البائعين في الشارع فذلك للمظاهر فحسب؛ لأن بعض السياسيين كانوا يتبحون ثانية.

مر شخص بالمجموعة يرتدي ملابس جعلته يبدو كما لو أنه ذاهب إلى مراسم احتفال ديني، ثم رأيت يتبادل النظرات مع الشاب الذي يرتدي قميص أرسنال. وقف الشاب أمامي وهو يرتدي معطفاً مطرياً من فيرنر جاكوبسون وبذلة من إرمينغيلدو زيغنا وقد سرح شعره جانباً، وكان ضخماً. تحدث بالإنكليزية مع لكنة روسية:

- هناك من يريد مقابلتك.

ظننت أن الأمر كالمعتاد... لقد رأى وجهي وظن أنني صبي مأجور... أرغب بالاعتراف أنني في مثل هذا اليوم كنت أفكر في تغيير مهنتي... مقاعد سيارة دافئة، وأجرة أكثر بأربعة أضعاف في الساعة.

أجبت بالإنكليزية:

- لا، شكراً.

- الجواب الصحيح هو: نعم من فضلك .

أمسك الرجل بذراعي ورفعني بدلاً من أن يسحبني إلى سيارة ليموزين سوداء وقفت بهدوء في تلك اللحظة إلى جانب الرصيف. فتح الباب الخلفي، وهما أن المقاومة كانت غير مجدية، بدأت التفكير بسعر مناسب.

دفعني إلى المقعد الخلفي، ثم أغلق الباب. وعبر النوافذ التي بدت من الخارج سوداء ومنيعة رأيت أننا نسير غرباً. وجلس وراء عجلة القيادة رجل قصير ذو رأس صغير جداً ليتسع لجميع الأشياء الكبيرة التي ينبغي أن تكون فيه: أنف ضخمة، وفم قرش أبيض بلا شفاه، وعينان بارزتان بدتا كما لو أنهما ملتصقتان بلاصق سيئ. هو أيضاً كان يرتدي بذلة أنيقة، ويسرح شعره نحو الجانب كصبي في فرقة غنائية. نظر إليّ في المرأة الخلفية وقال:

- البيع جيد أليس كذلك؟

- أي بيع أيها المعتوه؟

ابتسم الرجل القصير لي بود وهز رأسه، في حين قررت أن لا أخفض لهم الثمن على الإطلاق. لكنني أستطيع الآن أن أرى في عينيه أنهم

يريدون شيئاً آخر لم أستطع تخمينه. بدت قاعة المدينة ثم اختفت والسفارة الأمريكية وحدائق بالاس والغرب وكيركفين والمؤسسة النروجية للإذاعة ثم منازل أثرياء.

توقفنا أمام بناء خشبي كبير يقع على تل، ورافقني الشخصان إلى البوابة. وبينما مشينا عبر الممر إلى الباب الخشبي نظرت حولي. كانت الحديقة كبيرة كملعب كرة قدم، مع أشجار تفاح وإجاص، وبرج إسمنتي كمستودع مشابه للمستودعات في الدول الصحراوية، ومرأب سيارات مزدوج مع قضبان معدنية تعطيك الانطباع أنه يحوي سيارات عامة للطوارئ، وسياح بارتفاع مترين إلى ثلاثة أمتار يحيط بكامل الملكية. بدأت تتشكل لدي فكرة غامضة حول المكان الذي نذهب إليه... ليموزين... إنكليزية مع لكنة... "البيع جيد؟"... ومنزل كقلعة.

في الردهة، فتشني الشخص الطويل، ثم اتجه مع الرجل القصير إلى زاوية حيث توجد طاولة صغيرة مغطاة بقماش مخملي أحمر، وعليها الكثير من الأيقونات القديمة المعلقة على الجدار. سحبنا مسدسيهما من قرابيهما على أكتافهما، ووضعاهما على المخمل الأحمر، ووضعنا رمزاً على كل مسدس منهما ثم فتحا باب إلى ردهة. قال وهو يشير إلى الطريق:

- القائد.

لا بد أن الرجل الكبير معمر كالكرسي الجلدي الذي يجلس عليه. حدقت به... أصابع كهلة مغطاة بالعقد حول سيجارة سوداء. كانت هناك طقطقة صادرة عن الموقد الضخم، وقد سعيت للوقوف في مكان قريب لتصل الحرارة إلى ظهري، بينما تلاً ضوء اللهب على قميصه الحريري الأبيض ووجهه العجوز، ثم وضع السيجارة على المنفضة، ورفع يده كما لو أنه كان يتوقع أن أقبّل الحجر الأزرق الكبير على خاتمه. - ياقوت بورمي... 6.6 قيراط. كل قيراط يبلغ ثمنه أربعة آلاف وخمسمائة دولار.

كانت لديه لكنة من الصعب سماعها لكنها موجودة. بولنده؟ روسيا؟ مكان قريب من الشرق.

قال وهو يضع ذقنه على الخاتم:

- كم المبلغ؟

احتجت إلى بضع ثوانٍ حتى فهمت ما يعنيه.

- أقل من ثلاثين ألفاً.

- أقل بكم؟

فكرت:

- حوالي تسعة وعشرين ألفاً وسبعمائة.

- سعر صرف الدولار 5.83.

- حوالي مائة وسبعين ألفاً.

هز الرجل العجوز رأسه.

- قالوا إنك كنت جيداً.

لمعت عيناه بلون أكثر زرقة من الياقوت البورمي اللعين.

- إنهم أذكاء.

- شاهدتك وأنت تعمل... هناك الكثير لتتعلمه، لكنني أستطيع أن

أرى أنك أذكى من الحمقى الآخرين؛ إذ يمكنك رؤية الزبون ومعرفة ما هو مستعد لدفعه.

هزرت كتفي، وفكرت في ما هو مستعد لدفعه.

- لكنهم قالوا أيضاً إنك تسرق.

- فقط حين يستحق الأمر العناء.

ضحك الرجل العجوز، وبما أنها كانت أول مرة ألتقيه فيها فقد

ظننت أنها شبه نوبة سعال بسبب سرطان الرئة. كان هناك صوت خرير

في عمق حنجرتة كصوت قارب قديم، ثم ثبت عينيه الزرقاوين والباردتين

علي، وقال بنبرة توحى أنه يخبرني عن قانون نيوتن الثاني:

- ينبغي أن تكون قادراً على فهم الأمر التالي أيضاً؛ إن سرقت

مني فسأقتلك.

كان العرق يتصبب على ظهري، بينما أبقيت عينيّ مثبتتين على عينيه؛

إذ كان الأمر كالتحديق في القطب الجنوبي... لا شيء... أرض باردة

متجمدة... لكنني عرفت ما يريد... الشيء الأهم: المال.

- تسمح لك عصابة راكبي الدراجات ببيع عشرة غرامات لنفسك

مقابل كل خمسين غراماً تبيعها لهم، أي سبع عشرة بالمائة. أما أنا فلن

تبيع سوى موادي، ويتم الدفع لك نقداً خمس عشرة بالمائة. سيتم تحديد

زاويتك في الشارع، وسيكون هناك ثلاثة منكم... رجل المال، ورجل المخدرات،

و الكشافة . سبعة بالمائة لرجل المخدرات، وثلاثة بالمائة للكشافة ،

وستتحاسب مع أندريه في الليل.

وأشار برأسه إلى الرجل القصير.

زاوية الشارع... كشافة... السلسلة اللعينة.

- اتفقنا. أعطني القميص.

ابتسم الرجل العجوز كنوع من ابتسامة الزواحف التي تخبرك بموقعك في الهرم.

- أندريه سيهتم بالأمر.

استمرنا بالدردشة حيث سألني عن والدي وأصدقائي، وإن كان لدي مكان لأقيم فيه، فأخبرته أنني أقيم مع أختي بالرعاية، ولم أكذب إلا عند الضرورة؛ لأنني كنت أشعر أنه يعرف الإجابات. مرة واحدة ارتبكت حين سألني عن سبب حديثي بلهجة شرق أوسلو في حين أنني ترعرعت في عائلة مثقفة في شمال المدينة، وقد أجبته أن سبب ذلك هو أن أبي الحقيقي كان من الجانب الشرقي في المدينة. لا أعلم إن كان ذلك صحيحاً، لكنني دائماً كنت أتخيل الأمر كذلك... بابا... أنت تمشي في شرق أوسلو معتمداً على حظك، وعاطلاً عن العمل في شقة متجمدة، ومن دون مكان جيد لتنشئة طفل. أو كنت أتكلم هكذا لأزعج رولف وأطفال الجيران المتأنقين، ثم اكتشفت أن ذلك يمنحني الأفضلية كالوشم؛ حيث كان الناس يخافون ويتعدون وييقون بعيدين عني لمسافة كافية. وبينما كنت مستغرقاً بالتفكير في حياتي، كان الرجل العجوز يتفحص وجهي وهو يفرك الخاتم الياقوتي بمسند الذراع مرة تلو الأخرى بلا كلل؛ كما لو أنه نوع من العد التنازلي. وحين توقفت الأسئلة ولم يعد هناك أي صوت سوى صوت الفك، أحسست كما لو أننا سننفجر ما لم أكسر حاجز الصمت.

- هذا كوخ رائع.

بدت عبارة تافهة جداً فاحمر وجهي خجلاً.

- كان مسكناً لرئيس الغستابو في الزوج من 1942 وحتى 1945

هيلموث رينهارد.

- أظن أن الجيران لا يزعجونك.

- أنا أملك المنزل المجاور أيضاً، حيث كان مساعد رينهارد يعيش،

أو بالعكس.

- بالعكس؟

- ليس من السهل فهم كل شيء هنا.

حين قال الرجل العجوز ذلك كشر مبتسماً كتين كومودو.

كنت أعرف أن علي توخي الحذر لكنني لم أستطع المقاومة:

- هناك شيء لا أفهمه. أودين يدفع لي سبع عشرة بالمائة، وكذلك

الآخرون أيضاً، أما أنت فتريد فريقاً من ثلاثة أشخاص وستدفع لهم خمسة

وعشرين بالمائة. لماذا؟!

حدقت عينا الرجل العجوز بتركيز على أحد جانبي وجهي:
- لأن ثلاثة أكثر أماناً من واحد ياغاستو. المخاطرة ببائعي مخاطرة بي. ففي حال خسرت كل بيادقك فستكون خسارة وزيرك مجرد مسألة وقت ياغاستو.

- لكن الأرباح.

قال بحدة:

- لا تشغل نفسك بذلك.

ثم ابتسم، وعاد صوته ناعماً من جديد:

- تأتي بضائعنا مباشرة من المصدر ياغاستو. أي إنها أنقى بست مرات من الهيرويين المخفف أولاً في إسطنبول، ثم في بلغراد، وبعدها في أمستردام. لكننا ندفع ثمناً أقل... أتفهمني؟
هزرت رأسي.

- يمكنك تخفيفه ست أو سبع مرات أكثر من الآخرين.

- نحن نخففه لكن أقل من الآخرين. نحن نبيع شيئاً يمكنك أن تسميه هيرويين. أنت تعرف ذلك، ولهذا أسرعت بقول نعم لنسبة أقل... لأنك تعرف أنك ستبيع أفضل منتج في المدينة، وستجني ثلاثة أو أربعة أضعاف ما تجنيه من طحين أودين. أنت تعرف ذلك لأنك تراه يومياً... فأنت ترى المشتريين الذين يتجاوزون صفاً من بائعي الهيرويين للعثور على ذلك البائع الذي يرتدي...

- ... قميص أرسنال.

- سيعرف الزبائن أن بضائعك هي الفضلى من اليوم الأول ياغاستو. ثم رافقني للخارج.

كان يجلس واضعاً غطاءً صوفياً على ركبتيه... كنت قد افترضت أنه مقعد أو ما شابه، لكنه وقف برشاقة على قدميه عند الباب، محاولاً أن لا يظهر وجهه في الخارج، ووضع يده على ذراعي فوق الكوع وضغط على العضلة الثلاثية.

- أراك عما قريب ياغاستو.

هزرت رأسي، وكنت أعرف أن هناك شيئاً آخر يريده. رأيتك وأنت تعمل ... من داخل سيارة ليموزين بنوافذ داكنة... يتفحصني ملياً. وهكذا، عرفت أنني سأحصل على ما أريده.

- الكشافة ستكون أختي بالرعاية، ورجل المخدرات سيكون شاباً

يدعى أوليغ.

- يبدو الأمر مناسباً. هل من أمر آخر؟
- أريد الرقم 23 على قميصي.
- تمتم الرجل الطويل برضى:
- أرشافين... روسي.
- من الواضح أنه لم يسمع قط بمايكل جوردان.
- سنرى. سيريك أندريه الآن شيئاً، ويمكنك البدء.
- بقيت يده تربت على ذراعيه وابتسامته ثابتة ودائمة. كنت خائفاً ومتحمساً كصياد تنين كومودو.
- قاد الرجلان السيارة إلى المرسى المهجور في فروغز كيلن، حيث كانت معهما مفاتيح بوابة. مشينا بالسيارة بين القوارب الصغيرة المصنوفة طوال الشتاء، ثم توقفنا عند حافة أحد الأرصفة ونزلنا من السيارة، حيث وقفت أحدق في المياه السوداء الهادئة، بينما فتح أندريه صندوق السيارة.
- تعال إلى هنا يا أرشافين.
- توجهت إليه ونظرت إلى داخل الصندوق.
- كان لا يزال يضع طوق الكلب المليء بالأزرار ويرتدي قميص الأرسنال.
- كان يبسكن قبيحاً دائماً، لكن منظره جعلني أكاد أتقياً. كانت هناك فتحات سوداء كبيرة من الدم المتخثر على وجهه المليء بالبتور، وإحدى أذنيه مشقوقة بالنصف، وإحدى عينيه مفقوءة في محجرها. بعد أن استطعت إبعاد نظري عن منظر العين، رأيت ثقباً صغيراً في القميص فوق الحرف م في كلمة الإمارات كتقب رصاصة.
- تلعثمت:
- ما الذي حدث؟
- تكلم مع الشرطي الذي يعتمر القبعة.
- عرفت من كان يقصد. كان هناك شرطي متخفٍ - أو هذا ما كان يظن نفسه عليه - يتجول في كفاداتورن.
- انتظر أندريه، وتركني أنظر جيداً قبل أن يسألني:
- أوصلت الرسالة؟
- هزرت رأسي، بينما لم أستطع إبعاد نظري عن العين المقلوعة... ما الذي فعلوه به؟
- قال أندريه:
- بيتر.

رفعا معاً من الصندوق، وأزالا قميص الأرسنال، ثم رمياه من على حافة القارب حيث ابتلعته المياه السوداء. ومن دون أي صوت... اختفى. ناولني أندريه القميص:

- هذا لك الآن.

أدخلت إصبعي في ثقب الرصاصة، وقلبت القميص ونظرت إلى الظهر.
52 بيندتر.

في تمام السادسة والنصف صباحاً ، أي قبل ربع ساعة من شروق الشمس وفقاً للصفحة الخلفية من صحيفة أفنتبوستن ، طوى تورد شالتز الصحيفة وتركها على المقعد بجواره وهو يحدق في الدهليز المهجور المؤدي إلى المخرج.

قال حارس الأمن وراء مكتب الاستقبال:

- إنه يصل باكراً في العادة.

كان تورد شالتز قد استقل قطار الفجر إلى أوصلو، وشاهد البلدة وهي تصحو بينما كان يمشي من المحطة المركزية نحو الشرق إلى جانب غرونلاند سليريت. مر بسيارة جمع القمامة؛ حيث كان الرجال يتعاملون مع حاويات القمامة بخشونة، مما جعل أفكار تورد تركز على الأسلوب أكثر من العمل... طيارو إف 16 . كان هناك بائع خضار باكستاني يحمل صناديق من الخضار إلى أمام متجره، ثم وقف ومسح يده بمئزره، وابتسم بتحية الصباح لتورد... طيار هرقل. بعد دار العبادة غرونلاند، انعطف يساراً ليجد واجهة زجاجية ضخمة، مبنية ومصممة عام 1970 وتتطاول نحو الأعلى... مركز الشرطة.

عند الساعة 6:37 فتح الباب وسعل الحارس. وحين رفع تورد رأسه، تلقى هزة تأكيد فنهض على قدميه. كان الرجل المتجه نحوه أقصر منه. كان يمشي بخطوات سريعة وخفيفة، وشعره أطول مما كان يتوقعه تورد من رجل مسؤول عن أكبر وحدة مخدرات في الزوج. وحين اقترب، لاحظ تورد الخطوط البيضاء والوردية على وجهه المسمر والجذاب. تذكر مضيعة طيران لديها خلل في الصبغيات وبقعة بيضاء تمتد من رقبتها المحروقة بحجرة التسمير حتى صدرها وأسفل خصرها؛ مما جعل باقي بشرتها تبدو كجوارب ضيقة من النايلون.

- مايكل بيلمان؟

ابتسم الرجل من دون أن يبطئ في مشيته:

- نعم. كيف يمكنني مساعدتك؟

- حديث خاص.

- آسف، علي التحضير لاجتماع صباحي. لكن، إذا اتصلت...

- يجب أن أكلمك الآن.

تفاجأ تورد من حدة صوته.

- حقاً؟!

أدخل رئيس أورغكريم بطاقة تعريفه الشخصية عند البوابة، لكنه توقف ليتفحصه.

اقترب تورّد شالتز، وأخفض صوته على الرغم من أن حارس الأمن هو الشخص الوحيد الموجود في الدهليز:

- اسمي تورّد شالتز، وأنا طيار في أكبر الخطوط الجوية الإسكندنافية، ولدي معلومات حول تهريب المخدرات إلى الزوج عبر غاردموين.

- حسناً. وكم الكمية؟

- ثمانية كيلوغرامات في الأسبوع.

شعر تورّد بعيني الرجل تتفحصانه، وعلم أن ذهن الرجل يجمع ويعالج جميع المعطيات المتوفرة: لغة الجسد، والثياب، والوضعية، وتعابير الوجه، وخاتم الزواج الذي لا يزال يطوّق في إصبعه، والحذاء اللامع، واللغة، والنظرة الثابتة.

قال بيلمان وهو يهز رأسه للحارس:

- ربما من الأفضل أن تقوم بتسجيل بياناتك.

هز تورّد شالتز رأسه بالنفي:

- أفضل أن يبقى هذا الاجتماع سرياً.

- تفرض القوانين أن يتم تسجيل بيانات الجميع، لكنني أضمن لك

أن تبقى المعلومات هنا في مركز الشرطة.

وأشار بيلمان إلى حارس الأمن.

في المصعد، مرر شالتز إصبعه على الاسم على اللصاقة التي طبعها

الحارس وأخبره أن يضعها على صدر ستورته.

سأله بيلمان:

- هل من خطب ما؟

- لا، على الإطلاق.

لكنه استمر بالفرك أملاً أن يمحو اسمه.

كان مكتب بيلمان صغيراً على نحو مفاجئ.

قال بيلمان بنبرة تشير إلى أنه معتاد على ردة الفعل:

- الاتساع لا يهم، فقد أنجزنا أشياء عظيمة من هنا.

وأشار إلى صورة على الجدار:

- لارس أكسيلسين. رئيس ما كان يدعى وحدة السرقات قضى على

عصابة تفتيتا في التسعينيات.

أشار إلى تورّد كي يجلس، وأخرج دفتر ملاحظات، ونظر إلى تورّد، ثم وضعه جانباً.

- إذاً؟

أخذ تورّد نفساً عميقاً وتكلم. بدأ بالطلاق؛ فقد كان بحاجة للبدء بالسبب، ثم انتقل إلى المكان والزمان، ثم إلى الأشخاص والطريقة، وفي النهاية تكلم عن الحارق.

خلال حديثه، كان بيلمان متكئاً للأمام يتابعه بدقة، ولم يفقد وجهه تعابيره المهنية والتركيزية إلا حين بدأ تورّد بالحديث عن الحارق. وبعد المفاجأة الأولية، انتشر اللون الأحمر على البقع البيضاء. كان المظهر غريباً كما لو أن هناك حريقاً يشتعل من الداخل، ولم يعد بيلمان ينظر إلى عينيه، وإنما كان يحدّق بالجدار وراءه.. ربما بصورة لارس أكسيلسين. بعد أن أنهى تورّد كلامه، تنهد بيلمان ورفع رأسه.

لاحظ تورّد أن هناك نظرة جديدة في عينيه... قاسية وجريئة.

قال رئيس القسم:

- أعتذر بالنيابة عن نفسي ومهنتي والشرطة لعدم تخلصنا من الخائن.

فكر تورّد أن بيلمان ربما يقول ذلك لنفسه وليس له... هو الطيار الذي يهرب ثمانية كيلوغرامات من الهيرويين أسبوعياً.

قال بيلمان:

- أقدر لك اهتمامك. وكنت أتمنى لو أن بإمكانني أن أقول لك إنه ما من شيء يدعو للخوف، لكن التجارب المرة علمتني أنه حين يتم الكشف عن مثل هذا النوع من الفساد فإن الأمر يمتد لأكثر من فرد واحد.

- أفهم ذلك.

- هل أخبرت أحداً آخر بالأمر؟

- لا.

- أيعرف أحد ما أنك هنا تتكلم معي؟

- لا. لا أحد.

- لا أحد على الإطلاق؟

نظر تورّد إليه وابتسم بمكر من دون أن يقول له ما كان يفكر به:

من هناك ليخبره؟

قال بيلمان:

- حسناً... لقد لفتت انتباهي إلى أمر هام وخطير وحساس للغاية، وعلي العمل بحذر شديد لئلا أخطر من لا ينبغي تحذيره. هذا يعني أن علي مناقشة الأمر مع السلطات العليا. يتوجب علي حبسك بسبب ما قلته لي، لكن الحبس الآن قد يفضحك ويفضحنا، لذا عليك أن تعود إلى بيتك وتبقى هناك حتى تتم تسوية الأمر. أتفهمني؟ لا تذكر شيئاً لأي أحد عن هذا الموضوع، ولا تخرج من بيتك، ولا تفتح الباب للغرباء، ولا تجب على المكالمات الهاتفية من أرقام لا تعرفها.

هز تورد رأسه ببطء:

- كم سيستغرق الأمر؟

- ثلاثة أيام كحد أقصى.

- مفهوم.

بدا بيلمان وكأنه على وشك قول شيء ما، لكنه توقف وتردد قبل أن يحسم أمره في النهاية.

- هناك أمر لم أفهمه؛ هناك أناس مستعدون لتدمير حياة الآخرين لأجل المال. حسناً، ربما لو كنت فلاحاً أفغانياً فقيراً... لكنك نروجي، وتتقاضى مرتب طيار رئيس...

نظر تورد شالتز في عينيه؛ فقد كان مستعداً لهذا، وحين سمع ذلك كان الأمر بمثابة راحة له.

- لكن قدومك إلى هنا بإرادتك المستقلة وكشفك عن أوراقك أمر شجاع. أعرف ما تخاطر به، فالحياة لن تكون سهلة من الآن فصاعداً يا شالتز.

هنا وقف رئيس أورغكريم ومد يده. عندها، راودت تورد الفكرة نفسها التي راودته حين رآه يقترب في مكتب الاستقبال... كان لمايكل بيلمان الطول المثالي لطيار في طائرة حربية.

بينما كان تورد شالتز يغادر مركز الشرطة، كان هاري هول يرن جرس باب منزل راكيل التي فتحت الباب مرتدية ثوباً وعيناها شبه مغمضتين وهي تتشاءب.

- سأبدو بحال أفضل بعد قليل.

قال هاري وهو يدخل:

- من الجيد أن أحدنا سيبدو بحال أفضل.

قالت وهي تقف أمام طاولة غرفة الجلوس المليئة بأكوام من المستندات:

- حظاً موفقاً. إنها كلها هنا... تقارير القضية، والصور، وقصاصات الصحف، وإفادات الشهود. إنه دقيق للغاية... علي الذهاب للعمل. وحين أغلقت الباب وراءها، كان هاري قد أعد أول كوب من القهوة وبدأ.

بعد القراءة لثلاث ساعات، أحس بحاجة ماسة للراحة؛ لمقاومة اليأس الذي يسيطر عليه. لذا، أخذ الكوب ووقف عند نافذة المطبخ، وحاول إقناع نفسه أنه هنا للاستفهام عن الذنب وليس لتأكيد البراءة... دبي كانت كافية، لكن الدليل لم يكن غامضاً، وقد عملت كل سنوات خبرته كمحقق في جرائم القتل ضده... كانت الأمور غالباً كما تبدو عليه.

بعد ثلاث ساعات، كانت النتيجة هي نفسها؛ إذ لم يكن في المستندات أي شيء يشير إلى تفسير مختلف، لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد تفسير مختلف؛ لكنه ليس هنا.

غادر قبل عودة راكيل متذرعاً باضطراب الرحلات الجوية الطويلة، إذ يجب عليه النوم. لكنه كان يعرف السبب الحقيقي؛ فهو لم يكن قادراً على القول إنه مما قرأه أصبح التعلق بشك يمكن أن يكون الحقيقة والحياة والأمل الوحيد بالإصلاح أكثر صعوبة.

لذا، أمسك بمعطفه، وغادر مشياً على الأقدام من هولمنكولفن عبر ريس وسوغان وأوليفال وبولتيلوكا إلى شرودر. فكر في الدخول، لكنه قرر عدم الدخول وتوجه شرقاً عبر النهر إلى توين.

وحين فتح باب ووتش تاور، كان ضوء النهار قد بدأ بالتلاشي، وكان كل شيء كما يذكره... فالجدران باهتة، وديكور المقهى باهت، ونوافذ كبيرة تسمح بدخول أكبر كمية من النور. وفي هذا الضوء، جلس زبائن بعد الظهر حول الطاولات وهم يحتسون القهوة ويتناولون الشطائر. كان بعض الزبائن منهمكين بالأكل كما لو أنهم قد أنهوا للتو سباق الخمسين كلم، بينما كان غيرهم يتحدثون أحاديث متفرقة لا يمكن فهمها بأسلوب مدمني المخدرات. أما الآخرون فلن تتفاجأ إن رأيتهم يحتسون القهوة سريعة التحضير بين أسطول من عربات الأطفال الفخمة في يوناييتد بيكريز.

كان بعضهم قد حصلوا على ملابس مستعملة يحملونها في أكياس أو يرتدونها، بينما بدأ الآخرون كعملاء التأمين أو مديرات المدارس الريفية. اتجه هاري إلى المنضدة، حيث قدمت له فتاة مبتسمة ترتدي كنزة

اتحاد الرعاية الاجتماعية قهوة مجانية وخبزاً بالقمح الكامل مع جبن بني.
- ليس اليوم... شكراً. هل مارتين هنا؟
- إنها تعمل في العيادة.
أشارت الفتاة بإصبعها إلى السقف وغرفة الإسعافات الأولية لاتحاد
الرعاية الاجتماعية.
- لكن، ينبغي أن تكون قد انتهت...
- هاري!
استدار.

كانت مارتين إيكهوف ضئيلة الحجم كالمعتاد، كما أن وجهها الصغير
الذي يشبه وجه قطة لا يزال يتمتع بالفم العريض غير المتناسق نفسه
وأنف يبدو كربوة في وجهها الصغير. وبدت قزحية إحدى عينيها كما لو
أن فيهما ثقب مفتاح. وكانت قد فسرت له من قبل أنها خلقية، واسمها
ثلاثة القزحية.
تطاولت مارتين وعانقته عناقاً مطولاً. وحين انتهت، لم تتركه وإنما
أمسكت بيديه وهي تنظر إليه. رأى ابتسامتها تتكرر حين رأت الندبة على
وجهه.

- كم... كم أنت نحيل!
ضحك هاري:
- شكراً. لكن، بينما كنت أزداد حولاً...
صرخت مارتين:
- أعرف، ازددت أنا بدانة. الجميع يزدادون بدانة يا هاري إلا أنت.
بالمناسبة، لدي عذر لازديادي بدانة.
وربتت على بطنها حيث كانت الكنزة الصوفية ممطوطة لأقصى
حدودها.

- ممم... هل ريكارد من فعل بك هذا؟
ضحكت وهزت رأسها بحماسة. كان وجهها أحمر، بينما تنبعث الحرارة
منها كشاشة بلازما.
مشيا إلى الطاولة الوحيدة الفارغة، حيث جلس هاري وشاهد نصف
الكرة السوداء على بطنها وهي تحاول أن تنخفض وتجلس على كرسي. بدت
متباينة مع الستارة الخلفية للحياة المقلوبة واليأس الفاتر.
قال:

- غاستو... أتعرفين شيئاً عن القضية؟

زفرت زفرة حرى وقالت:

- بالطبع. الجميع هنا يعرفون؛ فقد كان جزءاً من المجتمع. لم يكن يأتي إلى هنا كثيراً، لكننا كنا نراه بين الحين والآخر، وكانت الفتيات اللاتي يعملن هنا واقعات في حبه؛ إذ كان وسيماً للغاية.
 - ماذا عن أوليخ الشاب الذي يزعمون أنه قد قتله؟
 - كان يأتي أحياناً مع فتاة.
- عبست:

- يزعمون؟! هل من شك في ذلك؟
 - هذا ما أحاول معرفته. أتقولين فتاة؟
 - جميلة لكنها ضعيفة. إنغان؟ إيريام؟
- استدارت إلى المنضدة.
- هيه. ما اسم أخت غاستو بالرعاية؟
 - وقبل أن يتمكن أحد من إجابتها أجابت نفسها:
 - إيرين.
- سألها هاري:

- شعر أحمر وممش؟
- كانت شاحبة جداً، لدرجة أنه لولا شعرها لكان من الصعب رؤيتها... أنا أعني ذلك. وفي النهاية، كانت أشعة الشمس تخترقها.
- في النهاية؟
- نعم. كنا نتحدث عن ذلك للتو، فهي لم تأت إلى هنا منذ أمد.
- لقد سألت الكثير من الناس الذين يأتون إلى هنا إن كانت قد غادرت البلدة أو ما شابه، لكن يبدو أن لا أحد يعرف شيئاً عنها.
- أتذكرين أي شيء عما حصل في وقت الجريمة؟
- لا شيء مميز؛ إلا تلك الأمسية حين سمعت صفارات الشرطة، وعرفت أنهم ربما يطاردون أحد أعضاء الاتحاد الشباب حين تلقى أحد زملائك هنا مكالمة هاتفية وخرج مسرعاً.
- ظننت أن هناك قاعدة غير مكتوبة، وهي أنه لا يحق لرجال الشرطة المتخفين أن يعملوا هنا في المقهى.
- لا أظن أنه كان يعمل ياهاري. فقد كان جالساً وحده إلى الطاولة هناك يقرأ كلاسيكامين. قد يبدو الأمر غروراً، لكنني أظنه قد أتى لمشاهدتي.

ووضعت يدها بغنج على صدرها.

- أظن أنك ما زلت تجذبين رجال الشرطة الوحيديين.
ضحكت:

- لم أكن من تفحصك، أم إنك نسيت؟

- فتاة من عائلة محافظة مثلك؟

- في الواقع، كانت نظراته تثيرني. لكنه توقف حين أصبح حملي
ظاهراً. في كل الأحوال، في تلك الليلة، صفق الباب وراءه ورأيته يتجه نحو
بوابة هوسمنز حيث كان مسرح الجريمة على بعد مئات الأمتار من هنا.
وبعد ذلك مباشرة انتشر خبر مقتل غاستو رمياً بالرصاص واعتقال أوليغ.

- ما الذي تعرفينه عن غاستو باستثناء كونه جذاباً للنساء ويتحدر
من عائلة راعية؟

- كان يلقب اللص ، ويبيع الفيولين.

- لحساب من كان يعمل؟

- كان يبيع هو وأوليغ لحساب لوس لوبوس، راكبي الدراجات في
ألنابرو؛ لكنهم انضموا لدبي على ما أظن، فقد كان لديهم أنقى هيرويين،
وحين يظهر الفيولين فإنه يكون بحوزة تجار دبي.

- ما الذي تعرفينه عن دبي؟ من هو؟

هزت رأسها نافية:

- لا أعرف حتى إن كان شخصاً أو شيئاً.

- إنه واضح للغاية في الشارع، وخفي للغاية وراء الكواليس. ألا
يعرف أحد شيئاً ما عنه؟

- ربما... لكن من يعرف لن يقول.

نادى أحد ما مارتين.

قالت مارتين وهي تنهض عن الكرسي:

- ابق في مكانك... سأعود خلال ثانية.

- في الواقع علي المغادرة.

- إلى أين؟

خيم الصمت للحظة حين أدرك كلاهما أنه ليس لديه جواب منطقي
لسؤالها.

جلس تورد شالتز إلى طاولة المطبخ بجانب النافذة بينما أشرفت أشعة
الشمس. وكان باستطاعته رؤية الجميع وهم يمشون في الطريق بين المنازل،
لكنه لم يستطع رؤية الطريق... قضم لقمة من الخبز مع النقانق المدخنة.

كانت الطائرات تحلق فوق السطوح؛ تهبط وتقلع، وتهبط وتقلع... أنصت تورد شالتز لأصوات المحركات المختلفة كخط زمني: المحركات القديمة التي تصدر أصواتاً جيدة، والتي تصدر الهدير نفسه، والتوهج الدافئ الذي يثير الذكريات الجيدة ويعطي معنى وصدى لأيام كان فيها للأشياء معنى؛ العمل والدقة والعائلة وملاطفة النساء والاحترام من الزملاء. أما الجيل الجديد من المحركات فينفث المزيد من الهواء، لكنها محمولة وتطير بسرعة أكبر بكمية وقود أقل، وتعمل بفعالية أكبر، وتوفر الوقت في الأشياء غير الضرورية. رمق الساعة الكبيرة على الثلجة مجدداً وهي تتحرك كقلب صغير مذعور بسرعة وجنون... سبعة... بقيت اثنتا عشرة ساعة.. سيحل الظلام سريعاً. سمع البوينغ 747 الكلاسيكية الفضلى، بينما تصاعد الصوت حتى دوى الهدير وهز قضبان النافذة وحرك الكأس فكادت تلامس القارورة شبه الفارغة على الطاولة. أغمض تورد شالتز عينيه وهو يسمع صوت التفاؤل بالمستقبل والقوة الخام والغطرسة... صوت مناعة رجل في أفضل سني حياته.

بعد أن اختفت الضجة وعم السكون المنزل، لاحظ أن الصمت مختلف، كما أن كثافة الهواء مختلفة. كما لو أنه مسكون.

استدار إلى غرفة الجلوس، ومن الباب استطاع رؤية مقعد التدريب على رفع الأثقال والطرف البعيد من طاولة القهوة. نظر إلى الأرض الخشبية والظلال من الجزء الذي لم يستطع أن يراه من غرفة الجلوس. حبس أنفاسه منصتاً... لا شيء... مجرد صوت عقارب الساعة على الثلجة. قضم لقمة أخرى من الخبز، وأخذ رشفة من الكأس واتكأ إلى الوراء على الكرسي. كانت هناك طائرة كبيرة في طريقها إلى المطار... يمكنه سماعها قادمة من الخلف وهي تغرق صوت الساعة، وبينما كان يفكر في أنها ستمر بين المنزل والشمس وقع ظل عليه وعلى الطاولة.

مشى هاري في أورتيجاتا وعبر بوابة بلاتوس حتى غرونلاند سليرت متجهاً إلى مركز الشرطة تلقائياً، ثم توقف في منتزه بوتس ونظر إلى السجن وإلى الجدران الرمادية الصلبة.

كانت قد سألته:

"هل من شك في ذلك؟"

أكان لديه حقاً أي شك حول من قتل غاستو هانسن؟

هناك طائرة للخطوط الجوية الإسكندنافية تغادر إلى بانكوك مباشرة كل يوم قبل منتصف الليل، ثم تحلق من هناك إلى هونغ كونغ خمس مرات في اليوم. يمكنه الذهاب إلى فندق ليون الآن وأخذ حقيبته والمغادرة خلال خمس دقائق بالضبط، ثم يستقل قطار المطار إلى غاردموين، ويشترى تذكرة من قسم الخطوط الجوية الإسكندنافية، ويتناول وجبة ويقراً صحيفة في الجو المريح وغير الشخصي للمطار.

استدار هاري حين لاحظ أن ملصق الحفل الأحمر الذي كان في اليوم السابق قد اختفى.

استمر في السير نحو بوابة أوصلو، ثم مشى عبر منتزه مين إلى جانب مقبرة غامليبين حين سمع صوتاً من وراء البوابة.

قال الصوت بالسويدية:

- أمعك مائتان يمكنك الاستغناء عنهما؟

توقف هاري تقريباً حين خرج المتسول بمعطفه الطويل والبالى، بينما أدى الضوء المنبعث من مصباح الشارع إلى انعكاس ظل أذنيه الكبيرتين على وجهه.

قال هاري وهو يبحث عن محفظته:

- أفترض أنك تطلب قرصاً؟

قال كاتو وهو يمد يده:

- لن تحصل عليهما إطلاقاً. لقد تركت محفظتي في فندق ليون.

لم تكن هناك أي رائحة للشراب في أنفاس الرجل العجوز، وإنما مجرد رائحة تبغ وشيء ذكره بطفولته وهو يلعب الغميضة في بيت جده؛ حين كان يختبئ في الخزانة ويتنشق رائحة الثياب التي كانت معلقة هناك منذ سنوات. لا بد أنها كانت قديمة كقدم المنزل نفسه.

أخرج هاري ورقة نقدية من فئة خمسمائة وأعطاهم لكاتو.

- تفضل.

حرق كاتو بالنقود ومرر يده عليها:

- سمعت أنك شرطي.

- حقاً؟!

- وأنت مدمن على الشراب. ماذا تشرب؟

- جيم بيم.

- آه جيم... رفيقي. أنت تعرف الصبي أوليخ.

- أتعرفه؟

- السجن أسوأ من الموت ياهاري. الموت بسيط؛ فهو يحرر الروح، لكن السجن يستنزف روحك حتى لا يتبقى أي شيء إنساني فيك وتصبح شبحاً.

- من الذي أخبرك عن أوليغ؟
- من يقصدون دار العبادة كثيرون ياهاري، وأنا أنصت لهم. إنهم يقولون إنك تطارد ذلك الشخص دبي.

نظر هاري إلى ساعة يده. عادة يكون هناك الكثير من المقاعد في الرحلات الجوية في هذا الوقت من السنة. ويمكنه أيضاً الذهاب من بانكوك إلى شنغهاي؛ فقد أرسلت له زهان بين رسالة نصية تقول له فيها إنها وحيدة هذا الأسبوع، وإن بإمكانهما الذهاب إلى المنزل الريفي معاً.

- أتمنى أن لا تجده ياهاري.

- أنا لم أقل إنني...

- من يجده يمت.

- كاتو... الليلة سأذهب إلى...

- أسمعت بالخنفس؟

- لا، لكن...

- حشرة يبلغ حجمها ست أقدام تلتصق بوجهك.

- علي الذهاب ياكاتو.

- لقد رأيت ذلك بنفسي.

أنزل كاتو ذقنه إلى ياقة ثياب رجل الدين التي يرتديها:

- تحت جسر ألفسبورغ إلى جانب مرفأ غوتنبرغ كان هناك رجل

يبحث عن عصاة هيرويين، فألقوا صخرة مليئة بالمسامير على وجهه.

أدرك هاري ما كان الرجل يتكلم عنه... زجوك... الخنفس.

هذه الطريقة روسية في الأصل، وكانت تستخدم مع المخبرين؛ حيث

كانوا في البداية يثبتون أذن المخبر بالمسامير بالأرض تحت عارضة سقفية،

ثم يتم تثبيت ستة مسامير طويلة إلى النصف بالصخرة، ويتم ربط الصخرة

بحبل ولف الحبل حول العارضة، ثم يمسك المخبر بالحبل بين أسنانه. ويرمز

الأمر إلى أنه طالما أن المخبر يبقى فمه مغلقاً فإنه يبقى على قيد الحياة.

كان هاري قد رأى نتيجة زجوك نفذته عصاة تابي على شخص مسكين

وُجد في شارع خلفي في تانشوي. كانوا قد استخدموا رؤوس مسامير عريضة

لم تتسبب بثقوب كبيرة عند دخولها. لكن، حين أتى طاقم الإسعاف وسحب

الصخرة عن الرجل الميت، انتزع الوجه معها.

حشر كاتو ورقة الخمسمائة في جيب سرواله بيد، ووضع الأخرى على كتف هاري.

- أفهم أنك تريد حماية ابنك. لكن، ماذا عن الشاب الآخر؟ هو أيضاً كان لديه أب ياهاري. إنهم يسمون هذا التضحية بالذات؛ وذلك حين يناضل الآباء لأجل أطفالهم. لكنهم بهذا السلوك يحمون أنفسهم. هذا لا يتطلب أي شجاعة أخلاقية، وإنما مجرد غرور جيني. حين كبرت فهمت أن الأب غير الأثاني بحق مستعد للتضحية بابنه لخدمة هدف أسمى. صدقني، هذا الأمر موجود.

رمى هاري سيجارته أمامه:

- أنت مخطئ... أوليغ ليس ابني.

- حقاً؟! إذاً، لماذا أنت هنا؟

- أنا شرطي.

ضحك كاتو:

- الوصية السادسة ياهاري... لا تكذب.

- أليست هذه هي الوصية الثامنة؟

داس هاري على السيجارة التي ينبعث منها الدخان وقال:

- وكما أذكر، تقول الوصية إنه ينبغي أن لا تشهد بالزور على

جارك؛ مما يعني برأيي أنه من المقبول أن تكذب قليلاً عن نفسك. لكن، ربما أنت لم تنه دراستك.

هز كاتو كتفيه:

- يا إلهي، وليست لدي أي مؤهلات رسمية. أنا أعتمد على الكلام،

لكنني كجميع الأطباء والمشعوذين يمكنني أحياناً بعث آمال زائفة وراحة حقيقية لدى الناس.

- أنت لست متديناً حتى، أليس كذلك؟

- دعني أقول لك الآن إن ذلك لم ينفعني قط، ولذلك صرت

متشككاً في كل شيء.

ضحك هاري بهدوء.

- نحن لسنا مختلفين ياهاري؛ فأنا لدي ثياب رجل دين مزيفة،

وأنت لديك شارة ضابط مزيفة. أليست أنت أيضاً مرتاباً؟

سحب هاري سيجارة جديدة من العلبة:

- لسوء الحظ، ما من شك في هذه القضية. سأعود إلى وطني.

- في هذه الحال، أتمنى لك رحلة موفقة. وأنا عندي عمل أقوم

به.

زأرت سيارة، فالتفت هاري تلقائياً ليعميه ضوءان كاشفان قبل أن تنعطف السيارة. كانت أضواء المصابيح الخلفية تشبه توهج السيارة في الظلام، بينما تباطأت سيارة الشرطة لتدخل مرأب مركز الشرطة. وحين استدار هاري، كان كاتو قد رحل كما لو أنه قد تلاشى في الليل، ولم يستطع هاري أن يسمع سوى وقع خطوات تتجه إلى المقبرة.

في الواقع، لم يستغرق الأمر سوى خمس دقائق ليوضب هاري حقييته ويترك فندق ليون.

قال الشاب وراء المنضدة:

- هناك حسم للزبائن الذين يدفعون نقداً.

لم يكن كل شيء جديداً.

بحث هاري في محفظته... دولارات هونغ كونغ... يوان... دولارات أمريكية... يورو.

رن هاتفه المحمول فوضعه على أذنه وهو يبحث في الأوراق النقدية ويعرضها على الشاب.

- ألو.

- هذا أنا. ماذا تفعل؟

تباً. كان ينبغي الانتظار والاتصال بها من المطار. كان يريد أن يكون الأمر بسيطاً وغير قاسٍ قدر الإمكان. يالها من سريعة!

- أنا أسجل خروجي من الفندق. أيمكنني الاتصال بك مجدداً خلال بضع دقائق.

- أردت فقط أن أقول لك إن أوليغ قد اتصل بمحاميه هانز كريستيان.

قال الشاب:

- كرونر نروجي.

- يقول أوليغ إنه يريد مقابلتك يا هاري.

- تباً!

- ماذا؟ هل أنت هنا يا هاري؟

- أتأخذ بطاقات فيزا؟

- الأوفر لك أن تذهب إلى آلة صراف آلي وتسحب النقود.

- يقابلني!

- هذا ما قاله... بأسرع وقت ممكن.
- هذا غير ممكن ياراكيل.
- لِمَ لا؟
- لأن...
- هناك جهاز صراف آلي على بعد مائة متر في تولبوغاتا.
- لأن؟
- خذ بطاقتي.
- هاري؟
- أولاً، هذا غير ممكن ياراكيل؛ فهو ممنوع من الزيارات، ولن أقوم بذلك بطرائق ملتوية للمرة الثانية.
- وثانياً؟
- لا أجد أي مغزى لذلك ياراكيل، فقد قرأت المستندات و...
- وماذا؟
- أظن أنه أطلق النار على غاستو هانسن ياراكيل.
- لا نأخذ بطاقات فيزا. ألدك شيء آخر؟ ماستر كارد؟ أميريكان إكسپرس؟
- لا! راكيل؟
- إذًا، ادفع بالدولار واليورو. سعر الصرف غير جيد لكنه أفضل من البطاقة.
- راكيل؟ راكيل؟ تباً!
- هل من خطب ما ياسيد هول؟
- لقد أنهت الاتصال. أهذا يكفي؟

وقفت في سكيبرغاتا أشاهد المطر وهو ينهمر بغزارة. لم يكن الشتاء قد أحكم قبضته بعد، وكان هناك بدلاً من ذلك الكثير من المطر الغزير الذي لم يخفف من الطلب على المخدرات. وقد جنيت أنا وأوليغ وإيرين بيوم واحد أكثر مما كنت أجنيه بأسبوع كامل لأودين وتوتو، فقد كنت أجنبي حوالى ستة آلاف في اليوم. قمت بعد جميع قمصان الأرسنال في مركز المدينة، واكتشفت أن الرجل العجوز يجني أكثر من مليوني كرونر أسبوعياً.

في كل ليلة، قبل أن نتحاسب مع أندريه، كنت أنا وأوليغ نقوم بحذر بجمع جميع المستحقات والأرباح، وكنا حريصين على عدم نقصان أي كرونر؛ فالأمر لا يستحق العناء.

كنت أتق بأوليغ مائة بالمائة؛ إذ لم أظن أن لديه الخيال ليسرق أو أنه لم يفهم الأمر، أو كنت أظن أن قلبه وعقله مشغولان بالكامل بإيرين. كان من المضحك رؤيته وهو يشعر بالإثارة حين تكون بالقرب منه، ومدى عدم انتباهها لشغفه؛ لأن إيرين لم تكن قادرة على رؤية أي كان سواي. لم يزعجني الأمر أو يسعدني؛ فهكذا كان الحال دائماً.

كنت أعرفها جيداً، وأعرف كيف يمكنني جعل قلبها النقي يخفق وفمها الجميل يبتسم - إن كان هذا ما أريده - وعينيها الزرقاوين تغرورقان بالدموع. كان بإمكانني تركها ترحل، وأن أفتح الباب وأطلب منها الرحيل؛ لكنني لص، واللصوص لا يتخلون عن أي شيء يظنون أن بإمكانهم تحويله لنقود. إيرين لي، والمليونان أسبوعياً للرجل العجوز.

من المضحك كيف أن ستة آلاف في اليوم تحسن وضعك؛ حيث تتناول الكريستال كمكعبات ثلج في شرابك، وترتدي ثياباً تشتريها من مكان آخر سوى كوبوس. لهذا كنت لا أزال أنام في غرفة التدريب مع إيرين التي كانت تنام على فراش وراء الطبول، لكنها لا تلمس شيئاً، وتقتات على قمامة الخضار، وقد فتحت حساباً مصرفياً. كان أوليغ يعيش مع أمه، لذا لا بد أنه غارق بالنقود هو أيضاً. فقد نظف نفسه، وبدأ بالدراسة، كما بدأ بالتدريب في فالي هوفين.

بينما كنت واقفاً في سكيبرغاتا وأنا أفكر وأقوم بحسابات ذهنية، رأيت شخصاً متجهاً إلي تحت المطر المنهمر. كانت نظارته مبللة، وشعره الخفيف ملتصقاً برأسه، ويرتدي سترة لجميع أحوال الطقس؛ من النوع الذي قد

تشتريه لك صديقتك البدينة القبيحة بمناسبة الكريسماس... إما أن الصديقة قبيحة أو غير موجودة بالأصل؛ فهذا واضح من مشيته حيث كان يعرج. لا بد أنهم قد ابتكروا كلمة للتمويه عليها، لكنني أدعوها قدم النادي. وقف أمامي.

الأمر هو أنني لم أعد أتفاجأ بنوعية الأشخاص الذين يشترون الهيرويين، لكن هذا الرجل ليس من الصنف المعتاد.
- كم...؟

- ثلاثمائة وخمسون للربع.

- ... كم تدفع ثمناً لغرام الهيرويين؟

- أَدفع؟! نحن نبيع أيها المعتوه.

- أعرف... لكنني أقوم ببحث.

نظرت إليه... أهو صحفي؟ أو موظف اجتماعي؟ أو ربما سياسي؟ حين كنت أعمل لحساب أودين وتوتو جاء إلي غبي من هذا النوع، وقال إنه في مجلس يدعى رانو، وسألني بأدب بالغ إن كان من الممكن أن أذهب إلى اجتماع حول "المخدرات والشباب"، حيث يريدون سماع أصوات من الشارع. قبلت لمجرد المرح، وأنصت إليهم وهم يتكلمون بحماسة حول المدن الأوروبية وكيفية مواجهتها مشكلة المخدرات والخطة الدولية الكبرى لتخليص أوروبا من المخدرات. أعطوني شراباً غازياً وكعكة محلاة وضحكت لحد البكاء، لكن المرأة التي كانت تتأأس الاجتماع كانت شقراء بملامح رجولية، وصدر عامر، وصوت رقيب في الجيش. بعد الاجتماع، اتجهت إلي وقالت إنها سكرتيرة المجلس للخدمات الاجتماعية، وإنها ترغب في أن نتكلم أكثر حول هذه الأمور، ويمكننا اللقاء في منزلها إن سنحت لي الفرصة يوماً ما. وتبين أنها تعيش وحدها في مزرعة، وحين فتحت لي الباب كانت ترتدي بنطال فروسية ضيقاً، وأرادت أن نقوم بالأمر في الإسطنبول. لكن، كان هناك أمر غريب في القيام بعلاقة على بعد مترين من أحصنة مجتره وقوية تراقبك بتحديد مليء بالاهتمام. بعد ذلك، أزلت القش عن جسدي، وسألتها إن كان بإمكانها أن تقرضني ألف كرونر، وبقينا نلتقي حتى بدأت أجني ستة آلاف في اليوم. وحين كنا نرتاح، كانت تشرح لي أن السكرتيرة لا تجلس وتكتب الرسائل لأعضاء المجلس، وإنما تتعامل مع السياسات العملية. وعلى الرغم من تسميتها الوظيفية، فهي إنسانة تحقق الإنجازات، وحين يفهم الناس ذلك سيحين دورها لتصبح عضواً في المجلس. ومما علمته من حديثها عن قاعة المدينة أن جميع السياسيين العاديين ورفيعي المستوى

أرادوا الأمرين نفسيهما: السلطة واللهو. وهكذا، حين أهمس بعبارة "يا
رئيسة الوزراء" في أذنها تشعر بسعادة غامرة... لست أمزح.
- تباً لك.

- من رئيسك؟ أريد أن أتكلم معه.
أريد مني أن أخذه إلى رئيسي... لا بد أن الرجل مجنون أو غبي.
- اغرب عن وجهي.

لكن الرجل لم يتحرك، وإنما وقف هناك مع تغضن غريب عند وركه،
وسحب شيئاً من جيب سترته المناسبة لكل أحوال الطقس. سحب كيساً من
النايلون يحتوي مسحوقاً أبيض يبلغ وزنه غراماً أو ما شابه.
- هذه عينة... خذها لرئيسك. السعر ثمانمائة كرونر للغرام. كن
حذراً حيال الجرعة... قسم هذه لعشرة أقسام. سأعود بعد غد في الوقت
نفسه.

ناولني الرجل الكيس، واستدار وهو يعرج على الطريق.
كان السلوك الطبيعي أن أرمي الكيس في أقرب حاوية قمامة، غير
أنني لم أفعل. لم أتمكن حتى من بيع ذلك المسحوق لأجنبي المال لنفسي،
فقد كنت معروفاً بذلك؛ لكن كان هناك شيء في الوميض في عيني الرجل
المجنون؛ كما لو أنه يعرف شيئاً. لذا، حين انتهى يوم العمل وسوينا أمورنا
مع أندريه، توجهت مع أوليخ وإيرين إلى منتزه الهيروين، وسألنا إن كان
أحد ما يرغب بأن نجري عليه الاختبار؛ حيث كنت قد فعلت ذلك من
قبل مع توتو. إن كانت هناك بضاعة جديدة في السوق فإنك تتجه إلى
أكثر المدمنين إفراطاً؛ أي المستعدين لاختبار أي شيء طالما أنه مجاني، ولا
يأبهون إن كان سيقتلهم لأن الموت قريب منهم في كل الأحوال.
وجدنا أربعة متطوعين، لكنهم قالوا إنهم يريدون ثمناً من الهيروين
الحقيقي بالإضافة إلى ذلك، فقلت لهم إن ذلك غير ممكن، فبقي ثلاثة
فقط، ثم وزعت البضاعة.

صرخ أحد المدمنين كمريض مصاب بنوبة قلبية:

- هذا ليس كافياً.

فأخبرته أن يصمت إن أراد الحصول على التحلية.
جلست أنا وأوليخ وإيرين، وشاهدناهم وهم يبحثون عن عروق بين
الدم المتخثر، ثم حقنوا أنفسهم بحركات فعالة للغاية.
تأوه أحدهم:

- يا إلهي.

صرخ الآخر:

- ففففففففف.

ثم صمتوا... صمتاً مطبقاً... كما لو أنك أرسلت صاروخاً إلى الفضاء وفقدت الاتصال معه؛ لكنني كنت أعرف مسبقاً، فقد رأيت النشوة في أعينهم قبل أن يختفوا؛ هاوستن ليست لدينا أي مشكلة. وحين هبطوا مجدداً إلى الأرض كان الظلام قد حل. كانت الرحلة قد استمرت لأكثر من خمس ساعات، أي ضعف مدة رحلة الهيرويين العادي. وقد أجمع فئران الاختبار على أنهم لم يجربوا أي شيء كهذا، وأنهم يريدون المزيد... باقي الكيس... الآن... من فضلك... وترنحوا باتجاهنا كأشباح في فيلم رعب، لكننا هربنا ونحن نضحك.

وعندما جلسنا على فرشتي في غرفة التمارين بعد نصف ساعة، كنت أفكر أن المدمن العادي يستخدم عادة ربع غرام من هيرويين الشارع في الحقنة، في حين أن أشد مدمني أوسلو ينتشون للغاية بربع هذه الكمية! لقد أعطاني هذا الرجل مخدراً نقياً. لكن، ما نوعه؟ شكله ورائحته يشبهان الهيرويين، كما أن قوامه كالهيرويين... لكن، أن تنتشي لخمس ساعات من جرعة بسيطة كهذه! هذا أمر غريب. ما أعرفه هو أنني أجلس على منجم من الذهب. ثمانمائة كرونر لكل غرام يمكن تخفيفه ثلاث مرات وبيعه بألف وأربعمائة... خمسون غراماً في اليوم... أي ثلاثون ألفاً لجيبي مباشرة... لجيبي وجيب أوليغ وجيب إيرين.

عرضت عليهم اقتراح العمل، وذكرت لهم الأرقام.

نظرا إلى بعضهما، لكنهما لم يبدوا متحمسين كما توقعت.

قال أوليغ:

- لكن دبي...

كذبت وقلت لهما إنه ما من خطر طالما أننا لا نخدع الرجل العجوز. أولاً، سنذهب ونقول إننا سنتوقف عن العمل فقد تبنا، ثم سننتظر قليلاً قبل أن نبدأ بعملنا على نحو مصغر.

نظرا إلى بعضهما مجدداً، ثم أدركت فجأة أن هناك خطباً ما... أمراً

لم أنتبه له من قبل.

قال أوليغ:

- الأمر هو أننا...

كانت عيناه تجولان على الجدار:

- أنا وإيرين... نحن...

- أنتما ماذا...؟

تلوى كدودة محاصرة، ثم نظر إلى إيرين لتجده.

قالت إيرين:

- لقد قررنا أنا وأوليغ أن نعيش معاً. نحن ندخر لندفع دفعة

أولى في شقة في بولر. لذا كنا نفكر بالعمل حتى الصيف، ثم...

- ثم؟

قال أوليغ:

- ثم سننهي العمل ونبدأ بالدراسة.

قالت إيرين:

- الحقوق. أوليغ حاصل على علامات عالية.

ابتسمت كما تفعل حين تظن أنها قالت شيئاً غيباً. لكن وجنتيها

الشاحبتين عادة كانتا تتوهجان من شدة السرور.

كانا يخططان ويتآمران من وراء ظهري! كيف فاتني ذلك؟

قلت وأنا أفتح الكيس الذي لا يزال يحتوي على أكثر من غرام:

- الحقوق! أليس ذلك للأشخاص الذين يريدون الصعود إلى أعلى

رتب الشرطة.

لكن أحداً منهما لم يجب.

وجدت الملعقة التي تناولت بها رقائق الذرة وفركتها بفخذي لأنظفها.

سألني أوليغ:

- ماذا تفعل؟

قلت وأنا أضع القليل من المسحوق في الملعقة:

- ينبغي أن أحتفل بهذا. كما أن علينا اختبار المنتج بأنفسنا قبل

أن نوصي الرجل العجوز به.

سألت إيرين بنبرة مليئة بالراحة:

- إذًا، ما من مشكلة... سنستمر كما كنا من قبل؟

- بالطبع.

وضعت الولاة تحت الملعقة وأكملت:

- هذه لك يا إيرين.

- لي؟! لكنني لا أظن...

- من أجلي يا أختاه.

ونظرت إليها مبتسماً الابتسامة التي أعرف أنه ما من ترياق لها.

قلت:

- من الممل أن ينتشي المرء بمفرده كما تعلمين، فهو يشعر بالوحدة.

ببقب المسحوق في الملعقة، لكن لم يكن معي أي قطن ففكرت بسحبه عبر فلتر سيجارة؛ لكنه بدا نظيفاً للغاية... أبيض ناصعاً. لذا تركته يبرد لبضع ثوانٍ قبل أن أسحبه إلى الحقنة.
بدأ أوليغ بالكلام:
- غاستو...

- من الأفضل أن ننتبه كي لا نفرط بالجرعة؛ فهناك ما يكفي لثلاثتنا. أنت مدعو أيضاً يا صديقي، لكنك قد ترغب بالمشاهدة فحسب.
لم أكن بحاجة للنظر إليه فقد كنت أعرفه جيداً. لديه قلب صافٍ وأعمى في الحب وشجاع مما يجعله يغطس من صارية على ارتفاع خمسة عشر متراً في خليج أوسلو.
قال وهو يرفع كفه:
- حسناً، أنا موافق.
الشجاعة نفسها التي قد تنزله إلى القاع وتغرقه كجرذ.

استيقظت على صوت طرقات على الباب. كان رأسي كما لو أن منجم فحم يعمل فيه، وقد كرهت أن أفتح إحدى عيني. كان ضوء الصباح يتسلل عبر الشق بين الألواح الخشبية المثبتة على النوافذ، بينما كانت إيرين مستلقية على فرشتها، كما رأيت حذاء أوليغ الأبيض من بوما ناتئاً من بين مكبري الصوت. أدركت أن أحداً ما قد بدأ باستخدام قدميه بالركل على الباب.

نهضت وسرت مترنحاً باتجاه الباب، محاولاً أن أتذكر أي رسائل حول تدريبات الفرقة أو مواعيد لأخذ التجهيزات. حين فتحت الباب قليلاً وضعت قدمي بدافع من حدسي عليه، لكن ذلك لم يجد نفعاً؛ فقد اندفع الباب وارتميت على أحد الطبول في الغرفة. وبعد أن قلبت حامل الصنج والطنبل، نظرت إلى الأعلى؛ إلى وجه أخي العزيز بالرعاية... شتاين.
سأحذف كلمة "العزيز".

كان قد كبر، لكن قصة شعره وعينيه القاسيتين المليئتين بالكراهية لا تزال نفسها. رأيته يفتح عينيه ويقول شيئاً ما، لكن أذنيّ كانتا تطنان من صوت الصنج. وضعت يديّ تلقائياً أمام وجهي وهو يتجه نحوي، لكنه تجاوزني وخطا فوق الطبول متجهاً إلى إيرين الممددة على الفرشة، والتي

صرخت صرخة صغيرة وهو يمسك بذراعها ويسحبها لتقف على قدميها.
أمسكها بقوة وهو يحشر بعض أغراضها في حقيبة ظهرها، وكانت قد
توقفت عن المقاومة حين سحبها إلى الباب.

بدأت:

- شتاين...

توقف عند الباب، ونظر إلي باستفسار، لكن لم يكن لدي ما أقوله.
- لقد تسببت بما يكفي من الأذى لهذه العائلة.
بدا كبروس لي اللعين وهو يؤرجح ساقه ويغلق الباب المعدني. رفع
أوليغ رأسه فوق مكبر الصوت وقال شيئاً، لكنني كنت لا أزال لا أسمع.

وقفت مديراً ظهري للموقد، وأنا أشعر ببشرتي تقشعر من شدة
الحرارة. وكانت النار والنور الصادر عن مصباح طاولة أثري يشكلان الإضاءة
الوحيدة في الغرفة. جلس الرجل العجوز على كرسي جلدي يتفحص الرجل
الذي أحضرناه معنا في سيارة الليموزين من سكيبرغاتا، والذي كان لا يزال
يرتدي السترة المناسبة لجميع أحوال الطقس، بينما وقف أندريه وراءه وهو
يفك العصاة عن عينيه.

قال الرجل العجوز:

- حسناً. إذًا، أنت الذي يزود بهذا المنتج الذي سمعت الكثير عنه.

قال الرجل وهو يضع نظارته ويتفحص الغرفة:

- نعم.

- من أين تحضره؟

- أنا هنا لأبيعه وليس لأعطيكم معلومات عنه.

تلمس الرجل العجوز ذقنه بإصبعيه وقال:

- في هذه الحالة أنا غير مهتم، فأخذ أملاك الآخرين المسروقة

يؤدي غالباً إلى سقوط الجثث في هذه اللعبة، والجثث تعني مشاكل وعبئاً
في العمل.

- هذه ليست أملاكاً مسروقة.

- أستطيع أن أقول إنني على اطلاع جيد بطرائق التزويد، وهذا

المنتج لم يره أحد من قبل. لذا، إنني أكرر: لن أشتري شيئاً حتى أتأكد
من أن ذلك لن يؤثر فينا.

- لقد سمحت بإحضاري إلى هنا معصوب العينين لأنني أفهم

الحاجة للتكنم، وأتمنى أن تظهر لي الأمر نفسه.

كانت الحرارة قد جعلت نظارته تتعرق، لكنه ظل مرتدياً إياها. وكان أندريه وبيتر قد فتشاه في السيارة، بينما تفحصت أنا عينيه ولغة جسده وصوته ويديه، فلم أجد سوى الوحدة... ليست هناك أي صديقة بدينة وقبيحة، وإنما هذا الرجل وحده مع مخدره الرائع.

قال الرجل العجوز:

- ما أعرفه هو أنك قد تكون رجل شرطة.

قال الرجل مشيراً إلى قدمه:

- بهذه؟

- إن كنت تستورد البضائع فكيف لم أسمع عنك من قبل؟

- لأنني جديد، وليس لدي سجل، ولا أحد يعرفني؛ لا في أوساط

الشرطة ولا في أوساط العمل، ولدي مهنة محترمة، وأعيش حياة عادية.

كشّر بحذر كنوع من الابتسامة.

- حياة عادية بشكل غير عادي كما قد يدعي البعض.

- ممم.

كان الرجل العجوز يربت على ذقنه مراراً وتكراراً، ثم أمسك بيدي

وسحبني إلى كرسيه، حيث وقفت بجانبه وأنا أنظر إلى الرجل.

- أتعلم ما أفكر به ياغاستو؟ أظن أنه يصنع المنتج بنفسه. ما

رأيك؟

- ربما.

- أتعلم ياغاستو. لست بحاجة لأن تكون آينشتاين في الكيمياء،

فهناك صفات مفصلة على الإنترنت حول كيفية تحويل الأفيون إلى مورفين

ثم هيرويين. دعنا نقول إنك قد حصلت على عشرة كلغ من الأفيون الخام،

ثم وجدت عدة الغلي وثلاجة وبعض الميتانول ومروحة، وهكذا تحصل على

ثمانمائة ونصف كلغ من بلورات الهيرويين، ثم تقوم بتخفيفها لتحصل على

1.2 كلغ من هيرويين الشارع.

سعل الرجل الذي يرتدي السترة وقال:

- يحتاج الأمر لأكثر من هذا.

قال الرجل العجوز:

- لكن المعضلة هي كيف نحصل على الأفيون.

هز الرجل رأسه بالنفي.

قال الرجل العجوز وهو يربت على ذراعي:

- آه... ليس من الأفيون، وإنما من المستحضرات أفيونية المفعول.

لم يجب الرجل.

قال العجوز وهو يشير بإصبعه إلى الرجل:

- أسمعت ما قاله ياغاستو؟ إنه يصنع مخدراً اصطناعياً بالكامل. إنه ليس بحاجة لأي مساعدة من الطبيعة أو أفغانستان، وإنما يطبق الكيمياء البسيطة، ويصنع كل شيء على طاولة المطبخ. سيطرة كاملة، ومن دون أي تهريب محفوف بالمخاطر، وهو قوي كالهيرويين. لدينا رجل ذكي بيننا ياغاستو؛ من النوع الذي يحترمه قادة المستثمرين. تتمت:

- يحترم .

- كم يمكنك أن تنتج؟

- ربما يمكنني إنتاج كيلوغرامين في الأسبوع.

- سأأخذه كله.

- كله؟

كان صوت الرجل طبيعياً ولا تشوبه أي دهشة حقيقية.

- نعم. كل ما تنتجه. أيمكنني تقديم اقتراح عمل ياسيد...؟

- إبسن.

- إبسن؟

- إن كنت لا تمانع.

- على الإطلاق. كان إبسن أيضاً فناناً عظيماً. أرغب باقتراح شراكة

ياسيد إبسن... اندماج كلي. نحن نقيم السوق ونحدد السعر لكلينا. ما رأيك؟

هز إبسن رأسه بالنفي.

أمال الرجل العجوز رأسه مبتسماً:

- لِمَ لا ياسيد إبسن؟

شاهدت الرجل القصير يستقيم كما لو كان يكبر في السترة المملة والرتة والمناسبة لكل أحوال الطقس.

- إن أعطيت الهيمنة ياسيد...

ضغط الرجل العجوز برؤوس أصابعه على بعضها:

- يمكنك أن تدعوني بالاسم الذي تريده ياسيد إبسن.

- لا أرغب بالاعتماد على مشترٍ واحد ياسيد دبي، فذلك محفوف

بالمخاطر، كما أن ذلك يعني أنك ستخفض السعر. بالإضافة إلى أنني لا أريد الكثير من المشترين لأن ذلك سيزيد من خطر تمكّن الشرطة من

تتبعي. أتيت إليك لأنك معروف بكونك خفياً، لكنني أريد مشترياً آخر، وقد تواصلت مع لوس لوبوس. أتمنى أن تتفهم الأمر.

ضحك الرجل العجوز ضحكته المدوية:

- اسمع وتعلم ياغاستو. إنه ليس مجرد صيدلاني وإنما هو رجل أعمال أيضاً. جيد، ياسيد إبسن، لك ذلك.

- السعر...

- سأدفع ما طلبته. نحن لا نضيع وقتنا بالمساومات ياسيد إبسن في هذا العمل؛ فالحياة قصيرة والموت قريب منا. أيمكننا أن نقول إن التسليم الأول سيكون يوم الثلاثاء المقبل؟

في أثناء مغادرة الرجل، تصرف العجوز كما لو أنه بحاجة للاتكاء علي، بينما خدش بأظافره جلد ذراعي.

- أفكرت بالتصدير ياسيد إبسن؟ إذ ليس هناك أي تفتيش على تصدير المخدرات من الزوج كما تعرف.

لم يجب إبسن، لكنني رأيت... رأيت ما كان يرغب به... رأيتته وهو واقف هناك على قدمه العرجاء بورك مائلة... رأيت جبهته المتلألئة تحت شعره الخفيف. كان التكتف قد اختفى من على نظارته، وعاد لعينييه بريقهما الذي رأيتته في سكيبرغاتا... الدفعات ياأبي... لقد أراد بعض الدفعات... دفعات لتعويض كل ما لم يحصل عليه: الاحترام والحب والإعجاب والقبول وكل شيء يدعون أنه لا يمكنك شراؤه؛ على الرغم من أنه بإمكانك ذلك. أليس ذلك صحيحاً ياأبي؟ فالحياة مدينة لك بأشياء، لكنك تضطر أحياناً لأن تستوفي ديونك بنفسك. أليس ذلك صحيحاً ياأبي؟

جلس هاري في طريقه إلى المطار وهو يشاهد الطائرات تدخل وتخرج المدرج.

سيصل إلى شنغهاي خلال ثماني عشرة ساعة.

كان يحب شنغهاي، ويحب الطعام فيها، ويحب المشي عند السد على نهر هوانغبو إلى فندق بيس، ويحب الذهاب إلى مقهى الجاز القديم والاستماع إلى عازفي الجاز أولئك، كما يحب فكرة أنهم كانوا يجلسون هناك ويعزفون من دون أي توقف منذ ثورة عام 49.

القدرة على التجاهل صفة رائعة لم يكن يتمتع بها فطرياً، لكنه تدرّب عليها خلال السنوات الثلاث الماضية. لا تضرب رأسك بالحائط إن لم تكن مضطراً لذلك.

- أأست أنت أأضاً مرآباً؟
- سأصل إأى شنغهاي آلال آمانأ عشرة ساعة.
- كان من الممكن أن أكون فآ شنغهاي آلال آمانأ عشرة ساعة.
- آباً.
- أآابت من الرنة الآنأة.
- ماذا آرأد؟
- لا آنهي الأآصال آانأة آآفنا؟
- أنا هنا.
- اسمعأنا. ما مدى سآطرك على نألز كرىسآان؟
- هانز كرىسآان؟
- أهو مآأم بك بما أكفأ لآقنعه بمساعدآنا فآ عمل مآهور
- ومرأب؟

كان المطر قد هطل طوال الليل. ومن حيث وقف هاري أمام سجن منطقة أوسلو، استطاع رؤية طبقة جديدة من أوراق الشجر ملقاة كغطاء أصفر مبلل على أرض المنتزه. لم يكن قد نام جيداً بعد أن توجه مباشرة من المطار إلى منزل راكيل حيث كان هانز كريستيان قد أتى، ولم يعترض كثيراً، ثم رحل مجدداً. بعد ذلك، احتسى هاري وراكيل الشاي، وتكلما عن أوليخ وعن كيف كان الوضع من قبل... كيف كان الوضع؟ لا، بل كيف كان من الممكن أن يكون الوضع. في ساعات الصباح الأولى، قالت راكيل إن بإمكان هاري النوم في غرفة أوليخ. وقبل أن ينام هاري استخدم جهاز حاسب أوليخ للبحث والعثور على مقالات قديمة حول الشرطي الذي تم العثور عليه تحت جسر ألسبورغ في غوتنبرغ، حيث أكدت له المقالات ما قاله له كاتو. كما وجد هاري مقالاً في صحيفة غوتيبورغستيدنينغن يسرب شائعات حول كون الرجل المقتول حارقاً، والذي عرفته الصحيفة على أنه شخص يستخدمه المجرمون لتخريب الأدلة ضدهم. لم تكن قد مضت سوى ساعتين حين أيقظته راكيل بكوب من القهوة الساخنة وهمسة. كانت تفعل ذلك دائماً... تبدأ اليوم بالهمس له ولأوليخ؛ كما لو أنها تخفف الانتقال من الأحلام للواقع.

حدق هاري في كاميرا المراقبة، ثم سمع أزيزاً منخفضاً ودفع الباب. دخل بسرعة، ورفع الحقيبة أمامه ليراها الجميع، وبعدها وضع بطاقة تعريفه الشخصية على المنضدة، وأدار خده السليم. تمتت الشرطة من دون أن ترفع نظرها وهي تمرر نظرها على القائمة أمامها:

- هانز كريستيان سيمونسين. هنا... نعم... لأوليخ فوك.

قال هاري:

- صحيح.

قاده شرطي آخر عبر الممرات وعبر الردهة المفتوحة في وسط السجن، بينما كان يتكلم عن الخريف الدافئ وهو يخشخش بمجموعة المفاتيح التي يحملها كلما فتح باباً جديداً. مشيا عبر الغرفة الجماعية، حيث رأى هاري طاولة لكرة الطاولة مع مضربين وكتاب مفتوح فوقهما، ومطبخاً صغيراً فيه رغيف خبز من القمح الكامل وسكين خبز مع أطعمة للدهن من جميع الأنواع، لكن لم يكن هناك أي سجناء.

وقفا عند باب أبيض فتحه الشرطي.

فقال هاري:

- كنت أظن أن أبواب الزنانات تكون مفتوحة في هذا الوقت.
- الزنانات الأخرى أجل، أما هذا السجين فلديه 171. أي إنه ليس مسموحاً له بالخروج إلا لمدة ساعة واحدة في اليوم.
- إذًا، أين الآخرون؟
- الله أعلم. ربما هم يشاهدون قناة هاسلر على التلفاز.
- بعد أن أدخله الشرطي، وقف هاري عند الباب حتى سمع صوت الخطوات في الخارج تتلاشى مبتعدة. كانت الزنانة عادية بمساحة 10 أمتار، وتحوي سريراً وخزانة ومكتباً وكرسياً ورفاً للمكتب وتلفازاً، وكان أوليغ يجلس على المكتب وينظر إليه متفاجئاً.

قال هاري:

- أردت مقابلتني.
- ظننت أنه من غير المسموح أن تتم زيارتي.
- هذه ليست زيارة، بل استشارة محامي الدفاع الخاص بك.
- محامي الدفاع؟! هز هاري رأسه، ورأى البريق في عيني أوليغ... صبي ذكي.
- كيف...؟
- نوع جريمة القتل التي اتهمت بارتكابها لا يدخلك سجنًا شديد الحراسة أمنياً، لذا لم يكن الأمر صعباً.
- فتح هاري الحقيبة، وأخرج اللعبة الإلكترونية البيضاء وناولها لأوليغ:
- خذ، إنها لك.
- مرر أوليغ إصبعه على الشاشة:
- أين وجدتها؟
- ظن هاري أنه رأى طيف ابتسامة على وجه الصبي الجاد:
- طراز قديم مع بطارية. وجدتها في هونغ كونغ. كانت خطتي أن أهزمك في تيتريس عندما نلتقي.

ضحك أوليغ:

- مستحيل! لا بهذه ولا بالسباحة تحت الماء.
- تلك المرة في فروغز ليدو، أذكر أنني قد سبقتك بـمتر...
- أظنك تقصد متراً من خلفي. كانت ماما شاهدة.
- جلس هاري بسكون لئلا يخرب أي شيء، وهو مغمور بالسعادة

لرؤيته السرور على وجه أوليغ.

- عم أردت أن تتكلم معي يا أوليغ؟
- عاد الوجود إلى وجه أوليغ وهو يعبث باللعبة الإلكترونية ويقلبها مراراً وتكراراً؛ كما لو أنه يبحث عن زر التشغيل.
- خذ وقتك يا أوليغ، لكن الأسهل دائماً البدء من البداية.
- رفع الصبي رأسه ونظر إلى هاري:
- أيمكنني أن أثق بك مهما كان الأمر؟
- كان هاري على وشك قول شيء ما، لكنه توقف وهز رأسه فحسب.
- عليك أن تحضر لي شيئاً...
- كان الأمر كما لو أن أحداً يلوي سكيناً في قلب هاري، فقد عرف ما سيطلبه أوليغ.
- ليس لديهم هنا سوى بوي وسبيد وأنا بحاجة للفيولين. أيمكنك مساعدتي يا هاري؟
- ألهذا طلبت مني الحضور؟
- أنت الشخص الوحيد الذي تمكن من الالتفاف على قرار منع الزيارات.
- حدق أوليغ بهاري بعينه الداكنتين الكثيبتين، بينما بدا يأسه من خلال الارتعاش البسيط في البشرة الرقيقة تحت إحدى عينيه.
- أنت تعرف أنه لا يمكنني فعل ذلك يا أوليغ.
- بالطبع، يمكنك!
- بدا صوته حازماً وصارماً بين جدران الزنزانة.
- ماذا عن الناس الذين تبع لصالحهم. ألا يمكنهم تزويدك به؟
- أبيع ماذا؟
- ضرب هاري بيده على غطاء الحقيبة:
- لا تكذب علي! لقد وجدت قميص أرسنال في خزانتك في فالي هوفين.
- هل فتحت...؟
- وجدت هذه أيضاً.
- ورمى هاري صورة العائلة على الطاولة:
- أتعرف أين الفتاة التي تبدو في الصورة؟
- من...؟
- إيرين هانسن. صديقتك.

- كيف...؟
- لقد رأوكما معاً في ووتش تاور. وهناك كنزة تفوح منها رائحة الأزهار البرية، وعدة المخدرات لاثنين في الخزانة. تشارككما المخبأ أكثر حميمية من تشارككما سرير الزوجية. كما أن أمك قد أخبرتني أنها وجدتكم في المدينة كمعتوه سعيد. تشخيصي هو: "واقع في الحب".
- تحركت تفاحة آدم في رقبة أوليغ صعوداً ونزولاً.
- قال هاري:
- إذاً؟
- لا أعرف مكانها! لقد اختفت فحسب. ربما يكون أخوها قد عثر عليها مجدداً، أو إنها في مركز تأهيلي في مكان ما، أو ربما تكون قد استقلت طائرة وهربت من كل هذه القذارة.
- أو إن الأخبار ليست جيدة. متى رأيتهما آخر مرة؟
- لا أذكر.
- أنت تذكر حتى هذه الساعة.
- أغمض أوليغ عينيه:
- قبل مائة واثنين وعشرين يوماً... قبل المشكلة مع غاستو بزمن. لكن، ما علاقة هذا بالقضية؟
- الأمور تتداخل مع بعضها يا أوليغ. جريمة القتل حوت أبيض، والشخص المفقود حوت أبيض. وإذا رأيت حوتاً أبيض مرتين فسيكون الحوت نفسه. ماذا يمكنك أن تخبرني عن دبي؟
- إنها المدينة الكبرى، لكنها ليست العاصمة...
- لماذا تحميمهم يا أوليغ؟ ما الذي لا يمكنك إخباري به؟
- كان أوليغ قد وجد زر التشغيل للعبة الإلكترونية وضغط عليه، ثم فتح غطاء البطارية ورفع غطاء السلة المعدنية إلى جانب الطاولة ورمى البطاريات فيها قبل أن يعيد اللعبة لهاري.
- إنها فارغة.
- نظر هاري إلى اللعبة ووضعها في جيبه.
- إن لم تحضر لي الفيولين فسأحقن نفسي بالقذارة المتوفرة هنا. أسمعت بالفينتانييل والهيريونين؟
- فينتانييل وصفة للجرعات المفرطة يا أوليغ.
- صحيح. إذاً، يمكنك إخبار ماما في ما بعد أنه خطؤك.
- لم يجبه هاري، لكن محاولات أوليغ المثيرة للشفقة للسيطرة عليه لم

تثر غضبه، وإنما جعلته يرغب بمعاقبة الصبي. لم يكن هاري بحاجة لرؤية الدموع في عيني أوليغ لمعرفة الصراع الدائر في جسده ورأسه... كان بإمكانه رؤية التعطش الشديد لدى الصبي. ولم يكن هناك أي شيء آخر... لا أخلاق، لا حب، لا اهتمام... وإنما مجرد التفكير المتزايد باستمرار بالسلام. كان هاري لمرة واحدة في حياته على وشك أخذ حقنة هيرويين، لكن ثانية واحدة من التفكير الصافي جعلته يرفض... ربما كان السبب تأكده من أن الهيرويين سيفعل ما لم يستطع الشراب فعله... سيقتله... وربما كان السبب الفتاة التي أخبرته أنها أدمنت من الجرعة الأولى لأنها لم تجرب أي شيء من الممكن أن يفوق الهيرويين نشوة... وربما كان صديقه من أوبسال الذي ذهب إلى مركز إعادة التأهيل ليستعيد قدرته على التحمل؛ لأنه كان يأمل أنه حين سيحقق نفسه في ما بعد سيبدو الأمر كأول مرة، والذي قال له إنه حين رأى علامة اللقاح على فخذ ابنه البالغ من العمر ثلاثة أشهر بدأ يبكي لأنها حفزت لديه رغبة شديدة للمخدر؛ حيث كان مستعداً للتضحية بكل شيء مقابل التوجه مباشرة من العيادة إلى بلاتا.

قال هاري بصوته الثخين:

- لنعقد اتفاقاً. سأحضر لك ما تريده مقابل أن تخبرني بكل ما تعرفه.

قال أوليغ:

- عظيم.

ورأى هاري حدقتي عينيه تتسعان. كان قد قرأ في مكان ما أنه مع المدمنين على الهيرويين بشدة يمكن أن تنشط أجزاء من الدماغ حتى قبل أن يتم غرز الحقنة في الجلد، وأنهم ينتشون بينما يكون المسحوق الذائب لا يزال يسخن في العروق. كما عرف هاري أيضاً أن هذه الأجزاء من الدماغ هي التي تتكلم الآن، وأنه ما من جواب آخر سوى "عظيم"؛ سواء أكان كذبة أو حقيقة.

قال هاري:

- لكنني لا أرغب بشرائه من الشارع. أليديك أي فيولين في مخبئك؟

بدا أوليغ متردداً لثانية:

- لقد عرفت مخبئي!

تذكر هاري مجدداً أنه لم يكن صحيحاً أن مدمن الهيرويين لا يعتبر أي شيء مهماً جداً؛ فالمخباً مهم جداً.

- كفاك يا أوليغ... أنت لا تحتفظ بالمخدرات في مكان يعرفه

المدمنون الآخرون. أين مخبؤك الآخر؟ مخزونك؟

- لدي واحد فقط.
- لن أسرق شيئاً منك.
- ليس لدي مخبأً آخر... صدقني!
- عرف هاري أنه يكذب، لكن ذلك لم يكن مهماً... فهذا لا يعني سوى أنه ليس لديه أي فيولين هناك.
- سأعود غداً.

نهض هاري وطرق الباب، ثم انتظر، لكن أحداً لم يأت. في النهاية، أدار المقبض ففتح الباب... بالتأكيد ليس سجنًا شديد الحراسة. عاد هاري من حيث أتى من دون أن يرى أحداً في الممر، ولا في الغرفة الجماعية حيث لاحظ أن الطعام لا يزال هناك، لكن سكين الخبز قد أزيلت. أكمل طريقه إلى الباب المؤدي إلى خارج الوحدة؛ إلى الردهة، واكتشف أن الباب كان مفتوحاً أيضاً.

ولم يجد أبواباً مقفلة إلا عند مكتب الاستقبال، فذكر الأمر للشرطة الجالسة وراء الزجاج، فرفعت حاجبها وحدقت في الشاشة فوقها:

- بكل الأحوال، لن يخرج أحد من هنا.
- إلا أنا... حسب ما أمل.

- ماذا؟

- لا شيء.

مشى هاري حوالي مائة متر عبر المنتزه نحو غرونلاند سليبرت حين خطر بباله الأمر فجأة؛ الغرفة الفارغة، الأبواب المفتوحة، سكين الخبز... تجمد، وتسارعت نبضات قلبه لدرجة الغثيان... سمع طائراً يغرد، وشم رائحة العشب... ثم استدار وعاد إلى السجن وهو يشعر بفمه يجف من شدة الخوف، وبقلبه يضخ الأدرينالين في جسده.

ضرب الفيولين أوصلو ككويكب لعين. كان أوليغ قد فسر لي الفرق بين الشهاب والنيزك وجميع الأشياء الأخرى التي قد تقع على رؤوسنا في أي لحظة... وقد كان هذا كويكباً... حيواناً قبيحاً وضخماً يمكنه تدمير الأرض بقذارته. أنت تعرف ما أقصده ياأبي... لا تضحك. وقفنا نبيع ثمن غرام وربع غرام وغراماً كاملاً وخمسة غرامات من الصباح وحتى المساء؛ إلى أن انقلب مركز المدينة رأساً على عقب، ثم رفعنا السعر مجدداً، ومع ذلك فقد ازداد الطلب، فرفعنا السعر مجدداً، ومع ذلك بقي الطلب في تزايد، ثم رفعنا السعر مجدداً، وعندها ثارت المشاكل.

قامت عصابة من الألبانيين من كوسوفو بسرقة فريقنا وراء سوق الأسهم المالية. كان هناك شقيقان من إستونيا يعملان من دون الكشافة، فاستخدم الألبانيون مضارب بيسبول وقفازات معدنية وأخذوا النقود والمخدرات وضربوهما بشدة. بعد ليلتين، قامت عصابة فييتنامية بالهجوم عند بوابة برينسينز قبل عشر دقائق من موعد استلام أندريه وبيتر لأرباح اليوم؛ حيث هاجمت رجل المخدرات في الساحة الخلفية من دون أن يلاحظ رجل المال أو الكشافة ذلك. فكان الأمر مثل: ما التالي؟ وجاءت الإجابة بعد يومين.

فقد ملح سكان أوصلو الذين يستيقظون باكراً في طريقهم إلى العمل رجلاً متديلاً رأساً على عقب من جسر سانر قبل أن يصل رجال الشرطة. كان يرتدي سترة كتلك التي يرتديها المجانين، مع وجود قيد وكمامة على فمه. لكن الحبل الملفوف حول كاحليه كان طويلاً بما يكفي لئلا يتمكن من رفع رأسه فوق الماء؛ على الأقل بعد أن خانت عضلات معدته. في الليلة نفسها، أعطانا أندريه أنا وأوليغ مسدساً روسياً؛ إذ لم يكن يثق إلا بالأشياء الروسية. فقد كان يدخن السجائر الروسية السوداء، ويستخدم هاتفاً محمولاً روسياً (أنا لا أمزح ياأبي. فغريسو نوع فاخر وباهظ الثمن من الهواتف المصنوعة من الخشب الأسود الإفريقي المضاد للماء، والذي لا يرسل إشارات حين يتم تشغيله؛ لذا فإن الشرطة لا تستطيع تعقبه). وقد شرح لي أندريه أن اسم المسدس هو أوديسا، وهو نسخة رخيصة من ستيشكين؛ كما لو أنني أعرف شيئاً عن أي منهما. لكن ميزة الأوديسا هي أنه قادر على إطلاق وإبل من الرصاص، كما أن مخزنه يتسع لعشرين رصاصة ماكاروف أي من النوع نفسه الذي استخدمه أندريه

وبيتر وبعض الآخرين. كما أعطانا علبة رصاصات، وعلمنا كيف نحشو المسدس بها ونغلق صمام الأمان ونطلق النار. قال إن علينا إمساكه بإحكام، وأن نسدد إلى مكان منخفض أكثر بقليل من المكان الذي نريد إصابته؛ وذلك لكي نصيب الهدف، وإن علينا أن لا نضرب نحو الرأس كما كنا نزن، وإنما نحو أي مكان في الجزء العلوي من الجسد. وفي حال لوينا الرافعة الصغيرة الجانبية فإنه سيطلق الرصاص بوابل متصل؛ مما يعني أننا بضغط بسيط على الزناد سنتمكن من إطلاق ثلاث رصاصات أو أربع. لكنه طمأننا إلى أننا في تسعين بالمائة من الحالات لا نضطر سوى لإظهار المسدس. وبعد أن غادر قال أوليغ إنه يشبه مسدساً مرسوماً على غلاف إسطوانة لفرقة فو فايتز وعلينا في حال أطلقنا الرصاص به على أحد أن نتخلص منه في حاوية القمامة. لذا، قلت له إنني سأخذه.

كانت الصحف مهتاجة وهي ترفع الصوت مستنكرة حرب العصابات والدماء في الشوارع ولوس أنجلوس اللعينة وغير ذلك. كما تكلم السياسيون المعارضون عن السياسة الفاشلة لمكافحة الجريمة ومكافحة المخدرات، وعن ضرورة تنحي رئيس مجلس المدينة الفاشل لكونه عاراً على البلاد. وكان أكثر شخص يتلقى اللوم هو رئيس الشرطة. لكن، بعد أن قام شاب صومالي بإطلاق النار على اثنين من أقاربه بالقرب من بلاتا في وضوح النهار ولم يتم إلقاء القبض على أحد، قام رئيس أورغكريم بتقديم استقالته، في حين قالت مستشارة الخدمات الاجتماعية - التي كانت أيضاً رئيسة مفوضية الشرطة - إن الجريمة والمخدرات من مسؤولية الدولة، لكنها رأت أن من واجبها ضمان أنه بإمكان مواطني أوصلو المشي في الشوارع بأمان، وكان ذلك لطفاً منها. ووراءها، كانت تقف سكرتيرتها؛ أي صديقتي القديمة بهلامح جادة وعملية على الرغم من أنني لم أر فيها سوى عاهرة مثيرة ترتدي سروالاً قصيراً وضيقتاً حتى ركبتها.

في إحدى الليالي، جاء أندريه باكراً وقال إن عملنا قد انتهى لذلك اليوم، وإنه علي الذهاب معه إلى بليندرن.

وحين قاد السيارة مباشرة عبر الطريق المؤدي إلى منزل الرجل العجوز بدأت تراودني أفكار قذرة للغاية. لكن، لحسن الحظ انعطف أندريه إلى المنزل المجاور الذي كان العجوز يملكه أيضاً بالتأكيد. رافقني أندريه إلى الداخل، حيث وجدت أن المنزل ليس فارغاً كما بدا لي من الخارج. فوراء الجدران المقشرة والنوافذ المشققة كان مليئاً بالأثاث والحرارة. كان الرجل العجوز جالساً في غرفة فيها رفوف كتب ترتفع من الأرض إلى السقف، مع

بعض الموسيقى الكلاسيكية المنبعثة من مكبرات صوت ضخمة على الأرض. جلست على الكرسي الآخر الوحيد في الغرفة، في حين خرج أندريه وأغلق الباب وراءه.

قال الرجل العجوز وهو يضع يده على ركبتني:

- قررت أن أطلب منك أن تفعل لي شيئاً.

نظرت إلى الباب المغلق.

قال وهو ينهض:

- إننا في حالة حرب.

ثم توجه إلى الرفوف وسحب كتاباً سميكاً بغلاف بني ملطخ:

- هذا النص مكتوب منذ ستمائة عام قبل الميلاد. لا أعرف كيف

أقرأ الصينية، لذا ليست لدي سوى هذه الترجمة الفرنسية التي تم

إعدادها قبل أكثر من مائتي عام من قبل شخص يدعى جان جوزيف

ماري آميوت. لقد ذهبت إلى مزاد علني وحصلت عليه مقابل مائة

وتسعين ألفاً. هذا الكتاب يتحدث عن كيفية خداع العدو في الحرب، وهو

من أكثر الأعمال التي يتم الاقتباس منها حول هذا الموضوع. وقد كان

كتاباً مهماً جداً لكل من ستالين وهتلر وبروس لي. وهل تعرف ماذا؟

ثم أعاد الكتاب وسحب كتاباً آخر:

- أنا أفضل هذا.

ورمى الكتاب لي.

كان مجلداً صغيراً بغلاف أزرق لامع جديد نوعاً ما. قرأت العنوان:

الشطرنج للمبتدئين.

قال الرجل العجوز:

- بستين كرونر. سنقوم بتنفيذ حركة تدعى التثبيت.

- التثبيت؟!

- تحريك الملك والقلعة جانباً للحصول على دفاع. سنقوم بتشكيل

تحالف.

- القلعة!

- فكر بقلعة قاعة المدينة.

فكرت.

قال الرجل العجوز:

- مجلس المدينة... لدى مستشارة الخدمات الاجتماعية التي تدير

سياسة مكافحة المخدرات في المدينة سكرتيرة تدعى إيزابيل سكوين. لقد

تحققت من أحد مصادرنا، واكتشفت أنها مثالية؛ فهي ذكية وفعالة وطموحة للغاية، لكنها لم تتمكن من الارتقاء أكثر وفقاً لمصدري بسبب أسلوب حياتها الذي غالباً ما يكون جذاباً لعناوين الصحف؛ فهي تحتفل وتقول ما يجول بخاطرهما، ولديها عشاق في شرق أوسلو وغربها.
قلت:

- يبدو الأمر مريعاً.

نظر الرجل العجوز إلي نظرة إعجاب قبل أن يكمل:

- كان والدها متحدثاً باسم حزب الوسط لكنهم طردوه حين حاول دخول السياسة القومية. وقد أخبرني مصدري أن إيزابيل قد ورثت من والدها أحلامه. وبما أن الفرصة أكبر أمام الحزب الاجتماعي فقد تركت حزب والدها الصغير. باختصار، كل ما يتعلق بإيزابيل سكوين مرّن ويمكن تعديله ليتناسب مع طموحها، بالإضافة إلى أنها عزباء، ولديها قرض بسيط على مزرعة العائلة.

سألت كما لو أنني عضو في إدارة مكافحة الفيولين:

- إذًا، ما الذي سنفعله؟

ابتسم الرجل العجوز كما لو أنه يرى أن ملاحظتي جذابة:

- سنهددها حتى تجلس على طاولة المفاوضات حيث سنجرها على التحالف. وأنت المسؤول عن هذه التهديدات ياغاستو. لهذا أنت هنا الآن.

- أنا؟ أهدد امرأة سياسية!

- بالتحديد... امرأة سياسية عاشرتها ياغاستو؛ موظفة في المجلس

استخدمت منصبها ومكانتها لاستغلال مراهق يعاني من مشاكل اجتماعية.

في البداية لم أصدق أذني، حتى أخرج صورة من جيب سترته ووضعها على الطاولة أمامي. كانت تبدو وكأنها ملتقطة من وراء نافذة سيارة ذات زجاج داكن. كانت من تولبوغاتا وتظهر صبيّاً يافعاً يركب سيارة لاند روفر رقم لوحتها واضح. كنت أنا الصبي والسيارة لإيزابيل سكوين.

سرت رعشة باردة في جسدي:

- كيف تعرفون...؟

- لقد أخبرتك ياعزيزي غاستو أنني كنت أراقبك. ما أريدك أن

تفعله هو الاتصال بإيزابيل سكوين على رقمها الخاص الذي تعرفه بالتأكيد، وإخبارها بهذه القصة التي أعددناها للصحافة، ثم ستطلب منها لقاء خاصاً للغاية بين ثلاثتنا.

مشى باتجاه النافذة ونظر إلى الطقس الكئيب:

- ستجد أن لديها فترة فراغ في جدول أعمالها.

خلال السنوات الثلاث الماضية في هونغ كونغ، كان هاري قد ركض أكثر مما قد فعل طوال حياته السابقة. لكنه خلال الثلاث عشرة ثانية التي قضاها وهو يركض مسافة مائة المتر إلى مدخل السجن كان ذهنه يحيك العديد من السيناريوهات بفكرة مشتركة: لقد تأخر كثيراً. رن الجرس، وقاوم الرغبة بهز الباب وهو ينتظره حتى يفتح. وفي النهاية، ظهر الأزيز، وركض إلى مكتب الاستقبال.

سألته الشرطة:

- أنسيت شيئاً؟

- نعم.

وانتظر هاري إلى أن أدخلته عبر الباب المقفل، ثم صرخ وهو يرمي الحقيبة:

- أطلقني صفارة الإنذار... زنزانة أوليغ فوك.

دوى صدى خطواته عبر الردهة الفارغة والممرات الفارغة والغرفة الجماعية الفارغة. لم تكن أنفاسه قد انقطعت، لكن صوته نفسه بدا كزئير في رأسه.

وصلته صرخات أوليغ وهو يخرج من الممر الأخير. كان باب زنزانته شبه مفتوح، وقبل ثوانٍ من وصوله إلى هناك بدا الأمر كالكابوس... الكرة الثلجية... القدم التي لا تتحرك بسرعة كافية. ثم دخل ورأى المشهد.

كان المكتب ملقى جانباً، والأوراق والكتب مبعثرة على الأرض. وفي نهاية الغرفة، وقف أوليغ مديراً ظهره للخزانة، بينما كانت كنزته السوداء التي تحمل شعار سليبر غارقة بالدم. كان يمسك الحافة المعدنية لسلة القمامة أمامه، فاتحاً فمه، وهو يصرخ مرة تلو الأخرى. رأى هاري ظهر رجل يرتدي قميص جيم تيك، وفوقه رقبة عريضة ومبللة بالعرق، وفوقها رأس لامع، وفوقه يد مرفوعة تمسك بسكين الخبز، بينما صدر صوت ارتطام المعدن ببعضه مع ارتطام السكين بحافة السلة. لا بد أن الرجل قد لاحظ تغير الضوء في الغرفة؛ لأنه التفت في اللحظة التالية، وأخفض رأسه، ثم أخفض السكين مشيراً بها إلى هاري.

همس أوليغ:

- اخرج!

تجنب هاري الرغبة بالنظر إلى السكين، وركز بدلاً من ذلك على القدم؛ حيث لاحظ أن أوليغ قد انزلق وراء الرجل على الأرض. ومقارنة بممارسي الفنون القتالية، كانت سمعة هاري بالقيام بحركات هجومية ضئيلة للغاية؛ فهو لم يقم بذلك سوى مرتين. كما أنه ليست لديه سوى قاعدتين... الأولى: ليست هناك أي قواعد... والثانية: اهاجم أولاً. وحين تصرف هاري، فعل ذلك بحركة تلقائية من شخص تعلم وتدرّب وكرر طريقتين فقط للهجوم. خطأ هاري نحو السكين ليضطر الرجل للتراجع لكي يصبوب باتجاهه. وبينما أدار الرجل ذراعه، كان هاري قد رفع ساقيه اليمنى وأمال وركه. وبينما كانت السكين في طريقها للأمام، كانت قدم هاري في طريقها للأسفل لتضرب ركبة الرجل فوق المفصل. وبما أن جسد الإنسان غير محمي جداً من العنف من هذه الزاوية فقد انهارت العضلة الرباعية، يتبعها رباط مفصل الركبة، وأيضاً الوتر.

سقط الرجل على الأرض وهو يصرخ ألاماً، بينما ارتطمت السكين بالأرض حين أمسكت يده بركبته. وحين رأى السكين في وضع مختلف تماماً، دارت عيناه في محجريهما.

ركل هاري السكين بعيداً، ورفع قدمه لينهي الهجوم كما قد تعلم: الدعس على عضلة فخذ الخصم لكي يتسبب بنزيف داخلي هائل لثلاثي يمكن من النهوض مجدداً، لكنه رأى أن هذا العمل قد أنجز فأخفض قدمه.

سمع أصوات أقدام تركض، وطقطقة مفاتيح من خارج الممر.
صرخ هاري وهو يخطو فوق الرجل الذي يصرخ متجهاً إلى أوليغ:
- نحن هنا!
سمع صوت لهاث عند الباب.
- أخرجوا هذا الرجل، وأحضروا طبيباً.
كان هاري مضطراً للصرخ ليغطي صوته على صراخ الرجل المستمر.
- تباً، ما الذي...؟
- دعك من ذلك الآن... أحضر طبيباً.
مزق هاري كنزة سليير، وبحث في الدم عن الجرح:
- وينبغي أن يأتي الطبيب إلى هنا أولاً... ذلك الرجل لا يعاني سوى من رضة في الركبة.
أمسك هاري بوجه أوليغ بين يديه المملطختين بالدماء وهو ينصت لصراخ الرجل الذي تم جره للخارج.

- أوليغ؟ أسمعني؟ أوليغ؟
- دارت عينا الصبي، وخرجت من بين شفثيه كلمة خافتة بالكاد سمعها هاري، وأحس بصدرة يضيق.
- سيكون الأمر على ما يرام يا أوليغ، فهو لم يطعن أي عضو تحتاه حقاً.
- هاري...
- ستأتي ليلة الكريسماس قريباً وسيعطونك حقنة مورفين.
- اصمت يا هاري.
- صمت هاري، بينما فتح أوليغ عينيه. كان هناك توهج محموم ويأس فيهما، بينما كان صوته أجش لكنه واضح الآن.
- كان من المفترض أن تتركه يكمل عمله يا هاري.
- ما الذي تقوله؟
- عليك أن تدعني أفعل ذلك.
- تفعل ماذا؟
- لا جواب.
- تفعل ماذا يا أوليغ؟
- وضع أوليغ يداً وراء رأس هاري وسحبه نحو الأسفل وهمس:
- لا يمكنك إيقاف ذلك يا هاري، فقد تم الأمر... لا بد للأمر من أن يأخذ مجراه. إن وقفت في الطريق فسيموت المزيد.
- من الذي سيموت؟
- الأمر كبير للغاية يا هاري. سيبتلعك ويبتلع الجميع.
- من الذي سيموت؟ من الذي تحميه يا أوليغ؟ أهي إيرين؟
- أغمض أوليغ عينيه، بينما توقفت شفثاه عن الحركة. عندها، فكر هاري أنه يبدو كما كان يبدو حين كان بسن الحادية عشرة وقد نام للتو بعد يوم طويل، ثم تكلم:
- إنه أنت يا هاري... سيقتلونك.

بينما كان هاري يغادر السجن، كانت سيارات الإسعاف قد وصلت. فكر كيف كانت الأمور تسير، وكيف كانت البلدة، وكيف كانت حياته. بينما كان يستخدم جهاز حاسب أوليغ بحث أيضاً عن نادي أمكار الروسي والسردين. لم يكن قد وجد أي دلالة توحى بعودتهما من جديد؛ فما من أمل كبير بذلك. ربما لا تعلمك الحياة الكثير؛ سوى هذا الشيء الوحيد:

ليست هناك طريق للعودة.

أشعل هاري سيجارة. وقبل أن يسحب أول نفس، بدأ ذهنه بالابتهاج لأن النيكوتين سيصل إلى الدم. سمع الصوت يتكرر... الصوت الذي عرف أنه سيسمعه طوال الأمسية والليل... الكلمة غير المسموعة تقريباً التي صدرت من بين شفطي أوليغ في الزنزانة:

- بابا.

القسم الثاني

لعلت الفأرة الأم المعدن مالح الطعم، ثم جفلت حين عادت الحياة إلى الثلجة وبدأت بالطنين، وكانت أجراس دار العبادة لا تزال تفرع. كان هناك طريق للعودة إلى الجحر لم تجربته بعد... لم تجرؤ على تجربته لأن الإنسان الذي يسد المدخل لم يمّت بعد، لكن العويل الصارخ لصغارها جعلها مستعدة للمخاطرة، لذا قامت بالأمر. قفزت فوق كم سترة الإنسان، حيث شمت رائحة دخان غريبة. ليس دخان سجائر، ولا دخان شعلة نار، وإنما شيء آخر... شيء غازي كان في ملابسه لكنه غسل ولم تتبّق منه سوى بعض الجزئيات بين الخيوط الداخلية للقماش. اقتربت من المرفق، لكن المسافة كانت ضيقة للغاية، فتوقفت وأنصتت حتى سمعت من بعيد صوت صفارات سيارات الشرطة.

كانت هناك كل تلك الخيارات واللحظات الموجزة يا أبي... تلك التي ظننتها غير هامة، والتي كانت هنا لكنها اختفت، ثم بدأت تتراكم لتصبح كنهير يجرف المرء معه قبل أن ينتبه ويأخذه إلى حيث يذهب. وقد حصل ذلك حيث ذهبت في يوليو اللعين... لا، لم أكن ذاهباً إلى هناك! فقد أردت الذهاب إلى مكان آخر يا أبي.

حين انعطفنا إلى المبنى الرئيس، وقفت إيزابيل سكوين على الرصيف بسرورها الضيق مباعدة بين ساقها.

قال الرجل العجوز:

- انتظر هنا يا أندريه... أما أنت يا بيتر فاذهب وتحقق من المكان. نزلنا من سيارة الليموزين إلى رائحة حظيرة البقر، وطنين الذباب، وأصوات أجراس البقر البعيدة. صافحت يد الرجل العجوز بصلافة وتجاهلتي، ثم دعتنا لاحتساء القهوة في الداخل.

كان الجدار في الممر مليئاً بصور لخيول من أفضل السلالات، والحاصلة على أكثر كؤوس السباقات، ولا أدري ماذا أيضاً. مشى الرجل العجوز بجوار الصور، وسأل عن أحد الخيول إن كان إنكليزياً هجيناً، ثم مدح الساق الرشيق والصدر الرائع. تساءلت إن كان يتكلم عن الحصان أم عنها، لكن الأمر أثمر؛ فقد لانت ملامحها قليلاً، وأصبحت أقل جلفة.

قال:

- دعينا نجلس في الردهة ونحدث.

قالت بينما عادت البرودة إلى صوتها:

- بل سنتجه إلى المطبخ.

جلسنا ووضعت إبريق القهوة في وسط الطاولة.

قال الرجل العجوز وهو ينظر من النافذة:

- صب لنا القهوة ياغاستو. لديك مزرعة جميلة هنا ياسيدة

سكوين.

- أنا لست سيدة.

- حيث نشأت كنا ندعو جميع النساء اللاتي يدرن مزرعة بلقب

سيدة سواء أكنّ أرامل أو مطلقات أو غير متزوجات. كان الأمر بمثابة

تعبير عن الاحترام.

والتفت إليها مبتسماً ابتسامة عريضة، والتقت عيونهما. ولبضع ثوانٍ،

عم الهدوء كل شيء، ولم تعد تسمع سوى طنين الذبابة المعتوهة وهي

ترتطم بالنافذة محاولة الخروج.

قالت:

- شكراً.

- جيد... في الوقت الحالي، دعينا ننسى هذه الصور ياسيدة سكوين.

تشنجت على كرسيها. خلال حديثي الهاتفي مع إيزابيل، حاولت في

البداية الضحك على اقتراح أنه بإمكاننا إرسال صورها معي إلى الصحافة.

فقد قالت إنها امرأة عزباء وذات طاقة... وإنها بحاجة إلى رجل؛ لِمَ لا؟

فهي مجرد سكرتيرة مستشارة، كما أننا في الزوج. وهكذا، اضطررت لتلوين

التهديد بضربات دقيقة، فقد دفعت لي ويمكنني إثبات ذلك. لقد كان ذلك

تهوراً؛ لأن قضيتي الدعارة والمخدرات من أهم القضايا التي كانت تناقشها

في الصحافة بالنيابة عن مجلس الخدمات الاجتماعية. أليس كذلك؟

بعد دقيقتين، اتفقنا على زمان الاجتماع ومكانه.

قال الرجل العجوز:

"الصحافة تكتب ما يكفي عن السياسيين، لذا دعينا نتكلم عن عرض

عمل ياسيدة سكوين. فعلى عكس الابتزاز، يوفر عرض العمل الجيد مكاسب

لكلا الطرفين. هل أنت موافقة؟"

عبست بينما أشرق وجه الرجل العجوز:

- أنا لا أعني بعبارة عرض عمل أن نقحم المال في الأمر - على

الرغم من أن هذه المزرعة لا تعمل من تلقاء نفسها - فهذا سيكون فساداً.

ما أعرضه عليك مقايضة سياسية بحتة، وأنا أضمن لك أن تبقى سرية

للغاية؛ لكن هذا ما يحصل يومياً في قاعة المدينة، كما أن ذلك من مصلحة الشعب، أليس كذلك؟

هزت سكوين رأسها مجدداً بحذر.

- سيبقى هذا الاتفاق بيننا وبينك ياسيدة سكوين، فهو سيفيد المدينة بالأساس. وإذا كانت لديك أي طموحات سياسية، فأنا أظن أن في ذلك مكاسب محتملة لك شخصياً. وفي هذه الحالة، سيمهد لك ذلك الطريق إلى منصب قيادي في قاعة المدينة في وقت قريب، وربما يمنحك دوراً في السياسة القومية.

توقف فنجان القهوة في منتصف الطريق إلى فمها.

- كما أنني لم أفكر حتى في أن أطلب منك فعل شيء غير أخلاقي ياسيدة سكوين، وإنما أريد فقط أن أبين مصالحنا المشتركة وأترك الأمر لك لتقومي بما أظن أنه الصواب.

- أتعني أن أقوم بما تظن أنت أنه الصواب؟

- قاعة المدينة في موقف حرج. وحتى قبل التطورات السيئة في الأسبوع الماضي، كان هدف مجلس القيادة إزالة أوصلو من قائمة أسوأ المدن في أوروبا من ناحية تعاطي الهيرويين، وكنت تحثين على خفض مبيعات المخدرات والإدمان بين الشباب وعدد حالات الوفيات بسبب الجرعات المفرطة. لكن، في الوقت الحاضر يبدو الأمر بعيد المنال... أليس كذلك ياسيدة سكوين؟

لم تجب.

- ما نحتاج إليه هو بطل أو بطلة تقوم بتسوية الوضع من الأسفل إلى الأعلى.

هزت رأسها ببطء.

- ما عليك فعله هو أن تقضي على العصابات والكارتللات.

قالت إيزابيل:

- شكراً. لكن هذا ما يتم فعله في كل مدينة في أوروبا، لكن عصابات جديدة تظهر مجدداً كالعشب. فحيث يوجد طلب سيكون هناك دائماً مزودون جدد.

- تماماً... كالعشب. أرى أن لديك حقلاً من الفراولة ياسيدة سكوين. هل تستخدمين النشارة؟

- نعم. برسيم الفراولة.

قال الرجل العجوز:

- يمكنني أن أقدم لك النشارة. برسيم فراولة يرتدون قمصان أرسلال.

نظرت إليه، واستطعت رؤية ذهنها الطماع يعمل بسرعة قصوى، بينما بدا الرجل العجوز سعيداً.

رشف رشفة من القهوة وقال:

- النشارة ياعزيزي غاستو هي عشب تزرعه وتتركه ينمو من دون عوائق لمنع الأعشاب الأخرى من الظهور؛ لأن برسيم الفراولة أقل سوءاً من البدائل الأخرى. أتفهمني؟

- أظن ذلك. حيث ينمو العشب ستكون فكرة جيدة أن نزرع العشب الذي لا يؤدي للفراولة.

- بالضبط. وبهذا التشبيه البسيط، ستكون رؤية مجلس المدينة لتنظيف أوصلو هي الفراولة، وجميع العصابات التي تباع الهيروين الخطير وتولّد الفوضى في الشارع هي العشب، في حين أننا نحن والفيولين- النشارة.

- وهكذا؟

- وهكذا، عليك أولاً أن تزيل العشب، ثم تترك برسيم الفراولة لينمو بسلام.

سألت:

- وما الأفضل للفراولة؟

- نحن لا نطلق النار على أحد، ونعمل في الخفاء، كما أننا نبيع المخدرات التي لا تؤدي إلى أي جرعات مفرطة. وبهيمنتنا في حقل الفراولة يمكننا رفع السعر؛ حيث يقل عدد الشباب الذين يتم توظيفهم من دون أن ينخفض مجمل أرباحنا. وحين يتناقص عدد المدمنين وعدد البائعين لن يبقى المدمنون يملأون المنتزهات وشوارع مركز المدينة. باختصار، ستصبح أوصلو مبهجة للسياح والسياسيين والناخبين.

- أنا لست في مجلس الخدمات الاجتماعية.

- ليس بعد ياسيدة سكوين، لكن العشب ليس للمجالس؛ لأن لديها سكرتيرة تتخذ جميع القرارات اليومية البسيطة التي تشكل في كليتها التصرفات الحقيقية التي يتم اتخاذها. طبيعياً، عليك اتباع السياسات التي يتبناها المجلس، لكنك ستكونين الشخص الذي يتواصل يومياً مع الشرطة، ويناقش أنشطتها ومجازفاتها في كفادراتورين على سبيل المثال، وستقومين بالطبع بتحديد دورك أكثر؛ لكنني أرى أنك موهوبة بذلك. يمكنك القيام

بمقابلة بسيطة حول سياسات مكافحة المخدرات في أوصلو، أو الإدلاء بتصريح حول الجرعات المفرطة في المخدرات؛ حيث تحققين نجاحاً ساحقاً ليعرف الإعلام وزملاؤك في الحزب من العقل المدبر؛ أي الفائز بأكبر حبة فراولة هذه السنة.

جلسنا جميعاً بسكون، وكانت الذبابة قد أقلعت عن محاولاتها للهرب حين انتهت لعبة السكر.
قالت إيزابيل:

- هذا الحديث لم يتم بيننا أبداً.
- بالطبع.
- كما أننا لم نلتق أبداً.
- هذا من سوء حظنا ياسيدة سكوين.
- وكيف تتخيل أنك ستعد ل... لزرع العشب؟
- يمكننا مد يد المساعدة. فهناك عادة قديمة بالوشاية للقضاء على المنافسين في هذه التجارة. وهكذا، سنزودكم بالمعلومات اللازمة لتقومي أنت بتقديم اقتراحات مجلس الخدمات الاجتماعية للشرطة. لكنك بحاجة لشخص تأمنيه على شرك في الشرطة... شخص يمكنه الاستفادة ربما من كونه جزءاً من قصة النجاح هذه... شخص...
- شخص طموح وعملي طالما أن ذلك لمصلحة مدينته، أليس كذلك؟
أيمكننا الذهاب والجلوس في الردهة؟

كان سيرغيه مستلقياً على ظهره على المقعد، بينما تفحص رسام الوشم الرسوم بصمت.

حين وصل في الموعد المحدد بدقة في المتجر القديم، كان رسام الوشم منشغلاً بتصميم تين كبير على ظهر صبي مستلق هناك وهو يصر على أسنانه، بينما كانت هناك امرأة - من الواضح أنها أمه - تخفف عنه، وتساءل إن كان من الضروري أن يكون الوشم كبيراً لهذه الدرجة، وحين أنهى دفعت الأجر. وبينما كانت في طريقها للخروج سألت الصبي إن كان سعيداً لحصوله على وشم أجمل من وشم بريين وكريستوفر.

قال رسام الوشم وهو يشير إلى أحد رسومه:

- هذه ستكون أنسب لظهرك.

تمتم سيرغيه:

- تيبوي.

بمعنى أحمق .

- ماذا؟

- ينبغي أن يبقى كل شيء كما هو في الرسم. أيتوجب علي قول ذلك كل مرة؟

- آه! حسناً، لكن لا يمكنني إنهاؤه كله اليوم.

- بلى، يمكنك إنهاؤه كله... سأدفع لك أجراً مضاعفاً.

- هل الأمر طارئ؟

رد سيرغييه بهزة من رأسه. كان أندريه يتصل به كل يوم ويقيه على اطلاع. لذا، حين اتصل به اليوم لم يكن سيرغييه مستعداً لما قاله له. فقد أصبح الضروري ضرورياً.

وقد علم سيرغييه أنه لم يعد هناك من مفر.

لقد أوصل نفسه مباشرة إلى النتيجة: ما من مفر. من الذي يريد أن

يهرب؟

ربما يكون قد فكر بالهرب لأن أندريه قد حذره وأخبره أن الشرطي قد تمكن من انتزاع السلاح من سجين كانوا قد كلفوه بقتل أوليخ فوك. من ناحية أخرى، كان السجين نروجياً ولم يقتل أحداً بالسكين من قبل؛ لكن ذلك يعني في كل الأحوال أن الأمر لن يكون سهلاً كالمرة الماضية؛ فإطلاق الرصاص على بائع المخدرات التابع لهم كان إعداماً بسيطاً. أما الآن فعليه التسلسل وراء الشرطي، والانتظار إلى أن يصل إلى حيث يريد، وأخذه على حين غرة.

- لا أريد أن أكون قاتلاً للمتعة، لكن الوشوم التي لديك ليست

من صنع شخص ماهر؛ فالخطوط غير واضحة والحبر سيئ. أترغب بتجديدها قليلاً؟

لم يجب سيرغييه. ما الذي يعرفه هذا الشخص عن العمل الماهر؟ الخطوط غير واضحة لأن رسام الوشوم في السجن اضطر لاستخدام حبل غيتار حاد متصل بألة حلاقة كهربائية كبيرة، في حين كان الحبر مصنوعاً من نعل حذاء ذائب ومخلوط مع البول.

قال سيرغييه مشيراً:

- ارسم. الآن!

- وهل أنت متأكد من أنك تريد مسدساً؟ إنه خيارك، لكن خبرتي

علمتني أن الناس ينصدمون من الرموز العنيفة... إنه مجرد تحذير.

يبدو أن الشاب لا يعرف شيئاً عن وشوم المجرمين الروس. ألا يعلم

أن القطة تعني أنه قد تمت إدانته بتهمة السرقة، ودار العبادة بقبتين تعني أنه تمت إدانته مرتين؟ ألا يعرف أيضاً أن علامات الحرق على صدره كانت من مسحوق المغنيزيوم الذي وضعه مباشرة على بشرته لإزالة وشم. كان الوشم مذلاً، وقد تم رسمه له حين كان محبوساً للمرة الثانية من قبل أعضاء عصابة بلاك كورن الزوجية الذين ظنوا أنه مدين لهم بالمال بعد لعبة ورق.

ولا يعرف رسام الوشوم أيضاً أن المسدس الظاهر في الرسم مسدس ماكاروف؛ وهو السلاح الذي تستخدمه الشرطة الروسية، وأنه يشير إلى أن سيرغييه إيفانوف قد قتل شرطياً.

لم يكن يعرف شيئاً، وهذا أمر ممتاز. وسيكون من الأفضل أن يستمر بوشم الفراشات والرموز الصينية والتنانين الملونة للشباب النرويجيين الذين يظنون أن قائمة رسومهم تعبر عن شيء ما.

سأل رسام الوشوم:

- أبدأ؟

تردد سيرغييه، فقد كان رسام الوشوم محقاً، لكن الأمر مستعجل. لكن، لِمَ هو مستعجل لهذه الدرجة؟ لِمَ لا ينتظر حتى يموت الشرطي؟ لأنه إن تم القبض عليه بعد جريمة القتل وإرساله إلى سجن نروجي حيث لا يوجد أي رسامي وشوم فلن يتمكن من الحصول على الوشم اللعين الذي يريده.

لكن، كان هناك أيضاً جواب آخر للسؤال.

هل سيحصل على الوشم قبل جريمة القتل لأنه كان خائفاً ضمناً؟ أهو خائف بشدة لدرجة أنه لم يكن متأكداً من أنه سيتمكن من تفحصه؟ ألهذا عليه الحصول على الوشم الآن؟ لحرق جميع الجسور من ورائه والقضاء على جميع احتمالات التراجع؛ حيث يكون مجبراً على ارتكاب الجريمة؟ لا يمكن لأي سيبري أن يعيش وهناك كذبة منقوشة على بشرته. وقد كان سعيداً، ويعلم أنه كان سعيداً... إذاً، ما هذه الأفكار؟ ومن أين أتت؟

كان يعرف من أين أتت.

بائع المخدرات... الصبي الذي يرتدي قميص أرسنال.

بدأ بالظهور في أحلامه.

قال سيرغييه:

- نعم، دعنا نبدأ.

قالت راكيل وهي متكئة على الثلجة وتمسك بفنجان من الشاي:

- يظن الطبيب أن أوليغ سيتعافى خلال بضعة أيام.

قال هاري:

- إذًا، علينا نقله إلى مكان حيث لا يمكن لأحد على الإطلاق

الوصول إليه.

كان واقفًا إلى جانب نافذة مطبخها، وينظر إلى البلدة في الأسفل

حيث كانت السيارات تزحف في ازدحام بعد الظهيرة كديدان متوهجة على

الطريق الرئيس.

قالت:

- لا بد أن لدى الشرطة أماكن لحماية الشهود.

لم تجزع راكيل، وإنما تلقت خبر الهجوم بالسكين على أوليغ برباطة

جأش؛ كما لو أن ذلك كان شيئاً شبه متوقع. وفي الوقت نفسه، استطاع

هاري رؤية السخط على وجهها... وجهها الناقم.

قال هانز كريستيان سيمونسين:

- ينبغي أن يبقى في السجن. لكنني سأتكلم مع المدعي العام

لنقله.

كان هانز قد أتى ما إن اتصلت به راكيل، وجلس إلى طاولة المطبخ،

بينما تشكلت دوائر من العرق على القميص تحت ذراعيه.

قال هاري:

- انظر إن كان بإمكانك خداع القنوات الرسمية.

سأل المحامي:

- ماذا تعني؟

- كانت الأبواب غير مقفلة؛ مما يعني أن أحد حراس السجن

متورط في الأمر. وطالما أننا لا نعرف من المتورط فعلينا الافتراض أنه قد

يكون أي شخص.

- أليس هذا نوعاً من جنون الارتياب؟

- الارتياب ينقذ الأرواح. يمكنك الاهتمام بهذا ياسيمونسين؟

- سأرى ما يمكنني فعله. ماذا عن مكانه الآن؟

- إنه في مشفى أوليفال. وقد تأكدت من وجود شرطين أثق بهما

ليعتنيا به. هناك أمر آخر، مهاجم أوليغ في المشفى، لكن سينتهي به الأمر

بالحدّ من حقوقه.

سأل سيمونسين:

- أما من زوار؟

- بلى، أيمكنك التأكيد مما سيقوله في اعترافه للشرطة أو لمحاميّه؟

حك سيمونسين رأسه:

- هذا صعب.

- ربّما لن يحصلوا على كلمة منه، لكن علينا المحاولة.

وبدأ هاري بارتداء معطفه.

سألته راكيل وهي تمسك بذراعه:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى المصدر.

كانت الساعة هي الثامنة مساءً، وقد خف ازدحام السيارات في عاصمة الدولة ذات يوم العمل الأقصر في العالم. وكان الصبي الواقف عند السلام في أسفل تولبوغاتا يرتدي قميصاً رقمه 23... أرشافين. كانت قبعته على رأسه، وينتعل حذاء رياضياً أبيض من نوع أير جوردان. وكان البنطال الجينز من نوع جيربود مكويّاً ومتيبساً لدرجة أنه يمكنه الوقوف بنفسه. ثياب عصابات كاملة، وكل شيء منسوخ حتى أدق التفاصيل من آخر فيديو لريك روس. وقد افترض هاري أنه حين ينزل السروال فسيظهر السروال الداخلي. ولم تكن هناك أي ندب من السكاكين أو الرصاص؛ وإنما وشم واحد على الأقل يمجّد العنف.

توجه إليه هاري:

- فيولين... ربع.

نظر الصبي إلى هاري من دون أن يخرج يديه من جيبي كنزته

وهز رأسه.

قال هاري:

- إذّا؟

- عليك انتظار بوراز.

كانت لكنة الصبي باكستانية، وافترض هاري أنه اكتسبها حين كان يأكل كرات اللحم التي تصنعها أمه في منزله الزوجي مائة بالمائة:

- ليس لدي أي وقت للانتظار حتى تجمع مجموعة.

- استرخ، فلن يطول الأمر.

- سأدفع لك مائة زيادة.

تفحص الصبي هاري بعينه، وعرف هاري ما كان يفكر به. فهو يبدو له رجل أعمال قبيحاً يرتدي بذلة غريبة، ومدمناً على المخدرات يخشى أن يمر زملاؤه أو أقاربه به بالصدفة. إنه رجل يطلب أن يتم خداعه.

قال الصبي:

- ستمائة.

تنهد هاري وهز رأسه.

قال الصبي:

- إدرا.

ثم بدأ بالمشي.

افترض هاري أن الكلمة تعني أن عليه أن يتبعه.

انعطفاً، ثم مشياً عبر بوابة مفتوحة إلى باحة خلفية. كان رجل المخدرات أسود... ربما من شمال إفريقيا، ويتكى على كومة من الألواح الخشبية، ورأسه يتمايل للأعلى والأسفل على أنغام الموسيقى المنبعثة من الآي بود، بينما تدلت إحدى سماعتي أذنيه جانباً. قال ريك روس الذي يرتدي قميص الأرسنال:

- ربع.

أخرج رجل المخدرات شيئاً من جيب عميق وناول هاري بيد مقلوبة لثلا يراه أحد. نظر هاري إلى الكيس الذي أخذه... كان المسحوق أبيض، لكن مع بعض الذرات الصغيرة الداكنة.

سأل هاري وهو يضع الكيس في جيب سترته:

- لدي سؤال.

استقام الاثنان بينما رأى هاري يد رجل المخدرات ترجع إلى وراء ظهره، فخمن أن معه مسدساً صغيراً في حزام سرواله.

أخرج صورة عائلة هانسن وقال:

- أراى أي منكما هذه الفتاة؟

حدقا بها وهزا رأسيهما.

- لدي خمسة آلاف لمن يعطيني أي إرشاد أو شائعة أو أي شيء

حولها.

نظرا إلى بعضهما بعضاً بينما انتظر هاري، ثم هزا كتفيهما والتفتا نحوه. ربما يكونان قد سمحا له بالسؤال لأنهما جربا ذلك من قبل... أب يبحث عن ابنته بين المدمنين على المخدرات في أوسلو. لكن، كان يعوزهما

الخيال أو السخرية اللازمة لاختراع قصة ليحصل على الجائزة.

قال هاري:

- حسناً.. إذأ، سلما على دبي، وأخبراه أن لدي بعض المعلومات التي قد تكون مهمة بخصوص أوليغ. قولا له إن بإمكانه القدوم إلى فندق ليون والسؤال عن هاري.

في اللحظة التالية ظهر... كان هاري محقاً، فقد بدا كمسدس بيريتا عيار تسعة ملم.

- هل أنت بوسج؟

كانت الكلمة تعني الكباب الزوجي؛ وهي كناية عن الشرطة.

قال هاري وهو يحاول كبت الغثيان الذي ينتابه دائماً كلما نظر إلى

فوهة مسدس:

- لا.

- أنت كاذب. أنت لا تحقن نفسك بالفيولين. أنت شرطي متخف.

- أنا لست كاذباً.

هز رجل المخدرات رأسه لريك روس الذي توجه إلى هاري، ورفع كم سترته، في حين حاول هاري إبعاد عينيه عن المسدس إلى أن صدر صوت صفير منخفض.

قال ريك روس:

- يبدو أن الزوجي يحقن نفسه.

كان هاري قد استخدم إبرة خياطة عادية كان قد سخنها على لهب الولاة، وقام بوخزات عميقة، ثم لواها في أربعة أماكن أو خمسة من ذراعه، ثم فرك الجروح ليمنحها لوناً أحمر ملتهباً. وفي النهاية، ثقب العرق عند كوعه ليبدو الدم تحت الجلد، ويشكل بعض الكدمات الواضحة.

قال رجل المخدرات وهو يباعد بين ساقيه ويمسك بالمسدس بكلتا

يديه:

- لكنني أظنه كاذباً بكل الأحوال.

- لماذا؟ انظر... معه أيضاً حقنة ورقاقة ألمنيوم في جيبه.

- إنه ليس خائفاً.

- ما الذي تعنيه؟ انظر إلى الرجل!

- إنه ليس خائفاً بما فيه الكفاية... هيه... بوسج، خذ الحقنة الآن؟

- أجنتت ياريج؟

- اخرس!

- اهدأ، لم أنت غاضب لهذه الدرجة؟

قال هاري:

- لا أظن أن ريج أحب أنك استخدمت اسمه.

- اخرس أنت أيضاً! الحقنة! واستخدم كيسك.

لم يكن هاري قد أذاب أو حقن من قبل... على الأقل حين كان واعياً، لكنه استخدم الأفيون وعرف ما يشمله الأمر: إذابة المادة وتحويلها إلى سائل، وسحبها بالحقنة. ما مدى صعوبة ذلك؟ جثم وسكب المسحوق في رقاقة الألمنيوم ليقع بعضه على الأرض، ثم لعق إصبعه وأدخلها بفمه وفرك بها لثته محاولاً أن يبدو حريصاً. كان الطعم مرّاً كالمساحيق الأخرى التي كان قد تذوقها كشرطي؛ لكن كان هناك طعم آخر أيضاً... كانت هناك لذعة خفيفة من الأمونيوم... لا، ليست أمونيوم... تذكر الآن، فقد ذكرته اللذعة برائحة فاكهة البابايا الناضجة. أشعل الولاعة وهو يتمنى أن يعذرا ارتبائه البسيط بسبب المسدس الموجه إلى رأسه.

بعد دقيقتين، كانت الحقنة معبأة وجاهزة.

كان ريك روس قد استعاد هدوءه، ورفع كميته إلى مرفقيه، ووقف مباعداً بين ساقيه، ومكتفياً ذراعيه، ومميلاً رأسه للخلف.
أمر:

- اضرب!

ثم ارتعش ورفع راحة يده:

- ليس أنت ياريج!

نظر هاري إليهما... لم تكن لدى ريك روس أي علامات على ذراعيه العاريتين، بينما بدا ريج أكثر حذراً. أطبق هاري قبضته اليسرى ورفعها إلى كتفه مرتين، ثم مد ذراعه وأدخل الإبرة بزاوية بثلاثين درجة كما هو موصى، وهو يتمنى أن يبدو الأمر محترفاً لشخص لم يقم بحقن نفسه.

تأوه هاري:

- آآآآه.

أن يبدو احترافياً بما يكفي لهما؛ لئلا يفكرا بمدى دخول الإبرة واختراقها العروق أو وقوفها عند اللحم فحسب.

أدار عينيه بينما انهارت ركبتاه.

أن يبدو احترافياً بما يكفي لهما؛ حيث تظاهر بوضعه للنشوة.

همس:

- لا تنسيا أن تخبرا دبي.

ثم ترشح إلى الشارع، متأرجحاً غرباً باتجاه القصر الملكي، ولم يستقم حتى وصل إلى بوابة درونينجينز.

عند بوابة برينسينز، بدأ المفعل المتأخر للمخدر بالظهور بسبب الجزء الذي وصل إلى الدم وتوجه إلى الدماغ عبر شعيرات الأوعية الدموية. كان الأمر كصدى بعيد لدخول الإبرة في شريان، لكن هاري أحس بعينيه تغروران بالدموع؛ فقد كان الأمر كالاتتماع بين حبيبين بعد أن ظنا أنهما لن يلتقيا مجدداً. وانتابه إحساس رائع، وعرف لماذا سموه فيولين.

في العاشرة ليلاً، كانت الأضواء مطفأة في مكاتب أورغكريم والممرات فارغة، لكن شاشة الحاسب في مكتب ترولس بيرنستن كانت تعكس ضوءاً أزرق على وجه الشرطي الجالس هناك، واضعاً قدميه على طاولة المكتب. كان قد راهن بألف وخمسمائة على فوز مانشستر سيتي وقد أوشك على خسارة المبلغ لكنهم قد كسبوا الآن ركلة حرة... ثمانية عشر متراً واللعب تيفيز.

سمع الباب يفتح فنقر بإصبعه تلقائياً على زر الخروج، لكن الأوان كان قد فات.

- أمل أن لا تكون ميزانيتنا هي التي تدفع لهذا الهدر.
جلس مايكل بيلمان على الكرسي الثاني الوحيد. كان ترولس قد لاحظ أنه كلما ارتقى بيلمان بمنصبه تغيرت لكنته التي كان يستخدمها في مانغلوود، ولم يكن يعود للكنته الأصلية إلا حين يتكلم معه.
- أقرأت الصحف؟

هز ترولس رأسه، فيما أنه ليس هناك ما يمكن قراءته فقد كان يتابع صفحات الجرائم والرياضة. كان قد قرأ الكثير عن سكرتيرة المجلس إيزابيل سكوين التي بدأت صورها تظهر في المناسبات الاجتماعية بعد أن قامت مجلة فيردنس غانغ بنشر سيرتها الذاتية بعنوان "كناسة الشوارع" حيث تم مدحها لكونها صاحبة الفضل في نظافة شوارع أوصلو في الوقت نفسه الذي أطلقت فيه نفسها كسياسية قومية. ولاحظ ترولس أن خط رقبته ينحدر بالتوازي مع دعم المعارضة، وأن ابتسامتها في الصور بعرض مؤخرتها.

قال بيلمان:

- أجريت حديثاً غير رسمي مع مفوض الشرطة، وقد قُرر تعييني كرئيس للشرطة، وسيتم تقديم طلب لوزارة العدل.

صرخ ترولس:

- تباً.

لقد ركل تيفيز الكرة لترتطم بالعارضة.

نهض بيلمان:

- بالمناسبة، أظنك قد ترغب بمعرفة أنني وأولا سندعو بعض

الأشخاص لزيارتنا السبت المقبل.

أحس ترولس بالطعنة نفسها في قلبه التي يشعر بها كلما سمع باسم

أولا.

- منزل جديد ووظيفة جديدة حسب ما تعلم... كما أنك ساعدتنا

في إنشاء الشرفة.

فكر ترولس:

- ساعدت! لقد قمت ببنائها بالكامل.

- إن لم تكن مشغولاً...

وأوماً بيلمان إلى الشاشة ثم تابع:

- ... أنت مدعو أيضاً.

شكره ترولس، وقبل الدعوة كما كان يفعل منذ أن كانا صبيين؛ حيث

كان يوافق على لعب دور المتفرج على سعادة مايكل بيلمان وأولا... وافق

على تمضية أمسية أخرى سيخفي فيها من هو وبم يشعر.

قال بيلمان:

- شيء آخر. أتذكر الرجل الذي طلبت منك أن تحذف اسمه من

سجل الزوار في مكتب الاستقبال.

هز ترولس رأسه من دون أن يرمش له جفن. كان بيلمان قد اتصل

به وشرح له أن شخصاً اسمه تورد شالتز قد مر ليعطيه معلومات عن

تهريب المخدرات، ويخبره أن هناك حارقاً في الشرطة، وأنه قلق على سلامة

الرجل لذا ينبغي إزالة اسمه من السجل لئلا يصل إليه هذا الحارق الذي

يعمل في مركز الشرطة.

- لقد حاولت الاتصال به عدة مرات لكن ما من رد، وأنا قلق

عليه نوعاً ما. هل أنت متأكد من أن مسؤول الأمن قد أزال اسمه ولم

يتعرف عليه أحد آخر؟

- بالتأكيد يارئيس الشرطة.

كان فريق مانشستر سيتي يدافع، وقد تمكن من إبعاد الكرة.

- بالمناسبة، هل سمعت شيئاً من ذلك الضابط المزعج في المطار.

قال بيلمان:

- لا يبدو أنه تقبل فكرة أنه مجرد طحين. لماذا؟
- إنه مجرد تساؤل يارئيس الشرطة. تحياتي للتنين في المنزل.
- أفضل أن لا تستخدم هذه العبارة. مفهوم؟
- هز ترولس كتفيه:
- أنت تدعوها بهذا اللقب.
- أعني رئيس الشرطة، فالأمر لن يكون رسمياً قبل مضي بضعة أسابيع.

تنهد مدير العمليات. كان ضابط المرور الجوي قد اتصل ليقول له إن رحلة بيرغن قد تأجلت لأن الطيار لم يأت أو يتصل وعليهم الإسراع في تأمين طيار آخر.

قال المدير:

- شالتز يمضي وقتاً صعباً.
- لكنه لا يجيب على هاتفه.
- إني قلق من ذلك. ربّما يقوم ببعض الرحلات المنفردة في وقت فراغه.
- هذا ما سمعت به، لكن هذا ليس وقت فراغ. قد نضطر لإلغاء الرحلة.
- كما قلت لك، قد يكون علق في زحمة المرور... سأكلمه.
- جميعنا نعلق في زحمة المرور يا جورج. علي كتابة تقرير كامل...
أنفهمني؟

توقف مدير العمليات ثم استسلم:

- بالطبع.

بعد أن أنهيا المكالمة، ظهرت صورة في مخيلة مدير العمليات. في مساء ما، حيث كان الشواء والصيف والشراب وشرائح اللحم الكبيرة من تكساس التي يقلبها أحد المتدربين. لم يره أحد هو وإلس وهما يتسللان إلى غرفة نوم، حيث تنهدت برقة كي لا يسمعها أحد وسط صرخات الأطفال والطائرات المحلقة والضحك الصاخب خارج النافذة المفتوحة... طائرات تحلق وتهبط... ضحكات تورد المدوية بعد قصة اعتيادية عن الطيران... وتنهدات زوجة تورد.

- هل اشتريت الفيولين؟!

حدقت بتي لون غير مصدقة إلى هاري الذي كان جالساً في زاوية مكتبها. كان قد جر الكرسي بعيداً عن نور الصباح الساطع إلى الظلال، حيث لف كفيه حول الكوب الذي ناولته إياه. كما كان قد علق سترته على ظهر الكرسي بينما تصبب العرق على وجهه.

- أنت لم...؟

- هل أنت مجنونة؟

ورشف هاري القهوة الساخنة:

- لا يمكن للمدمنين على الشراب القيام بهذا النوع من العمل.

- جيد، لأنني في تلك الحالة كنت سأظن أنها حقنة غير متقنة.

نظر هاري إلى ذراعه. لم يكن قد أحضر معه سوى البذلة وثلاثة سراويل داخلية، وزوجين من الجوارب، وقمصين بأكمام قصيرة. كان قد قرر أن يشتري ما يحتاج إليه من ملابس من أوسلو، لكنه لم يجد الوقت الكافي لذلك حتى الآن. وهذا الصباح، استيقظ كما لو أنه فاقد رشده، وكاد أن يتقيأ في المرحاض. وقد نتج عن حقنه نفسه في اللحم شكل الولايات المتحدة الأمريكية.

قال هاري:

- أريدك أن تحللي لي هذا.

- لماذا؟

- بسبب صور مسرح الجريمة التي تظهر الكيس الذي وجدتموه مع أوليغ.

- ما بها؟

- لديك كاميرا رائعة تظهر أن المسحوق كان أبيض نقياً، أما هذا المسحوق فيحوي أشياء بنية. أريد أن أعرف ما هذا.

أخرجت بتي عدسة مكبرة من الدولاب، وانحنت على المسحوق الذي نثره هاري على غلاف مجلة التحقيقات الجنائية.

- أنت محق، العينات التي كانت لدينا بيضاء. لكن في الواقع،

خلال الأشهر القليلة الماضية لم تتم مصادرة أي شيء، لذا هذا مثير للاهتمام، وخاصة بعد أن اتصل محقق الشرطة في مطار غاردموين منذ يومين وقال شيئاً مشابهاً.

- ماذا؟
- لقد وجدوا كيساً مليئاً بالمسحوق في حقيبة يد طيار، وقد تساءل المحقق عن كيفية توصلنا إلى أنه طحين، فقد رأى الحبيبات البنية في المسحوق بعينه.
- أيطن أن الطيار كان يهرب الفيولين؟
- بما أنه لم تتم مصادرة أي فيولين على الحدود فرما يكون المحقق لم ير الفيولين من قبل. الهيرويين الأبيض نادر، ومعظم المواد التي تصلنا إلى هنا تكون بنية، لذا فقد ظن المحقق ربما أنه قد تم خلط الاثنين معاً. بالمناسبة، لم يكن الطيار قادماً إلى النروج وإنما مغادراً.
- مغادراً؟
- نعم.
- إلى أين؟
- بانكوك.
- كان يحمل معه الطحين إلى بانكوك!؟
- ربما كان يأخذه إلى شخص نروجي ليصنع منه صلصة بيضاء لكرات السمك.
- وابتسمت، بينما احمرت وجنتاها لمحاولتها إلقاء دعاية.
- ممم... هناك قضية مختلفة. لقد قرأت عن شرطي متخفي تم العثور عليه ميتاً في مرفأ غوتنبرغ، بينما انتشرت شائعات عن كونه حارقاً. هل من شائعات حوله في أوسلو؟
- هزت بتي رأسها بالنفي:
- لا، بالعكس. كان مشهوراً للغاية بحرصه على القبض على الأشرار، وقبل مقتله كان يتكلم عن وجود سمكة كبيرة تكاد تعلق بالطعم، وأنه سيصطادها وحده.
- وحده.
- لم يقل أي شيء زيادة؛ إذ لم يكن يثق بأي أحد. أبدو كأحد تعرفه ياهاري؟
- ابتسم ونهض وهو يدخل ذراعيه في كمي السترة.
- إلى أين أنت ذاهب؟
- لزيارة صديق قديم.
- لا أعرف أن لديك أي أصدقاء.
- إنه مجرد تعبير. لقد اتصلت برئيس كريبوس.

- هيمين؟
- نعم، وسألته إن كان بإمكانه إعطائي قائمة بأسماء الأشخاص الذين تكلم معهم غاستو بهاتفه المحمول قبل وقوع الجريمة، فأجابني أنها قضية مفتوحة ومغلقة، وليست لديهم أي قائمة، وأنه حتى لو كانت لديهم فإنهم لن يعطوها أبداً... دعيني أتذكر...
- أغمض هاري عينيه وعد على أصابعه:
- ... شرطي تم تسريحه، ومدمن على الشراب، وخائن مثلي.
- كما قلت لك، لا أعرف أن لديك أي أصدقاء.
- إذًا، علي الآن أن أجرب في مكان آخر.
- حسناً. سأطلب تحليل هذا المسحوق اليوم.
- توقف هاري عند الباب:
- لقد قلت إنه مؤخراً بدأ الفيولين يظهر في غوتنبرغ وكوبنهاغن. أيعني ذلك أنه ظهر هناك بعد أوصلو؟
- نعم.
- ألا يتم الأمر بالعكس عادة؟ يظهر المخدر الجديد أولاً في كوبنهاغن ثم ينتشر شمالاً؟
- أنت محق... لماذا؟
- لست متأكداً. ماذا قلت كان اسم ذلك الطيار؟
- لم أقله... تورد شالتز... هل من شيء آخر؟
- نعم. هل فكرت يوماً في أن الشرطي المتخفي قد يكون محققاً؟
- محققاً؟!
- أن يبقي فمه مغلقاً ولا يثق بأحد، فرها كان يعرف أن هناك حارقاً في مكان ما.

نظر هاري إلى أرجاء البهو الكبير والفسيح لمساحة الاستقبال في مركز تيلينور في فورنيبو، حيث كان يقف شخصان وراء مكتب على بعد عشرة أمتار. رأهما يستلمان بطاقات مرور ليستقبلهما الشخص الذي سيزورانه عند الحاجز. يبدو أن تيلينور قد شددت من إجراءاتها، حيث لم تعد خطته بالتطفل على مكتب كلاوس توركيلدسن قابلة للتطبيق.

قام هاري بتقييم الوضع.

بالتأكيد لن يسعد توركيلدسن من الزيارة لسبب بسيط، فقد كان هاري قد أمسك به في وضعية غير محتشمة، وقد تمكن من إبقاء الأمر

سراً، ولم يخبر رئيسه في العمل. لكن هاري استخدم ذلك لعدة سنوات للضغط عليه للحصول على معلومات، وأحياناً تجاوز الحدود لما يمكن قانونياً لشركة هواتف أن تقدمه. إلا أنه بدون سلطة بطاقة تعريف رجل الشرطة، لن يقبل توركيلدسن على الأرجح بمقابلة هاري.

على يمين البوابات الأربع المؤدية إلى المصاعد، كانت هناك بوابة كبيرة مفتوحة لتدخل منها مجموعة من الزوار. عندها، اتخذ هاري قراراً سريعاً، فمشى نحو المجموعة، وانضم إلى الحشد المتجه إلى ممثل تيلينور الذي أمسك بالبوابة فاتحاً إياها. التفت هاري إلى الشخص المجاور له... وهو رجل قصير بملامح صينية.

- نين هاو.

- عذراً؟

نظر هاري إلى الاسم على بطاقة المرور... يوكي ناكازاوا.

- آه ياباني.

ضحك هاري، وربت على كتف الرجل عدة مرات كما لو كانا صديقين قديمين، بينما بادله يوكي الابتسامة بابتسامة مترددة. قال هاري بينما كانت يده على كتف الرجل:

- إنه يوم جميل.

- نعم. من أي شركة أنت؟

- تيلياسونيرا.

- جيد جداً.

مرا أمام موظف تيلينور، حيث استطاع هاري أن يرى بطرف عينه الرجل قادماً باتجاههما، وعرف تقريباً ما سيقوله، وقد كان محقاً.

- آسف ياسيدي، لكن لا يمكنني إدخالك من دون لصاقة الاسم.

نظر يوكي ناكازاوا إلى الرجل بدهشة.

كان توركيلدسن قد حصل على مكتب جديد. وبعد أن مشى هاري كيلومتر عبر مكتب مفتوح، رأى أخيراً جسداً كبيراً مألوفاً في قفص زجاجي. دخل هاري مباشرة.

كان الرجل جالساً وظهره لهاري، وهو يضع سماعة الهاتف على أذنه، واستطاع هاري رؤية تدفق البصاق من فمه على النافذة المقابلة.

- الآن لديك خادم إس دبليو 2 اللعين يعمل!

سعل هاري.

فدار الكرسي، ليري هاري أن كلاوس توركيلدسن قد أصبح أكثر سمناً، ويرتدي بذلة أنيقة تخفي كتل الشحم؛ لكن ما من شيء يمكنه إخفاء تعابير الخوف المطلق المنتشر على وجهه غير العادي. ما كان غير عادي فيه هو أنه مع مثل هذه المساحة الواسعة، وجدت العينان والأنف والفم أنه من الأنسب أن تجتمع على جزيرة صغيرة وسط محيط الوجه. أخفض بصره إلى بطاقة اسم هاري.

- يوكي... ناكازاوا؟!!

ابتهج هاري، ومد ذراعيه لمعانقته:

- كلاوس.

همس توركيلدسن:

- ما الذي تفعله هنا بحق الله؟

أخفض هاري ذراعيه:

- أنا بغاية السعادة لرؤيتك.

وجثم على حافة طاولة المكتب حيث كان يجلس دائماً. اهجم واتخذ مكاناً مرتفعاً... إنها طريقة بسيطة وفعالة للسيطرة. بلع توركيلدسن لعابه، بينما رأى هاري حبات كبيرة ومتألئة من العرق تتشكل على جبينه. تدمر توركيلدسن وهو يشير إلى الهاتف:

- شبكة الهاتف المحمول في تروندهايم كان من المفترض تركيب

الخادم لها منذ الأسبوع الماضي وتشغيله، ولا يمكنني الثقة بأحد بعد الآن. وقتي ضيق للغاية. ما الذي تريده؟

- قائمة الاتصالات من وإلى هاتف غاستو هانسن المحمول منذ

مايو.

وسحب هاري قلماً وكتب الاسم على ورقة صغيرة صفراء.

- أنا في الإدارة الآن، ولا أعمل في الطابق السفلي.

- لا. لكن، بالطبع لا يزال بوسعك إحضار الرقم لي.

- أليديك أي تصريح؟

- لو كان لدي لكنت قد اتجهت مباشرة إلى جهة اتصال الشرطة

بدلاً منك.

- إذًا، لِمَ لا يقوم محامي الشرطة بمنحك تصريحاً؟

ما كان توركيلدسن القديم ليجرؤ على التفوه بسؤال مثل ذلك... لقد أصبح أقوى وأكثر ثقة. أسبب الترقية الجديدة أو شيء آخر؟ رأى هاري ظهر إطار صورة على طاولة المكتب من نوع الصور الشخصية التي

تستخدمها لتذكر نفسك أن لديك أحداً ما. وما لم تكن لكلب فإنها لامرأة وربما مع طفل. من كان سيفكر في هذا؟ الفاسق القديم حصل على امرأة.
قال هاري:

- لم أعد أعمل للشرطة.

تكلف توركيلدسن الابتسام:

- ومع ذلك، تريد معلومات عن محادثة!!

- لا أريد الكثير... هذا الرقم فحسب.

- ولم أفعل ذلك؟ إن اكتشف أحد أنني أفصحت عن مثل هذا

النوع من المعلومات فسأطرد، ولن يكون من الصعب اكتشاف أنني قد دخلت النظام.

لم يجب هاري.

ضحك توركيلدسن بهرارة:

- فهمت. نوع الابتزاز الجبان القديم نفسه. إن لم أعطك المعلومات

مخالفاً القوانين فستخبر زملائي بفعليتي.

- لا... لا... لن أتكلم. إنني ببساطة أطلب منك خدمة ياكلوس...

الأمر شخصي. ابن حبيبي السابقة معرض للحكم عليه بالسجن مدى الحياة على جريمة لم يرتكبها.

رأى هاري ذقن توركيلدسن يرتجف لتتشكل موجة من اللحم على

رقبته حتى امتصها جسده واختفت. لم يكن هاري قد خاطب كلاوس

توركيلدسن من قبل باسمه الأول. نظر توركيلدسن إليه ورمش، ثم ركز،

بينما ظهرت حبات العرق وتلألأت. ورأى هاري الآلة الحاسبة الذهنية وهي

تجمع وتطرح ثم تصل إلى الناتج، حيث رفع توركيلدسن ذراعيه ورجع

للوراء بكرسيه الذي صر تحت ثقله.

- آسف يا هاري. كنت أرغب بمساعدتك، لكنني الآن لست قادراً

على تقديم مثل هذا النوع من التعاطف. أتمنى أن تفهمني.

قال هاري وهو يفرك ذقنه:

- بالطبع. الأمر مفهوم بالكامل.

- شكراً.

بدا توركيلدسن مرتاحاً، بينما بدأ بمحاولة النهوض عن كرسيه ليرافق

هاري إلى خارج القفص الزجاجي وحياته.

- صحيح. إن لم تعطني الأرقام فلن يكون زملاؤك هم الوحيدين

الذين سيعرفون بما جرى، وإنما زوجتك أيضاً. أليكما أي أطفال؟ واحد...

اثنان؟

هوى توركيلدسن على الكرسي وهو يحدق بهاري غير مصدق... كلاوس
توركيلدسن القديم والمرتجف:
- لقد... لقد قلت إنك لن...
هز هاري كتفيه:
- آسف، لكنني الآن لا أستطيع تقديم مثل هذا النوع من
التعاطف.

كانت الساعة العاشرة وعشر دقائق ليلاً ومقهى شرودر شبه ممتلئ.
قالت بتي:

- لم أرغب بقدمك إلى مكان عملي، فقد اتصل هيمين وقال إنك
طلبت قائمة مكالمات هاتفية، وقد سمع أنك زرتني. لقد حذرتني من
التدخل في قضية غاستو.

- حسناً... من الجيد أنك استطعت القدوم إلى هنا.

التقت عيناه عيني ريتا التي كانت تقدم الشراب في الطرف الآخر
من الغرفة، ورفع لها إصبعيه فهزت رأسها. كانت قد مضت ثلاث سنوات
منذ آخر مرة أتى بها إلى هنا، لكنها لا تزال تفهم لغة الإشارات التي
يستخدمها زبونها المنتظم السابق... شراب مرافقه وقهوة لمدمن.

- أساعدك صديقك في الحصول على القائمة؟

- كثيراً.

- وماذا وجدت؟

- لا بد أن غاستو كان مفلساً في آخر فترة، فقد تم توقيف خطه
عدة مرات، ولم يستخدم هاتفه كثيراً سوى في بضع محادثات قصيرة مع
أوليغ. كما اتصل بأخته في الرعاية إيرين قليلاً، لكن المحادثات توقفت
فجأة قبل بضعة أسابيع من موته. وعدا عن ذلك، كانت معظم المكالمات
الأخرى لمطعم البيتزا. سأذهب إلى راكيل بعد قليل للبحث عن الأسماء
الأخرى على الإنترنت. ماذا يمكنك أن تخبريني عن التحليل؟

- المادة التي اشتريتها مطابقة تقريباً للعينات الأولى للفيولين التي
فحصناها. لكن هناك اختلافاً بسيطاً في المركب الكيميائي. كما أن هناك
نقاطاً بنية.

- إذاً؟

- إنها ليست مركباً صيدلانياً فعالاً، وإنما مجرد غلاف يستخدم

- لتغليف الحبوب لجعل بلعها أسهل، أو لمنحها نكهة أفضل.
- هل من الممكن تتبعها حتى المنتج؟
 - نظرياً نعم. لكنني تحققت من الأمر، وتبين لي أن مصنعي الأدوية يصنعون أغلفتهم الخاصة؛ مما يعني أن هناك آلاف الأنواع في العالم.
 - إذًا، لن نحصل من ذلك على أي نتيجة، أليس كذلك؟
 - ليس مع الغلاف. لكن، داخل بعض القطع لا تزال هناك بقايا الحبوب. إنه الميثادون.
 - حضرت ريتا الشراب والقهوة، وشكرها هاري ثم غادرت.
 - كنت أظن أن الميثادون سائل ويأتي في عبوات.
 - الميثادون المستخدم لإعادة تأهيل المدمنين على المخدرات يأتي في عبوات، ولهذا اتصلت بمشفى سانت أولاف حيث يقومون بأبحاث على الأفيون والمستحضرات أفيونية المفحول لعلاج الآلام.
 - ولصنع الفيولين.
 - لقد قالوا إنه من الممكن استخدام الميثادون المعدل في صنعه... نعم.
 - هذا يعني أن الفيولين ليس مصنوعاً من العدم. لكن، كيف لذلك أن يساعدنا؟
 - لفت بتي أصابعها حول كأس شراب:
 - ليس هناك الكثير من منتجي حبوب الميثادون، وواحد منهم فقط يقع في أوصلو.
 - أي بي؟ نيكوميد؟
 - مشفى راديوم. لديهم هناك معهد أبحاث، وقد صنعوا حبوب الميثادون لمعالجة الآلام الشديدة.
 - السرطان.
 - هزت بتي رأسها، بينما رفعت بإحدى يديها الكأس إلى فمها، وأمسكت بالأخرى شيئاً من على الطاولة.
 - من مشفى راديوم؟
 - هزت بتي رأسها مجدداً.
 - أمسك هاري بالحنة المدورة الصغيرة التي تحمل الحرف ر على الغلاف البني.
 - أتعرفين ماذا يابتي؟

- لا.
- أظن أنه قد أصبحت لدى الزوج صادرات جديدة.

سألت راكيل:

- أتعني أن أحداً ما في الزوج ينتج ويصدر الفيولين؟
- كانت متكئة على إطار باب غرفة أوليغ وقد شبكت ذراعيها.
- قال هاري وهو يكتب الاسم التالي على القائمة التي أعطاه إياها
- توركيلدسن:

- هناك على الأقل حقيقتان تشيران إلى أن هناك أحداً يفعل ذلك. أولاً، إن المنتج ينتشر من أوسلو، ولم يسمع أحد من الشرطة الدولية أي شيء عن الفيولين قبل أن يظهر في أوسلو، ولم يظهر في شوارع السويد والدنمارك إلا الآن. وثانياً، إن المادة تحوي حبوب ميثادون مطحونة ومصنوعة في الزوج.

وضغط هاري على زر البحث.

- ثالثاً، تم اعتقال طيار في غاردموين يحمل شيئاً ما قد يكون فيولين، لكن تم استبداله في ما بعد.
- استبداله؟!

- في مثل هذه الحالة لدينا حارق في النظام. الفكرة هي أن هذا الطيار كان يغادر البلاد متجهاً إلى بانكوك.

شم هاري شذا عطرها، وعرف أنها قد تحركت من عند الباب ووقفت وراءه. وكان الشعاع المنبعث من شاشة الكمبيوتر هو الضوء الوحيد في الغرفة المظلمة.

- داهية... من هذه؟

كان صوتها قرب أذنه.

- إيزابيل سكوين من مجلس المدينة... إنها واحدة من الأشخاص الذين اتصل بهم غاستو، أو بدقة أكبر هي التي اتصلت به.
- قياس قميص المتبرع بالدم صغير عليها، أليس كذلك؟
- ربما يكون جزءاً من وظيفة السياسي أن يقوم بإعلان عن التبرع بالدم.

- هل تكون سياسياً فعلاً إن كنت مجرد سكرتيرة مجلس؟

- في كل الأحوال، تقول المرأة إن زمرة دمها ألف باء سالب، وهكذا فإن الأمر ببساطة واجب مدني.

- زمرة نادرة... نعم. ألهذا بقيت تحدد بالصورة لفترة طويلة؟
- ابتسم هاري:
- كانت هناك الكثير من الضربات الناجحة هنا. راعية الخيول، وكناسة الشوارع...
- لقد حصلت على الفضل في وضع جميع عصابات المخدرات وراء القضبان.
- ليس جميعهم. أتساءل عما كانت تتكلم مع غاستو.
- إنها تتأس عمل الخدمات الاجتماعية لمكافحة المخدرات. لذا، ربما تكون قد استخدمته لجمع معلومات عامة.
- في الواحدة والنصف صباحاً.
- أووه!
- أفضل أن أسألها هي.
- نعم، أنا متأكدة من أنك تحب ذلك.
- رفع رأسه إليها، فوجد وجهها قريباً جداً لدرجة أنه لم يكن قادراً على التركيز عليها.
- هل أسمع ما أظن أنني أسمعه يا حبيبتني؟
- ضحكت برقة:
- إطلاقاً... إنها تبدو رخيصة.
- تنشق هاري الهواء ببطء لكنها لم تتحرك.
- وما الذي يجعلك تظنين أنني لا أحب المرأة الرخيصة؟
- ولم تهمس؟
- وتحرت شفتاها بالقرب من شفثيه، حيث استطاع الإحساس بتدفق الهواء مع كلماتها.
- لثانيتين، كانت مروحة الحاسب هي ما يمكن سماعه فقط. استقامت فجأة، ونظرت إلى هاري بشرود، بينما وضعت يدها على خده لتهدئه، ثم استدارت وغادرت.
- انحنى هاري نحو الخلف، ثم أغمض عينيه وشم بهدوء وهو يسمعها تعمل في المطبخ. تنفس عدة مرات وهو يفكر في أن ما حدث للتو لم يحدث، بينما حاول استجماع أفكاره وعاد للعمل.
- بحث عن الأسماء المتبقية التي أعطى بعضها نتائج من عشر سنوات لمسابقات تزلج أو تقرير عن اجتماع عائلة، وأخرى لأشخاص مختلفين؛ كانت لأشخاص لم يعودوا موجودين؛ فقد انسحبوا من المجتمع العصري ليجدوا

زوايا مظلمة، حيث جلسوا ينتظرون جرعة المخدر التالية أو لا شيء آخر. جلس هاري وهو ينظر إلى الجدار؛ إلى صورة شاب يضع ريشة طائر على رأسه مكتوب تحتها "جونسي". راودت هاري ذكريات غامضة حول كونها مرتبطة بفرقة سيكور روز من آيسلنده ذات الغناء القاسي، والتي سبقت ميغاديث وسليز بأشواط. لكن بالطبع قد يكون أوليغ قد غير ذوقه أو تأثر. واتكأ هاري للخلف واضعاً يديه وراء رأسه. إيرين هانسن.

لقد تفاجأ بقائمة الاتصالات، فقد كان غاستو وإيرين يتكلمان عبر الهاتف يومياً تقريباً ثم توقفا فجأة. وبعد ذلك، لم يحاول الاتصال بها كما لو أنهما متخاصمان، أو كما لو أن غاستو كان يعلم أنه لا يمكن الوصول إليها عبر الهاتف. لكن، قبل بضع ساعات من إطلاق النار عليه، اتصل غاستو برقم الهاتف الأرضي في عنوان منزلها وتمت الإجابة عليه. لم تستمر المحادثة سوى لدقيقة واحدة واثنتي عشرة ثانية. لماذا يظن أن هذا غريب؟ حاول هاري أن يسترجع أصل الفكرة لكنه استسلم. اتصل برقم الهاتف الأرضي لكن ما من جواب، وجرب الاتصال بهاتف إيرين المحمول فسمع صوتاً يخبره أن هذا الحساب مقطوع حالياً لأسباب مالية. المال!

لقد بدأ الأمر وانتهى بالمال... وكذلك المخدرات دائماً. حاول هاري تذكر الاسم الذي أخبرته به بتي... الطيار الذي تم اعتقاله مع المسحوق في حقيبة يده. لا تزال ذاكرة الشرطي تعمل... كتب "تورد شالتز" في دليل الهاتف.

وظهر له رقم هاتف محمول.

فتح هاري درجاً في مكتب أوليغ بحثاً عن قلم، وحين رفع مجلة ماسترفول وقعت عيناه على قصاصة من صحيفة في ملف بلاستيكي، وتعرف مباشرة على وجهه وهو شاب. أخرج الملف وبحث بين القصاصات الأخرى... كانت كلها عن قضايا عمل عليها هاري، وتم فيها ذكر اسمه أو ظهرت صورته. كما كانت هناك مقابلة قديمة في صحيفة، حيث كان قد أجاب - بامتعاض حسب ما يذكر - عن أسئلة حول القتل المتسلسل. أغلق هاري الدرج ونظر حوله وهو يشعر بالحاجة لتحطيم شيء ما، ثم أطفأ الحاسب، ووضب الحقيبة الصغيرة، وتوجه إلى القاعة حيث ارتدى سترته. خرجت راكيل ومسحت بعض الغبار اللامرئي عن صدر سترته.

- هذا غريب للغاية! لم أرك منذ عصور، وكنت قد بدأت بنسيانك،

ثم ها أنت تظهر مجدداً.

- نعم. أهذا أمر جيد؟

ابتسامة بسيطة:

- لا أدري. إنه جيد وسيئ في الوقت نفسه. أتفهمني؟

هز هاري رأسه وسحبها إليه.

قالت:

- أنت أسوأ ما حصل معي والأفضل. حتى الآن، إن مجرد كونك

هنا يجعلني أنسى كل شيء آخر. لا... لست متأكدة من أن هذا جيد.

- أعرف.

قالت وهي تشير إلى الحقيقة:

- ما هذه؟

- سأذهب إلى فندق ليون.

- لكن...

- سنتكلم غداً. تصبحين على خير ياراكيل.

قبلها هاري على جبينها، وفتح الباب وخرج إلى المساء الخريفي

الدافئ.

قال الصبي في الاستقبال إنه ما من داعٍ ملء استمارة جديدة،

وأعطى هاري الغرفة نفسها؛ ذات الرقم 301، فقال هاري إن ذلك جيد في

حال كانوا قد أصلحوا عمود الستارة المكسور.

- أهو مكسور مجدداً؟ إنه المقيم السابق، كان عصبياً نوعاً ما،

وقد كان شرطياً أيضاً.

- المقيم؟!

- نعم، كان مقيماً دائماً... كان عميلاً متخفياً كما تسمونه.

- ممم... يبدو أن تخفيه لم يكن متقناً ما دمت تعرف.

ابتسم الصبي:

- سأذهب وأرى إن كان هناك عمود ستارة في المخزن.

قال صوت سويدي عميق:

- كان بيريت مان مثلك تماماً.

التفت هاري.

كان كاتو يجلس على كرسي في ما يمكن تسميتها بالردهة، حيث بدا

مرهقاً وهو يهز رأسه ببطء.

- مثلك تماماً ياهاري. فهو عاطفي للغاية، وصبور للغاية، وعنيد للغاية لسوء الحظ. لكنه ليس بطولك بالطبع. وكانت عيناه رماديتين، لكنّ لديه نظرة الشرطة نفسها التي لديك. كما أنه وحيد مثلك، وقد مات في المكان نفسه الذي ستموت فيه. كان ينبغي عليك الرحيل ياهاري، كان ينبغي عليك أن تركب الطائرة.

أوماً بشيء غير مفهوم بأصابعه الطويلة، بينما بدت تعابير وجهه حزينة؛ لدرجة أن هاري تساءل للحظة إن كان الرجل العجوز سيبيكي. وترنح العجوز على قدميه بينما التفت هاري إلى الصبي.

- هل ما يقوله صحيح؟

- من يقول ماذا؟

- هو.

واستدار هاري ليشير إلى كاتو، لكنه كان قد رحل... لا بد أنه مر في ظلام السلم.

- هل مات الشرطي المتخفي هنا في غرفتي؟

حدق الصبي في هاري قبل أن يجيب:

- لا.. لقد اختفى، وقد وصلت جثته إلى الشاطئ عند دار الأوبرا.

آسف، ليس لدينا عمود ستارة، لكن ماذا عن العمود البلاستيكي هذا؟ يمكنك تثبيته عبر الستارة وربطه برباط العمود.

هز هاري رأسه ببطء.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، لكن هاري لا يزال مستيقظاً ويدخن آخر سيجارة، وعلى الأرض الستارة والعمود البلاستيكي الرفيع. كان بإمكانه رؤية المرأة في الجانب الآخر من الباحة وهي ترقص بدون إيقاع وبدون شريك. وأنصت هاري لأصوات المدينة، وشاهد الدخان يتصاعد نحو السقف، وتفحص الطرق الملتوية التي يسلكها والأشكال العشوائية التي صنعها محاولاً رؤية نمط فيها.

استغرق الأمر شهرين منذ الاجتماع بين الرجل العجوز وإيزابيل ليبدأ التنظيف.

وكان الفييتناميون في طليعة الذين تم اعتقالهم؛ حيث ذكرت الصحف أن الشرطة هاجمت تسعة مواقع في الوقت نفسه، ووجدت خمسة مخازن هيروين، واعتقلت ستة وثلاثين مجرماً فييتنامياً. وبعد أسبوع، جاء دور الألبان من كوسوفو، حيث استخدمت الشرطة نخبة قوات دلتا لمهاجمة شقة في هيلسفير كان رئيس الغجر يظن أن لا أحد يعرف بأمرها. وبعد ذلك جاء دور العصابات من شمال إفريقيا وليتوانيا، حيث قال رئيس أورغكريم الوسيم ذو الأهداب الطويلة إنه حصل على معلومات من شخص مجهول. وخلال الأسابيع القليلة التالية، تم اعتقال تجار الشوارع من الصوماليين السود كالفحم وحتى الزوجيين البيض كالثلج، لكن لا أحد منا نحن الذين نرتدي قمصان أرسنال. وقد بدا واضحاً أن الطلب علينا قد تزايد، حيث بدأ الرجل العجوز بتوظيف بعض تجار الشوارع العاطلين عن العمل. أصبحت تجارة الهيرويين أقل في مركز مدينة أوسلو، كما خفضنا استيرادنا للهيرويين بما أننا نجني أكثر من الفيولين. كان الفيولين باهظ الثمن، لذا حاول البعض استبداله بالمولفين، لكنهم عادوا إليه بعد فترة قصيرة.

كنا نبيع أسرع مما كان بإمكان إبسن صنعه.

وفي يوم الثلاثاء، أنهينا بيع البضاعة بكاملها عند الساعة الثانية عشرة والنصف. وبما أنه كان من الممنوع علينا استخدام الهواتف المحمولة - إذ إن الرجل العجوز كان يظن أن أوسلو كبالتيمور اللعينة - توجهت إلى المحطة، واتصلت بالهاتف الروسي من إحدى كبائن الهاتف. قال أندريه إنه مشغول، لكنه سيري ما بإمكانه فعله، فجلست أنا وأوليغ وإيرين على السلم في سكيبرغاتا ونحن نترد المشتريين ونتجمد من البرد. وبعد ساعة، رأيت شخصاً يتجه إلينا وهو يعرج... لقد كان إبسن شخصياً، وكان غاضباً ويصرخ ويشتم؛ إلى أن رأى إيرين. وهنا بدأ الأمر كما لو أن العاصفة قد هدأت، وأصبحت نبرة صوته أكثر هدوءاً؛ حيث تبعنا إلى الباحة الخلفية وسلمنا كيساً يحتوي على مائة رزمة.

قال وهو يمد يده:

- عشرون ألفاً. نحن نتعامل بطريقة الدفع عند التسليم.

أخذته جانباً وقلت له إن بإمكانني في المرة المقبلة أن أذهب إلى منزله حين نحتاج إلى المزيد.

- لا أريد أي زوار.

- قد أدفع لك أكثر من مائتين للكيس.

نظر إلي بارتياب:

- أتخطط للبدء بالعمل لحسابك الخاص؟! ماذا سيقول رئيسك عن هذا؟

- هذا بيني وبينك. نحن نتكلم عن عشرة إلى عشرين كيساً للأصدقاء والمعارف.

انفجر ضاحكاً.

- سأحضر معي الفتاة. بالمناسبة، اسمها إيرين.

توقف عن الضحك ونظر إلي، ثم حاول الضحك مجدداً لكنه لم يستطع. وهنا بدا كل شيء مكتوباً بخط عريض في عينيه: الوحدة... الطمع... الكراهية... والرغبة... الرغبة اللعينة.

- مساء الجمعة عند الساعة الثامنة.

هزرت رأسي... وأعطاني العنوان.

بعد يومين، دعاني الرجل العجوز إلى الغداء. للحظة، ظننت أن إبسن قد وشى بي لأنني ما زلت أذكر تعابير وجهه. قام بيتر بتقديم الطعام، في حين جلسنا إلى طاولة طويلة في غرفة الطعام الباردة، بينما أخبرني الرجل العجوز أنه توقف عن استيراد الهيرويين عبر البلاد ومن أمستردام، وأنه لم يعد يستورد سوى من بانكوك عبر بعض الطيارين. وتكلم عن الأرقام، وتحقق من أنني أفهم، وكرر السؤال المعتاد: هل أبتعد عن الفيولين؟ جلس هناك ينظر إلي بغموض، ثم دعا بيتر وأخبره أن يأخذني إلى المنزل. وفي السيارة، فكرت في سؤال بيتر إن كان الرجل العجوز عقيماً. كان إبسن يقطن في شقة عازب تقليدية في مبنى في إكبرغ تحتوي شاشة بلازما كبيرة وثلاجة صغيرة ولا شيء على الجدران. سكب لنا الشراب مع ثلاثة مكعبات ثلج. شاهدت إيرين أداءه وابتسمت، وتركت لي الكلام، بينما جلس إبسن بابتسامة معتوهة على وجهه وهو يحدق في إيرين؛ على الرغم من أنه تمكن من إغلاق فمه كلما كاد اللعاب يسيل منه. وكانت هناك موسيقى كلاسيكية تصدح. أخذت أكياسني واتفقنا على المرور عليه مجدداً بعد خمسة عشر يوماً مع إيرين.

ثم جاء أول تقرير حول انخفاض عدد ضحايا الجرعات المفرطة،

لكنهم لم يكتبوا أن من يستخدم الفيولين لأول مرة يصبح بعد بضعة أسابيع مدمناً ويصطف مع غيره بعينين مدهولتين ونوبات واضحة من الارتعاش بسبب أعراض انسحاب المخدر من الجسم، وأن المدمنين حين يقفون هناك ممسكين بمائة كرونر ويكتشفون أن السعر قد ارتفع يبدأون بالبكاء.

بعد الزيارة الثالثة لإبسن، أخذني جانباً وقال إنه يريد أن تأتي إيرين وحدها في المرة المقبلة. وقد وافقت، غير أنني قلت له إنني في تلك الحال أريد خمسة عشر كيساً بسعر مائة كرونر لكل واحد، فhez رأسه موافقاً.

تطلب إقناع إيرين بعض الجهد؛ إذ إن الخدع القديمة لم تجد نفعاً، فاضطرت لأن أكون قاسياً وأشرح لها أن هذه فرصتي... فرصتنا. وسألتها إن كانت تريد أن تستمر في النوم على الفرشة في غرفة تدریب، فتمتعت أنها لا تريد ذلك، لكنها لا تريد أن يتقرب منها العجوز، فقلت إنها ليست مضطرة لذلك، وكل ما عليها فعله هو أن تكون لطيفة معه، فرمها لا يكون قد استمتع بصحبة أحد في حياته. هزت رأسها، وطلبت مني أن أعدةا بعدم إخبار أوليغ. وبعد أن غادرت إلى شقة إبسن شعرت بالضيق، فخفت كيس فيولين، ودخنت ما تبقى بسيجارة، لأستيقظ على أحد يهزني. كانت تقف فوق فرشتي وهي تبكي بشدة، لدرجة أن الدموع تساقطت على وجهي ووخزت عيني... لقد حاول إبسن معها لكنها استطاعت الهرب.

- هل أحضرت الأكياس؟

- من الواضح أن ذلك كان سؤالاً خاطئاً، فقد انهارت بالكامل. لذا، قلت إن لدي شيئاً يصلح الأمور مجدداً، وعبأت حقنة، بينما حدقت بي بعينين كبيرتين مبللتين وأنا أبحث عن عرق أزرق في بشرتها البيضاء الرقيقة وأدخل الإبرة. أحسست بالتشنج ينتقل من جسدها إلى جسدي وأنا أضغط على الحقنة، حيث فتحت فمها بنشوة صامتة لتنزل النشوة ستارة مشرقة أمام عينيها.

قد يكون إبسن رجلاً عجوزاً قذراً لكنه يعرف منتجه.

وقد عرفت أنا أيضاً أنني خسرت إيرين، فقد أحسست بذلك في نظرة عينيها حين سألتها عن الأكياس. لن يعود الأمر كما كان عليه من قبل إطلاقاً. في تلك الليلة، رأيت إيرين تدخل في طي النسيان إلى جانب فرصتي بأن أصبح مليونيراً.

استمر الرجل العجوز بجني الملايين، لكنه لا يزال يريد المزيد وبشكل

أسرع؛ كما لو أن هناك شيئاً يريد أن يلحق به... كما لو أن هناك ديناً سيحل موعد وفائه عما قريب. لم يبد أنه بحاجة للمال فالمنزل نفسه، والليموزين مغسولة لكنها لم تتغير، والموظفان نفسهما: أندريه وبيتر. ولم يكن لدينا سوى منافس واحد... لوس لوبوس... تلك العصابة التي وسّعت عمليات البيع في الشوارع بعد أن وظفت الفييتناميين والمغاربة الذين لم يتم اعتقالهم، والذين باعوا الفيولين؛ ليس في مركز المدينة فحسب، وإنما في كونغزفينغر في ترومسو وتورنדהايم، وحسب الشائعات في هيلسنكي. قد يكون أودين وأفراد لوس لوبوس يجنون أكثر من الرجل العجوز لكنهما كانا يتشاركان السوق ولا يتنازعان على السيطرة، فكلاهما أصبحا ثريين. وأي رجل أعمال بذهن كامل التركيز سيكون سعيداً من الوضع الراهن. ولم تكن هناك سوى غيمتين في السماء الزرقاء المشرقة.

الأولى هي الشرطي المتخفي الذي يعتمر القبعة الغبية. كنا نعرف أنه تم إخبار الشرطة أن قمصان الأرسنال ليست هدفاً ذا أولوية في الوقت الحالي، لكن بيريت مان يجول في الأرجاء في كل الأحوال. أما الغيمة الأخرى فهي أن عصابة لوس لوبوس قد بدأت ببيع الفيولين في ليلستروم ودرامن بسعر أقل من أوسلو، مما يعني أن بعض التجار سينافسوننا هناك. في يوم ما، استدعاني الرجل العجوز وطلب مني إيصال رسالة لشرطي اسمه ترولس بيرنستن، وقال لي إنه ينبغي القيام بذلك بحذر شديد. وحين سألته عن سبب عدم استخدامه أندريه أو بيتر أجابني أنه لا يريد أن تكون لديه أي صلات توصل الشرطة إليه. كان ذلك أحد مبادئه. وحتى لو كانت لدي معلومات قد تكشف عنه فقد كنت الشخص الوحيد الذي يمكنه الثقة به، بالإضافة إلى بيتر وأندريه... نعم، كان يثق بي نوعاً ما... سيد المخدرات يثق باللص.

كانت الرسالة أنه قد رتب للقاء مع أودين لمناقشة ليلستروم ودرامن، وسيلتقيان في ماكدونالدز في كيركيفين في ماجورستين مساء الخميس في تمام السابعة، حيث حجزنا الطابق الأول بكامله لحفل أطفال خاص. أستطيع تخيل الأمر... بوالين... دخان... قبعات ورقية... ومهرج لعين سيتجمد وجهه حين يرى الضيوف؛ راكبي دراجات تلوح الجريمة في أعينهم... وأودين والرجل العجوز يحاولان التحديق ببعضهما حتى الموت من فوق البطاطا المقلية.

كان ترولس بيرنستن يقطن وحيداً في مبنى شقق في مانغلوود. لكن، حين ذهبت في وقت باكر من صباح الأحد لم أجد أحداً في البيت. وحين

سمع الجار صوت جرس بيرنستن أخرج رأسه من الشرفة، وصرخ قائلاً إنّ ترولس في منزل مايكل بيني شرفة. وبينما كنت في طريقي إلى ذلك العنوان الذي أعطاني إياه، كنت أفكر في أن مانغلوود مكان رهيب، فالجميع يعرفون الجميع.

كنت قد جئت إلى هوينهول من قبل... إنها مانغلوود بيفرلي هيلز؛ بيوت منفصلة مطلة على كفارنردالن مركز هولمنكولفن. وقفت في الطريق أنظر إلى الهيكل شبه المنتهي لمنزل، حيث كان أمامه بعض الرجال من دون قمصان، يحملون عبوات شراب بأيديهم ويضحكون وهم يشيرون إلى الإطار الذي يبدو أنه سيكون الشرفة. وفوراً، تمكنت من تمييز أحدهم... الشرطي الوسيم ذي الأهداب الطويلة... رئيس أورغكريم الجديد. توقف الرجال عن الحديث حين رأوني وقد عرفت السبب. كانوا رجال شرطة، ويمكن لأي منهم شم رائحة رجل العصابات. كان الوضع محرراً. لم أكن قد سألت الرجل العجوز، لكن الفكرة راودتني فجأة بأن ترولس بيرنستن هو الحليف في الشرطة الذي نصح الرجل العجوز إيزابيل سكوين بالانضمام إليه.

قال الرجل ذو الأهداب:

- ماذا؟

كان رشيماً ولديه عضلات كالحجر. وكانت لدي فرصة التراجع وزيارة بيرنستن في وقت آخر من اليوم، لكنني لا أعرف لماذا فعلت ما فعلته.

قلت بصوت مرتفع وواضح:

- معي رسالة لترولس بيرنستن.

التفت الآخرون إلى رجل وضع الشراب جانباً، ومشى نحوي من دون توقف، حتى أصبح قريباً مني للغاية؛ حيث لا يمكن للآخرين سماعنا. كان شعره أشقر، وفكه قوياً وبارزاً كدولاب مفتوح، بينما تلاًلاً الشك المليء بالكراهية من العينين الصغيرتين. لو كان حيواناً أليفاً لتم إهماله لأسباب جمالية بحتة.

همس:

- لا أعرف من أنت، لكن بإمكانك التخمين. لا أريد أي زيارات

لعينة من هذا النوع. هل هذا مفهوم؟

- مفهوم.

- أخبرني بسرعة.

أخبرته بشأن اللقاء والتوقيت، وأن أودين قد حذر من أنه سيأتي مع

كامل عصابته.

قال بيرنستن:

- إنه لا يجرؤ على أي شيء آخر.
- لدينا معلومات بأنه قد تلقى للتو أسطولاً ضخماً من الهيرويين.
- كان الرجال على الشرفة قد عادوا لاحتساء الشرب لكنني استطعت رؤية رئيس أورغكريم يرمقنا بنظراته. كنت أتكلم بصوت منخفض وأركز على تقديم جميع التفاصيل:
- إنه مخزن في النادي في الأنابرو، لكن سيتم شحنه خلال بضعة أيام.

ضحك بيرنستن:

- يبدو كبضعة اعتقالات متبوعة بهجوم بسيط.
- ولم أفهم أنها دعابة إلا بعد مضيّ فترة.
- قلت وأنا ألتفت للذهاب:
- هذا كل ما في الأمر.
- لم أمش سوى بضعة أمتار في الطريق حتى سمعت شخصاً يصرخ. لم أكن بحاجة للالتفات لأعرف من هو، فقد رأيت الأمر في نظراته فوراً؛ فهذا اختصاصي. جاء نحوي وتوقف.

- من أنت؟

- غاستو.

وأبعدت الشعر عن عينيّ ليراهما على نحو أفضل.

- وأنت؟

لثانية، نظر إليّ بدهشة كما لو أنه كان سؤالاً صعباً، ثم أجاب بابتسامة بسيطة:

- مايكل.

- أهلاً ياماكيل. أين تتدرب؟

سعل:

- ماذا تفعل هنا؟

- كما قلت... أوصل رسالة لترولس. أيمكنني احتساء القليل من

الشراب؟

بدت البقع البيضاء الغريبة على وجهه متوهجة فجأة، بينما بدا صوته مفعماً بالغضب حين تكلم ثانية:

- إن كنت قد قمت بما جئت من أجله فارحل فوراً.

التقت عيناى عىنله الغاضبتىن. كان ماىكل بىلمان وسىماً للغاىة؛ لدرجة
أنى رغب فى تأمله.
- وداعاً.

فى اللىلة نفسها رادوتى الفكرة. كىف سأنجح فى ما لم تتمكن أنت
من تحقىقه كما أفترض. لأنك لو تمكنت من ذلك لما تخلىت عنى. أكنت
ستتخلى عنى؟ كىف سأصبح كاملاً؟ كىف سأصبح إنساناً؟ كىف سأصبح
ملىونيراً؟

سطعت الشمس بحدة على الخليج، لدرجة أن هاري اضطر لإغماض عينيه جزئياً رغم وضعه النظارة الشمسية النسائية. لم تكن أوسلو تخضع لعملية تجميل في بيورفيكا فحسب، وإنما تتم إضافة منطقة جديدة وبارزة إلى الخليج حيث كانت المنطقة مملة وخاوية. كانت المنطقة تدعى تجوفهولمن، وتبدو منطقة الأثرياء؛ مع شقق باهظة الثمن ذات إطلالة على الخليج، وقوارب باهظة الثمن، ومتاجر مليئة ببضائع باهظة الثمن وتبيع مواد خاصة، ومعارض فنية ذات أرضيات خشبية من غابات لم تسمع بها من قبل... معارض تحتوي على أروع الأعمال الفنية معلقة على الجدران. وكان يحتل أبرز منطقة في الخليج مطعم أسعاره مرتفعة جداً، ويساهم في جعل أوسلو تتغلب على طوكيو كأعلى مدينة في العالم.

دخل هاري ليحييه نادل ودود.

قال هاري وهو يتفحص الغرفة المليئة:

- أنا أبحث عن إيزابيل سكوين.

- أتعرف بأي اسم تم حجز الطاولة؟

فهم هاري من ابتسامة النادل أن جميع الطاولات محجوزة منذ بضعة أسابيع.

كانت المرأة التي أجابت حين اتصل هاري بمكتب الخدمات الاجتماعية في قاعة المدينة مستعدة فقط لإخباره أن إيزابيل سكوين تتناول الغداء. لكن، حين قال هاري إنه اتصل لأنه جالس في الكونتينتال بانتظارها قالت السكرتيرة بذعر ومن دون أي تفكير إنها تتناول الغداء في سجوماغازينيت. قال هاري:

- لا... هل من الممكن أن أدخل وألقي نظرة؟

تردد النادل وهو يتفحص البذلة.

- لا تقلق، يمكنني أن أراها.

ومشى أمام النادل قبل أن يتخذ قراره النهائي.

كان قد ميز الوجه والوضعية من الصورة التي رآها على الإنترنت؛ حيث كانت منحنية عند المقصف، وواضحة مرفقيها على الطاولة، ومواجهة غرفة الطعام. من المفترض أنها تنتظر أحداً لكنها بدت كما لو أنها تستعرض نفسها. وحين نظر هاري إلى الرجال حول الطاولات أدرك أنها

تقوم بالأمرين في الوقت نفسه. كان وجهها الذكوري الخشن مقسوماً لقسمين بأنفها الحاد. وغير ذلك، كانت إيزابيل سكوين تتمتع بنوع من الجاذبية التي قد تسميها النساء الأخريات أناقة. كانت تنظر نحو الأعلى، فبدت عيناها الزرقاوان الباردتان اللتان منحناها نظرة ذئبية مفترسة، بينما شكل شعرها تبايناً مضحكاً؛ إذ كان شعرها الأشقر مسرحاً على شكل ذيل حصان ومزيناً بزهور جميلة على جانبي وجهها الرجولي. لكن جسدها هو ما جعلها لافتة للأنظار.

كانت طويلة ورشيقة؛ بردفين عريضين ومنكبين عريضين أيضاً، بينما أظهر السروال الأسود الضيق فخذيها الطويلتين. وقد فكر هاري أن صدرها العامر الاصطناعي المدعوم بحمالة رائع. كان بحثه في الإنترنت قد أظهر أنها تزوج الخيول في مزرعة في ريخ، وقد تطلعت مرتين. كان طلاقها الثاني من خير مالي جنى ثروته أربع مرات وخسرهما ثلاث مرات. وكانت قد شاركت في البطولات الوطنية للرماية، كما أنها متبرعة بالدم، وقد وقعت في مشاكل لأنها طردت أحد زملائها السياسيين لأنه غبي. كما أنها تسعد للغاية بالوقوف لالتقاط الصور لها في صالات الأفلام وعروض المسرحيات. باختصار، امرأة رائعة مقابل مالك.

تحرك باتجاه نطاق رؤيتها فحدقت به من دون أن تبعد نظرها عنه؛ كشخص يعتبر أن من حقه النظر. توجه هاري نحوها وهو مدرك بالكامل أن هناك ما لا يقل على دزينة من العيون التي ترمق ظهره.

- أنت إيزابيل سكوين.

بدت كما لو أنها على وشك الاعتراف، لكنها غيرت رأيها وأمالت

رأسها:

- هذه مشكلة مطاعم أوسلو المترفة، أليس كذلك؟ الجميع شخصيات معروفة. إذًا...

ورمقته من رأسه حتى أخمص قدميه:

- من أنت؟

- هاري هول.

- هناك شيء مألوف فيك. هل ظهرت على التلفاز؟

- منذ عدة سنوات... قبل هذه.

وأشار إلى الندبة على وجهه.

- أوه نعم. أنت الشرطي الذي قبض على القاتل المتسلسل، أليس

كذلك؟

كان هناك أسلوبان للقيام بذلك، لكن هاري اختار الطريقة المباشرة.
- كنت كذلك.

سألته من دون أدنى اهتمام:

- وماذا تفعل الآن؟

بينما كانت نظراتها تجول من وراء كتفه وهي تنظر إلى الباب، وتضغط بشفتيها على بعضهما، وتوسع عينيها بضع مرات... لا بد أن الغداء مهم.

- ملابس وأحذية.

- فهمت. بذلة أنيقة.

- حذاء أنيق... ريك أوينز.

نظرت إليه وهي تحاول إعادة اكتشافه، وكانت على وشك قول شيء ما حين انتبهت عيناها لحركة من ورائه.

- الشخص الذي سأتناول الغداء معه هنا. أراك مجدداً ربما يا هاري.

- مم... كنت أمل أن نتحدث قليلاً الآن.

ضحكت وانحنت للأمام:

- أحب هذه الحركة يا هاري، لكن الساعة لا تزال الثانية عشرة

ظهراً، وأنا صاحبة بالكامل. كما أن هناك شخصاً سأتناول معه الغداء. يوماً طيباً.

مشت بعيداً بحذائها ذي الكعب العالي.

- أكان غاستو هانسن حبيبك؟

قال هاري العبارة بصوت منخفض، وكانت إيزابيل سكوين على بعد

ثلاثة أمتار، لكنها تشنجت كما لو أنها وجدت التردد الذي يقطع ضجة الأحذية والأصوات وغناء ديانا كرال يدوي في أذنيها. استدارت.

- لقد اتصلت به أربع مرات في الليلة نفسها، وكان آخر اتصال في

الواحدة وأربع وثلاثين دقيقة.

كان هاري قد جلس على المقعد، فرجعت إيزابيل سكوين الأمتار

الثلاثة وانحنت فوقه، فتذكر هاري ليلي والذئب لكنها لم تكن ليلي.

- ما الذي تريده يا هاري؟

- أريد أن أعرف كل ما تعرفينه عن غاستو هانسن؟

توسعت فتحتا أنفها الحاد، وارتفع صدرها المهيب. ولاحظ هاري أن

في بشرتها مسامٌ سوداء كبيرة كنقاط على شريط.

- كوني واحدة من الأشخاص القليلين في هذه المدينة المهتمين

بالحفاظ على حياة المدمنين على المخدرات، فأنا أيضاً واحدة من القليلين الذين يذكرون غاستو هانسن. لقد فقدناه، وهذا أمر محزن. لقد اتصلت به لأنني حفظت رقم هاتفه على هاتفي المحمول بعد أن دعوانه لاجتماع لجمعية رانو. ولدي صديق مقرب اسمه مشابه، وأحياناً أضغط الزر الخاطئ. هذا يحدث عادة.

- متى رأيته آخر مرة؟

- اسمعني ياهاري هول...

همست وهي تشدد على كلمة هول وتخفض وجهها بالقرب من

وجهه:

- إن كنت قد فهمت بشكل صحيح، فأنت لست شرطياً وإنما أنت شخص يعمل في مجال الملابس والأحذية. لذا، ما من سبب لكي أتكلم معك.

قال هاري وهي يتكئ للخلف:

- الفكرة هي أنني مصمم على الحديث مع أحد ما. وإن لم يكن هذا الأحد أنت فسيكون صحفياً. إنهم يسعدون دائماً بالحديث عن فضائح المشاهير وما شابه.

- مشاهير؟

وابتسمت، لكن ليس له وإنما لرجل يرتدي بذلة ويقف مع النادل ويلوح لها بأصابعه.

- أنا مجرد سكرتيرة مجلس ياهاري. الصور الغريبة في الصحف لا تجعلك من المشاهير. انظر كم نسوك بسرعة؟

- أظن أن الصحف تراك نجمة متألفة.

- وهل تراني كذلك؟ ربما، لكن حتى أسوأ مجلات الشائعات بحاجة لشيء ملموس، وأنت ليس لديك شيء سوى الاتصال بالرقم الخطأ...

- هذا يحدث عادة. لكن ما لا يحدث...

وتنفس هاري نفساً عميقاً. كانت محقة، فليس لديه شيء ضدها،

ولهذا لم يكن من الذكي أن يكون مباشراً.

- ... هو أن تظهر زمرة ألف باء سالب بالصدفة في مكانين، في

مسرح الجريمة نفسه. هناك شخص من كل مائتين دمه من هذه الزمرة.

لهذا، حين يظهر التقرير الجنائي أن الدم تحت أظافر غاستو من زمرة ألف

باء سالب وتقول الصحف إنها زمرة دمك، لا يمكن لأي محقق خبير سوى

أن يضع الاثنين معاً. كل ما يلزمي هو أن أطلب إجراء اختبار الحمض

النووي لنعرف مائة بالمائة من الذي كان غاستو قد غرز أظافره في جسده قبل أن يموت. أبدو ذلك عنوان صحيفة جيداً ياسكوين؟

ظلت سكرتيرة المجلس ترمش كما لو أن جفنيها يحاولان تشغيل فمها. سألها هاري وهو يغمض عينيه:

- أخبريني، أليس ولي العهد في الحزب الاجتماعي؟ ماذا كان اسمه مجدداً؟

- يمكننا الحديث في ما بعد. لكن في تلك الحالة عليك أن تقسم لي بأن تبقي فمك مقفلاً.

- أين ومتى؟

- أعطني رقم هاتفك وسأصل بك بعد العمل.

في الخارج، كان الخليج يتلأأ، فوضع هاري نظارته الشمسية، وأشعل سيجارة للاحتفال بضربة موفقة، وجلس على حافة المرفأ يتمتع بكل نفس، ويرفض الشعور المستمر بالضيق، ويركز على الألعاب التافهة وباهظة الثمن التي أحضرتها أغنى طبقة عاملة في العالم، ثم داس على عقب السيجارة وبصق في الخليج واستعد للزيارة التالية على القائمة.

أكد هاري لموظفة الاستقبال في مشفى راديووم أن لديه موعداً، فأعطته استمارة ملأها باسمه ورقم هاتفه، لكنه ترك خانة "الشركة" فارغة.

- أهي زيارة خاصة؟

هز هاري رأسه بالنفي. كان يعلم أنها عادة لدى موظفي الاستقبال الجيدين، ألا وهي رؤية الكذب لدى الموظفين، وجمع المعلومات حول الأشخاص الذين يأتون ويذهبون، والذين يعملون في المصنع. لو أنه كمحقق احتاج لنقطة ضعف لدى أي شخص في منظمة ما فإنه سيتجه إلى موظف الاستقبال.

أشارت لهاري إلى المكتب في نهاية الممر. وفي طريقه، مر هاري بأبواب مكاتب مغلقة، وألواح زجاجية تطل على غرف كبيرة، فيها أشخاص يرتدون معاطف بيضاء في الداخل، وطاولات مليئة بالقوارير وأنايب الاختبار، وقفل كبير للكباتن الفولاذية التي خمن هاري أنها كنز بالنسبة لأي مدمن مخدرات.

في النهاية، توقف هاري وقرأ لوحة الاسم قبل أن ينقر على الباب... ستبخ نيباك. لم يكذب ينقر مرة حتى صدح صوت:

- تفضل!

كان نيباك يقف وراء طاولة المكتب، ويضع سماعة الهاتف على أذنه، لكنه أشار لهاري أن يدخل ويجلس. وبعد قوله كلمة "نعم" ثلاث مرات، و"لا" مرتين، و"حسناً" مرة، وضحكة مدوية أنهى الاتصال، وثبت عينيه المتلألئتين على هاري الذي ارتقى على كرسي ومد ساقيه.

- هاري هول أنت لا تذكرني ربما لكنني أذكرك.

- لقد اعتقلت الكثير من الناس.

سمع ضحكة مدوية أكثر:

- لقد درسنا في مدرسة أوبسال، وقد كنت صديق تريسكو.

- الصغار يتذكرون الكبار.

- هذا صحيح، لكن بصراحة أنا لا أذكرك من المدرسة، وإنما حين

ظهرت على التلفاز أخبرني أحدهم أنك كنت في مدرسة أوبسال وأنت صديق تريسكو.

- ممم.

تفحص هاري طرفي حذائه ليشير إلى أنه غير مهتم بالحديث عن

المواضيع الشخصية.

- إذًا، أصبحت محققاً؟ بأي جريمة تحقق الآن؟

قال هاري محاولاً البقاء أقرب للصدق قدر الإمكان:

- أنا أحقق في قضية مرتبطة بالمخدرات. هل ألقىت نظرة على

المواد التي أرسلتها إليك؟

- نعم.

رفع نيباك سماعة الهاتف، وضغط على رقم، وحك بشدة وراء أذنه

وهو ينتظر.

- أيمكنك القدوم إلى هنا يامارتين؟ نعم، الأمر مرتبط بالاختبار.

أنهى نيباك المكالمة لتتبع الأمر ثلاث ثوانٍ من الصمت، بينما ابتسم

نيباك. عرف هاري أنه يفكر في موضوع يملأ به الفراغ لكنه لم يقل شيئاً.

سعل نيباك:

- كنت تعيش في المنزل الأصفر عند الطريق الحصوي، أما أنا

فكنت أعيش في المنزل الأحمر في أعلى التلة... عائلة نيباك؟

- صحيح.

كذب هاري وهو يفكر في سرّه في مدى ضالة ذكرياته عن طفولته.

- أما زلت تملك المنزل؟

كان هاري يعلم أنه لا يمكنه إيقاف الحديث قبل ظهور مارتين.

- توفي أبي قبل بضع سنوات، وقد حاولنا بيعه لكن...
- الأشباح.
- عذراً؟
- من الضروري ترك الأشباح تخرج قبل البيع، أليس كذلك؟ لقد توفيت أمي السنة الماضية، لكن المنزل لا يزال فارغاً. هل أنت متزوج؟ ألدك أطفال؟
- هز هاري رأسه نافياً، ثم رمى الكرة إلى الطرف الآخر من الملعب:
- لكنك متزوج حسب ما أرى.
- أوه!
- هز هاري رأسه نحوه:
- الخاتم. كان لدي واحد مشابه.
- رفع نيباك اليد التي فيها الخاتم وابتسم:
- كان؟ هل أنت منفصل؟
- شتم هاري في سرّه. لماذا على الناس أن يثرثوا؟ منفصل؟! بالطبع هو منفصل... منفصل عن الشخص الذي أحبه... عن الناس الذين أحبهم. سعل هاري.
- قال نيباك:
- ها نحن ذا.
- التفت هاري، بينما نظر إليه شخص يرتدي معطف مخبر أزرق من عند الباب. كانت لديه غرة سوداء طويلة تتدلى على جبهة عالية شاحبة وبيضاء وعريضة، بينما غاصت عيناه في رأسه. لم يكن هاري قد سمعه وهو يدخل.
- هذا مارتين بران... واحد من أفضل علمائنا.
- فكر هاري في أنه يبدو كأحدب نوتردام.
- حسناً، يامارتين؟
- ما تسميه الفيولين ليس هيرويين وإنما هو عقار مشابه لليفورفانول.
- دوّن هاري الاسم وقال:
- وهو؟
- قال نيباك:
- إنه مستحضر أفيوني المفعول، وشديد الانفجار، ومسكن ألم سريع... وهو أقوى من الأفيون من ست إلى ثماني مرات، وأقوى من الهيرويين

بثلاث مرات.

- حقاً؟!

قال نيباك:

- حقاً. كما أن له ضعف مفعول المورفين؛ أي من ثماني ساعات وحتى اثنتي عشرة ساعة. في حال أخذت ثلاثة ملغ من ليفورفانول فنحن نتكلم عن مخدر كامل... نصفه عبر الحقن.

- ممم... يبدو خطراً.

- ليس خطراً كما قد تتخيله، فالجرعات المعتدلة من المستحضرات أفيونية المفعول كالهرويين لا تدمر الجسم... لا، وإنما الاعتماد عليها هو ما يدمر الجسم.

- صحيح. مدمنو الهرويين يموتون كالذباب.

- نعم، لكن لسببين رئيسين. أولاً، الهرويين يمزج مع مواد أخرى تبين أنها سموم؛ كمزج الهرويين بالكوكايين على سبيل المثال و...

- سبيد. جون بيلوشي...

- رحمه الله. السبب الثاني هو أن الهرويين يضيق النفس. وفي حال تناولت جرعة كبيرة منه فستتوقف ببساطة عن التنفس. ومع تزايد مستوى التحمل، ستأخذ جرعات أكبر وأكبر. لكن هذا هو الشيء المثير للاهتمام في ليفورفانول؛ إنه لا يضيق النفس بقدر الهرويين. أليس كذلك يامارتين؟

هز الأحدب رأسه من دون أن يرفع عينيه.

قال هاري وهو يراقب بران:

- ممم... أقوى من الهرويين؛ بمفعول أقوى ومخاطر أقل للإفراط في الجرعة. يبدو كمادة الأحلام بالنسبة إلى المدمنين.

تمتم الأحدب:

- الاعتماد والسعر.

- عذراً؟

- نرى الأمر لدى المرضى. إنهم يدمنون هكذا.

وطقطق بأصابعه.

- لكن، مع اعتماد مرضى السرطان عليه يصبح الأمر غير ذي أهمية. نحن نغيّر نوع مسكن الألم ونزيد الجرعة وفقاً لمخطط؛ فالهدف هو منع الألم لا النشوة. كما أن ليفورفانول باهظ الثمن ليتم إنتاجه واستيراده، ولهذا لا نراه في الشوارع.

- هذا ليس ليفورفانول.
- التفت هاري ونيباك إلى مارتين بران.
- إنه معدل.
- رفع بران رأسه، بينما استطاع هاري أن يرى عينيه تتلألآن كما لو أن ضوءاً قد اشتعل فيهما.
- سأل نيباك:
- كيف؟
- سيستغرق الأمر فترة حتى نكتشف كيف، لكن يبدو أنه قد تم استبدال أحد جزيئات الكلورين بجزيء فلورين، وقد لا يكون إنتاجه باهظ الثمن.
- قال نيباك:
- يا إلهي! أنتكلم عن دريسر؟
- قال بران بابتسامة خفية:
- ربما.
- قال نيباك:
- يا إلهي!
- وحك رأسه بكلتا يديه بحماسة ثم قال:
- إذًا، نحن نتكلم عن عمل عبقرى أو مجرد ومضة خاطفة.
- قال هاري:
- آسف، لكنني لا أفهم ما تقولانه.
- قال نيباك:
- أوه آسف. هنريك دريسر هو من اكتشف الأسبرين عام 1897، ثم عمل على تعديل دايستلمورفين. لم يكن بحاجة للقيام بالكثير، وإنما مجرد إضافة جزيء هنا وجزيء هناك للوصول إلى النتيجة. وبعد أحد عشر يوماً، اكتشف دريسر عقاراً جديداً تم بيعه كدواء سعال حتى عام 1913.
- وما هو هذا العقار؟
- الاسم يدل على امرأة شجاعة.
- قال هاري:
- هيرويين.
- صحيح.
- سأل هاري وهو يلتفت إلى بران:
- ماذا عن الغلاف؟

أجاب الأحدب:

- اسمه فلم. ماذا عنه؟

كان يواجه هاري، لكن عينيه كانتا تجولان في مكان ما على الجدار كحيوان مفترس يبحث عن طريق للهرب، أو حيوان أليف لا يريد مواجهة التحدي الهرمي لمخلوق ينظر في عينيه مباشرة، أو ببساطة مجرد إنسان ذي سلطة اجتماعية أعلى. لكن ما لفت نظر هاري هو طريقة وقوفه وجسده المنحني.

- حسناً. يقول رجال الشرطة الجنائيون إن النقاط البنية في الفيولين ناتجة عن غلاف حبة مطحون، وهو... الغلاف نفسه المستخدم في حبوب الميثادون المصنوعة هنا في مشفى راديوم.

أجاب بران:

- إذاً؟

- هل من الممكن أن يتم صنع الفيولين هنا في الزوج على يد شخص لديه القدرة على الحصول على حبوب الميثادون هنا؟ تبادل ستيج نيباك ومارتين بران النظرات.

- نحن حالياً نزود المشافي الأخرى بحبوب الميثادون. لذا، إن هناك عدة أشخاص لديهم القدرة على الحصول عليها. لكن الفيولين يتمتع بكيمياء عالية المستوى.

ونفت ستيج الهواء من بين شفثيه، ثم سأل:

- ماذا تظن يا بران؟ ألدينا القدرة في الدوائر العلمية الزوجية على اكتشاف مثل هذه المادة؟

هز بران رأسه نافياً.

سأل هاري:

- أيمكن أن تكون ضربة حظ؟

هز بران كتفيه:

- بالطبع. من المحتمل أن يكون برامس قد كتب أروع مؤلفاته بضربة حظ.

ساد الصمت في الغرفة، ولم يبد أن أحداً لديه ما يضيفه ولا حتى نيباك.

قال هاري وهو ينهض:

- حسناً.

قال نيباك وهو يمد يده إلى هاري من وراء المكتب:

- أمل أن نكون قد قدمنا المساعدة. بلغ سلامي لتريسكو. ألا يزال يبقى في الليل في مركز هافسلاند إنرجي حيث يبقى إصبعه على قاطع الكهرباء للمدينة؟

- شيء من هذا القبيل.

- ألا يحب نور النهار؟

- إنه لا يحب الضوضاء.

ابتسم نيباك ابتسامة بسيطة.

أثناء خروجه، توقف هاري مرتين... مرة لفحص المختبر حيث كان النور مطفأ، ومرة أخرى خارج الباب الذي يحمل لوحة عليها اسم مارتين بران، حيث كان النور مضاء تحت الباب، فضغط هاري بحذر على المقبض لكنه وجده مقفلاً.

كان أول شيء فعله هاري حين صعد إلى سيارة الأجرة أنه تحقق من هاتفه المحمول، فوجد مكاملة فائتة من بتي لون، لكن لا شيء من إيزابيل سكوين. وعندما وصل إلى ملعب أوليفال، أدرك هاري أنه قد أساء توقيت رحلته إلى خارج المدينة؛ فالشعب الذي يعمل لأقصر ساعات كان في طريق العودة من العمل.

كان سيرغيبه جالساً في سيارته ينقر بإصبعه على المقود. نظرياً، كان مكان عمله يقع في الجانب الجيد بالنسبة للازدحام المروري. لكنه حين يقوم بمناوبات مسائية فإنه يعلق بين السيارات التي تغادر المدينة. وكانت السيارات متجهة نحو كاريهوغن كحمم باردة. كان قد أجرى بحثاً عن الشرطي، وفتح قصص الأخبار القديمة وجرائم القتل حيث علم أنه قبض على قاتل متسلسل في أستراليا. كان سيرغيبه قد انتبه لذلك لأنه في ذلك الصباح نفسه كان يشاهد برنامجاً من أستراليا عن الحيوانات يتحدث عن ذكاء التماسيح في الأراضي الشمالية وكيفية تعلمها عادات فرائسها. حين كان الرجال يخيمون في الغابات، كانوا يمشون في طريق قرب جدول لإحضار الماء بعد الاستيقاظ في الصباح، وكانوا في الطريق بمأمن من التماسيح المستلقية في الماء وهي تراقب. وإن بقوا هناك ليلية ثانية فسيكرر الأمر نفسه في اليوم التالي. لكنهم إن بقوا ليلية ثالثة فإنهم حين يمشون في الطريق لن يروا التماسيح حتى يندفع من بين الشجيرات ويسحب فريسته إلى الماء.

بدا الشرطي منزعجاً في الصور التي ظهر فيها على الإنترنت؛ كما لو

- أنه لا يرغب في أن يتم تصويره أو رؤيته.
- رن الهاتف... كان أندريه هو المتصل، وقد دخل في الموضوع مباشرة.
- إنه ينزل في فندق ليون.
- كانت لكنة جنوب سيبريا واضحة، لكن أندريه رققها حين ذكر العنوان مرتين ببطء وبوضوح، بينما حاول سيرغييه تذكره.
- قال وهو يحاول أن يبدو مهتماً:
- جيد... سأسأل عن رقم غرفته، وما لم تكن في نهاية الممر فسأبقى بانتظاره في الممر حتى يغادر غرفته متجهاً إلى السلم أو المصعد ويدير ظهره لي.
- لا ياسيرغييه.
- لا؟!!
- ليس في الفندق. سيكون مستعداً لنا في ليون.
- تفاجأ سيرغييه:
- سيكون مستعداً؟!!
- غير مساره ودخل بين سيارتي أجرة، بينما شرح له أندريه أن الشرطي قد تواصل مع اثنين من البائعين، ودعا القائد إلى فندق ليون كنوع من الفخ، لذا أعطى القائد أوامره بأن ينفذ سيرغييه العمل في مكان آخر.
- أين؟
- انتظره في الشارع خارج الفندق.
- لكن، أين يمكنني تنفيذ الأمر؟
- يمكنك الاختيار، لكنني أفضل أن تنصب له كميناً.
- كمين؟!!
- دائماً كمين ياسيرغييه. وهناك شيء آخر...
- ماذا؟
- لقد بدأ بالتقدم في مجالات لا نريده أن يتقدم فيها؛ مما يعني أن الأمر أصبح ملحاً.
- ماذا؟ ما الذي يعنيه ذلك؟
- يقول القائد إنك ينبغي أن تأخذ الوقت الذي تحتاج إليه؛ لكن ليس كثيراً. فالיום أفضل من الغد، والغد أفضل من بعد غد. هل هذا مفهوم؟
- حين أنهايا الاتصال، كان سيرغييه لا يزال عالقاً في زحمة المرور ويشعر بوحدة لم يشعر بها من قبل.

كان الازدحام في ساعة الذروة، ولم يخف طابور السيارات حتى بيرغر قبل تقاطع سكيدسمو، حيث كان هاري جالساً في السيارة لساعة، وقد قلب بين جميع محطات المذياع قبل أن يستقر على الإذاعة النروجية الحكومية، وبعد عشرين دقيقة رأى المنعطف إلى غاردموين. كان قد اتصل برقم هاتف تورد شالتز عشرات المرات خلال اليوم من دون أي رد. وقد قال زميل شالتز الذي تكلم معه إنه ليست لديهم أدنى فكرة حول مكان تورد، وإنه يبقى عادة في المنزل حين لا يكون في رحلة، ثم أكد صحة العنوان الذي وجده هاري على الإنترنت.

كان الظلام يحل حين استنتج هاري من اللافتات الطرقية أنه في المكان الصحيح، فقاد ببطء بين الصناديق المتشابهة على كلا جانبي الطريق المعبد حديثاً. ومن بين المنازل التي كانت مضاءة بما فيه الكفاية ليقرأ الأرقام استطاع تمييز بيت تورد شالتز الذي كان يقبع في ظلام دامس. ركن هاري السيارة، ونظر إلى الأعلى، بينما أضاء لون فضي السماء السوداء... طائرة بلا صوت كطائر جارح... وانتشر الضوء على السطوح حتى اختفت الطائرة وهي تحمل الضجيج وراءها كموكب زفاف. مشى هاري إلى الباب الأمامي، ووضع وجهه على اللوح الزجاجي، ورن الجرس وانتظر، ثم رن مرة أخرى وانتظر مرة أخرى. ثم ركل اللوح.

مرر يده عبره حتى وجد المزلاج وفتح الباب. واتجه إلى غرفة الجلوس وهو يخطو فوق شظايا الزجاج. كان أول ما فاجأه هو الظلام... فقد كانت الظلمة أكثر مما ينبغي أن تكون عليه الغرفة؛ إلى أن انتبه إلى الستائر مغلقة... إنها ستائر سميكة من النوع المستخدم في المعسكرات الحربية في فينمارك لحجب شمس منتصف الليل.

وثاني ما فاجأه هو الشعور بأنه لم يكن وحيداً. وبما أن هاري كان يعرف أن مثل هذا الشعور يكون دائماً مصحوباً بانطباع حسي ملموس نوعاً ما، فقد ركز على ما يمكن أن يكون وكبت ردة فعله الطبيعية: تسارع في النبض والحاجة للعودة من حيث أتى. أنصت، لكنه لم يسمع سوى صوت دقات الساعات في مكان ما... ربما في غرفة مجاورة. تنشق الهواء ليجد رائحة نتنة وحادة، لكن كان هناك أمر آخر... بعيد لكنه مألوف. أغمض عينيه، فهو عادة يراها قبل أن تأتي. خلال السنوات، كان قد طور

استراتيجيات مجارة لصدھا، لكنها راودته قبل أن يقفل الباب... الأشباح...
رائحة مسرح جريمة.

فتح عينيه وأحس بالدوار... الضوء... انتشر على أرض غرفة الجلوس،
ثم سمع صوت الطائرة، ثم غرقت الغرفة في الظلام بعد ثانية. لكنه كان
قد رأى، ولم يعد من الممكن كبت النبض المتسارع والحاجة للخروج.
كان الخنفس... زجوك... الذي حام في الهواء أمام وجهه.

كان الوجه مشوهاً.

أضاء هاري نور غرفة الجلوس ونظر إلى الرجل الميتم. كانت أذنه اليمنى مثبتة بالأرضية الخشبية، بينما كانت على وجهه ستة ثقوب سوداء دامية. لم يكن بحاجة للبحث عن سلاح الجريمة، فقد كان معلقاً أمامه على مستوى رأسه. حبل مدلى من عارضة في السقف في نهايته قطعة طوب تبرز منها ستة مسامير مغطاة بالدم.

جثم هاري ومد يديه. كان الرجل بارداً على الرغم من حرارة الغرفة، كما أن الجاذبية وانعدام ضغط الدم سمحا للدم بالاستقرار في أكثر أعضاء الجسم انخفاضاً، ومنحا الموضع تحت الإبطين بعض الاحمرار. لقد مات الرجل منذ أكثر من اثنتي عشرة ساعة حسب ما قدر هاري. كان القميص الأبيض المكوي مرفوعاً، وظهر جزء من البطن. لم يكن فيه لون أخضر يظهر أن البكتيريا قد بدأت بالتهامه كوكيمة تبدأ عادة بعد ثمان وأربعين ساعة وتنتشر من المعدة إلى الخارج.

وبالإضافة إلى القميص، كان يضع ربطة عنق محلولة، ويرتدي سروال بذلة أسود، ويتنعل حذاء لامعاً؛ كما لو أنه قد جاء للتو من جنازة أو عمل يتطلب لباساً رسمياً.

أخرج هاري هاتفه، وتساءل إن كان عليه الاتصال بغرفة العمليات أو فرقة مكافحة الجرائم مباشرة، ثم ضغط على رقم غرفة العمليات وهو ينظر حوله. لم يكن قد لاحظ أي دلائل على الاقتحام، كما أنه لا يوجد أي دليل على العراك في هذه الغرفة باستثناء قطعة الطوب والجثة، وقد كان هاري متأكداً من أنه حين يأتي المحققون الجنائيون إلى مسرح الجريمة فلن يجدوا أي شيء... لا بصمات ولا آثار أقدام ولا حمض نووي. ولن يكون المحققون أفضل، فالجيران بالتأكيد لم يروا أي شيء، كما أنه لا توجد أي كاميرات مراقبة في محطات الوقود المجاورة فيها لقطات لوجوه مألوفة، ولا مكالمات هاتفية تظهر أي شيء من أو إلى خط شالتز. لا شيء، بينما كان هاري بانتظار الرد توجه إلى المطبخ وهو يخطو بحذر ومن دون لمس أي شيء حتى وقع نظره على طاولة المطبخ وصحن فيه قطعة نصف مأكولة من الخبز والنقانق المدخنة. وكانت على ظهر الكرسي سترة بذلة تتناسب مع السروال الذي يرتديه القليل. بحث هاري في الجيوب، ووجد أربعمئة كرونر وبطاقة زيارة وتذكرة قطار وبطاقة تعريف شخصية في

الخطوط الجوية... تورد شالتز. كانت الابتسامة مهنية على الوجه في الصورة،
وظهرت ملامح شبيهة بالوجه الذي رآه في غرفة الجلوس.

- مركز الهاتف.

- لدي جثة هنا. العنوان...

لاحظ هاري بطاقة الزيارة.

- نعم؟

كان هناك شيء مألوف فيها.

- ألو؟

أمسك هاري بطاقة الزيارة، حيث كُتب في أعلاها قسم شرطة أوصلو
، ثم تورد شالتز والتاريخ. لقد زار مركز الشرطة قبل يومين، والآن ها هو
ميت.

- ألو؟

أنهى هاري الاتصال.

جلس.

فكر.

قضى تسعين دقيقة وهو يفتش المنزل، ثم مسح جميع الأماكن التي
ربما يكون قد ترك فيها بصمات أصابع، وأزال الكيس الذي كان قد لفه
حول رأسه برباط مرن لثلا تسقط أي شعرة. كانت هناك قاعدة معروفة،
وهي أنه يجب على جميع المحققين ورجال الشرطة الآخرين الذين قد
يدخلون مسرح جريمة تسجيل بصمات أصابعهم وحمضهم النووي. وإن ترك
أي دليل فلن يستغرق الأمر سوى خمس دقائق حتى تكتشف الشرطة أن
هاري هول كان في المكان... وكانت ثمرة عمله ثلاثة أكياس صغيرة من
الكوكايين وأربع عبوات من ما افترض أنه عقار محظور. وعدا عن ذلك، لم
يكن هناك سوى ما توقعه: لا شيء.

أغلق الباب وركب السيارة وقادها مبتعداً.

مركز شرطة أوصلو.

تباً... تباً... تباً.

حين وصل إلى مركز المدينة، ركن السيارة وحدق من النافذة، ثم
اتصل برقم بتي.

- أهلاً يا هاري.

- هناك أمران. أريد أن أطلب منك خدمة، وأعطيك معلومة من

مجهول بأنّ شخصاً آخر في هذه القضية قد مات.

- هذا ما أخبروني به للتو.

قال هاري بدهشة:

- إذًا، أنت تعلمين! الطريقة تدعى زجوك، وهي تعني بالروسية "الخنفس".

- عم تتكلم؟

- الطوب.

- أي طوب؟

- عم تتكلمين؟

- غوجك توسيك.

- من هو؟

- الشخص الذي هاجم أوليخ.

- و؟

- وجدوه ميتاً في زنزانته.

نظر هاري مباشرة إلى أضواء كاشفة تتجه نحوه:

- كيف...؟

- إنهم يتحققون من الأمر الآن... يبدو وكأنه قد شق نفسه.

- احذني كلمة "نفسه"... لقد قتلوا الطيار أيضاً.

- ماذا؟

- تورد شالتز مستلقٍ على أرضية غرفة الجلوس في منزله عند

غاردموين.

مرت ثانيتان قبل أن تجيب بتي:

- سأخبر غرفة العمليات.

- حسناً.

- ما الأمر الثاني؟

- ماذا؟

- قلت إنك تريد طلب خدمة.

- آه نعم.

وسحب هاري بطاقة الزائر من جيبه وقال:

- أتساءل إن كان بالإمكان التحقق من سجل الزوار في مكتب

الاستقبال في مركز الشرطة ومعرفة الشخص الذي زاره تورد شالتز قبل

يومين.

عم الصمت ثانية.

- بتي؟

- هل أنت متأكد من أنني سأرغب بالانخراط في مثل هذا الأمر

يا هاري؟

- أنا متأكد من أنك لن ترغبى بالانخراط في مثل هذا الأمر.

- اغرب عن وجهي.

أنهى هاري الاتصال.

ترك هاري سيارته في مرأب السيارات الطابقي في أسفل كفادراتورين، وتوجه إلى فندق ليون. مر أمام مقهى تصدح منه الموسيقى عبر الباب المفتوح، مما ذكره بليلة وصوله: دعوة نيرفانا "تعال كما أنت". ولم يدرك أنه دخل المقهى إلى أن وجد نفسه واقفاً أمام المنضدة في الممر الملتف للغرفة.

كان هناك ثلاثة زبائن جالسين على مقاعد، بينما فاحت روائح الشراب واللحم. نظر النادل إلى هاري نظرة اطلب الآن أو اذهب وهو يزيل فلينة من فوهة زجاجة، وكان على رقبتة العريضة وشم لثلاثة حروف قوطية... أ ك ل.

- ما الأمر؟

صرخ وهو يحاول أن يطغى على صوت كيرت كوبين الذي كان يطلب من هاري القدوم كصديق.

رطب هاري شفثيه اللتين جفتا فجأة، ونظر إلى يدي النادل اللتين تدوران حول مفك بسيط من النوع الذي يتطلب يدين قاسيتين ومدربتين وبضع لفات ليخترق قطعة الفلين، ثم سحبة سريعة. رأى صورة مشوهة لنفسه في المرآة وراء النادل... الوجه المشوه. لكنه لم يكن وجهه فحسب وإنما وجوههم جميعاً... جميع الأشباح كانت هناك، وكان شبح تورد شالتز آخر من انضم إليها. جالت عيناه على الزجاجات على الرف حتى وجد هدفه كصاروخ يبحث عن الحرارة... العدو القديم...

لم يكن لدى كيرت كوبين أي مسدس.

سعل هاري مرة واحدة.

لا مسدس.

طلب.

صرخ النادل وهو ينحني للأمام:

- ماذا؟
- جيم بيم.
- لا مسدس.
- جين ماذا؟
- بلع هاري لعابه بينما كرر كوبين كلمة "مشهود". كان هاري قد سمع الأغنية مائة مرة من قبل، لكنه أدرك الآن أنه كان يظن دائماً أن كوبين يقول "مشى" متبوعة بكلمة آخر.
- لمح حركة في المرأة، وفي اللحظة نفسها بدأ هاتفه المحمول بالاهتزاز في جيبه.
- صرخ النادل وهو يضع المفك على المنضدة:
- جين ماذا؟
- أخرج هاري هاتفه المحمول ونظر إلى الشاشة... "ر" فرد على الاتصال.
- أهلاً ياراكيل.
- هاري؟
- حركة أخرى وراءه.
- لا أسمع سوى الضجة. أين أنت يا هاري؟
- التفت هاري ومشى بخطوات سريعة إلى المخرج، وتنشق هواء ملوثاً لكنه أكثر إنعاشاً من الهواء في الداخل.
- سألت ياراكيل:
- ماذا تفعل؟
- أتساءل إن كنت سأنعطف يميناً أو يساراً. وأنت؟
- سأذهب للنوم. هل أنت ثمل؟
- ماذا؟
- لقد سمعتني ويمكنني سماعك. أنا ألاحظ عندما تكون متوتراً، وتلك الأصوات تبدو وكأنك في مقهى.
- أخرج هاري علبة سجائر الجمل من جيبه، وأخرج منها سيجارة، ورأى أن يده ترتجف:
- من الجيد أنك اتصلت ياراكيل.
- هاري؟
- أشعل السيجارة:
- نعم؟
- لقد رتب هانز كريستيان ليبقى أوليغ مسجوناً في موقع سري

في أوستلاند. لكن، لا أحد يعرف أين بالضبط.

- ليس سيئاً.

- إنه رجل طيب ياهاري.

- لا شك في ذلك.

- هاري؟

- أنا هنا.

- إن كان بإمكاننا وضع بعض الأدلة لأتحمّل أنا مسؤولية الجريمة

فهل ستساعدني؟

- لا.

- لِمَ لا؟

فتح الباب وراء هاري، لكنه لم يسمع أي خطوات مبتعدة.

- سأتصل بك من الفندق.

أنهى هاري المكالمة، ومشى في الشارع من دون أن يلقي أي نظرة

للخلف.

شاهد سيرغييه الرجل يسير الهوينا في الشارع.

وشاهده وهو يتجه إلى فندق ليون. في البداية، كان قريباً للغاية في

المقهى، ثم هنا في الشارع.

كانت يد سيرغييه لا تزال محكمة حول مقبض السكين المصنوع من

قرن الغزال في جيبه. وكان النصل خارجاً ويقطع القماش. كان على وشك

المضي قدماً والإمساك بشعر هاري بيده اليسرى وذبحه بالسكين على شكل

هلال مرتين، ولكنه لم يفعل. صحيح أن الشرطي أطول مما قد تخيل، لكن

ذلك لن يكون مشكلة.

لن تكون هناك أي مشكلة. وبينما تباطأ نبضه، عاد إليه هدوؤه...

الهدوء الذي فقده... الهدوء الذي كبته رعبه، وأحس مجدداً بالرغبة بإتمام

المهمة ليندمج في القصة التي يعلم نهايتها مسبقاً.

لأن هذا هو المكان... مكان الكمين. كان سيرغييه قد رأى عيني

الشرطي حين كانتا تحدقان في الزجاجات، فقد بدتا مثل عيني والده حين

خرج من السجن. كان سيرغييه التماسح في الجدول... التماسح الذي يعرف

أن الرجل سيمشي في الطريق نفسه للحصول على شراب... كان الأمر مجرد

مسألة انتظار.

استلقى هاري على السرير في الغرفة 301 وهو ينفث الدخان إلى السقف، وينصت لصوتها عبر الهاتف.

- أعلم أنك فعلت أشياء أسوأ من وضع أدلة. لم لا؟ لم لا لأجل شخص تحبه؟

- أنت تحتسين شراباً أبيض.

- كيف تعرف أنه ليس أحمر؟

- يمكنني أن أسمع.

- إذًا، فسر لي... لِمَ لا؟

- أسمحين لي؟

- نعم يا هاري؟

أطفأ هاري سيجارته داخل كوب القهوة الفارغ على الطاولة بجوار السرير:

- أنا- مخالف القانون والشرطي الذي تم تسريحه- أعتبر أن القانون يعني الكثير. أيدو ذلك غريباً؟
- أكمل.

- القانون هو السور الذي بنيناه عند حافة الجرف. وحين يخالف أحد القانون فهو يحطم السور؛ مما يضطرنا لإصلاحه، وعلى الطرف المذنب أن يكفر عن ذنبه.

- لا... شخص ما عليه التكفير... شخص ما عليه تحمل العقوبة ليظهر للمجتمع أن الجريمة غير مقبولة. يمكن لأي كبش فداء أن يعيد إعمار السور.

- أنت تقتطعين أجزاء من القانون، تلك التي تناسبك... أنت محامية وتعرفين أفضل.

- أنا أم، وأعمل كمحامية. ماذا عنك يا هاري؟ هل أنت شرطي؟ أهذا ما أصبحت عليه؟ هل أنت رجل آلي خاضع لأفكار الآخرين؟ أهذا ما أنت عليه؟

- ممم.

- أليديك جواب؟

- حسنًا... لِمَ تظنين أنني أتيت إلى أوسلو؟

صمت.

- هاري؟

- نعم؟

- آسفة.
- لا تبكي.
- أعلم... آسفة.
- لا تقولي آسفة.
- تصبح على خير ياهاري. أنا...
- تصبحين على خير.

استيقظ هاري. لقد سمع شيئاً... شيئاً طغى على صوت خطواته في الممر. نظر إلى ساعته... 1:34. كانت عارضة الستارة المكسورة متكئة على إطار النافذة وتشكل ظلاً لزهرة توليب. نهض وتوجه إلى النافذة، وهدق في الباحة الخلفية حيث كانت هناك حاوية قمامة مقلوبة على جانبها ولا تزال تهتز، فما كان منه إلا أن أسند جبهته على الزجاج.

في وقت باكر من الصباح، بينما كانت السيارات تزحف هامسة نحو غرونلاند سليرت، كان ترولس يمشي إلى مركز الشرطة، ولمح الملتصق الأحمر على شجرة الزيزفون عندما وصل إلى الأبواب ذات الكوات، فاستدار وقفل راجعاً بهدوء وهو يمر أمام الصفوف البطيئة في بوابة أوصلو متجهاً إلى المقبرة.

كانت المقبرة مهجورة كالمعتاد في مثل هذا الوقت؛ على الأقل بالنسبة للأحياء. وقف أمام حجر شاهدة قبر أ. س. رود لكنه لم يجد أي رسالة مكتوبة عليه... إذًا، لا بد أنه يوم الدفع.

جثم على الأرض، وحفر إلى جانب القبر حتى لمح المغلف البني، فسحبه وقاوم الرغبة بفتحه وعد النقود، ثم حشره في جيب سترته. وحين كان على وشك النهوض راوده شعور بأنه مراقب، فبقي جائماً بضع ثوانٍ؛ كما لو يفكر في أ. س. رود، والطبيعة الفانية للحياة، ومثل هذه الترهات.

- ابق حيث أنت يا بيرنستن.

وقع ظل عليه، وسرت القشعريرة في جسده كما لو أن الشمس اختبأت وراء الغيوم. وأحس ترولس بيرنستن كما لو أنه في سقوط حر مع شعور بالغثيان... إذًا، هكذا هو الشعور حين ينكشف.

- لدينا نوع مختلف من العمل لك هذه المرة.

أحس ترولس بالثبات مجددًا... الصوت، اللكنة البسيطة... إنه هو. ألقى ترولس نظرة جانبية، فرأى الشخص واقفاً وقد أحنى رأسه على بعد قبرين منه؛ كما لو أنه يتضرّع.

- عليك أن تعرف المكان الذي أخفوا فيه أوليغ فوك. ابحث فوراً!
حديق ترولس بحجر شاهدة القبر أمامه.

- لقد حاولت، لكن لم يتم تسجيل النقل على الإطلاق، ولا يمكنني الحصول على هذه المعلومة أبداً، وجميع الذين تكلمت معهم لم يسمعوا حرفاً عن الشاب. لذا، أخمن أنهم منحوه اسماً جديداً.

- تحدث مع الأشخاص المطلعين... تحدث مع محامي الدفاع... سيمونسين.

- لِمَ لا أتحدث مع الأم؟ لا بد...

- لا نساء.

جاءت الكلمتان قاسيتين كضربات سوط. لو كان هناك أناس آخرون

في المقبرة لسمعوهما بالتأكيد، ثم جاءت الكلمات التالية بهدوء:

- حاول مع محامي الدفاع، وإن لم ينجح ذلك...
في فترة الصمت التالية، سمع بيرنستن حفيف الأشجار في المقبرة... لا بد أنها الريح... لهذا انتشر البرد فجأة.
أكمل الصوت:

- ... ثم هناك رجل يدعى كريس ريدي يعرف في الشارع باسم أديداس. إنه يتعامل مع...

- السبيد. أديداس يعني الأمفي...

- اخرس يا بيرنستن. اسمعني وحسب.

خرس ترولس منصتاً كما كان يخرس كلما طلب منه شخص ذو صوت مشابه أن يخرس، وقد أنصت أيضاً حين طلبوا منه حفر القذارة وأخبروه...

أعطاه الصوت عنواناً.

- لقد سمعت شائعة أن أديداس كان يتبجح بأنه أطلق النار على غاستو هانسن. لذا، اعتقله للاستجواب، وهكذا سيقول كل ما لديه للدفاع عن نفسه. سأترك الأمر لك لتقرر تفاصيل الأمر ليكون موثقاً مائة بالمائة. لكن في البداية، حاول الحصول على المعلومات من سيمونسين. أنفهم؟

- نعم. لكن، لِمَ قد يكون أديداس...

- هذه ليست مشكلتك يا بيرنستن. السؤال الوحيد الذي يمكنك طرحه هو كم الثمن.

بلع ترولس بيرنستن لعابه وهو يحفر القذارة:

- كم الثمن؟

- هذا جيد. ستون ألفاً.

- مائة ألف.

لا جواب.

- هيه؟

لكنه لم يسمع سوى أصوات ازدحام الصباح.

جلس بيرنستن بسكون وهو يحرق جانباً... ما من أحد هناك. وأحس بالشمس تدفئه مجدداً... ستون ألفاً مبلغ جيد... نعم.

كان الندى لا يزال على الأرض حين ترنح هاري أمام المبنى الرئيس في مزرعة سكوين في العاشرة صباحاً. كانت إيزابيل سكوين واقفة على

السلم باسمه، وهي تضرب بسوط صغير على فخذها المكسوين بسروال أسود. وبينما كان هاري يترجل من السيارة سمع صوت الحصى تحت حذائه.

- صباح الخير يا هاري. ماذا تعرف عن الخيول؟
- صفق هاري باب السيارة:
- لقد خسرت الكثير من المال عليها. أيساعدك ذلك؟
- إذًا، أنت مقامر أيضاً؟
- أيضاً؟
- لقد قمت ببعض التحريات أيضاً. هل خسرت المال في هونغ كونغ؟

- مضمار سباق هابي فالي. لقد حدث الأمر مرة واحدة. بدأت المشي نحو بناء أحمر مُنخفض، فاضطر لإسراع خطاه ليبقى قريباً منها.

- هل قمت بامتطاء الخيل من قبل يا هاري؟
- كان لدى جدي حصان عجوز قوي في أندالسنسن.
- إذًا، أنت فارس خبير.
- لا. فقد كان جدي يقول إن الخيول ليست لعبة. لذا، إن امتطاء الخيل لمجرد المتعة يظهر عدم الاحترام للحيوان العامل.
- توقفت أمام منصب خشبي عليه سرجان جلديان:
- لن يرى أي من خيولي عربة أو محراثاً. بينما أسرج الحصان توجه إلى هناك...

وأشارت إلى منزل المزرعة:

- ... ستجد بعض الملابس المناسبة التي كانت لزوجي السابق في خزانة الصالة. لا أريد أن أفسد لك بذلتك الأنيقة.
- وجد هاري في الخزانة كنزة وسروال جينز كبيراً هما فيه الكفاية. لا بد أن قدمي الزوج السابق كانتا صغيرتين لأنه لم يستطع انتعال أي من الأحذية؛ إلا أن وجد زوجاً من الأحذية الرياضية الزرقاء.
- حين وصل إلى الساحة، كانت إيزابيل جاهزة وبانتظاره مع جوادين مسرحين. فتح هاري باب الراكب في سيارة الأجرة، وجلس في الداخل تاركاً ساقه خارجاً، وغير حذاءه، وأزال ضبان الحذاء ووضعها على أرض السيارة، ثم بحث عن نظارته الشمسية داخل صندوق القفازات.
- جاهز.

قالت إيزابيل وهي تربت على فرس سمراء كبيرة:
- هذه ميدوسا. إنها من أولدنبورغ من الدنمارك من سلسلة مثالية للترويض. تبلغ من العمر عشر سنوات وهي رئيسة القطيع. وهذا بليدر، يبلغ من العمر خمس سنوات. إنه مخصي لذا سيتبع ميدوسا. ناولته عنان بليدر وقفزت على صهوة ميدوسا. وضع هاري قدمه اليسرى في ركاب السرج الأيسر وصعد إلى السرج. ومن دون انتظار أي أوامر بدأ الحصان بالمشي برشاقة وراء ميدوسا. كان هاري قد فهم الوضع حين قال إنه لم يركب سوى مرة واحدة. لكن هذا الحصان مختلف عن حصان جده المنهك؛ إذ عليه التوازن على السرج. وحين ضغط بركبتيه على جانبي الحصان الرشيق أحس بأضلاعه وبحركة عضلاته. وحين أسرعت ميدوسا على الطريق عبر الحقل واستجاب بليدر للأمر أحس هاري وكأنه يمتطي حصان سباقات. وفي نهاية الحقل، سلكا طريقاً يتلاشى في الغابة أو باتجاه التلال. وعند تشعب الطريق قرب شجرة حاول هاري توجيه بليدر إلى اليسار لكن الحصان تجاهله وتبع آثار حوافر ميدوسا إلى اليمين.

- كنت أظن أن الحصان غير المخصي هو قائد القطيع.
- كقاعدة عامة هذا صحيح. لكن الأمر يتعلق بالشخصية؛ إذ يمكن لفرس ذكية وطموحة وقوية أن تتغلب عليها جميعاً في حال أرادت ذلك.
- وأنت تريدين.

ضحكت إيزابيل سكوين:

- بالطبع. إذا أردت شيئاً فعليك الاستعداد للتنافس؛ فالسياسة هي السعي وراء السلطة.

- وأنت تحبين التنافس؟

رأها تهز كتفيها أمامه:

- التنافس أمر صحي، فهو يعني أن الأقوى والأفضل هو الذي سيتخذ القرارات، وهذا لمصلحة القطيع.

- كما أنه يمكنها التزاوج مع من تحب، أليس كذلك؟

لم تجب إيزابيل، بينما راقبها هاري. كان ظهرها ممشوقاً، بينما بدا ردفاها وكأنهما يدلكان الفرس التي تنتقل من جانب لآخر بحركات رشيقة. وصلا إلى مساحة مفتوحة تملأها أشعة الشمس، بينما انتشرت طبقة ضبابية في الريف.

قالت إيزابيل سكوين وهي تنزل:

- دعنا نتركهما ليرتاحا قليلاً.
وبعد أن ربطا الحصانين إلى شجرة، استلقت إيزابيل على العشب
ولوحت لهاري ليفعل مثلها، فجلس بجوارها وعدل نظارته الشمسية.
قالت باستهزاء:

- هل هذه النظارة للرجال؟

- إنها تحمي من الشمس.

- أحب ذلك.

- ما الذي تحبينه؟

- أحب الرجال الواثقين من أنفسهم.

نظر هاري إليها، حيث كانت متكئة على مرفقها وقد فتحت زر
قميصها. تمنى أن تكون نظارته داكنة بما يكفي لكنها ابتسمت.
قال هاري:

- إذًا، ماذا يمكنك أن تخبريني عن غاستو؟

- أحب الرجال الصادقين.

واتسعت ابتسامتها.

طنت ذبابة كبيرة بنية في طيرانها الخريفي. لم يكن هاري قد أحب
ما رآه في عينيها منذ أن وصل... فقد رأى تلذذاً مترقباً، من دون أي توتر
يفترض أن يظهره شخص يواجه فضيحة تهدد مهنته.
- لا أحب الزيف؛ كالخداع على سبيل المثال.

شع النصر من عينيها:

- لقد اتصلت بصديق لي في الشرطة، وقد أخبرني القليل عن
المحقق الأسطوري هاري هول، كما أخبرني أنه لم يتم تحليل أي دم في
قضية غاستو هانسن، فقد تخربت العينة... إذًا، ليست هناك أي أظافر
تحمل تحتها زمرة دمي. لقد كنت تخدعني يا هاري.

أشعل هاري سيجارة... ما من احمرار على وجنتيه أو أذنيه... وتساءل
إن كان قد تقدم في السن لتحمر وجنتاه.

- ممم... إن كان ما يربطك بغاستو مجرد مقابلات بريئة فلم كنت
في غاية الخوف من أن أرسل الدم للفحص؟
ضحكت:

- من قال إنني كنت خائفة؟ ربما كنت أرغب فقط بإحضارك إلى
هنا والاستمتاع بالطبيعة وهكذا.

عندها، تأكد هاري من أنه لم يتقدم في السن حيث يصعب أن

تحمر وجنتاه، فاستلقى ونفث الدخان إلى السماء الزرقاء، ثم أغمض عينيه محاولاً العثور على سبب جيد لئلا يعاشر إيزابيل سكوين، فوجد الكثير. سألته:

- أكان ذلك خطأ؟ كل ما أقوله هو إنني امرأة بالغة وعزباء، لدي حاجات طبيعية. هذا لا يعني أي غير جادة. إنني لا أقوم بعلاقة مع أحد لا أعتبره مساوياً لي مثل غاستو.
سمع صوتها يقترب:

- لكن، مع رجل بالغ وطويل...
ووضعت يدها المثيرة على بطنه.
سألها هاري بهدوء:

- هل استلقيت أنت وغاستو حيث نحن مستلقيان الآن؟
- ماذا؟!!

نهض متكئاً على مرفقيه، وهز رأسه وهو يشير إلى الحذاء الأزرق:
- كانت خزانتك مليئة بأحذية رجالية قياس 42، لكن هذا الحذاء هو الوحيد من مقاس 45.
- ماذا إذا؟ لا يمكنني ضمان أنني لم أستقبل زائراً ذكراً قياس قدمه 45.

بينما ربت بيدها إلى الأمام والخلف.

- لقد تم صنع هذا الحذاء منذ مدة للقوات المسلحة، وحين غيروا الشكل تم أخذ المخزون الفائض إلى المنظمات الخيرية التي وزعتها على المحتاجين. في الشرطة ندعوها أحذية المدمنين على المخدرات لأنه كان يتم توزيعها من قبل اتحاد الرعاية الاجتماعية في ووتش تاور. لكن السؤال بالطبع هو كيفية تمكّن زائر عادي قياس قدمه 45 من المغادرة تاركاً حذاه هنا. التفسير الواضح هو أنه ربما يكون قد حصل على حذاء جديد.
توقفت يد إيزابيل سكوين عن الحركة بينما أكمل هاري:

- لقد رأيت صور مسرح الجريمة. حين مات غاستو كان يرتدي سروالاً رخيصاً وينتعل حذاء باهظ الثمن... ألبرتو فاشياني. وما لم أكن مخطئاً، فإنه هدية سخية. كم دفعت ثمنه؟ خمسة آلاف؟
أبعدت يدها:

- ليست لدي أدنى فكرة عما تتحدث.

- لقد تركت ضبان الحذاء في السيارة. أتعرفين أن عرق الأقدام ممتاز لاختبار الحمض النووي؟ وقد نجد بعض الجزيئات البسيطة للبشرة

أيضاً. كما أنه لا توجد الكثير من المتاجر في أوصلو التي تباع أحذية ألبرتو فاشياني... هناك واحد أو اثنان. في كل الأحوال، سيكون من السهل التحقق من بطاقة ائتمانك.

جلست إيزابيل سكوين محدقة في الأفق.

- أيمكنك رؤية تلك المزارع؟ أليست جميلة؟ أحب الطبيعة المصقولة وأكره الغابات، وأكره الفوضى، باستثناء الفوضى المختلفة.

تفحصها هاري... بدا الأنف الحاد خطراً.

- أخبريني عن غاستو هانسن.

هزت كتفيها:

- لماذا؟ لقد خمنت معظم الأمور بنفسك.

- من تريد أن يستجوبك؟ أنا أم فيردنس غانغ؟

ضحكت ضحكة مقتضبة:

- كان غاستو شاباً ووسيماً... لقد كان جميل المظهر، لكن مورثاته

مثيرة للريبة... أب بيولوجي مجرم، وأم مدمنة على المخدرات؛ وفقاً للأب الراعي. إنه ليس حصاناً للتناسل وإنما للاستمتاع بركوبه. أتى إلى هنا وقمنا بشيء ما، وكنت أعطيه المال بين الحين والآخر. كما قابل أشخاصاً آخرين، ولم يكن هناك أي شيء مميز.

- أكان ذلك يثير غيرتك؟

- غيرتي!

هزت إيزابيل سكوين رأسها:

- لم يكن ذلك الأمر يثير غيرتي على الإطلاق، فأنا أقابل أشخاصاً

آخرين أيضاً، ثم التقيت شخصاً مميزاً فابتعدت عن غاستو، أو ربما هو الذي ابتعد عني. لكنه اتصل بي في ما بعد وأصبح عبئاً علي. أظن أنه كان يعاني من مشاكل مالية ومشاكل إدمان.

- كيف كان؟

- كان أنانياً وغير موثوق وجذاباً... كان شخصاً وضيعاً واثقاً بنفسه.

- وماذا أراد؟

- هل أبدو كمحللة نفسية يا هاري؟

- لا.

- لا. لست مهتمة بالناس لهذه الدرجة.

- حقاً؟

هزت إيزابيل سكوين رأسها بالنفي، وهي تنظر في الأفق بينما تلالأت

عينها.

- كان غاستو وحيداً.
- كيف عرفت؟
- أعرف الوحدة. كما أنه يكره نفسه.
- ثقة بالنفس وكراهية للنفس في وقت واحد!
- إنه ليس تناقضاً. أنت تعرف ما يمكنك تحقيقه، لكن هذا لا يعني أنك تنظر لنفسك على أنك شخص يمكنك أن تحبه.
- وما سبب ذلك؟
- لقد أخبرتك أنني لست محللة نفسية.
- لا. هذا صحيح.

انتظر هاري.

بينما سعلت.

لقد تخلى عنه والداه. ما الذي تظن أنه من الممكن أن يتسبب به ذلك لصبي صغير؟ فواء الإيماءات والوجه القاسي كان شخصاً لم يظن أنه يستحق الكثير، وإنما ظن أنه ضئيل كمن تخليا عنه. أليس ذلك منطقياً ياسيادة شرطي؟

نظر هاري إليها، ولاحظ أن نظرته قد أزعجتها، لكنه لم يسألها الأسئلة التي عرفت أنها على حافة لسانه. ما قصتها؟ ما مدى وحدتها وكرهها لنفسها وراء هذه الواجهة؟

- ماذا عن أوليغ؟ هل قابلته؟
- الشاب الذي تم اعتقاله بتهمة القتل؟ أبداً. لكن غاستو ذكر أوليغ عدة مرات، وقال إنه أفضل أصدقائه. أظن أنه كان صديقه الوحيد.
- ماذا عن إيرين؟
- لقد ذكرها أيضاً، لكنها كانت بالنسبة له كأخت.
- لقد كانت أختاً.
- ليست أخته بالدم ياهاري. الأمر مختلف تماماً.
- حقاً؟!

- الناس بسيطون، ويظنون أنهم قادرون على الحب غير الأناني. لكن الأمر مرتبط بالمورثات القريبة منك قدر الإمكان. إني أرى هذا الأمر في تناسل الخيول كل يوم... صدقني... والناس كالخيول؛ فالأب سيحمي ابنه البيولوجي، والأخ أخته البيولوجية. ففي أي صراع، نقوم بطريقة فطرية بمساعدة من يبدو مثلنا. تخيل أنك في غابة وتنعطف، ثم ترى فجأة رجلاً

أبيض يرتدي ملابس مثلك ويتصارع مع رجل أسود شبه عارٍ رسم على وجهه بالألوان. كلاهما مسلحان بسكينين ويتقاتلان حتى الموت، بينما تحمل أنت مسدساً. ماذا سيكون حدسك الأول؟ أن تطلق النار على الرجل الأبيض لإنقاذ الرجل الأسود؟ لا بالطبع.

- وما دليلك؟

- الدليل هو أن ولاءنا محدد بيولوجياً... فالدوائر التي تنتشر من المركز هي نحن ومورثاتنا.

- إذًا، ستطلقين النار على أحدهما لحماية مورثاتك؟

- من دون أدنى تفكير.

- ماذا عن قتل كليهما للبقاء في الجانب الآمن؟

نظرت إليه:

- ماذا تعني؟

- ماذا كنت تفعلين ليلة مقتل غاستو؟

- ماذا؟

أغمضت إحدى عينيها بسبب الشمس وحدثت به:

- أتشك أني قتلت غاستو ياهاري؟ وأنني كنت وراء... أوليغ؟

- أجيبيني فحسب.

- أتذكر أين كنت لأن الأمر خطر ببالي حين كنت أقرأ عن

الجريمة في الصحيفة. كنت في اجتماع مع ممثلي وحدة المخدرات في

الشرطة. لا بد أنهم شهود موثوقون. أتريد أي أسماء؟

هز هاري رأسه بالنفي.

- هل من شيء آخر؟

- حسناً... دبي... ماذا تعرفين عنه؟

- دبي... ممم... القليل كالباقين... هناك شائعات، لكن الشرطة لا

تحرز أي تقدم. كالعادة، يستطيع المحترفون الهروب.

بحث هاري عن تغير في حجم بؤبؤها أو لون وجنتيها... إن كانت

إيزابيل سكوين تكذب فلا بد أنها بارعة.

- أسأل لأنك نظفت الشوارع من جميع تجار المخدرات؛ ما عدا

دبي وبعض العصابت الصغيرة.

- لست أنا ياهاري. أنا مجرد سكرتيرة مجلس أتبع أوامر مجلس

الخدمات الاجتماعية وسياسات المجلس. وما تسميه تنظيف الشوارع هو

عمل الشرطة.

- ممم... النروج هي أرض الأحلام، لكنني قضيت السنوات القليلة الماضية في عالم الواقع ياسكويين... عالم الراغبين بالسلطة والمال... من يريدون المنصب والمتعة... والعملية التي يستخدمونها لدى التفاوض في ما بينهم للحصول على ما يريدونه تدعى الفساد.

- لدي عمل أقوم به ياهول. إلى أين تريد أن تصل؟
- إلى المكان افتقر الآخرون للجرأة والخيال للوصول إليه. إن كنت تعيشين في مدينة لفترة من الوقت فإنك ترين الوضع عادة كلوحة فسيفسائية من التفاصيل التي تعرفينها جيداً. لكن من يعود إلى المدينة ولا يعرف التفاصيل لن يرى سوى الصورة كاملة، والصورة هي أن الوضع في أوصلو ممتاز لمجموعتين من الناس؛ التجار الذين بقيت السوق لهم وحدهم، والسياسيين الذين يعود لهم الفضل في القضاء على المخدرات.

- أتعني أي فاسدة؟

- هل أنت فاسدة؟

رأى الغضب الشديد يتوهج في عينيها... إنه حقيقي من دون أدنى شك. تساءل فقط إن كان غضب إنسان قويم أو إنسان وقع في الشرك، ثم من دون أي مقدمات ضحكت ضحكة فتية مرتعشة، ونهضت:
- أحببتك ياهاري. أنا أعرف رجالاً فاشلين حين يتعلق الأمر بسحق الآخرين لكنك حالة استثنائية.

- حسناً... على الأقل تعرفين أين أنت معي.

- الواقع ينادي ياعزيزي.

استدار هاري فرأى مؤخرة إيزابيل سكويين الكبيرة وهي تتجه نحو الخيول.

تبعها، إذ نهض على قدميه، وامتنى بليدر، ثم نظر للأعلى إلى عيني إيزابيل، حيث كانت هناك ابتسامة بسيطة ومثيرة في وسط الوجه الجميل والقاسي. بوزت فمها بقبلة، ثم ضربت بكعبي قدميها على جانبي ميدوسا، بينما تأرجح ظهرها حين قفزت الفرس الضخمة.

تبعها بليدر من دون أي تحذير، لكن هاري تمكن من التشبث بقوة. قامت إيزابيل بالقيادة مجدداً، بينما تناثر التراب المبلل من حوافر ميدوسا، ثم تسارعت خطى الفرس، ورأى هاري شعر إيزابيل المربوط للخلف يتأرجح، بينما اختفت وراء منعطف. رفع العنان كما علمه جده من دون شدة. كان الطريق ضيقاً لدرجة أن أغصان الأشجار كانت ترتطم به، لكنه أخفض رأسه وضغط بركبتيه على جانبي الجواد. كان يعلم أنه

لن يكون قادراً على التوقف، فركز على إبقاء قدميه في الركاب ورأسه منخفضاً. وفي مجال رؤيته، كانت الأشجار تمر به كخطوط صفراء وحمراء. ثم استقام تلقائياً، ووضع ثقله على ركبتيه والركاب، في حين كان يشعر أنه يجلس على أفعى قابضة. انحدرنا بنوع من التناغم، مصحوبين بالضرب المدوي للحوافر على الأرض، حيث راوده شعور بالرعب وشعور بالقلق. استقام الطريق أمامهما ليرى هاري على بعد خمسين متراً ميدوسا وإيزابيل؛ كما لو أن الصورة قد تجمدت أو أنهما توقفتا؛ كما لو أن الفرس والفارسة تطيران فوق الأرض، ثم عادت ميدوسا للجري. ولم يدرك هاري الأمر إلا بعد ثانية.

لكنها كانت ثانية مهمة.

كان قد قرأ في كلية الشرطة تقارير علمية تظهر أنه في الكوارث يحاول الدماغ البشري معالجة كميات هائلة من البيانات خلال ثوانٍ، وقد يؤدي ذلك عند بعض رجال الشرطة إلى الشلل، وعند آخرين أن الوقت بطيء، وأن الحياة تمر من أمامهم فيتمكنون من تحقيق عدد مذهل من الملاحظات والتقديرات حول الوضع؛ كتغطية عشرين متراً بسرعة سبعين كيلومتراً في الساعة؛ لكن لم يكن قد بقي سوى ثلاثين متراً وتسعين ثانية للوصول إلى الهوة التي قفزت من فوقها ميدوسا للتو. لدرجة أنه كان من المستحيل رؤية مدى عرضها. كانت ميدوسا فرساً مدربة ومحترفة تمتطيها فارسة محترفة، أما بليدر فكان أصغر ومبتدئاً، ويحمل تسعين كلغ على ظهره. بليدر كان حيوان تناسل، وبالطبع إيزابيل سكوين تعرف ذلك. وكان الأوان قد فات على التوقف.

أرخى هاري يديه عن العنان، وثبت قدميه إلى جانبي بليدر، وأحس بآخر خطوة له، ثم توقف كل شيء، وتوقف النقر حيث كانا يطيران، ورأى تحتها جدولاً وقمم الأشجار، ثم ترنح للأمام واصطدم رأسه برقبة الجواد وسقطاً.

أكنت لصاً يا أبي؟ لأنني كنت دائماً أعرف أنني سأصبح مليونيراً. كان شعاري سرقة ما يستحق العناء، لذا كنت صبوراً وانتظرت... انتظرت كثيراً، وهكذا حين سحت لي الفرصة فكرت أنني أستحقها.

كانت الخطة بسيطة وذكية: حين يكون راكبو الدراجات التابعون لأودين مجتمعين مع الرجل العجوز في ماكدونالدز سأقوم أنا وأوليج بسرقة جزء من مخزون الهيرويين لديهم في ألنابرو. إذ لن يكون هناك أحد في النادي، ولن يكتشف أودين أبداً أنه قد تمت سرقة بما أنه سيتم اعتقاله في ماكدونالدز. في الواقع، حين سيكون جالساً في قفص الاتهام سيشكرني وأوليج على خفض عدد الكيلوغرامات التي سيجدونها أثناء المداهمة. لكن المشكلة الوحيدة هي الشرطة والرجل العجوز. فإذا أدرك رجال الشرطة أن أحداً ما قد سبقهم بخطوة ووجد المخبأ ووصل ذلك إلى سمع الرجل العجوز فسينتهي أمرنا. إلا أن المشكلة حُلّت من تلقاء نفسها بالطريقة التي علمني إياها الرجل العجوز: التثبيت... تحالف استراتيجي. توجهت مباشرة إلى مبنى الشقق في مانغلوود، لكنني هذه المرة وجدت ترولس بيرنستن في البيت.

حديق بي بشك وأنا أشرح له، لكنني لم أكتف لأني رأيت الأمر في عينيه... الطمع. فهو واحد آخر من الناس الذين يظنون بعد أن تدفع لهم أن بإمكانهم بالنقود شراء دواء لليأس والوحدة والمرارة، وأنه ما من شيء يدعى العدالة. شرحت له أننا بحاجة لخبرته مع الشرطة لتغطية أية أدلة نتركها، ولنحرق أي شيء يجدونه بما في ذلك توجيه الشك إلى الآخرين في حال الحاجة. رأيت الوميض في عينيه حين قلت له إنني سأخذ خمسة من العشرين كلغ في المخبأ. اثنان لي واثنان له وواحد لأوليج. راقبته وهو يقوم بالحساب... 1.2 مليون للكيلوغرام الواحد أي 2.4 له.

- وهل أوليج هذا هو الشخص الآخر الوحيد الذي تكلمت معه؟
- أقسم بذلك.
- أمعك أي أسلحة؟
- أوديسا.
- من غير المحتمل أن يفكر المحققون بعدد الكيلوغرامات إن لم تكن هناك أي دلائل على الاقتحام. لكنني أفترض أنك خائف من أن يحاول أودين الانتقام منك، أليس كذلك؟

- لا... لا آبه لأوآين؁ وإنمآ آنآ آائف من الرئيس. ليسآ لدي أآنى فكرة عن كيفية تمكنه من ذلك؁ لكنني أعرف أنه يعرف بآقة كمية الهيروين المخزنة هنآك.

- أريد النصف. ويمكنك أنت وبوريس آشارك البآقي.

- أوليآ.

- عليك أن آشعر بالسعادة لأن ذآرتي سيئة؁ كمآ أن لهذا الأمر سلبياته. سيسآغرق الأمر نصف اليوم لإيجآك؁ ولن يسآغرق أي عنة لتدميرك.

كان أوليآ هو من آطط لكيفية التمويه للسرقة؁ فقد كان الأمر بسيطاً وواضحاً لدرجة أنني لا أعرف لمآذا لم أفكر به بنفسي.

- سنسآبدل مآ نسرقة بالآحين؁ فالشرطة ستذكر في تقريرها عدد الكيلوغرامآآ التي وآآت وليس مقدار نقآوتها؁ صحيح؟ كانت الخطة ذكية وبسيطة كمآ قلت.

في ليلة الحفلة نفسها التي أقامها أوآين والرجل العجوز في مآكدونالذ لمناقشة سعر الفيولين في درامن وليلسآروم؁ كنت أقف مع أوليآ وبيرنستن في الظلام آارج السور آول نآدي رآكبي الـآراجآآ في آلنآبرو. كان بيرنستن هو المسؤؤل؁ وكنآ نرتدي أقنعة وقفآزآآ وسترات سوداء؁ ونحمل في حقائبنا مسدساً ومثقبآآ ومفكآآ ورافعة وآكياسآآ مليئة بستة كيلوغرامآآ من الطآين. كنت قد شرآآ أنا وأوليآ لبيرنستن عن المآكان الذي وضعت فيه عصآبة لوس لوبوس كآميرآآ المراقبة؁ لكننآ إن تسلقنآ السور وركضنآ نحو الجدار على اليسار فسنبقى في المنطقة التي لا آصل إليها الكآميرآآ طوال الوقت. كنآ نعرف أنه بآمآكنا إصدار أي ضجة نآآآج إليها بسبب الازدحام المروري على طريق إي 6 الذي يطآى على أي شيء آخر. لآآ؁ حفر بيرنستن الجدار؁ بينما آولى أوليآ المراقبة؁ وأنا بقيت أدمدم:

- أمسكوا بي وأنا أسرق.

كنت وأوليآ في منطقة مآلوفة؁ وآخطيط النآدي كان بسيطاً؁ فهو يتكون من ردهة كبيرة. لكن؁ بمآ أن جميع النوافذ مآطاة بستائر خشبية فإن آطنتنآ كانت تقضي أن نحفر ثقبآآ لتتأكد من أنه لا يوجد آآد في النآدي قبل أن نآآل. كان بيرنستن قد أصر على ذلك فهو لم يصدق أن أوآين سيتزك عشرين كيلوغرامآآ من الهيروين تبلى قيمتها في الشارع خمسة وعشرين مليونآآ من آون آراسة. كنآ نعرف أوآين أفضل منه لكننآ استسلمنآ... فالسلامة أولاً.

قال بيرنستن وهو يمسك بالمثقاب الذي يزمجر:

- ها نحن ذا...

وضعت عيني على الثقب لكنني لم أر شيئاً... إما أن أحداً ما قد أطفأ النور، أو أننا لم نثقب بما فيه الكفاية. استدرت إلى بيرنستن الذي كان يمسح المثقاب:

- ما هذا النوع السيئ من العزل؟

ورفع إصبعه التي عليها شيء كبياض البيض وشعر لعين.

مشينا بضعة أمتار، وثقبنا ثقباً جديداً، ونظرت من خلاله فرأيت النادي القديم الجيد، بالكراسي الجلدية نفسها، والمقهى نفسه، وصورة كارين ماكدوغال نفسها- زميل اللعب في تلك السنة- موضوعة فوق بعض الدرجات النارية. لم أكتشف قط ما الذي منحهم أقوى ميزتين: النساء والدرجات.

قلت:

- كل شيء على ما يرام.

كان الباب الخلفي محاطاً بالأقفال والمفصلات.

- ظننت أنك قلت إن هناك قفلاً واحداً.

- هذا ما كان. يبدو أن أودين أصبح كثير الارتياب.

كانت الخطة تقضي بفك القفل وتركيبه قبل المغادرة، لئلا تكون هناك أي دلائل على الاقتحام، وقد كان ذلك ممكناً؛ لكن ليس في الوقت الذي حسبناه. وهكذا بدأنا بالعمل.

بعد عشرين دقيقة، نظر أوليغ إلى ساعة يده وقال إن علينا الإسراع؛ فنحن لا نعلم وقت الغارة بالضبط. كنا نعلم فقط أنها ستحدث في وقت ما بعد الاعتقال، وأن الاعتقال سيحدث بسرعة لأن أودين لن يبقى حين يدرك أن الرجل العجوز ليس قادماً.

أمضينا نصف ساعة ونحن ننظف، أي ثلاثة أضعاف الوقت الذي كنا نحسبه، ثم أخرجنا مسدساتنا وأنزلنا الأقنعة على وجوهنا ودخلنا... بيرنستن أولاً. ما إن دخلنا حتى نزل على ركبة واحدة ورفع المسدس أمامه بكلتا يديه كعضو لعين في فريق التكتيك والأسلحة الخاصة.

كان هناك شاب جالس على كرسي عند الجدار الغربي... لقد ترك أودين توتو ككلب حراسة. كان في حضنه مسدس، لكنه كان جالساً مغمضاً عينيه وفاتحاً فمه ومسنداً رأسه على الجدار. كانت هناك شائعات أن توتو يتلعثم حتى في شخيرته، لكنه الآن نائم بهدوء كطفل رضيع.

نهض بيرنستن على قدميه، ومشى على رؤوس أصابعه نحو توتو شاهراً
مسدسه، وتبعته أنا وأوليغ على رؤوس أصابعنا أيضاً.

همس لي أوليغ:

- هناك ثقب واحد فقط.

- ماذا؟

ثم أدركت الأمر.

كان بإمكانني رؤية الثقب الثاني وهكذا استنتجت أين سيكون الثقب
الأول.

همست:

- أوه تباً.

على الرغم من أنني أدركت أنه لم يعد هناك سبب للهمس.

كان بيرنستن قد وصل إلى توتو ووكزه، فوقع توتو عن الكرسي إلى
الأرض ليرتطم وجهه بالإسمنت، وهكذا أصبح بإمكاننا رؤية الفتحة الدائرية
في مؤخر رأسه.

قال بيرنستن:

- لقد دخل المثقاب مباشرة.

وأدخل إصبعه في الثقب في الجدار.

همست لأوليغ:

- تباً. ما نسبة احتمال حصول ذلك؟

لكنه لم يجب، وإنما بقي يحدق في الجثة كما لو أنه لا يعرف إن
كان سيبيكي أو يتقياً.

ثم قال:

- ماذا سنفعل يا غاستو؟

لا أعرف ما الذي حصل لي لكنني بدأت أضحك، فقد كان من
المستحيل التراجع... دوران ورك الشرطي ذي الفك السفلي البارز، واليأس
على وجه أوليغ المخفي وراء القناع، وتوتو الذي تبين في النهاية أن لديه
دماغاً... كل ذلك دفعني للضحك. ضحكت لدرجة العواء، حتى تلقيت
صفعة ورأيت الشرر يتطاير أمامي.

- استقم، إلا إن كنت تريد واحدة أخرى.

قال بيرنستن ذلك وهو يفرك راحة يده.

قلت بصدق:

- شكراً. دعونا نجد المخدرات.

- أولاً، علينا أن نتفق على ما ينبغي أن نفعله بالمتقوب هنا.
- لقد تأخر الوقت. الآن سيكتشفون أنه كان هناك اقتحام في كل الأحوال.

قال أوليغ وهو يكاد يجهش بالبكاء:

- ليس إذا وضعنا توتو في السيارة وأعدنا الأقفال مجدداً. وإذا اكتشفوا أن بعض المخدر قد اختفى فسيظنون أنه سرقها وهرب.
- نظر بيرنستن إلى أوليغ وهز رأسه:
- شريكك عبقرى. هيا بنا.

قلت:

- المخدر أولاً.
- قال بيرنستن:
- المتقوب أولاً.
- المخدر.
- المتقوب.
- أريد أن أصبح مليونيراً هذا المساء.

رفع بيرنستن يده:

- المتقوب.

صرخ أوليغ:

- اخرسا!

حدقنا به.

- الأمر ببساطة هو أننا إن لم نضع توتو في صندوق السيارة قبل أن تأتي الشرطة فسنفقد المخدر وحریتنا. أما إن كان توتو وليس المخدر في صندوق السيارة فسنفقد المال فحسب.

التفت بيرنستن إلي:

- يبدو أن بوريس يوافقني الرأي... اثنان مقابل واحد.

- حسناً... احمل الجثة وأنا سأبحث عن المخدر.

- خطأ. نحن سنحمل الجثة وأنت ستمسح الآثار وراءنا.

وأشار إلى المغسلة على الجدار في جانب المقهى.

- سكبت الماء في دلو، بينما أمسك أوليغ وبيرنستن بساقيه وجراه نحو الباب تاركين وراءهما خطأً ربيعاً من الدم. وبمراى من نظرات كارين ماكدوغال المثيرة مسحت بقايا الدماغ والدم من على الجدار ثم الأرض. وما إن أنهيت وكدت أبدأ بالبحث عن المخدر حتى سمعت صوتاً من الباب

المؤدي إلى الطريق إي 6... صوتاً حاولت إقناع نفسي أنه متجه لمكان آخر. لكن الصوت كان يعلو ويعلو ولا يمكن أن يكون من نسج خيالي... صفارات الشرطة.

تحققت من المقهى والمكتب والمرحاض. كانت الغرفة بسيطة ومكونة من طابق واحد، وليس هناك قبو أو أماكن كثيرة لإخفاء عشرين كيلوغراماً من الهيرويين، ثم وقعت عيناى على صندوق المعدات وعلى القفل الذي لم يكن هناك من قبل.

صرخ أوليخ شيئاً من عند الباب.

- أعطني الرافعة.

- علينا الذهاب الآن! إنهم على الطريق!

- الرافعة!

- الآن ياغاستو!

كنت أعرف أنها هناك... خمسة وعشرون مليون كرونر أمامي مباشرة، في صندوق خشبي مهترئ، فبدأت بركل القفل.

- سأطلق النار ياغاستو!

استدرت إلى أوليخ الذي كان يشير بمسدس أوديسا اللعين إلي. لم أظن أنه سيصيني من هذه المسافة، فقد كان بعيداً أكثر من عشرة أمتار؛ لكن مجرد فكرة أنه قد يرفع سلاحاً في وجهي جعلتني أغضب.

صرخ بينما اغرورقت عيناه بالدموع:

- إن قبضوا عليك فسيقبضون علينا!

- هيا!

ضربت القفل مجدداً بينما تعالت أصوات الصفارات. لكن المشكلة في صفارات الإنذار أنها دائماً تبدو أقرب مما هي عليه في الواقع.

سمعت صوتاً على الجدار فوقى، فنظرت إلى الباب وسرت قشعريرة في جسدي. إنه بيرنستن. كان يقف هناك وهو يحمل مسدس شرطة ينبعث منه الدخان.

وقال بهدوء:

- الثانية ستصيبك.

ضربت الصندوق ضربة أخيرة ثم ركضت.

وما إن قفزنا من فوق السور وأزلنا الأقتعة حتى وجدنا أنفسنا ننظر إلى الأضواء الكاشفة لسيارات الشرطة، فمشينا نحوها بشكل اعتيادي.

لكنهم تجاوزونا بسرعة وانعطفوا أمام النادي.

أكملنا حتى التلة حيث ركن بيرنستن سيارته وصعدنا إليها وانطلقنا،
و حين مررنا أمام النادي استدرت ونظرت إلى أوليخ على المقعد الخلفي،
بينما ومضت الأضواء الزرقاء على وجهه المتهيج من الدموع ومن القناع.
كان يبدو محبطاً للغاية وهو يحدق في الظلام؛ كما لو أنه على أهبة
الموت.

لم ينبس أحداً ببنت شفة حتى توقف بيرنستن عند موقف حافلة في
سينسين.

قال:

- لقد فشلت ياغاستو.
- لم أعلم بشأن الأقفال.
- هذا يدعى التحضير... التحقق من الموقع. أيبدو لك ذلك مألوفاً؟
نحن سنجد باباً مفتوحاً بقفل لم يتم فكه.
أدرت أنه يعني بكلمة "نحن" الشرطة.
تنشق أوليخ:

- لقد أخذت القفل والمفصلات. سيبدو الأمر كما لو أن توتو قد
هرب حين سمع الصفارات ولم يكن لديه متسع من الوقت ليقفل. ويمكن
أن تكون آثار البراغي من أي اقتحام سابق خلال السنة الماضية. صحيح؟
نظر بيرنستن إلى أوليخ في المرأة:

- تعلم من رفيقك ياغاستو. أو لا تتعلم، فأوسلو ليست بحاجة
للمزيد من اللصوص الأذكياء.

- صحيح. لكن، قد لا تكون فكرة ذكية أن تترك سيارتك على خط
أصفر مزدوج عند موقف حافلة مع جثة فيها.

- صحيح. هيا انزلا.

- الجثة...

- سأهتم بالمتقوب.

- أين...؟

- هذا ليس شأنكما... هيا!

نزلنا وشاهدنا سيارة بيرنستن تنطلق.

قلت:

- من الآن فصاعداً علينا الابتعاد عن هذا الرجل.

- لماذا؟

- لقد قتل رجلاً يا أوليخ، وعليه أن يزيل كل الأدلة المادية. أولاً،

عليه إيجاد مكان لإخفاء الجثة، ثم...

- عليه إبعاد الشهود.

هزرت رأسي وأنا أشعر بالاكئاب، ثم خطرت ببالي فكرة متفائلة:

- يبدو أن لديه مخبأ رائعاً لتوتو... أليس كذلك؟

قال أوليغ:

- كنت سأنفق المال للانتقال إلى بيرغن مع إيرين.

نظرت إليه.

- لقد حصلت على قبول لدراسة الحقوق هناك، وإيرين في

تروندهايم مع شتاين. كنت أفكر بالذهاب إلى هناك وإقناعها بالانضمام إلي.

ركبنا الحافلة إلى المدينة، لكنني لم أعد أحتمل نظرات أوليغ الفارغة،

فقد كان ينبغي ملؤها بشيء.

- هيا.

بينما كنت أوضب له حقنة في غرفة التدريب رأيت يرمقني بنظرات

متململة كما لو أنه يريد الانتهاء، أو كما لو أنه يظنني بطيئاً. وحين رفع

كفه عرفت السبب، فقد كانت ذراعه مليئة بآثار الحقن.

- فقط حتى تعود إيرين.

- أديك مخبؤك أيضاً؟

هز رأسه بالنفي:

- لقد سرقتها.

في تلك الليلة علمته كيف وأين يجد مخبأ مناسباً.

كان ترولس بيرنستن ينتظر منذ أكثر من ساعة في مرآب السيارات

الطابقي حين انعطفت عربة في المكان الفارغ الذي يحمل لافتة تقول إنه

محجوز لشركة سوليسيتورز باتش آند سيمونسين. كان قد قرر أن هذا

المكان هو الأنسب؛ إذ لا يأتي لهذا المكان من المرآب أحد، ولم تأتِ سوى

سيارتين في الساعة التي كان فيها هنا، كما لا توجد أي كاميرات مراقبة.

تحقق ترولس من أن لوحة الأرقام هي نفسها التي وجدها على موقع

أوتوسيس. هانز كريستيان سيمونسين يستلقي هناك لفترات طويلة أو ربما

لا يكون نائماً، فقد تكون معه امرأة ما. ترجل من السيارة رجل ذو غرفة

شقاء صبيانية كتلك التي كانت لدى حمقى غرب أوسلو في نشأتهم.

وضع ترولس بيرنستن نظارته الشمسية، وحشر يديه في جيبي معطفه،

وأحكم قبضته على مسدسه... ستر نمساوي شبه آلي. كان قد ترك مسدس

الشرطة لئلا يترك للمحامي أي أدلة غير لازمة، ومشى بسرعة ليقطع الطريق على سيمونسين الذي كان لا يزال واقفاً بين السيارات. يؤتي التهديد أفضل ثماره إن كان سريعاً وعدوانياً، وإن لم يتسن للضحية الوقت لتخطر بباله أي أفكار أخرى سوى الخوف على حياته... عندها ستحصل على ما تريده مباشرة.

كان كما لو أن لديه مسحوقاً فواراً في دمه، فقد سمع هسيساً ونقراً في أذنيه وخصره وحنجرته. تخيل ما سيحصل... المسدس في وجه سيمونسين قريب جداً؛ لدرجة أن المخزن هو كل ما سيتذكره.

- أين أوليغ فوك؟ أجبني بسرعة ودقة وإلا فسأقتلك مباشرة.

ليأتيه الجواب، ثم:

- إن حذرت أحداً أو قلت إن هذه المحادثة قد جرت فسنعود

لنقتلك. أتفهم؟

نعم، أو هزة رأس غبية وربما تبول غير إرادي. ابتسم ترولس للفكرة، وسارع من خطاه لكن النقر انتشر حتى معدته.

- سيمونسين!

رفع المحامي نظره وأشرق وجهه:

- أوه... أهلاً! بيرنستن... ترولس بيرنستن... أليس كذلك؟

تجمدت يد ترولس اليمنى في جيب معطفه، ولا بد أن تعابير وجهه كانت كثيبة للغاية لأن سيمونسين ضحك ضحكة مدوية:

- لدي ذاكرة جيدة في حفظ الوجوه يا بيرنستن. أنت ورئيسك

مايكل بيلمان حققتما في قضية الاختلاس في متحف هايدر، وكنت أنا محامي الدفاع. لقد ربحتما القضية للأسف.

ضحك سيمونسين مجدداً ضحكة مبتهجة وبريئة كضحكات الناس الذين يكبرون وهم يتمنون للجميع أن يكونوا بخير في مكان تكون فيه الثروة ضرورية ليتمكنوا من ذلك. كان ترولس يكره جميع الناس الشبهين بسيمونسين على وجه الأرض.

- هل من شيء يمكنني أن أساعدك به يا بيرنستن؟

- أنا...

تمتم بيرنستن بالكلمات، لكنه لم يكن بارعاً في أن ينتقي كلامه وجهاً لوجه مع... مع ماذا؟ أشخاص ذوي سرعة بديهة لغوية أكثر منه؟ كان الأمر قد سار على ما يرام في ألنابرو، كما أنهما كانا مجرد صبيين، وقد أمسك هو بزمام الأمور. أما سيمونسين فيرتدي بذلة، وقد تلقى تعليماً،

ولديه طريقة مختلفة وفوقية في الكلام... إنه... أوه تبا!

- أردت أن ألقى التحية فحسب.

رد سيمونسين باستغراب في صوته ووجهه:

- التحية؟!!

قال بيرنستن وهو يتكلف الابتسام:

- التحية. وانس القضية فستهزمننا في أخرى.

ثم توجه إلى المخرج بخطوات متسارعة وهو يشعر بعيني سيمونسين تحدقان في ظهره... تبا لهما.

- حاول مع محامي الدفاع، وإن لم ينجح ذلك فهناك رجل يدعى

كريس ريدي يعرف في الشارع باسم أديداس.

تجار السبيد. كان ترولس يأمل أن يجد عذراً لاستعمال العنف أثناء

الاعتقال.

سبح هاري نحو الضوء، نحو السطح حيث ازداد الضوء سطوعاً، ففتح

عينيه وحدق للأعلى إلى السماء. كان مستلقياً على ظهره بينما ظهر شيء

في مجال رؤيته... رأس حصان... وآخر.

ظل عينيه فرأى أحداً جالساً على صهوة حصان لكن الضوء أعماه.

جاءه الصوت من مكان بعيد:

- ظننت أنك قلت إنك تعرف ركوب الخيل يا هاري.

تأوه هاري، وحاول الوقوف على قدميه وهو يحاول أن يتذكر بالضبط

ما حصل معه. قفز بليدر فوق الهوة وحط على الأرض بقائمتيه الأماميتين،

وارقى هاري للأمام واصطدم برقبة بليدر ثم فقد الركاب وانزلق جانباً

وهو يمسك بالعنان بشدة. كما تذكر أنه جر بليدر معه، لكنه ابتعد عنه

لثلا يقع حصان بوزن نصف طن فوقه.

كان ظهره يؤلمه للغاية.

- لم يكن حصان جدي يقفز فوق وادٍ سحيق.

- وادٍ سحيق؟!!

ضحكت إيزابيل سكوين وهي تناوله رسن بليدر:

- هذا ليس أكثر من صدع بسيط بعرض خمسة أمتار. يمكنني

القفز أكثر من دون حصان. لم أعلم أنك من النوع سريع الذعر يا هاري.

دعنا أولاً نعود إلى المزرعة؟

قال هاري وهو يربت على خطم الجواد وهما يشاهدان إيزابيل

سكوين وميدوسا تسرعان في الحقل المفتوح:
- بليدر... هل تعرف عدو الخيول "السير بزهو"؟

توقف هاري عند محطة وقود على الطريق إي 6 واشترى قهوة، ثم عاد إلى السيارة ونظر في المرأة. لقد أعطته إيزابيل لصاقة للكشط، وعرضت عليه الفرصة للانضمام إليها في أول عرض لدون جيوفاني في دار الأوبرا (...). من المستحيل أن تجد رفيقة أطول مني حين أنتعل كعباً عالياً... يبدو الأمر سيئاً في الصحف... ثم عانقته مودعة. أخرج هاري هاتفه المحمول.

سألت بتي:

- أين كنت؟

- أجري بعض العمل الميداني.

- لم يكن هناك ما يساعدنا في مسرح الجريمة في غاردموين، وقد نظفت الشرطة المكان. لم نجد سوى أن المسامير من النوع الفولاذي العادي برؤوس ألمنيوم أكبر بستة عشر سنتم وأن قطعة الطوب جاءت ربما من مبنى في أوسلو مبني في القرن التاسع عشر.

- حقاً؟!

- ووجدنا دم حيوان مقرز وشعر حصان في الملاط، كما كان هناك معمل قرميد مشهور في أوسلو كان يصنعها، وهناك الكثير منها في مباني الشقق في مركز المدينة. يمكنك صنع الملاط من أي شيء.

- ممم.

- إذًا، لن يوصلنا ذلك إلى أي مكان أيضاً.

- أيضاً؟

- نعم... تلك الزيارة التي كنت تتكلم عنها. لا بد أنها لمكان آخر وليست لمركز الشرطة لأنه لم يتم تسجيل أي زيارة لتورد شالتز. بطاقة الزائر لا تقول سوى قسم شرطة أوسلو، وهناك الكثير من البطاقات المماثلة في العديد من محطات الشرطة.

- أوه... شكراً.

بحث هاري في جيوبه حتى ما وجد ما يبحث عنه... بطاقة الزيارة الخاصة بتورد شالتز، وبطاقته هو التي حصل عليها حين زار هاغن في فرقة مكافحة الجرائم في أول يوم له في أوسلو. وضعهما بجانب بعضهما على لوحة القيادة، وفحصهما حتى توصل إلى النتيجة، ثم حشرهما في جيبه مجدداً، وبعد ذلك أدار مفتاح التشغيل وتنفس عبر فتحتي أنفه؛ لكن

رائحة الخيول كانت لا تزال هناك. عندها، قرر زيارة منافس قديم في هوينهول.

بدأ المطر بالهطول حوالى الساعة الخامسة. وحين رن هاري جرس المنزل الكبير في الساعة السادسة كان الظلام قد حل في هوينهول. كان كل شيء يشير إلى أن المنزل مبني حديثاً؛ إذ كانت هناك بقايا مواد بناء مكدسة بجوار المرأب، كما رأى تحت السلم علب طلاء ومواد عزل. رأى هاري شخصاً يتحرك وراء الزجاج المنقوش.

فتح الباب بسرعة وقوة بحركة رجل ليس لديه ما يخشاه، لكنه تشنج حين رأى هاري.

قال هاري:

- مساء الخير يا بيلمان.

- هاري هول... ياللهول!

- إذأ ماذا؟

ضحك بيلمان:

- من المفاجئ رؤيتك هنا عند عتبة بابي. كيف عرفت عنواني؟
- الجميع يعرف القرد، لكن القرد لا يعرف أحداً. في معظم الدول الأخرى هناك حراس شخصيون لرئيس مكافحة الجريمة المنظمة... أتعرف ذلك؟ هل أعطلك عن شيء؟

قال بيلمان وهو يحك ذقنه:

- لا... على الإطلاق. كنت أفكر إن كنت سأدعوك للدخول أو لا.

- حسناً. المطر يهطل وسأدخل بهدوء.

قال بيلمان وهو يسحب الباب للخلف:

- امسح قدميك.

قاد مايكل بيلمان هاري عبر الصالة، وعبرا كومة من صناديق الورق المقوى، ومطبخاً حيث لم تكن فيه أي أشياء بيضاء، حتى وصلا إلى غرفة جلوس غير فخمة كما قد رأى في بعض البيوت في غرب أوصلو لكنها واسعة بما يكفي لعائلة. ولاحظ هاري الإطالة الرائعة على وادي كفارنر ومحطة أوصلو المركزية ومركز المدينة.

قال بيلمان:

- لقد كلف التخطيط بقدر ما كلف المنزل. اعذرنا على الفوضى

فقد انتقلنا للتو. وسنقيم حفلة بمناسبة الانتقال إلى البيت الجديد في الأسبوع المقبل.

قال هاري وهو يخلع سترته المبللة:

- ونسيت أن تدعوني؟!

ابتسم بيلمان:

- يمكنني أن أقدم لك شراباً الآن. ماذا عن...

ابتسم هاري:

- أنا لا أشرب.

قال بيلمان من دون أي دلائل على الندم:

- أوه تبا... المرء ينسى بسرعة. ابحث عن كرسي في مكان ما

وسأرى إن كنت سأجد وعاء القهوة وكوبين.

بعد عشر دقائق، جلسا بجانب النافذة وهما يطلان على الشرفة

والإطلالة. دخل هاري في صلب الموضوع مباشرة، بينما أنصت مايكل بيلمان

من دون أي مقاطعة حتى حين رأى هاري الشك في عينيه. وحين أنهى

هاري كلامه قال بيلمان:

- إذًا، أنت تظن أن الطيار تورد شالتز كان يحاول تهريب الفيولين

من البلاد، ثم تم اعتقاله، لكن تم إطلاق سراحه بعد أن قام حارق

يحمل بطاقة تعريف الشرطة بإبدال الفيولين بالطحين، ثم تم إعدام شالتز

في منزله بعد إطلاق سراحه؛ ربما لأن رئيس عمله اكتشف أنه زار الشرطة

وخاف من أن يخبرهم بما يعرفه.

- مممم.

- وتدعم ادعاءك أنه كان في مركز الشرطة بأن معه بطاقة زائر

كُتب عليها قسم شرطة أوصلو؟

- لقد قارنتها مع بطاقة حصلت عليها حين زرت هاغن، ووجدت

أن الحبر على طرف الحرف هـباهت في كلتا البطاقتين؛ مما يعني أنهما

من الطابعة نفسها.

- لن أسألك كيف حصلت على بطاقة الزائر التي لدى شالتز، لكن

كيف تأكدت من أن هذه ليست زيارة عادية؟ ربما أراد أن يفسر سبب

وجود الطحين ويتأكد من أننا نصدق.

- لأنه تم حذف اسمه من سجل الزوار، فقد كان من الضروري

إبقاء هذه الزيارة سرية.

تنهد مايكل بيلمان:

- هذا ما كنت أفكر به دائماً يا هاري. علينا العمل مع بعضنا

وليس ضد بعضنا. لا بد أنك كنت ستحب كريبوس.

- عم تتكلم؟
- قبل أن أقول أي شيء آخر أريد أن أطلب منك خدمة. أتمنى أن تبقي ما سأقوله لك سراً بيننا.
- حسناً.
- لقد وضعتني هذه القضية في وضع حرج؛ فشالتز كان قد زارني أنا، وكان يريد إخباري بما عرفته أنت. ومن بين الأشياء التي قالها لي أخبرني بما كنت أشك به منذ مدة: هناك حارق بيننا... شخص أظن أنه يعمل في مركز الشرطة ومقرب من قضايا أورغكريم. وقد طلبت منه البقاء في المنزل ريثما أتكلم مع رؤسائي لأنني أريد توخي الحذر لئلا ينتبه الحارق. لكن الحذر يعني أحياناً سير الأمور ببطء. وقد تكلمت مع رئيس الشرطة المتقاعد، لكنه ترك لي الخيار لإيجاد طريقة لحل الموضوع.
- لماذا؟
- كما قلت... إنه متقاعد وليست لديه رغبة بتولي قضية تشمل رجل شرطة فاسداً كهديّة وداع.
- إذًا، أراد إبقاء الأمر مخفياً حتى يغادر؟
- حدق بيلمان في كوب قهوته:
- من المرجح أنني سأكون رئيس الشرطة القادم ياهاري.
- أنت؟!
- وقد أبدأ بقضية نتنة. المشكلة هي أنني كنت بطيئاً في التوصل لفكرة. كان بإمكانني جعل شالتز يكشف عن هوية الحارق مباشرة، لكن عندها سيختبئ الآخرون. قلت لنفسي: ماذا لو وضعنا جهاز تنصت مع شالتز وجعلناه يقودنا إلى الآخرين الذين نسعى وراءهم؟ من يدري؟ ربما نصل إلى السيد الكبير الحالي في أوصلو.
- دبي.
- هز بيلمان رأسه.
- المشكلة هي: بمن يمكنني أن أثق في مركز الشرطة وبمن لا يمكنني أن أثق؟ لقد قمت للتو باختيار مجموعة صغيرة من رجال الشرطة وتحققت منهم، ثم جاءت معلومة من مجهول أنه...
- قال هاري:
- تم العثور على تورد شالتز ميتاً.
- نظر بيلمان إليه بحدة.
- قال هاري:

- والآن، مشكلتك أنه إذا افترض الأمر فهذا قد يعرقل تعيينك رئيساً للشرطة.

- نعم... هذا هو الأمر. لكن، ليس هذا ما يقلقني. المشكلة هي أنه لا يمكن استخدام أي شيء مما قاله لي شالتز، وهكذا فإننا لم نتقدم عما كنا عليه سابقاً. هذا الشرطي المزعوم الذي زار شالتز في زنزانته وقد يكون استبدل المخدر...

- نعم؟

- لقد عرف عن نفسه كشرطي. والمحقق في غاردموين يذكر أن اسمه كان توماس شيئاً ما. ولدينا خمسة أشخاص أسماؤهم توماس في مركز الشرطة، ولا أحد منهم يعمل في أورغكريم. وقد أرسلت إليه صورهم، لكنه لم يتعرف على أي منهم؛ لذا قد لا يكون الحارق في الشرطة.

- ممم... شخص معه بطاقة تعريف مزيفة، أو الأكثر ترجيحاً أن يكون شخصاً مثلي... شرطياً سابقاً.

- لماذا؟

هز هاري كتفيه:

- لتخدع شرطياً فأنت بحاجة لشرطي.

صفق الباب الأمامي.

نادى بيلمان:

- عزيزتي... نحن هنا.

فتح باب الردهة، وظهر وجه جميل ومسمر لامرأة في العقد الثالث من عمرها. كان شعرها الأشقر مربوطاً على شكل ذيل حصان، وتذكر هاري الزوجة السابقة لتايغر وولف.

- لقد أوصلت الأولاد إلى منزل ماما. هل ستأتي يا حبيبي؟

سعل بيلمان:

- لدينا زائر.

أمالت رأسها:

- يمكنني رؤية ذلك يا حبيبي.

نظر بيلمان إلى هاري بتعابير مستسلمة.

قالت لهاري وهي تنظر إليه نظرة عابثة:

- أهلاً. أنا وبابا لدينا حمولة أخرى في السيارة. يبدو كأن...

تمتم هاري وهو يشرب ما تبقى في فنجان القهوة ويقف على قدميه:

- ظهر سيئ وحنين مفاجئ للبيت.

- قال هاري وهو واقف مع بيلمان في الخارج في الرواق:
- هناك شيء آخر. هذه الزيارة التي أخبرتك عنها إلى مشفى راديوم...
 - نعم؟
 - هناك رجل هناك... عالم... مارتين بران. لدي حدس، لكنني أتساءل إن كان بإمكانك التحقق من وضعه لأجلي.
 - لأجلك؟
 - آسف... عادة قديمة. لأجل الشرطة والدولة والإنسانية.
 - حدس!
 - هذا كل ما لدي لتقديمه في هذه القضية. إن كان بإمكانك إخباري بما ستتوصل إليه...
 - سأفكر في الأمر.
 - شكراً مايكل.
- وأحس هاري بغرابة اسم الرجل على لسانه، وتساءل إن كان قد قاله من قبل. فتح مايكل الباب إلى الطقس الماطر، ليهب الهواء البارد نحو الداخل.
- قال بيلمان:
- أنا آسف بشأن الصبي.
 - أي واحد؟
 - بشأن كليهما.
 - ممم.
 - أتعرف ماذا؟ لقد التقيت غاستو هانسن مرة، فقد أتى إلى هنا.
 - هنا؟!
 - نعم. إنه شاب جذاب ووسيم، من النوع...
 - وبحث بيلمان عن الكلمات ثم استسلم:
 - أكنت تحب ألفيس حين كنت صبياً. إنه وسيم للغاية.
- قال هاري وهو يخرج علبة سجائر:
- لا.
 - كان متأكداً من أنه رأى احمراراً في البقع الصبغية على وجه مايكل بيلمان.
 - كان لدى الصبي ذلك النوع نفسه من الوجه والجاذبية.
 - وماذا أراد من هنا؟

- أراد الحديث مع شرطي، فقد كانت عندي مجموعة من زملائي الذين يساعدونني. حين تقبض راتب شرطي عليك القيام بمعظم الأمور بنفسك كما تعلم.

- مع من تكلم؟

- من؟

نظر بيلمان إلى هاري على الرغم من أن عينيه كانتا في مكان آخر.. كانتا تسترجعان شيئاً ما رآه.

- لا أذكر. أولئك المدمنون مستعدون دائماً لأداء أي عمل إن أعطيتهم ألف كرونر ثمن حقنة. طابت ليلتك يا هاري.

كان هاري يمشي عبر كفادراتورين حين توقفت شاحنة مغلقة في أعلى الشارع بجوار مومس سوداء البشرة. فتح الباب، وقفز ثلاثة صبيان لم يبلغوا العشرين من العمر. كان أحدهم يصور، بينما استدار الآخر إلى المرأة التي هزت رأسها بالنفي... ربما لا تريد أن يتم تصويرها في فيلم يظهر في المواقع الإباحية؛ فهناك إنترنت أيضاً في البلاد التي أتت منها؛ حيث تقطن عائلتها وأقاربها. ربما كانوا يظنون أن المال الذي ترسله لهم تجنيه من عملها كنادلة، أو لا يدرون من أين ويفضلون عدم السؤال. حين اقترب هاري، بصق أحد الصبية على الأسفلت أمامها وقال بصوت عالٍ:
- زنجية رخيصة.

التقت عينا هاري عيني المرأة المتعبتين، وهزا رأسيهما كما لو أنهما رأيا شيئاً تعرفا عليه. ولاحظ الصبيان الآخرا ن هاري فاستقاما. كانا صبيين بدينين بوجنتين حمراوين وعضلات من نادي اللياقة البدنية، وربما يكونان قد تدربا لسنة على الكيك بوكسينغ أو الكاراتيه.

ابتسم هاري من دون أن يبطن خطأه:

- مساء الخير يا شباب.

ثم مر من أمامهم، وسمع صوت باب الشاحنة يغلق والمحرك يدور. كانت النغمة نفسها... "تعال كما أنت"... الدعوة.

أبطأ هاري خطاه للحظة.

ثم سرّعها مجدداً، وأكمل سيره من دون النظر إلى الورا.

استيقظ هاري في الصباح التالي على صوت رنين الهاتف، فجلس وحدث بالضوء المنبعث من النافذة الخالية من الستائر، ومد ذراعه حتى

وصلت إلى السترة المعلقة على كرسي وبحث في الجيب حتى وجد الهاتف.

- تكلم.

- أنا راكيل.

كانت أنفاسها متقطعة:

- لقد أطلقوا سراح أوليخ. إنه حر يا هاري!

وقف هاري وسط غرفة الفندق واستحم بضوء الصباح. كان عارياً بالكامل باستثناء الهاتف الذي يغطي أذنه. وفي الغرفة المقابلة كانت هناك امرأة تشاهده بعينين ناعستين ورأسها مائل قليلاً، بينما كانت تمضغ قطعة خبز.

قالت راكيل:

- لم يدر هانز كريستيان بالأمر إلا حين وصل إلى العمل قبل خمس عشرة دقيقة. لقد أطلقوا سراحه في وقت متأخر من أمس، فقد اعترف شخص آخر بقتله غاستو هانسن. أليس ذلك رائعاً يا هاري؟ فكر هاري في أنه رائع بالطبع، كما أنه لا يمكن تصديقه.

- من الذي اعترف؟

- شخص يدعى كريس ريدي معروف باسم أديداس. إنه مدمن مخدرات. لقد أطلق النار على غاستو هانسن لأنه يدين له بالمال ثمن الأمفيتامين.

- أين أوليغ الآن؟

- لا نعرف. لقد أخبرونا فحسب.

- فكري ياراكيل! أين يمكن أن يكون.

بدا صوت هاري أقسى مما كان يقصد.

- ما... ما الأمر؟

- الاعتراف... الاعتراف هو الأمر ياراكيل.

- ما به؟

- ألا تفهمين؟ الاعتراف مجرد تلفيق!

- لا. لا. لا. يقول هانز كريستيان إنه مفصل وموثوق للغاية،

ولهذا أطلقوا سراح أوليغ.

- يقول أديداس إنه أطلق النار على غاستو لأنه يدين له بالمال

مما يعني أنه قاتل بدم بارد يعاني من تعذيب الضمير ويريد الاعتراف؟

- لكنه حين رأى أنه ستم إدانة الشخص الخطأ بتهمة...

- انسي الأمر. لا يحمل مدمن المخدرات اليأس في رأسه سوى أمر

واحد: الحصول على النشوة. ليس هناك أي مكان للضمير... صدقيني.

أديداس هذا يائس لدرجة أنه مستعد مقابل تعويض ملائم أن يعترف

بجريمة قتل، ثم يسحب اعترافه في ما بعد؛ لكن بعد إطلاق المشتبه به

الرئيس. ألا ترين المكيدة هنا؟ إذا علمت القطة أنه لا يمكنها الوصول إلى العصفور في القفص...

صرخت راكيل باكية:

- توقف.

لكن هاري لم يتوقف:

- ينبغي إخراج القط من القفص.

سمعها تبكي، وعرف أنه قد قال ما كانت تفكر به.

- ألا يمكنك قول شيء يطمئني يا هاري؟

لم يجب.

همست:

- لا أريد أن أخاف أكثر.

تنفس هاري بعمق:

- لقد سويتنا الأمر من قبل وستتمكن من تسويته الآن ياراكيل.

أنهى الاتصال، وفكر في الأمر مجدداً... لقد أصبح كاذباً ماهراً.

لوحث المرأة من النافذة في الجانب الثاني له بكسل بثلاث أصابع.

مرر هاري يداً على وجهه.

الأمر الآن مجرد قضية من يجد أوليغ أولاً... هاري أم هم.

فكر.

لقد تم إطلاق سراح أوليغ البارحة في مكان ما من أوستلاند. وهو

مدمن مخدرات يرغب بالفيولين، لذا سيتجه فوراً نحو أوصلو وبلاتا إن لم

يكن لديه مخزون مسبق. لكنه لن يتمكن من الوصول إلى بوابة هوسمنز

فمسرح الجريمة لا يزال مختوماً. أين سينام من دون نقود ولا أصدقاء؟ في

أورتيغاتا؟ لا... أوليغ يعرف أنهم سيرونه هناك وستنتشر الشائعات.

هناك مكان واحد يمكن لأوليغ التواجد فيه.

نظر هاري إلى ساعة يده. كان من الضروري أن يصل إلى هناك قبل

أن يطير العصفور.

كان الملعب مهجوراً كآخر مرة جاء فيها إلى فالي هوفين. وكان أول

ما رآه وهو ينعطف إلى منطقة تغيير الملابس أن الألواح الزجاجية بمستوى

الشارع محطمة. حدق من خلالها ليرى الزجاج مبعثراً على الأرض، فمشى

إلى الباب وفتحه بالمفتاح الذي لا يزال يحمله ودخل.

وارتطم بشيء ما.

حاول هاري التنفس وهو على الأرض وفوقه شيء ما... شيء نتن ومبلل ويأثس. استدار هاري، وحاول التخلص من القبضة، وقاوم لثلا يقوم بالضرب، وبدلاً من ذلك أمسك بذراع ولواها للخلف، وصارع حتى نهض على ركبتيه وهو يحكم قبضته لإبقاء وجهه مهاجمه على الأرض.

- أوه تبا... دعني!

- هذا أنا هاري يا أوليغ.

تركه وساعده على النهوض، ثم رماه على مقعد غرفة تبديل الملابس. بدا الصبي مريعاً وشاحباً ونحيلاً بعينين جاحظتين، كما فاحت منه رائحة طيب أسنان وبراز لكنه لم يكن منتشياً.

قال أوليغ:

- ظننت...

- ظننت أنني هم.

غطى أوليغ وجهه بيديه.

قال هاري:

- هيا... دعنا نخرج.

جلسا على مقعدَي المتفرجين بينما أضاء النور الشاحب المنصة الإسمنتية المتشققة. فكر هاري في كل الأوقات التي جلس فيها هناك، مشاهداً أوليغ وهو يتزلج، وسامعاً الزلاجات الفولاذية قبل أن ترتطم بالجليد مجدداً... انعكاس الضوء على السطح السماوي والأبيض.

جلسا قرب بعضهما كما لو أن المدرج مزدحم.

وأنصت هاري إلى تنفس أوليغ لفترة قبل أن يبدأ.

- من هم يا أوليغ؟ عليك أن تثق بي. ما دمت قد استطعت

العثور عليك فيمكنهم هم أيضاً ذلك.

- وكيف وجدتنني؟

- عملية تعرف باسم الاستدلال.

- أعرف ما هي. استبعد المستحيل وانظر إلى ما تبقى لك.

- متى وصلت إلى هنا؟

هز أوليغ كتفيه:

- في وقت ما من الليلة الماضية حوالي التاسعة.

- لم لم تتصل بأمك حين تم إطلاق سراحك؟ أنت تعرف أن إطلاق

سراحك في غاية الخطورة.

- ستقوم بأخذي إلى مكان ما وتخبئني... هي ونيلز كريستيان.

- هانز كريستيان. أنت تعرف أنهم سيجدونك.
- نظر أوليخ إلى يديه.
- ظننت أنك ستأتي إلى أوسلو للحصول على حقنة لكنك نظيف.
- بقيت نظيفاً منذ أكثر من أسبوع.
- لماذا؟
- لم يجب أوليخ.
- أهي هنا؟ أهي إيرين؟
- نظر أوليخ إلى الإسمنت كما لو أنه يرى نفسه هناك، ويسمع صوت الغناء وهو يدفع الزلاجات، ثم هز رأسه ببطء:
- إنني الشخص الوحيد الذي يحاول العثور عليها. ليس لديها أحد سواي.
- لم يقل هاري شيئاً.
- صندوق المجوهرات الذي سرقته من ماما...
- نعم؟
- بعته للحصول على مخدر؛ باستثناء الخاتم الذي اشتريته لها.
- لماذا لم تبعه أيضاً؟
- ابتسم أوليخ:
- أولاً، إنه لا يساوي الكثير.
- استقام هاري بتعابير مذعورة:
- ماذا؟ هل تم خداعي؟
- ضحك أوليخ:
- خاتم ذهبي فيه شق أسود؟ هذا يدعى نحاس زنجار مع إضافة بعض الرصاص لزيادة الوزن.
- إذًا، لماذا لم تتركه؟
- لم تعد ماما تضعه، لذا أردت أن أعطيه لإيرين.
- نحاس ورصاص وطلاء ذهبي.
- هز أوليخ كتفيه:
- بدا الأمر جيداً. ما زلت أذكر كيف بدت ماما سعيدة حين وضعته في إصبعها.
- ماذا تذكر أيضاً؟
- يوم الأحد في فيستكانتورغيت حيث كانت الشمس تغرب ونحن نمشي فوق أوراق الأشجار المتساقطة في الخريف. كنت أنت وماما تبتسمان

وتضحكان طوال الوقت على شيء ما. كنت أريد أن أمسك يديكما لكنني لم أعد صبيًا صغيراً. وقد اشترت الخاتم من كشك حيث يبيعون أغراض المنزل بأسعار زهيدة.

- أتذكر كل ذلك؟

- نعم. وقد ظننت أنه إن كانت إيرين سعيدة بقدر نصف سعادة

ماما...

- هل كانت؟

نظر أوليخ إلى هاري ورمش:

- لا أذكر. لا بد أننا كنا منتشين حين أعطيتها إياه.

ازدرد هاري.

قال أوليخ:

- لقد وصل إليها.

- من؟

- دبي. لقد وصل إلى إيرين واحتجزها لثلا أتكلم بشيء.

حدق هاري بأوليخ الذي طأطأ رأسه.

- لهذا لم أقل شيئاً.

- أنت تعرف ذلك! وهل هددوك بما سيحصل لإيرين إن تكلمت؟

- ليسوا بحاجة لذلك فهم يعلمون أنني لست غيباً، كما أنهم

يريدون إسكاتها أيضاً. لقد أمسكوا بها يا هاري.

غير هاري موقعه، حيث كان يذكر أنهما كانا يجلسان هكذا قبل

السباقات الهامة مطأطين رأسيهما بصمت كنوع من التركيز المشترك. لم يكن

أوليخ بحاجة لأي نصائح، كما أنه ليست لدى هاري أي نصائح، لكن أوليخ

أحب الجلوس هناك.

سعل هاري، فهذا ليس سباق أوليخ.

- إن كانت لدينا فرصة لإنقاذ إيرين فعليك مساعدتي في العثور

على دبي.

نظر أوليخ إلى هاري، وعبث بقدميه كما كان يفعل حين يهز رأسه.

قال هاري:

- ابدأ بجرمة القتل، وخذ الوقت الذي تحتاج إليه.

أغمض أوليخ عينيه لبضع ثوانٍ ثم فتحهما ثانية.

- كنت منتشياً، وقد أخذت حقنة فيولين عند النهر بجوار منزلنا

في بوابة هوسمنز. كنت أتمتع بالأمان، فلو كان مخبئي في الشقة وأحس

الآخرون باليأس فإنهم سيهاجمونني لسرقتي. أتفهمني؟
هز هاري رأسه.

كان أول ما رأيته وأنا أصعد السلم هو أن باب المكتب المقابل
مكسور مجدداً، لكنني لم أفكر في الأمر، ودخلت غرفة جلوسنا، ووجدت
غاستو ورجلاً يضع قناعاً ويصوب مسدساً إلى غاستو. ولا أدري إن كان
الأمر بسبب المخدر أو أي كلام سمعته، لكنني عرفت أن الأمر ليس سرقة،
وأنهم سيقتلون غاستو. وهكذا، تصرفت بحدسي، ورميت نفسي على يده
التي تحمل المسدس، لكن الأوان كان قد فات وتمكن الرجل من إطلاق
رصاصة. سقطت على الأرض، وحين نظرت إلى الأعلى مجدداً كنت مستلقياً
إلى جانب غاستو، وهناك مسدس موجه إلى رأسي. لم يقل الرجل شيئاً،
وكنت متأكداً من أنني سأموت.

توقف أوليغ وأخذ نفساً عميقاً:

- لكن، بدا الأمر كما لو أنه غير قادر على اتخاذ القرار، ثم وضع
إصبعه على حنجرته ليشير إلى ما يمكن أن يحدث في حال تكلمت.
هز هاري رأسه.

- ثم كرر الرسالة وأشرت له إلى أنني فهمت فغادر. كان غاستو
ينزف بشدة، وكنت أعلم أنه بحاجة للمساعدة بسرعة لكنني لم أجروء على
الحركة، فقد كنت واثقاً من أن الرجل الذي يحمل المسدس لا يزال واقفاً
في الخارج لأنني لم أسمع صوت خطواته على السلم، وإن رأيت فقد يغير
رأيه ويطلق النار علي في كل الأحوال.
كانت قدما أوليغ تهتزان صعوداً ونزولاً.

- حاولت أن أقيس نبض غاستو أو أكلمه، وقلت له إنني سأحضر
المساعدة لكنه لم يجب، ثم لم أعد أشعر بنبضه، ولم أحتمل البقاء هناك
أكثر فهربت.
استقام أوليغ كما لو كان ظهره يؤلمه ووضع يديه وراء رأسه. وحين
أكمل جاء صوته خشناً:

- كنت منتشياً ولم أستطع التفكير بهدوء، لذا توجهت إلى النهر
وفكرت في السباحة، فربما أكون محظوظاً وأغرق. ثم سمعت صوت صفارات
الشرطة، وبعدها جاءوا إلي... لكنني لم أستطع أن أتذكر سوى الإصبع على
حنجرة الرجل، وأن علي إبقاء فمي مغلقاً لأنني أعرف هؤلاء الناس، فقد
سمعتهم يتكلمون عما يفعلونه.

- وماذا يفعلون؟

- يتجهون إلى أكثر نقاط ضعفك. في البداية، كنت خائفاً على ماما.
- لكن، كان من الأسهل أخذ إيرين، فلا أحد سيهتم بفتاة مشردة
تختفي لفترة.

نظر أوليغ إلى هاري وقال:

- إذاً، أتصدقني؟

هز هاري كتفيه:

- من السهل خداعي يا أوليغ طالما أن الأمر متعلق بك. أفترض أن
الأمر يكون هكذا حين... حين... أنت تفهمني.

تلألأت الدموع في عيني أوليغ:

- لكن الأمر غير محتمل. كل الأدلة...

- بدأت الأمور تتوضح. فالبقايا على ذراعك جاءت حين رميت
نفسك للأمام، ودمه على ثيابك كان حين أخذت نبضه، هكذا وصلت
بصماتك إليه. السبب في أن أحداً لم ير أحداً آخر يغادر بعد إطلاق
الرصاص هو أن القاتل توجه إلى المكتب وخرج من النافذة ونزل من
مخرج الطوارئ المقابل للنهر. لهذا لم تسمع أي أصوات خطوات على
السلم.

ثبت أوليغ عينين متأملتين على صدر هاري:

- لكن، لماذا قتلوا غاستو؟ ومن قتله؟

- لا أدري. لكنني أظن أن من قتله شخص تعرفه.

- شخص أعرفه؟!

- نعم. لهذا استخدم الإيماءات بدلاً من الكلام... لئلا تتعرف على
صوته. كما أن القناع يشير إلى أنه خائف من أن يتعرف عليه آخرون في
عالم المخدرات، فقد يكون شخصاً رأيتموه كلكم من قبل.

- لكن، لم تركني؟

- ليست لدي أدنى فكرة.

- أنا لا أفهم الأمر. لقد حاولوا قتلي في السجن في ما بعد مع

أنني لم أنبس ببنت شفة.

- ربما لم يحصل القاتل على تعليمات مفصلة حول ما يجدر به
فعله مع الشهود المحتملين لذا تردد. لكنك قد تتعرف عليه من مظهره أو
لغة جسده أو مشيته إن كنت قد رأيت كثيراً من قبل، ومن ناحية أخرى
كنت منتشياً، وربما لا تكون قد استوعبت الكثير.

قال أوليغ بابتسامة مقتضبة:

- المخدر ينقذ الحياة؟
- نعم، وقد لا يكون رئيسه موافقاً على قراره حين ذكر ما حصل معه في ما بعد، لكن كان الأوان قد فات. لذا، ليضمنوا أنك لن تتكلم قاموا بخطط إيرين.
- كانوا يعلمون أنني سأبقى صامتاً طالما أن إيرين معهم، فلماذا حاولوا قتلي؟
- لقد ظهرت أنا.
- أنت؟
- نعم. إنهم يعلمون أنني هنا في أوصلو منذ اللحظة التي نزلت فيها من الطائرة، ويعلمون أنني الوحيد الذي سيجعلك تتكلم، لذا إيرين لم تعد كافية، وهكذا أعطى دبي أوامره بإسكاتك في السجن.
- هز أوليخ رأسه ببطء.
- أخبرني عن دبي.
- لم أقابله قط، لكنني أظن أنني ذهبت إلى منزله مرة.
- وأين يقع؟
- لا أدري. لقد أخذني رجاله أنا وغاستو بالسيارة إلى منزله لكننا كنا معصوبي العيون.
- أمتأكد من أنه منزل دبي؟
- هذا ما أخبرني به غاستو. بدا المنزل مسكوناً كبيت مع أثاث وسجاد وستائر إن كنت...
- نعم، استمر.
- قادونا إلى قبو، وأزالوا العصابتين عن أعيننا لنجد رجلاً ميتاً ملقى على الأرض. وقالوا إن هذا هو ما يفعلونه بالناس الذين يحاولون خداعهم، ثم تمنوا لنا حظاً طيباً. وبعدها، طلبوا منا أن نخبرهم بما حصل في الأنابرو، وسبب عدم وجود قفل على الباب حين وصلت الشرطة، وسبب اختفاء توتو.
- الأنابرو؟
- سأصل إلى هذه النقطة.
- حسناً... هذا الرجل... كيف تم قتله؟
- ماذا تعني؟
- أكانت هناك جروح في وجهه؟ أم إنه قُتل بالرصاص؟
- في الواقع، لم أعرف سبب وفاته حتى داس بيتر على بطنه

فخرج الماء من فمه.

بلل هاري شفتيه:

- أتعرف الرجل المقتول؟

- نعم. كان شرطياً متخفياً يتسكع في الأرجاء حولنا. كنا ندعوه

بيريت مان بسبب القبعة التي كان يعتمرها.

- ممم.

- هاري؟

- نعم؟

كانت قدما أوليخ تضربان بعصبية على الإسمنت:

- لا أعرف الكثير عن دبي، ولا حتى غاستو؛ لم يقل لي الكثير

لكنني أعرف أنك إن حاولت القبض عليه فستموت.

القسم الثالث

خربشت الفأرة على الأرض بصبر نافذ، فقلب الإنسان ينبض، لكنه يخفت أكثر فأكثر، ثم وقفت عند الحذاء مجدداً، وقضمت الجلد الناعم والسميك... الجلد القوي. ركضت على الجسد مجدداً حيث كانت تنبعث من الثياب رائحة العرق والطعام والدم. أما هو فكان مستلقياً بالوضعية نفسها، من دون أي حركة وهو يسد المدخل. خربشت على بطن الإنسان؛ لأنها تعرف أنه الطريق الأقصر. خفتت ضربات القلب، مما يعني أنه يمكنها البدء بعد قليل.

ليس الأمر أن عليك التوقف عن العيش ياأبي، وإنما الموت يعني أن تضع نهاية للقدارة. ينبغي أن تكون هناك طريقة فضلى... أليس كذلك؟ هجرة من دون ألم إلى النور بدلاً من الظلام البارد الذي يبدو كأنه سيطبق عليك. لا بد أن يضع أحد بعض الأفيون في رصاص الماكاروف ويفعل ما فعلته لرافوس الكلب الأجرى، ويشترى لي تذكرة إلى عالم النشوة ويتمنى لي رحلة سعيدة! لكن، كل ما هو جيد في هذا العالم القذر يحتاج إما إلى وصفة طبية أو يباع مقابل المال أو باهظ الثمن لدرجة أنك تضطر لجلد روحك لتذوقه. الحياة مطعم لا يمكنك تحمل تكاليفه، والموت فاتورة طعام لم تتسنى لك الفرصة لتناوله، لذا إنك تطلب أكثر الأطعمة باهظة الثمن على القائمة لأنك ستواجه الموت في كل الأحوال فلم لا تحصل على بعض اللقيمات.

حسناً، سأتوقف عن الأنين ياأبي... لا ترحل الآن فأنت لم تسمع الباقي، فالباقي جيد. أين كنا؟ نعم، بعد بضعة أيام من السرقة في ألبانو، جاء بيتر وأندريه يبحثان عني وعن أوليغ، وعصبا عيني أوليغ، وقادا السيارة إلى منزل الرجل العجوز، وأنزلانا إلى القبو حيث لم أكن قد نزلت إلى هناك من قبل، ثم قادانا إلى ممر طويل وضيق ومنخفض حيث خفضنا رؤوسنا وخذشت أكتافنا بالجوانب. وتدرجياً، لاحظت أنه لم يكن قبواً وإنما نفقاً تحت الأرض... إنه ممر للطوارئ ربما. وهناك، بدا بيريت مان كجرذ غريق... لقد كان جرذاً غريقاً.

ثم أعادا أوليغ إلى السيارة، بينما أخذاني إلى الرجل العجوز الذي كان جالساً على كرسي مقابلي من دون أي طاولة بيننا.

سأل:

- أكنتما هناك أنتما الاثنان؟
- نظرت إلى عينيه مباشرة:
- إن كنت تسأل إن كنا في ألبارو فالجواب لا.
- تفحصني بصمت، ثم قال:
- أنت مثلي... من المستحيل معرفة متى تكذب.
- لا يمكنني التأكيد، لكنني أظن أنني لمحت ابتسامة.
- حسناً ياغاستو. أفهمت ما كان ذلك في الأسفل؟
- إنه الشرطي المتخفي بيريت مان.
- صحيح... ولماذا؟
- لا أدري.
- احزر.
- تخيلت أن الرجل كان مدرساً سيئاً في حياته السابقة لكنني أجبت:
- لقد سرق شيئاً.
- هز الرجل العجوز رأسه بالنفي:
- لقد اكتشف أنني أعيش هنا. كان يعلم أنه ليس لديه أساس
- ليحصل على مذكرة تفتيش. فبعد اعتقال لوس لوبوس والمصادرات الضخمة
- في ألبارو رأى الكتابات على الجدار، لكنه كان يعلم أنه لن يحصل على
- أي مذكرة تفتيش مهما كانت قضيته جيدة...
- كسر الرجل العجوز:
- لقد أعطيناها تحذيراً ظننا أنه سيوقفه.
- حقاً؟!
- رجال الشرطة مثله يعتمدون على هويتهم المزيفة، ويظنون أنه
- من المستحيل اكتشاف من هو ومن عائلته، لكن بإمكانك معرفة كل شيء
- في سجلات الشرطة إن كانت لديك كلمة السر الصحيحة. وهذه يمكنك
- الحصول عليها إن كنت على سبيل المثال تشغل منصباً موثقاً في أورغكريم.
- لكن، كيف حذرناه؟
- أجبت من دون تفكير:
- قتلتم أطفاله؟
- أظلم وجه الرجل العجوز:
- لسنا وحوشاً يا أوليغ.
- آسف.
- كما أنه ليس لديه أي أطفال.

وضحك.

- لكن لديه أختاً؛ لكنها ربما كانت أختاً بالرعاية.
- هزرت رأسي... كان من المستحيل معرفة إن كان يكذب.
- قلنا إنه سيتم اغتصابها ثم تركها ترقد بسلام، لكنني أسأت الحكم عليه. فبدلاً من التفكير بأقاربه الآخرين والاهتمام بهم قام بشن الهجوم... كان هجوماً وحيداً لكنه يائس، حيث تمكن من اقتحام المكان في الليلة الماضية من دون أن نكون مستعدين لذلك. ربما كان يحب أخته كثيراً. كان مسلحاً فنزلت إلى القبو ولحقني ثم مات.

ثم أمال رأسه:

- كيف؟
- كان الماء يخرج من فمه... غرقاً؟
- صحيح... لكن أين غرق؟
- هل أحضرتموه إلى هنا من بحيرة ما أو ما شابه؟
- لا. لقد اقتحم المكان ثم غرق... إذاً؟
- لا أعرف...
- فكري!
- صدحت الكلمة كضربة سوط.
- إن كنت تريد البقاء على قيد الحياة فعليك أن تتمكن من التفكير والتوصل لنتائج مما يمكنك أن تراه... هذه هي الحياة.
- حسناً.
- وحاولت التفكير:
- القبو ليس قبواً وإنما هو نفق.
- شبك الرجل العجوز ذراعيه وقال:
- إذاً؟
- إنه أطول من هذا البيت، ومن الممكن أنه يؤدي إلى حقل.
- لكن؟
- لكنك أخبرتني أنك تملك البيت المجاور، لذا من الممكن أنه يؤدي إلى هناك.

ابتسم الرجل العجوز برضى:

- احزر كم عمر هذا النفق.
- إنه قديم جداً، فالجدران خضراء من الطحالب.
- الإشنيات. بعد أن قامت حركة المقاومة بشن أربع هجمات فاشلة

على هذا المنزل، قام رئيس الغستابو ببناء نفق، ونجح في إبقاء الأمر سرّاً. وحين كان راينهارد يأتي إلى منزله في المساء، كان يدخل من الباب الأمامي ليتمكن الجميع من رؤيته ويطفئ الأنوار، ثم يمشي عبر النفق إلى منزله الحقيقي في الجوار، ويرسل الضابط الألماني الذي كان الجميع يظنون أنه يعيش هناك إلى هنا حيث يقوم ذلك الضابط بالتجول في الأرجاء بالقرب من النوافذ وهو يرتدي ملابس مماثلة لرئيسه في الغستابو.

- لقد كان طعماً.

- صحيح.

- لماذا تخبرني بذلك؟

- لأنني أريدك أن تعرف الحياة الواقعية ياغاستو. معظم الناس في هذه البلاد لا يعرفون شيئاً عنها، ولا يعرفون كم يكلف الأمر للبقاء على قيد الحياة في الواقع. لكنني أخبرك ذلك لأنني أريدك أن تتذكر أنني أثق بك.

نظر إلي كما لو أن ما سيقوله في غاية الأهمية. تظاهرت أنني فهمت، فقد كنت أريد الذهاب للبيت... ربما يمكنه رؤية ذلك.

- من اللطيف رؤيتك ياغاستو. سيوصلكما أندريه بالسيارة.

حين مرت السيارة بالجامعة ربما كانت هناك حفلة طلابية؛ إذ استطعنا سماع أصوات عزف الغيتار لفرقة روك تعزف على منصة في الهواء الطلق. انطلق الشباب باتجاهنا في بليندرنفين بوجوه سعيدة ومليئة بالتوقعات؛ كما لو أنهم كانوا موعودين بشيء ما... بالمستقبل أو شيء مماثل.

سأل أوليغ الذي كان لا يزال معصوب العينين:

- ما هذا؟

قلت:

- هذه الحياة غير الواقعية.

سأل هاري:

- أليست لديك أدنى فكرة عن كيفية غرقه؟

- لا.

ازداد اهتزاز قدمه، وبدأ جسده كله يهتز.

- حسناً... إذاً، كنت معصوب العينين. لكن، أخبرني بكل شيء يمكنك

تذكره حول الرحلة من المكان وإليه... كل الضجة... مثلاً حين نزلت من السيارة، هل سمعت صوت قطار أو شيء مشابه؟

- لا، لكن المطر كان يهطل حين وصلنا، وهذا ما سمعته.
- أهو مطر خفيف أم مطر غزير؟
- خفيف. بالكاد شعرت به حين نزلت من السيارة لكنني سمعت صوته.
- إن كان المطر الخفيف لا يصدر الكثير من الضجة فذلك لأنه ربما يهبط على أوراق الأشجار.
- ربما.
- ماذا كان يوجد تحت قدميك حين كنت تتجه إلى الباب الأمامي؟ أسفلت؟ حجارة؟ عشب؟
- حصى حسبما أظن... نعم... كانت هناك أصوات سحق. هكذا عرفت أين كان بيتي، فقد كان بديناً، لذا أصدر أصواتاً عالية.
- جيد... هل من سلم عند الباب؟
- نعم.
- كم درجة؟
- تنهد أوليغ.
- حسناً... هل استمر المطر حتى وصلت إلى الباب؟
- نعم بالطبع.
- أعني هل كان يهطل على شعرك؟
- نعم.
- إذاً لم يكن هناك سقف رواق.
- أتتوي البحث عن أماكن في أوصلو من دون سقف رواق؟
- حسناً. المناطق المختلفة من أوصلو مبنية في فترات مختلفة، وفيها عدد من الميزات المشتركة.
- وما هي الفترة التي فيها منازل خشبية وطرق حصىية وسلم يؤدي للباب، وما من خطوط قطار أو ترام قريبة؟
- تبدو كرئيس شرطة.
- ولم يحصد هاري الابتسامة أو الضحكة التي تمنهاها.
- حين غادرت، هل لاحظت أي أصوات قريبة؟
- مثل ماذا؟
- مثل أصوات أبواق السيارات.
- لا. لا شيء مشابه. لكن، كان هناك صوت موسيقى.
- مسجلة أو بث حي.

- بث حي حسبما أظن، فقد كان صوت الصنج واضحاً ويمكن سماع صوت الغيتار قادماً مع الريح.
- يبدو بثاً حياً. ذاكرتك جيدة.
- أذكر ذلك لأنهم كانوا يعزفون إحدى أغنياتك.
- أغنيااتي؟
- واحدة من تسجيلاتك. أذكر ذلك لأن غاستو قال إن تلك هي الحياة غير الواقعية، وقد فكرت حينها أن ذلك التفكير غير واعٍ. لا بد أنه قد سمع الشطر الذي قد غنوه للتو.
- ما هو الشطر؟
- شيء عن الحلم. لقد نسيت لكنك كنت تسمع تلك الأغنية دائماً.
- هيا يا أوليخ. الأمر في غاية الأهمية.
- نظر أوليخ إلى هاري بينما توقفت قدمه عن النقر، وأغمض عينيه وحاول دمدمة نغمة:
- إنه مجرد حلم ياكونزاليس...
- فتح عينيه بينما توهج وجهه باللون الأحمر:
- شيء من هذا القبيل.
- دمدم هاري بالعبرة في سرّه، ثم هز رأسه بالنفي.
- آسف. لست متأكداً، كما أنه لم يستمر سوى بضع ثوانٍ.
- ربت هاري على كتف الصبي:
- لا بأس. إذاً، أخبرني بما حصل في النابرو.
- بدأت قدم أوليخ بالاهتزاز مجدداً، وتنشق الهواء مرتين؛ كما تعلم أن يفعل عند خط البداية قبل أن يجثم، ثم تكلم.
- بعد ذلك، جلس هاري لفترة طويلة وهو يفرك مؤخر رقبته:
- إذاً، أثقبتم رأس رجل حتى الموت؟
- لسنا نحن وإهما رجل شرطة.
- رجل شرطة لا تعرفه ولا تعرف أين يعمل.
- لا. كان هو وغاستو حذرين، وحرصاً على أن لا أعرف، فقد قال غاستو إنه من الأفضل أن لا أعرف.
- وليست لديك أدنى فكرة عما حصل للجنة؟
- لا. هل ستشي بي؟
- لا.
- هز هاري رأسه، وأخرج علبة السجائر وسحب سيجارة.

- هل يمكنني الحصول على واحدة؟
- آسف يا بني لكنها مضرّة بصحتك.
- لكن...
- بشرط واحد. أن تدع هانز كريستيان يخفيك وتدعني أعثر على إيرين.

حديق أوليخ بمباني الشقق على التلة خلف الملعب حيث كانت أحواض الزهور تتدلى من الشرفات. تفحص هاري وجهه حيث كانت حنجرتة ترتفع وتنزل في رقبتة النحيلة.

- اتفقنا.
- جيد.
- ناوله هاري سيجارة، وأشعل كلتا السيجارتين.
- الآن فهمت لماذا تضع إصبعاً معدنية... لتتمكن من التدخين.
- نعم.

أمسك هاري بالسيجارة بين العضو الاصطناعي المعدني وإصبعه السبابة وهو يختار رقم راكيل، ولم يحتج أن يطلب رقم هانز كريستيان لأنه كان معها، وقد قال المحامي إنه سيأتي فوراً.

- انحنى أوليخ أكثر كما لو أنه يشعر بالبرد:
- أين سيخفيني؟
- لا أعرف، ولا أريد أن أعرف.
- لم لا؟
- أنا أكشف السر بسهولة.

ضحك أوليخ ضحكة قصيرة.

- لا أصدق ذلك. لن تنبس بنت شفة حتى لو قضاوا على حياتك.

نظر هاري إلى الصبي. كان على استعداد لإلقاء النكات طوال اليوم ليرى بعض الابتسامات.

- لديك دائماً ثقة زائدة بي يا أوليخ... ثقة زائدة. وكنت دائماً أريدك أن تراني أفضل مما أنا عليه.
- نظر أوليخ إلى يديه:

- ألا ينظر جميع الصبيان إلى آبائهم كأبطال؟
- ربما. وأنا لا أريد أن تعتبرني شخصاً رحل وترككم، لكن الأمور جرت على هذا المنوال. ما أريد أن أقوله هو أنه على الرغم من أنني لم أكن هناك لأجلك، فهذا لا يعني أنك لست مهماً بالنسبة لي. لا يمكننا أن

نعيش الحياة كما نرغب؛ فنحن سجناء لل... للأشياء.

رفع أوليخ رأسه:

- للمخدرات والقذارة.

- نعم.

أخذا نفساً مع بعضهما، وشاهدا الدخان يتصاعد نحو السماء الزرقاء المفتوحة الواسعة. كان هاري يعرف أن النيكوتين لن يشبع الرغبة لدى الصبي بالحصول على المخدر، لكنه قد يكون مصدر إلهاء على الأقل. وبقياً على هذا الوضع لبضع دقائق تالية.

- هاري؟

- نعم؟

- لماذا لم تعد؟

أخذ هاري نفساً آخر قبل أن يجيب:

- لأن أمك ظنت أنني لست جيداً لك ولها، وقد كانت محقة.

استمر هاري بالتدخين وهو يحدق في الأفق؛ لأنه يعرف أن أوليخ لا يريده أن ينظر إليه الآن. فالصبيان في الثامنة عشرة من العمر لا يحبون أن يراهم الآخرون وهم ييكون، ولا أن يربتوا على أكتافهم ويقولوا لهم شيئاً. كان يريده أن يكون هنا من دون أن يشرذ ويفكر معه بالسباق القادم.

حين سمعا السيارة تقترب نزلا عن المدرج إلى مرأب السيارات، حيث رأى هاري هانز كريستيان يضع يده على ذراع راكيل حين كانت على وشك النزول من السيارة.

التفت أوليخ إلى هاري، ونفخ صدره، ولف إبهامه حول إبهام هاري، ووكز كتفه اليمنى بكتفه، لكن هاري لم يدعه يبتعد بسهولة، وإنما سحبه إليه وهمس في أذنه:

- اربح.

كان آخر عنوان معروف لإيرين هانسن هو منزل عائلتها في غريفسين شبه المنفصل، مع حديقة صغيرة مليئة بالنباتات وأشجار التفاح وأرجوحة.

فتح الباب شاب في العقد الثاني من العمر. كان الوجه مألوفاً، فبحث ذهن هاري لجزء من الثانية قبل أن يصل إلى نتيجتين في قاعدة بياناته.

- اسمي هاري هول. هل أنت شتاين هانسن؟

- نعم؟

كان وجهه يحمل تعابير البراءة، وحذر شاب جرب الجيد والسيئ لكنه لا يزال يتأرجح بين الانفتاح الشديد والحذر الشديد في تعامله مع العالم.

- لقد تعرفت عليك من صورة كانت لدى أوليغ فوك.

انتظر هاري ردة فعل من عيني شتاين هانسن الرماديتين، لكن شيئاً لم يظهر.

- ربما تكون قد سمعت أنه قد تم إطلاق سراحه؟ فقد اعترف شخص آخر بقتله أخاك بالرعاية.

هز شتاين هانسن رأسه بالنفي من دون أي تعابير.

- أنا شرطي سابق، وأحاول العثور على شقيقتك إيرين.

- لماذا؟

- أريد أن أتأكد من أنها بخير؛ فقد وعدت أوليغ بذلك.

- عظيم. ليستمر بإعطائها المخدرات؟

- ترك أوليغ المخدرات. وكما قد تعلم، إن ذلك يحتاج للكثير. لقد

ترك المخدرات لأنه يريد أن يحاول العثور عليها؛ فهو يحبها ياشتاين. كما

أنني أريد العثور عليها لأجلنا جميعاً وليس لأجله فحسب. وأعتقد أنني ماهر نوعاً ما في العثور على الناس.

نظر شتاين هانسن إلى هاري متردداً، ثم فتح الباب.

تبعه هاري إلى غرفة جلوس مرتبة ومفروشة بأثاث جميل لكن أحداً

لم يكن فيها.

- والداك...

- إنهما لا يعيشان هنا الآن. وأنا لا آتي إلى هنا إلا حين لا أكون

في تروندهايم.

كانت لديه لكنة واضحة، من النوع الذي كان يعتبر كرمز للمكانة

بين العائلات القادرة على إحضار مربيات من أوستلاند لأطفالها؛ لكنة تجعل

من السهل تذكر صوتك... خطرت تلك الفكرة بذهن هاري من دون أن

يدري السبب.

كانت هناك صورة على البيانو الذي بدا كما لو أن أحداً لم

يستخدمه قط. لا بد أنه تم التقاط الصورة قبل ست أو سبع سنوات،

حيث كان غاستو وإيرين نسختين أصغر عن نفسيهما، ويصفان شعرهما

بشكل افترض هاري أنه سيكون محرراً للغاية لهما الآن. وقف شتاين في

الخلف بتعابير جادة، بينما وقفت الأم وقد شبكت ذراعيها وابتسمت

ابتسامة ساخرة. كان الأب باسمًا بشكل جعل هاري يفكر أنه صاحب فكرة التقاط هذه الصورة للعائلة. فعلى الأقل، كان الشخص الوحيد الذي يظهر بعض الحماسة.

- إذًا، هذه هي العائلة؟

- كانت. لقد تطلق والداي، وانتقل أبي إلى الدمارك، أو إن الكلمة المناسبة أكثر هي أنه هرب. أما أمي ففي المشفى. والباقي... حسنًا، يبدو أنك تعرف الباقي.

هز هاري رأسه... واحد ميت، وواحدة مختفية... خسارة كبيرة لعائلة واحدة.

جلس هاري من دون دعوة على أحد الكراسي العميقة:

- ماذا يمكنك أن تخبرني لتساعدني في العثور على إيرين؟

- ليست لدي أدنى فكرة.

ابتسم هاري:

- حاول.

- انتقلت إيرين إلى منزلي في تروندهايم بعد أن مرت بتجربة لم ترض أن تخبرني بها، لكنني متأكد من أن غاستو وراء الأمر، فقد كانت تعشق غاستو وتفعل كل ما يريده، وتظن أنه يهتم لأمرها؛ لأنه كان بين الفينة والأخرى يربت على وجنتها. لكن، بعد بضعة أشهر جاءها اتصال هاتفي وقالت إنها ستعود إلى أوصلو من دون أن تذكر أي سبب. كان ذلك قبل أربعة أشهر، ومنذ ذلك الحين لم أرها أو أسمع عنها شيئًا. وحين مضى أسبوعان من دون أن أتمكن من الاتصال بها، توجهت إلى الشرطة وتقدمت ببلاغ حول اختفائها فقاموا بقليل من البحث، لكن لم يحصل أي شيء، فلا أحد يكثرث لمدمني المخدرات المشردين.

- هل لديك أي نظرية؟

- لا. لكنها لم تذهب برغبتها المطلقة؛ فهي ليست من النوع الذي

يغادر مثل... مثل الآخرين.

لم تكن لدى هاري أي فكرة حول من يقصدهم، لكنه فهم المغزى.

حك شتاين هانسن ندبة على ذراعه:

- ماذا ترى فيها؟ ابنتك؟ أتظن أنه يمكنك الوصول إلى بناتك؟

نظر هاري إليه باستغراب:

- ماذا؟ ماذا تعني؟

- أمثالك من الرجال المتقدمين بالسن يهتمون بأمرها فقط لأنها

تبدو كفاتنة في الرابعة عشرة من العمر.
تذكر هاري الصورة على باب الخزانة... كان شتاين هانسن محققاً. هنا
خطرت لهاري فكرة أنه قد يكون مخطئاً؛ إذ قد تكون إيرين ضحية
جريمة لا علاقة لها بهذه القضية.

- أنت تدرس في تروندهايم في جامعة التكنولوجيا والعلوم؟
- نعم.
- في أي مجال؟
- تكنولوجيا المعلومات.
- ممم... لقد أراد أوليغ أيضاً أن يدرس. أتعرفه؟
- هز شتاين رأسه بالنفي.
- ألم تتكلم معه قط؟
- لقد التقينا بضع مرات لقاءات قصيرة.
- تفحص هاري ذراع شتاين، لكن باستثناء الندبة لم تكن هناك أي
علامة أخرى. بالطبع لا، فشتاين هانسن واحد من الأشخاص القادرين على
التأقلم للاستمرار في الحياة. نهض هاري على قدميه.
- في كل الأحوال، أنا آسف بشأن أخيك.
- أخي بالرعاية.
- ممم... يمكنني أخذ رقم هاتفك المحمول؟ في حال حدث أي
طارئ.

- مثل ماذا؟

- نظرا إلى بعضهما، بينما خيم الجواب في الجو بينهما من دون ضرورة
للتوضيح. انفجرت الندبة، وسال خط من الدم باتجاه اليد.
قال شتاين هانسن حين خرج هاري ووصل إلى السلم:
- أعرف شيئاً واحداً قد يساعدك. الأماكن التي تنوي تفتيشها
للعثور عليها... أورتيجاتا ومقهى موتيستيديت والمنتزهات والفنادق ونزل
المدمنين ومنطقة تجارة المخدرات... انس أمرها كلها... فقد كنت هناك.
 - هز هاري رأسه ووضع نظارته الشمسية:
 - أبقى هاتفك المحمول مفتوحاً.

توجّه هاري إلى مقهى لوري لتناول الغداء، لكنه عند السلم أحس
برغبة مفاجئة بتناول الشراب، فغير وجهته، لكنه حين نظر نظرة سريعة إلى
الزبائن غادر وتوجه إلى بلا حيث طلب طبقاً تايلندياً.

- أتريد شراباً؟ سينغا؟

- لا؟

- تايغر؟

- أليس لديكم سوى الشراب؟

فهم النادل التلميح وعاد حاملاً الماء.

تناول هاري الدجاج، لكنه رفض النقانق على الطراز التايلندي، ثم اتصل براكيل في المنزل وطلب منها أن تحضر أسطوانات الموسيقى التي أخذها إلى هولمنكولفن خلال السنين وتركها هناك وتلقي نظرة عليها. بعضها أراد أن يستمع إليها للمتعة، والبعض الآخر أرادها ليتخلص بها من إلفيس كوستيلو ومايلز ديفيس وليد زيبيلين وكاونت بيسي وجيهوكس ومادي ووترز. كان لديها قسم مخصص لما أسمته من دون أي سخرية "موسيقى هاري".

- أريدك أن تقرئي جميع العناوين.

- أتمزح؟

- سأشرح لك في ما بعد.

- حسناً. الأول هو آرتك كاميرا.

- هل...

- نعم لقد نظمتها حسب الحروف الهجائية.

- هذا عمل صياني.

- إنه عمل بأسلوب هاري؛ كما أنها أسطواناتك. أيمكنني أن أقرأها

الآن؟

بعد عشرين دقيقة، وصلوا إلى الحرف "و" وفرقة ويلكو، فتنهدت

راكيل وأكملت:

- حين تستيقظ لتشعر بالتقدم بالسن.

- مم... لا.

- سامرثيث.

- ممم... التالي.

- في المستقبل.

- توقفني!

توقفت راكيل.

وبدأ هاري بالضحك.

سألت راكيل:

- أكان ذلك مضحكاً؟
- الكورس في سامرثيث يقول: إنه مجرد حلم يحلم به دائماً.
- هذا لا يبدو استثنائياً ياهاري.
- بلى! أعني أن الأغنية استثنائية. لقد استمعت إليها عدة مرات مع أوليخ، لكنه ظن أن العبارة هي: إنه مجرد حلم ياكونزاليس.
- ضحك هاري مجدداً وبدأ الغناء:
- إنه مجرد حلم ياكون...!
- أرجوك ياهاري.
- حسناً. أيمكنك تشغيل حاسب أوليخ والبحث عن شيء على الإنترنت؟

- ما هو؟
- ابحتي عن الموقع الرسمي لويلكو، وابحتي إن كانت لديهم أي حفلات في أوصلو هذه السنة ومكانها بالضبط.
- عادت راكيل بعد ست دقائق.
- واحدة.
- وأخبرت هاري بالعنوان.
- شكراً.
- لقد عاد إليك ذلك الصوت مجدداً.
- أي صوت؟
- الصوت المليء بالإثارة... الصوت الصبياني.

جاءت الغيوم الرمادية المنذرة بالمطر كأسطول معادٍ فوق خليج أوصلو عند الساعة الرابعة. انعطف هاري من سكوين نحو منتزه فروغنز، وركن سيارته عند ثورفالد إريكسنز في. فبعد أن اتصل بهاتف مايكل بيلمان ثلاث مرات، من دون أن يحصل على أي رد، اتصل بمركز الشرطة وعلم أن بيلمان قد غادر باكراً للقيام ببعض التدريبات مع ابنه في نادي أوصلو للتنس.

شاهد هاري الغيوم، ثم دخل وبدأ يتفحص منشآت نادي أوصلو للتنس.

إنه نادٍ راقٍ بملاعب ترابية أو صلبة أو حتى إسمنتية مع مدرجات، لكن ملعبين فقط كانا مستخدمين. ففي النروج، يمكنك لعب كرة القدم والتزلج، لكنك حين تعلن أنك لاعب تنس فأنت تجذب الهمس والنظرات

المرتابة.

وجد هاري بيلمان في أحد الملاعب الترابية وهو يُخرج الكرات من سلة ويضربها برفق لصبى يبدو أنه يتدرب على الضربات الخلفية عبر الملعب. لكن، كان من الصعب التأكد؛ فالكرات تتجه إلى أرجاء الملعب كافة.

دخل هاري عبر البوابة وراء بيلمان إلى الملعب ووقف بجواره، وقال وهو يخرج علبة السجائر:

- يبدو وكأنه يعاني.

قال مايكل بيلمان من دون أن يتوقف أو يبعد نظريه عن الصبي:

- إنه يتحسن.

- لا بد أن هناك شبهاً. هل هو...

- ابني فيليب... في العاشرة من عمره.

- الوقت يمضي. أهو موهوب؟

- لديه بعض صفات والده. لكن كانت لدي العزيمة، أما هو

فبحاجة للدفع.

- لم أظن أن ذلك قانوني.

- نريد الأفضل لأطفالنا ياهاري، لكننا قد نسيء إليهم. حرك قدمك

يا فيليب!

- هل عرفت شيئاً عن مارتين بران؟

- بران؟

- الأحذب الغريب في مشفى راديوم.

- أوه نعم... الحدس... نعم ولا... أي نعم، لقد تحققت. لكن لا،

ليس لدينا أي شيء ضده... لا شيء على الإطلاق.

- ممم... كنت أفكر بسؤالك عن شيء آخر.

- انزل على ركبتيك! ما هو؟

- مذكرة لفتح قبر غاستو هانسن لمعرفة إن كان هناك أي دم

تحت أظافره من أجل إجراء اختبار جديد.

أبعد بيلمان نظره عن ابنه؛ ربما ليتأكد من أن هاري جاد.

- هناك اعتراف واضح ياهاري. أظن أن بإمكانني القول بثقة تامة

إن هذه المذكرة ستكون مرفوضة.

- هناك دم تحت أظافر غاستو، وقد اختفت العينة قبل أن يتم

اختبارها.

- هذا النوع من الأمور يحدث عادة.
- نادراً.
- ودم من ذاك برأيك؟
- لا أعرف.
- لا تعرف؟
- لا. لكن، إن تم تخريب العينة الأولى فهذا يعني أن ذلك يشكل خطراً على أحد ما.
- أتعني ذلك التاجر الذي اعترف... أديداس؟
- اسمه الحقيقي كريس ريدي.
- بكل الأحوال، ألم تنته من هذه القضية بعد أن تم إطلاق سراح أوليغ فوك؟
- بكل الأحوال، ألا ينبغي أن يمسك المضرب بكلتا يديه في الضربات الخلفية؟
- أتعرف شيئاً عن التنس؟
- شاهدت القليل على شاشة التلفاز.
- الضربات الخلفية بيد واحدة تمنحك شخصية.
- لا أعرف حتى إن كان للدماغ أي علاقة بالقتل. ربما هناك أحد خائف من أن يتم كشف علاقته بغاستو؟
- مثل من؟
- دبي ربما. كما أنني لا أظن أن أديداس قد قتل غاستو.
- لم لا؟
- تاجر قاسي القلب يعترف فجأة من دون أي مبرر؟!
- أفهمك. لكن هذا اعتراف جيد.
- أكمل هاري وهو يلتقط إحدى الكرات.
- كما أن القتل بسبب المخدرات، ولديك ما يكفي من القضايا لتتعامل معها.
- تنهد بيلمان:
- الأمر كما كان عليه ياهاري. مواردنا معرضة للكثير من الضغط، حيث يصعب أن نولي أهمية للقضايا التي وجدنا لها حلاً.
- وجدتم حلاً؟!
- كرئيس أنا مضطر للقبول بهذا الأمر.
- حسناً. دعني أقدم لك حل قضيتين مقابل المساعدة في العثور

على منزل.

توقف بيلمان عن رمي الكرات:

- ماذا؟
- جريمة قتل في ألبانو ضحيتها راكب دراجات يدعى توتو. لقد أخبرني مصدرى أنه تم حفر ثقب في رأسه.
- وهل مصدرك مستعد للشهادة؟
- ربما.
- والثاني؟
- الشرطي المتخفي الذي وجدت جثته عند دار الأوبرا... لقد رآه المصدر نفسه ميتاً في قبو دبي.
- فرك بيلمان عينيه، بينما احمرت البقع الصبغية؛ مما ذكر هاري بالنمر.

بابا!

- اذهب واملاً عبوات الماء في غرفة الملابس يا فيليب.
- لكن غرفة الملابس مقفلة يا بابا!
- والرمز هو؟
- السنة التي ولد فيها الملك، لكنني لا أذكر...
- تذكر، وارو عطشك.
- مشى الصبي عبر البوابة، بينما تأرجحت ذراعه على جانبه.
- ماذا تريد يا هاري؟
- أريد فريقاً يمشط المنطقة حول فريديريكيلاسن بمحيط كيلو متر من الجامعة لأحصل على قائمة بجميع المنازل المنفصلة التي ينطبق عليها هذا الوصف. وناول بيلمان ورقة.
- ماذا حدث في فريديريكيلاسن؟
- مجرد حفلة.
- حين أدرك بيلمان أنه لن يحصل على معلومات أكثر نظر إلى الورقة وقرأها بصوت مرتفع:
- منزل خشبي قديم ذو ممر حصوي طويل وأشجار غير دائمة وسلم يؤدي للباب الأمامي من دون أي سقف للرواق؛ يبدو هذا الوصف ملائماً لنصف المنازل في بليندن. عم تبحث؟
- أشعل هاري سيجارة:
- جحر جرد... عرين صقر.

- وإن وجدناه؟
- ستحتاج أنت ورجالك لمذكرة تفتيش حتى تتمكن من القيام بأي شيء. أما مدني مثلي فيمكنه أن يتوه في مساء خريفي ويضطر للجوء إلى أقرب منزل.
- حسناً. سأرى ما يمكنني فعله. لكن، أخبرني أولاً بسبب حرصك على الإمساك بدبي.
- هز هاري كتفيه:
- ربما التشوه المهني. حين تحصل على القائمة أرسلها إلى عنوان البريد الإلكتروني المذكور في أسفل الورقة، وسأرى ما يمكنني فعله لك.
- عاد فيليب من دون ماء بينما كان هاري يغادر. وحين كان في طريقه إلى السيارة، سمع صوت كرة ترتطم بإطار المضرب وشتيمة بصوت منخفض.
- كانت هناك قوارب تتحرك بعيداً تحت أسطول الغيوم الداكنة كالليل حين ركب هاري سيارته. شغل المحرك واتصل بهانز كريستيان سيمونسين.
- أنا هاري. ما هي العقوبة الحالية لانتهاك القبر؟
- ممم... من أربع إلى ست سنوات حسبما أظن.
- هل أنت مستعد لمخاطرة كهذه؟
- صمت بسيط ثم:
- لأي هدف؟
- للقبض على الشخص الذي قتل غاستو، وربما الشخص الذي يطارد أوليغ.
- وماذا لو كنت غير مستعد؟
- صمت قصير.
- أنا مستعد.
- حسناً. اعرف المكان المدفون فيه من أوليغ، وأحضر رفشين ومصباحاً ومقص مسامير ومفكين. سنقوم بالأمر ليلة الغد.
- حين قاد هاري سيارته عبر ساحة سولي بدأ المطر بالهطول على الأسطح والشوارع والرجل الواقف في كفادراتورين مقابل الباب المفتوح المؤدي إلى المقهى.
- نظر الصبي في مكتب الاستقبال إلى هاري نظرة قاسية حين دخل.
- أترغب باستعارة مظلة؟
- لا. إلا إن كان هناك تسريب في فندق.

ومرر يده عبر شعره ثم رش الماء في الهواء:

- هل من رسائل؟

ضحك الصبي كما لو كان الأمر دعابة.

بينما كان هاري يصعد السلم إلى الطابق الثاني ظن أنه سمع صوت خطوات في الأسفل، فتوقف وأنصت... الصمت. إما أنه صدى خطواته، أو أن الشخص الآخر قد توقف أيضاً.

مشى هاري ببطء، ثم زاد من سرعته في الممر، وأدخل المفتاح في القفل وفتح الباب ونظر إلى الغرفة المظلمة، ثم حدق عبر الباحة إلى غرفة المرأة المضاءة. لا أحد هناك... لا أحد هنا.

أشعل المصباح.

حين أضاء النور رأى انعكاسه في المرآة، وانعكاس شخص آخر يقف وراءه. وفجأة، أحس بيد ثقيلة تضغط على كتفه.

لا يمكن لشيء أن يكون سريعاً وهادئاً هكذا سوى شبح... هذا ما فكر به هاري وهو يستدير، لكنه كان يعلم أن الأوان قد فات.

- لقد رأيتهم مرة.
- كانت يد كاتو الكبيرة والجافة لا تزال على كتف هاري.
- سمع هاري لهائه، وأحس برئتيه تضغطان على أضلعه من الداخل.
- من؟
- كنت أتكلم مع شخص يبيع المادة الملعونة. كان اسمه بيسكن.
- لقد أتى إلي خائفاً لأن الشرطة أمسكت به لحيازته الهيرويين، وقد أخبر بيريت مان بمكان إقامة دبي حين وعده هذا الأخير أن يحميه ويضمن له العفو في حال شهد في المحكمة. وبينما كنت واقفاً هناك، جاءوا بسيارة سوداء وهم يرتدون بذلات سوداء وقفازات سوداء، وكان بينهم عجوز بوجه عريض كباذنجانة بيضاء.
- من؟
- لقد رأيت، لكنه... لم يكن هناك... كشيح. وحين رآه بيسكن لم يتحرك أو يحاول الحركة أو الهرب أو المقاومة حين أخذوه معهم. وبعد أن رحلوا بدا الأمر وكأنه حلم.
- لماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟
- لأنني جبان. أمعك سيجارة؟
- أعطاه هاري علبة سجائر، وجلس كاتو على كرسي.
- أنت تطارد شبحاً، وأنا لا أريد التورط بذلك.
- لكن؟
- هز كاتو كتفيه ومد يده، فناوله هاري الولاعة.
- أنا رجل عجوز في طريقي للموت، وليس لدي ما أخسره.
- الموت؟
- أشعل كاتو السيجارة:
- ليس الأمر قاسياً، لكننا جميعاً في طريقنا للموت يا هاري، وأنا أريد مساعدتك.
- بماذا؟
- لا أدري. ما هي خطتك؟
- أيمكنني أن أثق بك؟
- يا إلهي... لا... لا يمكنك أن تثق بي. لكنني ساحر، ويمكنني التخفي كما يمكنني القدوم والذهاب من دون أن يلاحظني أحد.

فرك هاري ذقنه:

- لماذا؟

- أخبرتك لماذا.

- أسألك مرة ثانية.

نظر كاتو إلى هاري أولاً نظرة تأنيب، لكن حين لم يعط ذلك أي

نتيجة تنهد بعمق مظهراً انزعاجه:

- ربما كان لدي ابن من قبل لم أعامله كما ينبغي. لذا قد تكون

هذه فرصة جديدة. ألا تصدق أن هناك فرصة ثانية ياهاري؟

نظر هاري إلى الرجل العجوز، حيث بدت التجاعيد على وجهه أعمق

في الظلام كالوديان أو كضربات السكين. مد هاري يده، فأخرج كاتو علبة
السجائر من جيبه وناولها إيها.

- أقدر لك ذلك يا كاتو. سأخبرك في حال احتجت إليك بشيء،

لكنني الآن سأحاول الربط بين دبي وموت غاستو؛ حيث ستقودني الأدلة

من هناك مباشرة إلى الحارق في الشرطة ومقتل الشرطي المتخفي الذي
غرق في منزل دبي.

هز غاستو رأسه ببطء:

- لديك قلب شجاع وطيب ياهاري.

وضع هاري سيجارة بين شفتيه:

- هذا يعني أنه ستكون هناك نهاية سعيدة بعد كل شيء.

- نهاية ينبغي الاحتفال بها. أيمكنني أن أدعوك لاحتساء شراب

ياهاري هول؟

- من الذي سيدفع.

- أنا بالطبع؛ في حال أقرضتني المال.

- اخرج من هنا.

- هيا. الشراب شهى في الأسفل.

- طابت ليلتك... نم جيداً.

- طابت ليلتك... ولا تنم جيداً... في حال...

- طابت ليلتك.

كانت الرغبة هناك طوال الوقت، لكن هاري نجح في كبتها حتى

الآن... حتى دعوة كاتو. فقد بلغ السيل الزبي، وأصبح من المستحيل تجاهل

الرغبة بعد الآن. كانت قد بدأت بحقنة الفيولين التي أثارت كل شيء

وأطلقت العنان لشهواته المتزايدة والملحة في داخله. استلقى هاري على السرير مغمضاً عينيه وهو ينصت لصوت المطر ويتمنى أن يأتيه النوم ويأخذه بعيداً.

لكنه لم يأت.

كان لديه رقم في هاتفه المحمول مسجل بحرفين... ك م... كحوليون مجهولون... تريغف... إنه رقم كان يستخدمه عدة مرات في فترات حرجة قبل ثلاث سنوات. لماذا يبدأ الأمر الآن؛ في أكثر وقت يحتاج فيه إلى أن يكون صحيحاً؟ إنه جنون. سمع صراخاً في الخارج متبوعاً بضحكة.

عند الحادية عشرة وعشر دقائق نهض وغادر؛ حيث نزل تحت المطر وعبر الشارع إلى الباب المفتوح، لكنه لم يسمع أصوات الخطوات وراءه لأن صوت كيرت كوبين ملاً أذنيه حين خطا إلى الداخل وجلس على المقعد عند المنضدة ونادى النادل:

- ويس... كي. جيم... ييم.

توقف النادل عن مسح المنضدة، ووضع قطعة القماش إلى جانب مفتاح الزجاجات، وأحضر الزجاجاة عن الرف وسكب له القليل، ثم وضع الكأس على المنضدة. لف هاري كفيه على جانبي الكأس، وحدق بالسائل البني الذهبي لكن شيئاً لم يحدث.

لا نيرفانا، ولا أوليغ، ولا راكيل، ولا غاستو، ولا دبي، ولا تورد شالتز، ولا الشخص الذي كتم ضجة الشارع حين دخل، ولا الحركة وراءه، ولا نغمة غناء الينابيع حين خرج النصل، ولا نفس سيرغييه إيفانوف الثقيل وهو يقف وراءه على بعد متر ضاماً ساقيه ومرخياً يديه.

نظر سيرغييه إلى ظهر الرجل الذي كان يسند كلتا ذراعيه على المنضدة. لا يمكن أن يكون الوضع أفضل. لقد حان الوقت. بدأ قلبه بالتسارع بشدة وهو يضخ الدم النظيف كما حصل أول مرة أحضر فيها رزم الهيرويين من قمرة القيادة. اختفى كل الخوف لأنه عرف الآن أنه حي... حي وسيقتل الرجل الجالس أمامه... سيسلبه حياته ويجعلها جزءاً من حياته هو. مجرد هذه الفكرة جعلته يكبر كما لو أنه أكل قلب العدو. الآن... الحركات. أخذ سيرغييه نفساً عميقاً، وخطا للأمام، ووضع يده اليسرى على رأس هاري.

لم يستطع سيرغييه إيفانوف الإمساك به... لم يستطع الإمساك به ببساطة. لقد بلل المطر رأس الرجل وشعره، فانزلقت الخصل القصيرة بين أصابعه من دون أن يتمكن من سحب رأسه للوراء. اقتربت يد سيرغييه اليسرى منه مجدداً، وأمسكت بجهة الرجل وسحبته إليه، بينما وضع السكين على حنجرته. ارتجف جسد الرجل بينما غرز سيرغييه السكين، وأحس بها تقطع الجلد. هنا! التدفق الساخن للدم على إبهامه. ليس عميقاً كما توقعه، لكن الأمر سينتهي بعد ثلاث ضربات للقلب. رفع نظره إلى المرأة ليرى التدفق، لكنه رأى صفاً من الأسنان ورأى تحته جرحاً كبيراً يتدفق منه الدم إلى القميص... وعيني الرجل... النظرة الباردة والغاضبة والضارية التي جعلته يدرك أنه لم ينجز العمل.

حين أحس هاري باليد على رأسه عرف بحدسه... عرف أنه ليس زبوناً ثملاً أو صديقاً قديماً وإنما هم. وحين انزلقت اليد، كسب هاري عشر ثانية لينظر في المرأة ويرى لمعان الفولاذ، وعرف إلى أين سيتجه، ثم التفت اليد حول جبهته وشدته للوراء. كان الأوان قد فات ليتمكن من وضع يده بين حنجرته والنصل. لذا، وقف هاري على منصب القدمين، ورفع نفسه بينما ضغط بذقنه على صدره. لم يشعر بأي ألم حين قطعت السكين الجلد حتى وصلت إلى ذقنه واخترقت الغشاء الحساس حول العظم. ثم التقت عيناه عيني الرجل الثاني في المرأة، وسحب رأس هاري للخلف نحو رأسه ليبدو كصديقين يستعدان لالتقاط صورة. أحس هاري بالنصل يضغط على ذقنه وصدره محاولاً إيجاد طريقه إلى أحد شرايين الرقبة، وعرف أنه سينجح خلال ثوانٍ معدودة.

لف سيرغييه ذراعه بكاملها حول جبهة الرجل، ودفع بكامل قوته، فمال رأس الرجل للخلف ورأى على المرأة النصل وهو يجد طريقه إلى الفجوة بين الذقن والصدر وينزلق فيها. قطع الفولاذ نحو الحنجرة، واتجه يميناً نحو شريان الرقبة... الشريان السباتي. لكن الرجل تمكن من رفع يده اليمنى، ووضع إصبعه بين السكين والشريان؛ إلا أن سيرغييه عرف أن النصل الحاد سيقطع الإصبع، فالأمر لا يحتاج سوى لزيادة الضغط. فسحب... وسحب.

أحس هاري بالضغط من المرأة، لكنه علم أن السكين لن تحرز أي تقدم من خلال حساب نسبة القوة مقابل الوزن لأي معدن. لا شيء يمكنه أن يقطع التيتانيوم سواء أكان مصنوعاً في هونغ كونغ أو لا. لكن الشاب قوي وسيدرك قريباً أن النصل لا يقطع.

تلمس بيده الحرة أمامه، واصطدم بكأسه حتى وجد شيئاً. كان مفتاح الزجاجات على شكل T، من النوع البسيط ذي اللولب القصير. أمسك بالقبض، بينما أبرز الحافة بين إصبعيه، وأحس بالذعر حين سمع نصل السكين ينزلق عن الإصبع الصناعية. نظر إلى المرأة إلى حيث سيصوب، ورفع يده إلى الجانب وضرب للخلف وراء رأسه.

لاحظ تصلب جسد الرجل الآخر حين اخترقت حافة مفتاح الزجاجات الجلد في جانب رقبته، لكنه كان جرحاً سطحياً وغير مؤذ، ولم يوقفه، إذ بدأ بتحريك السكين إلى اليسار. ركز هاري... مفتاح الزجاجات يتطلب يداً مدربة وقوية لكنه ليس بحاجة سوى لبضع لفات ليخترق الفلينة، فأدار هاري يده مرتين، وأحس به ينزلق عبر اللحم ويشق طريقه نحو الداخل، ثم أحس ببعض المقاومة... ثم سحب.

كان الأمر كسحب السدادة من على جانب برميل كامل من الشراب.

كان سيرغييه إيفانوف في كامل وعيه، ورأى العملية بكاملها في المرأة حين ضخت أول ضربة قلب دفقاً من الدم إلى اليمين؛ حيث قام دماغه بالتسجيل والتحليل والتوصل إلى نتائج: لقد وصل الرجل الذي كان يحاول قطع حنجرتة إلى شريان رئيس لديه باستخدام مفتاح زجاجات، وقطع الشريان في رقبته، وهو الآن يضخ دم حياته. خطرت ببال سيرغييه ثلاث أفكار أخرى قبل أن تأتي ضربة القلب الثانية ويذهب الوعي: لقد خذل عمه.

لن يرى سيبيريا الحبيبة مجدداً.

سيدفن وهو يحمل على جسده وشماً كاذباً.

عند ضربة القلب الثالثة سقط... وحين انتهت الأغنية، مات سيرغييه

إيفانوف.

نهض هاري عن المقعد، ورأى في المرأة الجرح ينزف على ذقنه، لكن ذلك لم يكن الأسوأ، فقد كانت هناك جروح عميقة في حنجرتة يتدفق

منها الدم الذي صبغ ياقته بالكامل.

كان الزبائن الثلاثة الآخرون قد رحلوا. نظر إلى الرجل الممدد على الأرض بينما تدفق الدم من الجرح في رقبتة، لكنه لم يكن يضخ الدم ضخاً؛ مما يعني أن قلبه قد توقف عن النبض، ولم تعد هناك أي جدوى من محاولة إنعاشه. وحتى لو كانت لا تزال هناك حياة فيه، فقد كان هاري يعلم أن هذا الشخص لن يكشف أبداً عما أرسله؛ لأنه رأى الوشوم الناتئة من فوق القميص. لم يكن يعرف أيّاً من الرموز لكنه يعرف أنها روسية، فهي مختلفة عن الوشم الغربي التقليدي الذي يضعه النادل الذي كان ملتصقاً برف المرأة وهو يحدّق إليه بحدقتين سوداوين من هول الصدمة؛ لدرجة أنهما غطتا على بياض عينيه. تلاشت النيرفانا وتبعها صمت مطبق. نظر هاري إلى كأس الشراب الملقاة على جانبه.

- آسف بشأن الفوضى. ثم أمسك القماشة الموجودة على المنضدة، ومسح أولاً مكان يديه، ثم الكأس، ثم مقبض مفتاح الزجاجات الذي أعاده إلى مكانه، وتحقق من أن دمه لم يسيل على الأرض أو المنضدة، ثم انحنى على الرجل الميت، ومسح يده الملوثة بالدم ومقبض السكين العاجي الطويل والنصل الرفيع. كانت السكين - لأنها سلاح، ولا تفيد بأي شيء آخر - أثقل من أي سكين كان قد حملها سابقاً؛ فقد كانت الحافة حادة كسكين سوشي يابانية. تردد هاري، ثم طوى السكين، وسمع تكة خفيفة بينما أقفل صمام الأمان، ووضعها في جيب سترته.

سأل هاري وهو يستخدم قطعة القماش ليخرج عشرين دولاراً من محفظته:

- هل من الممكن أن أدفع بالدولار؟ إنها العملة القانونية في الولايات المتحدة.

صدرت أصوات تأوه خفيفة من النادل، وكأنه أراد قول شيء ما لكنه فقد قدرته على الكلام.

كان هاري على وشك الخروج، ثم توقف واستدار لينظر إلى الزجاجاة على الرف ويبلل شفثيه مجدداً، ثم توقف من دون حراك لثانية، وارتعش جسده وبعدها غادر.

عبر هاري الشارع تحت المطر المنهمر. إنهم يعرفون أين يقيم وبإمكانهم تعقبه بالطبع، لكنه قد يكون أيضاً الصبي في مكتب الاستقبال أو الحارق الذي حصل على اسمه من التسجيل الروتيني لنزلاء الفندق. إن

دخل عبر الباحة الخلفية فسيتمكن من الوصول إلى غرفته من دون أن ينتبه له أحد.

كانت البوابة المؤدية للشارع مقفلة... شتم هاري. وحين دخل كان مكتب الاستقبال خالياً. على السلم وفي الممرات، ترك خطأً من النقاط الحمراء كشيفرة مورس على المشمع الأزرق الفاتح. داخل الغرفة، أخذ مجموعة الخياطة من الطاولة المجاورة للسريير إلى الحمام، حيث خلع ملابسه وانحنى على المغسلة التي أصبحت حمراء من الدم. غسل منشفة اليد، وغسل ذقنه ورقبته، لكن الجروح في رقبته سرعان ما تدفقت منها الدماء. وتمكن تحت الضوء الأبيض البارد من إدخال الخيط القطني في ثقب الإبرة، ثم من إدخال الإبرة عبر الثنيات البيضاء للبشرة على رقبته؛ أولاً من أسفل ثم فوق الجرح. بدأ الخياطة، بينما توقف بين الفينة والأخرى لمسح الدم ثم الاستمرار. وحين كاد ينتهي فتح الجرح ثانية، فشتم وسحب الخيط، وبدأ مجدداً بخيط مزدوج. بعد ذلك، خاط الجرح على ذقنه بسهولة أكبر، وغسل الدم عن صدره، وأخرج قميصاً نظيفاً من حقيبته، ثم جلس على السريير. كان يشعر بالدوار، لكنه في عجلة من أمره؛ فقد كان يشك في أنهم بعيدون كثيراً... عليه التصرف قبل أن يكتشفوا أنه حي. اتصل بهانز كريستيان سيمونسين، وبعد الرنة الرابعة سمع صوتاً نائماً يقول:

- هانز كريستيان.
- أنا هاري. أين تم دفن غاستو؟
- مقبرة فيستر.
- أمعك العدة؟
- نعم.
- سننفذ الأمر الليلة. لاقني على الممر في الجانب الشرقي خلال ساعة.

- الآن؟
- نعم. وأحضر معك بعض الضمادات.
- ضمادات!
- حلاق غبي... هذا كل شيء. بعد ستين دقيقة... هل هذا مفهوم؟ صمت قصير ثم تنهد ثم:
- مفهوم.
- عندما كان هاري على وشك إنهاء الاتصال ظن أنه سمع صوتاً نائماً...

صوت شخص آخر، لکنہ أقنع نفسه أنه مخطئ.

كان هاري واقفاً تحت مصباح وحيد في الشارع ينتظر منذ عشرين دقيقة حين أتى هانز كريستيان مرتدياً بذلة سوداء، ومتأرجحاً عبر الممر. قال بأنفاس متقطعة:

- ركنت السيارة في مونوليتفين. هل البذلة الكتانية مناسبة لنش القبر؟

حين رفع هاري رأسه، اتسعت عينا هانز كريستيان:

- يا إلهي! تبدو مريعاً. هذا الحلاق...

- لا أنصحك بتجربته. هيا، دعنا نبتعد عن النور.

حين وقفا في الظلام توقف هاري:

- الضمادات.

- تفضل.

تفحص هانز كريستيان المنازل المظلمة على التل وراءهما، بينما وضع هاري الضمادات بحذر على القطب على رقبتة وذقنه.

قال هاري:

- استرخ. لا أحد يمكنه رؤيتنا.

وأمسك رفشاً وسار، فأسرع هانز كريستيان وراءه وأخرج مصباحاً وأضاءه.

قال هاري:

- الآن أصبح بإمكانهم رؤيتنا.

أطفأ هانز كريستيان المصباح.

مشيا عبر ساحة شهداء الحرب، وتجاوزا قبور البحارة البريطانيين، ثم أكملوا على الطرق الحصوية. فكر هاري في أن حجارة الشواهد في مقبرة غرب أوصلو هذه أكبر وأكثر إشراقاً من تلك الموجودة شرق المدينة. صدر صوت الحصى كلما وطئاه بأقدامهما وهما يمشيان بسرعة متزايدة حتى بدا كصوت واحد مستمر.

توقفا عند قبر الغجري.

همس هانز كريستيان وهو يحاول فتح الخريطة المطبوعة تحت ضوء

القمر الشاحب:

- إنه الثاني إلى اليسار.

حدق هاري في الظلام وراءه.

همس هانز كريستيان:

- هل من خطب؟
- أظن أنني سمعت صوت خطي، لكنها توقفت حين توقفنا.
رفع هاري رأسه وكأنه يتنشق الهواء.
- صدى... أكمل.

بعد دقيقتين، كانا يقفان بجوار حجر أسود متواضع. أمسك هاري المصباح بالقرب من الحجر قبل أن يضيئه ويرى الحروف المحفورة والمطوية بالذهب:

غاستو هانسن

12/7/2011 - 14/3/1992

فلترقد بسلام

همس هاري:

- ها هو.
- بدأ هانز كريستيان:
- كيف س...
لكنه توقف حين سمع صوت رفش هاري وهو يحفر التراب الناعم، فأمسك برفشه وبدأ الحفر.
كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة، والقمر اختفى خلف غيمة حين ضرب رفش هاري شيئاً صلباً.
بعد خمس عشرة دقيقة ظهر التابوت الأبيض.
أمسك كل منهما بمفك، وانحنيا على التابوت، وبدأ بفك البراغي الستة في الغطاء.

- لن نتمكن من رفع الغطاء إن كنا كلانا فوقه. على أحدنا الصعود للأعلى ليتمكن الآخر من فتح التابوت. هل من متطوع؟
بدأ هانز كريستيان بالزحف للأعلى.

وضع هاري قدماً بجانب التابوت والأخرى على الجدار الحجري، وعصر أصابعه تحت الغطاء ثم ضغط، وبسبب العادة بدأ بالتنفس من فمه. وقبل أن ينظر حتى للأسفل، استطاع أن يشعر بالحرارة تتصاعد من التابوت. كان يعلم أن عملية الانحلال تصدر الطاقة، لكن ما جعل شعره يقف هو الصوت.

طنين دودة طيارة بين اللحم. أمال غطاء التابوت إلى جانب القبر.

- أضئ هنا.

تلألأت ديدان بيضاء زلقة في فم الجثة وأنفها وحولهما. أما الجفنان فقد غارا؛ إذ إن العينين هما العضوان الأولان اللذان يتم التهامهما. تجاهل هاري أصوات غثيان هانز كريستيان، وبدأ بالتحليل: الوجه متغير اللون ومظلم؛ لذا يوحيان من المستحيل التأكيد إن كان صاحبه غاستو هانسن. لكن لون الشعر وشكل الوجه يوحيان بذلك. لكن شيئاً ما لفت انتباه هاري وجعل أنفاسه تتوقف. كان غاستو ينزف.

فقد بدأت ورود حمراء بالنمو على الكفن الأبيض... ورود حمراء تنتشر.

بعد ثائيتين، أدرك هاري أن الدم صادرٌ منه، فأمسك برقبته، وتحسس الدم بإصبعه؛ لقد فتحت القطب.

قال هاري:

- قميصك.

- ماذا؟

- أريد بعض الرقع هنا.

سمع هاري صوت السحاب يفتح. وبعد بضع ثوانٍ، طار قميص تحت الضوء فأمسك به هاري، ورأى الشعار عليه... مساعدة قانونية مجانية. يا إلهي... إنه مثالي. لف هاري القميص حول رقبته من دون أن تكون لديه أدنى فكرة حول كيف سيساعده ذلك، لكنه كان كل ما يمكنه فعله في الوقت الحالي، ثم انحنى على غاستو، وأمسك بالكفن بكلتا يديه وفتحه. كان الجسد داكناً ومنتفخاً قليلاً، بينما زحفت الديدان من ثقبتي الرصاصتين في الصدر.

استطاع هاري رؤية أن الجروح متطابقة مع ما هو مذكور في التقرير.

- أعطني المقص.

- المقص.

- مقص المسامير.

- تباً.

وسعل هانز كريستيان:

- لقد نسيتته. ربما لدي شيء في السيارة. هل...

- لا حاجة لذلك.

وأخرج هاري السكين الطويلة من جيبه، وفتح قفل الأمان، وضغط

على زر الفتح، فخرج النصل بقوة كبيرة جعلت المقبض يهتز. واستطاع الإحساس بالتوازن المثالي للسلاح.

قال هانز كريستيان:

- أسمع شيئاً.
- إنها أغنية سليبنوت. بالس أوف ذا ماغوتس.
- وبداً بالددندة بصوت منخفض.
- لا. تبا... أحد ما قادم!
- أدر المصباح لأرى واهرب.
- رفع هاري يد غاستو وتفحص أظافر اليد اليمنى.
- لكنك...
- اهرب. الآن.

سمع هاري خطوات هانز كريستيان تتلاشى مبتعدة. كان ظفر السبابة لغاستو أقصر، فتفحص الإصبع الأولى والثالثة وقال بهدوء:

- أنا من دار الجنائز، ولدينا عمل إضافي.
- ثم رفع رأسه إلى الحارس الشاب الذي يرتدي بذلة ويقف عند حافة القبر وهو ينظر إليه.
- لم تكن العائلة راضية عن تقليم الأظافر.

- اخرج!

أمره الحارس بصوت مرتجف قليلاً.

- لماذا؟

أخرج هاري كيساً من جيب سترته، ووضعه تحت الإصبع الثالثه وقطع بانتباه بالسكين الظفر كما لو كان قطعة زبدة... يالها من أداة رائعة!

وأكمل:

- لسوء الحظ، تقول التعليمات إن عليك أن لا تتعامل مع الدخلاء بشكل مباشر.

واستخدم هاري حافة النصل لإخراج بقايا الدم الجافة من تحت الظفر القصير.

- إن قمت بذلك فسيتم طردك، وسيتم رفضك من كلية الشرطة؛ وهكذا لن تتمكن من حمل مسدس كبير ومن إطلاق النار على أحد دفاعاً عن النفس.

وحول هاري انتباهه للإصبع الأولى.

- قم بما تمليه عليك التعليمات؛ اتصل بشخص بالغ في الشرطة. وإن كنت محظوظاً فسيصلون إلى هنا خلال نصف ساعة. لكن، لنكن واقعيين، ونتوقع أننا سننتظر حتى وقت الدوام المكتبي غداً. ها نحن ذا! أغلق هاري الكيسين ووضعهما في جيب سترته، وأغلق غطاء التابوت، ثم قفز من القبر، ونفض التراب عن بذلته، وانحنى ليمسك بالمصباح والمجرفة.

لكنه رأى مصباح سيارة تنعطف إلى دار العبادة.
قال الحارس الشاب وهو يبتعد تاركاً مساحة أمان:
- في الواقع، لقد قالوا إنهم قادمون فوراً، فقد أخبرتهم أنه قبر الشاب الذي قتل رميةً بالرصاص. من أنت؟
أطفاً هاري المصباح ليسود الظلام.
- أنا الشخص الذي ينبغي أن تتمنى له النجاح.
ثم بدأ بالركض متوجهاً شرقاً بعيداً عن دار العبادة إلى الطريق الذي جاء منه.

كان يخطو باتجاه ضوء ساطع افترض أنه مصباح شارع في منتزه فروغنز. كان يعلم أنه إن وصل إلى المنتزه بشكله الحالي فسيسبق معظمهم، لكنه تمنى أن لا تكون معهم أي كلاب؛ فقد كان يكره الكلاب. من الأفضل البقاء على الطريق الحصوي لئلا يتعثر بالقبور أو الشجيرات؛ إلا أن تفتت الحصى جعل من الصعب عليه سماع إن كان أحد ما يطارده؛ فما عاد من الممكن سماع أحد وراءه. ثم رآه... شعاع مرتعش من النور فوق أعالي الأشجار... أحد ما يطارده بمصباح.

خرج هاري إلى الطريق، وتوجه إلى المنتزه محاولاً تجاهل الألم حول رقبتة، والركض بأسلوب فعال ومريح مع التركيز على التنفس والتقنيات؛ مقنعاً نفسه أنه يبتعد. ركض نحو الصخور لأنه عرف أنهم سيرونه تحت ضوء المصابيح على الممر الذي استمر على التلال ليبدو كما لو أنه متجه إلى بوابة المنتزه الرئيسة على الجانب الشرقي.

انتظر هاري حتى ابتعد عن الأنظار، ثم توجه نحو الجنوب الغربي باتجاه طريق مادسيروود. كان الأدرينالين يزيده حماسة، لكن عضلاته تشنجت. وللحظة، عم الظلام كل شيء، وظن أنه فقد الوعي، لكنه استعاد توازنه مع شعور مفاجئ بالغثيان يتبعه دوار شديد. نظر إلى الأسفل فرأى الدم يسيل من تحت كم سترته ويقطر من بين أصابعه كمرابي فريز يقطر من قطعة الخبز في بيت جده. لن يصمد طوال هذه المسافة.

أدار رأسه، ورأى شخصاً يمر عبر الضوء تحت المصباح في أعلى التلة. إنه رجل ضخم يركض بخفة ويرتدي ملابس سوداء ضيقة... ليست بذلة شرطة. أيمن أن يكونوا رجال دلتا؟ في منتصف الليل وبهذه السرعة؟! لأن شخصاً ما ينبش في المقبرة!!

تأرجح هاري، لكنه تمكن من الثبات. لم يكن لديه أي أمل بأن يسبق أحداً ما وهو بهذه الحالة. ينبغي أن يجد مكاناً للاختباء. توجه هاري إلى أحد المنازل في طريق مادسيروود، وابتعد عن الطريق وهو ينزل منحدرًا عشبيًا، واضطر لمد ذراعيه لئلا يسقط، ثم أكمل عبر الطريق الأسفلتي، وقفز فوق سور منخفض من الأوتاد، وتجاوز شجرة التفاح، ثم دار حول المنزل حيث رمى نفسه على العشب الطويل المبلل وأخذ نفساً عميقاً وهو يشعر بمعدته تنقبض، وارتفع قليلاً ليتقيأ، بينما ركز على تنفسه وهو ينصت.

لا شيء.

لكن الأمر سيكون مجرد مسألة وقت ريثما يصلون، كما أنه بحاجة لضمادة جيدة لرقبته. نهض هاري على قدميه، ومشى إلى شرفة المنزل وحدق عبر الزجاج في الباب... غرفة جلوس مظلمة. ركل الزجاج وأدخل يده... النروج الطيبة القديمة البريئة... كان المفتاح في الباب، فدخل في الظلام.

حبس أنفاسه، فغرف النوم في الطابق الأول في الغالب.

أضاء مصباح الطاولة.

مقاعد مخملية وتلفاز وموسوعة وطاولة مغطاة بصور العائلة ومنسوجات... إذًا، السكان متقدمون في السن، مما يعني أنهم ينامون جيدًا. وجد هاري المطبخ وأضاء النور، ثم بحث في الأدراج ليجد سكاكين وقماشًا، فحاول أن يتوقع المكان الذي يخفون فيه الأشياء الصغيرة. فتح الدرج الثاني ووجدها... لاصق عادي... لاصق رزم... لاصق قماشي. أمسك اللاصق القماشي وفتح بابين حتى وجد الحمام، فخلع سترته وقميصه، ووضع رأسه فوق حوض الاستحمام، وحمل الدش اليدوي فوق رقبته، وشاهد السيراميك الأبيض وهو يتلون بالأحمر خلال ثوانٍ، ثم جفف نفسه بالقميص، وعصر حواف الجرح بإصبعيه وهو يلف الشريط الفضي حول رقبته عدة مرات. واختبره ليتأكد من أنه ليس مشدوداً جداً؛ فهو بحاجة لأن يتمكن بعض الدم من التوجه إلى الدماغ. وبعدها ارتدى قميصه لتأتيه نوبة دوار أخرى، فجلس على حافة حوض الاستحمام.

لاحظ حركة فرفع رأسه.

كانت تقف عند الباب امرأة عجوز وجهها شاحب، وهي تحديق به بعينين واسعتين خائفتين. كانت ترتدي فوق ثوب النوم رداء أحمر منحها بريقاً غريباً كلما تحركت، فخمّن هاري أنه مصنوع من مادة اصطناعية لم تعد موجودة؛ فقد تم منعها... فهي مسرطنة... حرير صخري... أو شيء من هذا القبيل.

- أنا شرطي.

ثم سعل.

- شرطي سابق واقع في ورطة.

لم تقل شيئاً، لكنها بقيت واقفة.

- بالطبع سأدفع لك ثمن الزجاج المكسور.

رفع هاري سترته عن أرض الحمام، وأخرج محفظته، ووضع بعض الأوراق النقدية على المغسلة.

- دولارات هونغ كونغ. إنها... أفضل مما قد تظنين.

ابتسم ورأى دمعة تسيل على خدّها المغضن.

قال هاري بذعر وهو يشعر أنه على الحافة وسيفقد السيطرة:

- يا إلهي! لا تخافي. لن أفعل لك شيئاً. سأغادر فوراً.

أدخل ذراعه في كم السترة ومشى نحوها، فخطت مبتعدة للوراء بخطوات صغيرة، من دون أن تبعد ناظرها عنه. رفع هاري راحتي يديه واتجه إلى باب التراس.

- شكراً وآسف.

ثم فتح الباب وتوجه إلى التراس.

أشارت قوة الانفجار إلى أنه سلاح من العيار الثقيل، ثم جاء صوت الطلقة... الانفجار الأولي... وكان ذلك هو التأكيد. سقط هاري على ركبتيه، بينما استقرت الرصاصة التالية في ظهر مقعد الحديقة المجاور له. من العيار الثقيل جداً.

زحف هاري عائداً إلى غرفة الجلوس.

- ابقني منخفضة!

تحطمت نافذة غرفة الجلوس، وتناثر الزجاج على الأرض الخشبية والتلفاز والطاولة المغطاة بصور العائلة.

ركض هاري منحنيّاً عبر غرفة الجلوس والصالة إلى الباب الأمامي، وفتحه ليرى فوهة اللهب من الباب المفتوح لسيارة ليموزين سوداء تحت

مصباح في الشارع. أحس بألم حارق في وجهه، وصدر صوت معدني مرتفع، فاستدار هاري تلقائياً ورأى جرس الباب المحطم إلى قطع، بينما تطايرت قطع كبيرة بيضاء من الخشب.

تراجع هاري واستلقى على الأرض.

إنه سلاح من العيار الثقيل؛ أقوى من أي سلاح تستخدمه الشرطة. فكر هاري بالشخص الطويل الذي رآه يركض عبر التلال... لم يكن ذلك الرجل شرطياً.

- هناك شيء في خدك...

كانت المرأة قد اضطرت للصرخ ليطلق صوتها على صوت رنين الجرس الذي علق. كانت واقفة وراءه في نهاية الصالة، فتحسس هاري خده بأصابعه ليجد قطعة خشبية ويسحبها. فكر أنه كان محظوظاً لأنها علقت في جانب الندبة نفسه؛ مما يعني أن قيمته في السوق لن تتدهور كثيراً. ثم جاءت ضربة أخرى على نافذة المطبخ... لقد نفدت منه دولارات هونغ كونغ.

ومن فوق الرنين، استطاع سماع الصفارات من بعيد، فرفع هاري رأسه، ورأى عبر الردهة وغرفة الجلوس الأنوار مضاءة في المنازل المحيطة. سيصبح عما قريب هدفاً متحركاً مضاء؛ مهما كان الطريق الذي يسلكه، وكانت الخيارات أن يتم اعتقاله أو إطلاق النار عليه. لا... ولا حتى ذلك. لقد سمعوا الصفارات أيضاً وعرفوا أن الوقت سينفذ منهم، كما أنه لم يرد بإطلاق النار، لذا لا بد أن يكونوا قد افترضوا أنه غير مسلح، ولا بد أنهم يتبعونه... عليه الابتعاد. سحب هاتفه المحمول... تباطأ... لماذا لم يحفظ رقمه باسم "ت"؟ لم يكن الأمر كما لو أن قائمة جهات الاتصال مليئة بالكامل.

صرخ:

- ما رقم الاستعلامات؟

- رقم... الاستعلامات؟

- نعم.

- حسناً.

وضعت إصبعها في فمها وهي تمسك بالرداء الأحمر تحتها وتجلس على مقعد خشبي. هناك 1880، لكنني أظن أن الموظفين في 1881 أطفئ وغير مستعجلين أو متوترين، فهم يأخذون وقتهم ويثرثرون في حال... قال صوت في أذن هاري:

- الاستعلامات... 1880.

- أسبجورن تريشو... مع واو.
- هناك أسبجورن تريشو في أوبسال وأوسلو و...
- هذا هو. يمكنك إعطائي رقم هاتفه المحمول؟
- مضت ثلاث ثوانٍ وكأنها دهر، ريثما أجاب صوت مألوف:
- لا أريد أي شيء.
- تريسكو؟
- صمت مطول من دون إجابة تخيل فيه هاري الوجه المذهول لصديقه البدين.
- هاري! لقد مضى وقت طويل...
- هل أنت في العمل؟
- نعم.
- بدا صوته مرتاباً، إذ لا أحد يتصل به من دون سبب.
- أريد خدمة سريعة.
- نعم... أفترض ذلك. ماذا عن مائة كرونر التي اقترضتها مني؟ لقد
- قلت...
- أريدك أن تطفئ الكهرباء في منطقة طريق مادسيرود ومنتزه
- فروغنز.
- ماذا؟
- لدى الشرطة حالة طائرة. هناك شاب مجنون ومسلح، ونحن
- بحاجة للتخفي في الظلام. أما زلت في المحطة في مونتيبيلو؟
- صمت آخر.
- حتى الآن. لكن، أما زلت شرطياً؟
- بالطبع ياتريسكو. الأمر طارئ للغاية.
- لا يهمني. إذ ليس لدي تفويض للقيام بذلك. عليك أن تتكلم
- مع هينمو و...
- إنه نائم وليس لدينا الوقت لذلك!
- في تلك اللحظة، انطلقت رصاصة أخرى وضربت الخزانة في المطبخ
- لتقع مجموعة من الأطباق وتتحطم على الأرض.
- سأل تريسكو:
- ما هذا؟
- ما الذي تظنه؟ يمكنك الاختيار ما بين تحمل مسؤولية انقطاع
- الكهرباء لأربعين ثانية أو كومة من الجثث.

عم الصمت في الطرف الآخر بضع لحظات، ثم جاء الصوت ببطء:
- أكنت تتصور هذا ياهاري؟! أنا أجلس هنا ولدي مسؤولية. لم
تكن لتصدق هذا أبداً... أليس كذلك؟
أخذ هاري نفساً عميقاً، ورأى ظلاً ينزلق على الشرفة:
- لا ياتريسكو. لم أكن لأصدق ذلك. أيمكنك...؟
- لم تكن أنت ولا أويستن تظنان أنني سأرتقي لهذه المرتبة...
صحيح؟

- لا. لقد ارتكبنا خطأ فادحاً.

- ماذا عن قول من فضل...

صرخ هاري:

- أطفئ الكهرباء اللعينة.

ونفض على قدميه، وأخذ المرأة العجوز تحت ذراعه، وجرها إلى
الحمام وهمس:

- ابقني هنا.

ثم أغلق الباب وراءه، وركض إلى الباب الأمامي المفتوح متوجهاً إلى
الضوء، وهو يتسلل متجنباً الرصاصات.
ثم عم الظلام كل شيء.

كان الظلام دامساً لدرجة أنه جلس على البلاط وانحنى للأمام ظاناً
للحظة أنه قد مات قبل أن يدرك أن أسبجورن تريشو "تريسكو" قد أنزل
القاطع أو ضغط على الزر أو مهما كان الأمر في المحطة، وأن معه أربعين
ثانية.

ركض هاري وسط الظلام، وتعثر بالسور، وأحس بالأسفلت تحت
قدميه، ثم ركض ليرى صراخاً وصفارات تقترب، بالإضافة إلى هدير محرك
سيارة قوي. بقي هاري في الجانب الأيمن، حيث كان بإمكانه رؤية ما
يكفيه ليبقى على الطريق، فقد كان في جنوب منتزه فروغنز، ولديه فرصة
كبيرة بالهرب. مر أمام غابة وأشجار ومنازل مظلمة؛ إذ كانت المنطقة لا
تزال غارقة في الظلام. اقترب محرك السيارة، فانعطف يساراً إلى مرأب
السيارات عند ملاعب التنس. كاد يتعثر ببركة وحل في الحصى، لكنه تمكن
من تجنبها، ولم يجد شيئاً يعكس ما يكفي من النور سوى الخطوط
البيضاء على ملاعب التنس وراء سور الأسلاك. رأى هاري شبح نادي أوصلو
للتنس، فقفز من فوق الجدار أمام باب غرفة تبديل الملابس. وحين مر به
ضوء سيارتين انبطح أرضاً ودار على جانبه. وعلى الرغم من أن السقوط

كان بسيطاً لكنه شعر ببعض الدوار.
استلقى ساكناً كفأر يترقب.
لم يسمع شيئاً.
حدق في الليل المظلم.
ثم ومن دون أي سابق إنذار سطع نور قوي.
المصباح الخارجي تحت السقف... لقد عادت الكهرباء.
استلقى هاري لدقيقتين منصتاً لصفارات الشرطة، بينما مرت السيارات
على الطريق إلى جانب النادي... فرق البحث. لقد تمت محاصرة المنطقة،
وسيحضرون الكلاب عما قريب.
لا يمكنه الابتعاد لذا عليه اقتحام المبنى.
وقف ونظر من فوق حافة السور.
رأى الصندوق ذا الضوء الأحمر ولوحة المفاتيح إلى جانب الباب.
السنة التي ولد فيها الملك... الله أعلم متى كان ذلك.
تخيل صورة من مجلة، وجرب 1941 فصدر صوت طنين. وحين أدار
مقبض الباب وجده مقفلاً. انتظر... أم يولد الملك حين ذهبت العائلة إلى
لندن عام 1940؟ أم عام 1939؟ ربما قبل ذلك. خشي هاري أن تكون
لديه ثلاث محاولات فحسب قبل أن يقفل النظام... 1938. أمسك بالمقبض...
تباطأ... 1937؟ ضوء أخضر وفتح الباب.
دخل هاري وسمع الباب وراءه يقفل.
صمت... أمان.
أضاء النور.
غرفة ارتداء الملابس... مقاعد خشبية ضيقة... حجلات حديدية.
ولم يدرك مدى إرهاقه إلا حينها. يمكنه البقاء هنا حتى الفجر، إلى
حين يتوقف البحث. فتش غرفة ارتداء الملابس... مغسلة مع مرآة، وأربع
حجلات دش ومرحاض. فتح باباً خشبياً ثقيلاً في نهاية الغرفة.
- ساونا.
دخل وأغلق الباب وراءه... رائحة الخشب. استلقى على أحد المقاعد
العريضة عند الموقد البارد وأغمض عينيه.

كان هناك ثلاثة منهم يركضون في ممر وهم يمسكون بأيدي بعضهم، في حين صرخ هاري قائلاً لهم إن عليهم أن يتمسكوا جيداً حين تضربهم الكرة الثلجية لكي لا يتفرقوا. سمع صوت الكرة الثلجية القادمة من ورائهم أولاً بدمدمة ثم بهدير ثم وصلت... الظلام الأبيض... الفوضى السوداء. تشبث بكل ما أوتي من قوة، لكنه مع ذلك أحس بأيديهم تنزلق من يديه. استيقظ هاري مذعوراً، ونظر إلى ساعته فوجد أنه قد نام لثلاث ساعات. تنفس بعمق كما لو أنه كان يحبس أنفاسه منذ وقت. وأحس بجسده محطماً ومنهكاً، ورقبته تؤلمه، بالإضافة إلى صداع شديد كما لو أنه كان يتعرق. كان غارقاً في العرق، لدرجة أن بذلته كانت مليئة ببقع داكنة، ولم يكن بحاجة للالتفات لمعرفة السبب... الموقد... لقد أشعل أحد ما الساونا.

نهض على قدميه، وترنح إلى غرفة تبديل الملابس، حيث كانت هناك ملابس على المقاعد وسمع أصوات اصطدام الكرات بالمضارب في الخارج... لا بد أنهم سيريدون دخول الساونا بعد لعب التنس. توجه هاري إلى المغسلة، ونظر إلى نفسه في المرآة. عيان حمراوان، ووجه أحمر منتفخ، بالإضافة إلى العقد الفضي السخيف من الشريط اللاصق. بلل وجهه بالماء، وخرج إلى شمس الصباح. ثلاثة رجال... جميعهم متقاعدون ولديهم أقدام نحيلة توقفوا عن اللعب وحدقوا به، ثم عدل أحدهم نظارته.

- ينقصنا رجل للعب الزوجي أيها الشاب. أترغب ب...؟
- آسف، يدي تؤلمني.

أحس هاري بأعينهم تحديق بظهره وهو يمشي نحو سكوين. لا بد أن هناك حافلة قريبة.

نقر ترولس بيرنستن على باب رئيس الوحدة.

- ادخل!

كان بيلمان يقف واضعاً سماعة الهاتف على أذنه، وهو يبدو هادئاً، لكن ترولس كان يعرف مايكل جيداً... يده التي يضعها على شعره المصفف، وطريقته السريعة في الكلام، وتغضن جبينه. أنهى بيلمان المكالمة.

سأل ترولس وهو يناول بيلمان كوب قهوة يتصاعد منه البخار:

- أهو صباح مليء بالضغوط؟
- نظر رئيس الوحدة إلى الكوب بدهشة وتناوله.
- رئيس الشرطة. الصحف تنتقده بسبب تلك المرأة العجوز في طريق مادسيروود التي تم إطلاق النار على منزلها بشدة، وهو يريدني أن أفسر له ما حدث.
- بماذا أجبت؟
- أرسلت غرفة العمليات سيارة دورية وراء الحارس في مقبرة فيستر، وأخبرونا أنه كان هناك أشخاص ينبشون قبر غاستو هانسن، لكن الجناة كانوا قد هربوا حين وصلت السيارة، ثم بدأ إطلاق الرصاص على طريق مادسيروود. كان هناك أحد ما يطلق النار على أحد آخر اقتحم المنزل. المرأة العجوز في حالة صدمة، ولا تقول سوى أن الدخيل شاب مهذب بطول مترين ونصف المتر مع ندبة على وجهه.
- أتظن أن إطلاق الرصاص مرتبط بنبش القبر؟
- هز بيلمان رأسه:
- هناك تراب على أرض غرفة الجلوس أتي بالتأكيد من المقبرة. لذا، إن رئيس الشرطة يتساءل إن كانت للأمر صلة بالمخدرات، أو إن كان ما حصل استعراضاً آخر بين العصابات، وإن كان الوضع تحت السيطرة، ومثل هذه الأمور.
- توجه بيلمان إلى النافذة، وربت على طرف أنفه بإصبعه السبابة.
- سأل ترولس وهو يحتسي القهوة:
- ألهذا طلبت مني الحضور؟
- قال بيلمان وهو يدير ظهره لترولس:
- لا. كنت أتساءل حول الليلة التي وصلتنا فيها تلك المعلومة من مجهول عن أن عصابة لوس لوبوس بكاملها ستكون في مطعم ماكدونالدز. لم تكن حينها مشاركاً في الهجوم، أليس كذلك؟
- قال بيرنستن وهو يسعل:
- لا. لم أتمكن من الحضور، فقد كنت مريضاً تلك الليلة.
- مرضك الأخير نفسه، أليس كذلك؟
- ماذا؟
- استغرب بعض رجال الشرطة من أن باب نادي راكبي الدراجات لم يكن مقفلاً حين وصلوا، وتساءلوا عن كيفية تمكن توتو الذي كان أودين قد تركه للحراسة من الهرب. فلم يكن بإمكان معرفة أننا قادمون. أيمكنهم؟

- حسبما أعرف، لم يكن هناك سوانا.
- استمر بيلمان بالتحديق من النافذة وهو يتأرجح على كعبي قدميه، ويده وراء ظهره، وهو يتأرجح للأمام والوراء.
- مسح ترولس شفته العليا وهو يتمنى أن لا يكون العرق واضحاً:
- هل من شيء آخر؟
- استمر بيلمان بالتأرجح للأمام والخلف كصبي يحاول الرؤية من فوق شيء ما لكنه قصير جداً.
- هذا كل شيء ياترولس. شكراً... على القهوة.
- حين عاد ترولس إلى مكتبه توجه إلى النافذة، ورأى ما يجب أن يكون بيلمان قد رآه... المصق الأحمر المعلق على شجرة.

عند الساعة الثانية عشرة على الرصيف خارج شرودر، كان هناك أشخاص يقفون بانتظار ريتا.

حين رأت هاري قالت:

- أوووووه.
- استرخي. لا أريد أي شراب، وإنما وجبة فطور وخدمة.
- قالت ريتا وهي تفتح له الباب:
- أقصد رقبته... إنها زرقاء اللون... وما هذا؟
- شريط لاصق.

هزت ريتا رأسها، واتجهت لتأخذ الطلبات.

جلس هاري على الطاولة المعتادة في الزاوية إلى جانب النافذة، واتصل ببتى لون.

رد عليه البريد الصوتي فانتظر حتى صدر صوت الرنين.

- أنا هاري. لقد دخلت منزل سيدة عجوز، وقد تكون الشرطة تشك بي، لذا لا أريد الاقتراب من مركز الشرطة في هذه الفترة. سأترك كيسي عينات في شرودر. تعالي شخصياً واسألي عن ريتا. كما أن هناك خدمة أخرى أريد أن أطلبها منك. لقد بدأ بيلمان بجمع مجموعة من العناوين في بليندرن، وأريدك أن تحاولي بشكل سري قدر الإمكان الحصول عليها قبل أن يتم إرسالها إلى أورغكريم.

أنهى هاري الاتصال، واتصل براكيل ليرد عليه البريد الصوتي مجدداً.

- مرحباً، أنا هاري. أحتاج لبعض الملابس النظيفة المناسبة لي، فقد

كانت هناك بعض الملابس التي تركتها في منزلك منذ... منذ ذلك الحين. سأقوم بتدليل نفسي، وسأقيم في فندق بلازا. لذا، إن أمكنك إرسالها إلى هناك بسيارة أجرة حين تعودين إلى المنزل فسيكون ذلك... وجد نفسه يبحث تلقائياً عن كلمة قد تجعلها تبسم، لكنه فشل واستقر على "عظيماً".

أشار هاري إلى ريتا أن ذلك سيستمر بضع ثوانٍ فقط، بينما هزت هذه رأسها بتهذيب.

بدا هانز كريستيان مرتاحاً ومذعوراً:

- هاري! يا إلهي... هل كل شيء على ما يرام؟

- من مقياس من واحد لعشرة...

- نعم؟

- أسمعت عن إطلاق الرصاص على طريق مادسيرود.

- يا إلهي! أكنت أنت؟

- هل عندك سلاح يا هانز كريستيان؟

- ظن هاري أنه سمعه وهو يبتلع لعبه بصعوبة.

- هل أنا بحاجة لواحد يا هاري؟

- لا، لست بحاجة إليه، لكنني بحاجة إليه بالتأكيد.

- هاري...

- للدفاع عن النفس فقط.

صمت.

- لدي بندقية صيد قديمة ورثتها عن أبي لصيد الغزلان.

- تبدو جيدة. يمكنك لفها وإحضارها إلى شرودر خلال ثلاثة أرباع

الساعة؟

- سأحاول. ما... ماذا ستفعل؟

- سأتناول الفطور.

في طريقه إلى مقبرة غامليين، رأى ترولس بيرنستن سيارة ليموزين سوداء مركونة خارج البوابة التي كان يدخل منها عادة. وحين اقترب، فتح الباب ونزل رجل يرتدي بذلة سوداء ويتجاوز طوله المترين، مع فك عريض وملسة آسيوية كان ترولس دائماً يربطها بالروس والفنلنديين. لا بد أن السترة مفصلة تفصيلاً، ومع ذلك بدت ضيقة عند الكتفين.

تحرك جانباً، وأشار إلى ترولس بأن يأخذ مكانه على المقعد إلى جانب

السائق.

توقف ترولس. إن كان هؤلاء رجال دبي فإن هذا خرق غير متوقع لسرية التواصل. نظر حوله، لكنه لم ير أحداً عن قرب.

تردد.

إن كانوا قد قرروا التخلص من الحارق فسيقومون بالأمر بهذه الطريقة.

نظر إلى الرجل الضخم. كان من المستحيل قراءة أي شيء من تعابير وجهه، ولم يعرف ترولس إن كانت دلالة سيئة أو جيدة أن الرجل تكبد عناء وضع نظارة شمسية.

بالطبع يمكنه أن يستدير ويهرب... لكن، ماذا بعد؟

بعد أن جلس أغلق الباب وراءه مباشرة، ليجد أن المكان مظلم بشكل غريب... ربما بسبب النوافذ الداكنة. ولا بد أن تكييف الهواء ممتاز جداً، لدرجة أن الحرارة كانت تحت الصفر بعدة درجات. وكان يجلس على مقعد السائق رجل له وجه ذئب، يرتدي بذلة سوداء ولديه غرة مسطحة... ربما روسي.

قال صوت من وراء ترولس:

- من الرائع أنك أتيت.

لم يكن بحاجة للالتفات... اللكنة... إنه هو... دبي... الرجل الذي لا يعرفه أحد... لا يعرفه أحد آخر... لكن، ما الفائدة من معرفة اسم أو رؤية وجهه؟ كما أنك لا تعض اليد التي تساعدك.

- أريدك أن تقبض على أحد ما لأجلنا.

- أقبض عليه؟!

- أمسك به وسلمنا إياه. لست مضطراً لإكمال المهمة.

- قلت لكم إنني لا أعرف مكان أوليغ فوك.

- لا نريد أوليغ فوك يابيرستن، بل نريد هاري هول.

لم يصدق ترولس بيرستن أذنيه.

- هاري هول!

- ألا تعرف من هو؟

- بالطبع أعرف من هو. كان محققاً في فرقة مكافحة الجرائم... إنه

مجنون... ومدمن على الشراب... حل عدة قضايا. هل هو في المدينة؟

- إنه ينزل في فندق ليون، في الغرفة 301. اقبض عليه هناك في

تمام الساعة الثانية عشرة؛ في منتصف الليل.

- وكيف أقبض عليه؟
- اعتقله... اضربه... أخبره أنك تريد أن تريه قاربك... افعل ما يحلو لك... فقط أحضره إلى المرسى في كونجن، وسنقوم نحن بما تبقى. خمسون ألفاً.
- ما تبقى... إنه يتكلم عن قتل هاري هول... إنه يتكلم عن جريمة قتل... عن قتل شرطي.
- فتح ترولس فمه ليقول شيئاً، لكن الصوت الصادر عن الشخص الجالس على المقعد الخلفي كان أسرع.
- يورو.
- فتح ترولس بيرنستن فمه، بينما اختنقت كلمة "لا" بين دماغه وحباله الصوتية، وكرر الكلمات التي ظن أنه سمعها لكنه لم يكن يصدق أذنيه:
- خمسون ألف يورو؟!
- إذا؟
- نظر ترولس إلى ساعة يده، لديه أكثر من اثنتي عشرة ساعة... سعل.
- كيف تعرفون أنه سيكون في غرفته في منتصف الليل؟
- لأنه يعلم أننا قادمون.
- ماذا؟ أتقصد أنه لا يعلم أنكم قادمون؟
- ضحك الصوت من ورائه ضحكة بدت كصوت محرك قارب خشبي.

عند الساعة الرابعة، كان هاري واقفاً تحت الدش في الطابق الثامن عشر من فندق راديسون بلازا، وهو يدعو أن يتحمل الشريط اللاصق الماء الساخن؛ فهو على الأقل يخفف الألم لبعض الوقت. كان قد نزل في الغرفة 1937، وحين أخذ المفتاح جال شيء في ذهنه... إنها السنة التي ولد فيها الملك... كوسلتر... التزامن... وكل ذلك. لم يصدق ذلك، فهو لا يثق سوى بقدرة العقل البشري على إيجاد الأنماط حيث لا توجد أي أنماط. لهذا السبب كان دائماً محققاً مرتاباً يشك ويبحث ويشك ويبحث... فهو يرى أنماطاً، لكنه يشك فيها أو بالعكس.

سمع هاري رنين الهاتف. كان مسموعاً لكنه خفيض وبهيج... إنه صوت الهاتف في فندق باهظ التكلفة. أغلق الدش وتوجه إلى السرير ورفع السماعة.

قال موظف الاستقبال:

- هناك سيدة هنا... راكيل فوسك. آسف... فوك. تقول إن معها أغراضاً لك، وتريد أن تعطيك إياها.

- أعطها مفتاح المصعد، وأرسلها إلي في الأعلى.

نظر هاري إلى البذلة المعلقة في الخزانة، والتي تبدو وكأنها مرت بالحربين العالميتين. فتح الباب، ولف مترين من المناشف حول خصره، ثم جلس على السرير منصتاً حتى سمع صوت المصعد ثم صوت خطواتها التي لا يزال قادراً على تمييزها... إنها خطوات قصيرة وراسخة وسريعة كما لو أنها كانت ترتدي تنورة ضيقة. أغمض عينيه لثانية، وحين فتحهما وجدها واقفة أمامه.

- مرحباً.

وابتسمت وهي ترمي الأكياس على الأرض وترمي نفسها على السرير بجواره.

- ما هذا؟

وربتت على الشريط اللاصق بأصابعها.

- ضمادات. لست مضطرة للحضور شخصياً.

- أعرف، لكنني لم أستطع العثور على أي من ملابسك؛ لا بد أنها

فقدت عند انتقالي إلى أمستردام.

أو تم التخلص منها... فكر هاري... هذا عادل.

- ثم تكلمت مع هانز كريستيان؛ حيث إن لديه خزانة من الملابس التي لا يرتديها... صحيح أنها ليست من الطراز الذي تفضله، لكنكما متشابهان بمقاسيكما.

فتحت الأكياس، ونظر برعب وهي تخرج قميصاً من نوع لاكوست، وأربعة سراويل داخلية، وبنطال جينز أرمانى بثنية، وكنزة، وسترة من تيمبرلاند، وقميصين عليهما رسما لاعبي بولو، وزوجاً من الأحذية الجلدية البنية الملساء.

بدأت بتعليق الثياب في الخزانة، فنهض وعمل بدلاً منها، بينما راقبته من الجانب، وابتسمت وهي ترجع خصلة شعر وراء أذنها.

- لم تكن لتشتري أي ملابس جديدة حتى تهترئ تلك البذلة. أليس ذلك صحيحاً؟

قال هاري وهو يعمل:

- ربما.

لم تكن الملابس مألوفة، لكنها تحمل رائحة مألوفة خفيفة.

- أعترف أنني كنت أفكر بشراء قميص جديد وسراويل داخلية.

- أليس لديك أي سراويل داخلية نظيفة؟

- عرّفي كلمة نظيفة.

ضربته على كتفه ضاحكة:

- هاري!

ابتسم، بينما بقيت يدها على كتفه.

- أنت ساخن... حرارتك مرتفعة. هل أنت متأكد من أن ضماداتك

غير ملوثة؟

هز رأسه بالنفي، فقد كان يعرف جيداً من الألم النابض الخفيف أن الجرح قد التهاب. لكنه خلال سنوات خبرته في فرقة مكافحة الجرائم عرف شيئاً آخر أيضاً... أن رجال الشرطة قد قابلوا الآن نادل المقهى والزبائن في نيرفانا، وسيعرفون أن الرجل الذي قتل الرجل الذي يحمل السكين قد غادر المكان مليئاً بجروح بالغة في ذقنه ورقبته، وسيبلغون جميع الأطباء في المدينة ويقومون بمراقبة أقسام الطوارئ، ومن غير المناسب في هذا الوقت أن يتم اعتقاله.

ربتت على كتفه ورقبته نزولاً إلى صدره. فكر أنها ستكون قادرة على

تحسس نبض قلبه.

كان قد تمكن من فتح النافذة سنتيمتراً، إذ إنهم لا يريدون حصول

حالات انتحار في الفندق. ومن الطابق الثامن، كان من الممكن سماع أصوات الازدحام الصباحي، وأبواق السيارات، ومن مكان آخر- ربما من غرفة أخرى- أغنية صيفية متأخرة وغير مناسبة.

- أمتأكدة من أنك تريدين ذلك؟

قال ذلك من دون أن يحاول السعال لإخفاء خشونة صوته. كانا واقفين هناك... وهي تضع يداً على كتفه، وعيناها ثابتتان على عينيه كزوج يرقص التانغو بانسجام.

هزت رأسها.

ظلمة كونية كالحة في الظلمة التي تشدك. لم يكن قد لاحظ أنها رفعت قدمها وأغلقت الباب، لكنه سمعه يغلق برفق... كان ذلك كل شيء... صوت الفندق باهظ التكلفة... كقبلة.

وبينما كانا يتبادلان القبل، لم يكن يفكر سوى بالظلمة والرائحة... ظلمة شعرها وحاجبيها وعينيها، ورائحة العطر الذي لم يسألها عنه لكنه كان دائماً لها... في ملابسها... في خزانها... في ملابسها التي كانت تعلقها مع ملابسها في الخزانة التي أصبحت تعلق فيها ملابس الرجل الآخر... لا في منزله... ربما لم تكن حتى فكرته... ربما تكون قد أخذتها مباشرة من الخزانة وأحضرتها إليه. لكن هاري لم يقل شيئاً لأنه يعلم أنها مدينة له فحسب... إنها معه الآن... ولديه هذا أو لا شيء... لذا، قام بالأمر كما كان يفعل دائماً... من دون أن يتأثر بنفاد صبرها... قام بذلك ببطء؛ ليس لأن ذلك ما ظن أنها تريده، وإنما لأن ذلك ما أراده هو... لأنه يقترضها فحسب... وليس لديه سوى هذه الساعات القليلة.

وحين حدثت به بتلك التعابير المظلومة، استرجع كل تلك الليالي التي أمضيها معاً، وترقرقت الدموع في عينيه.

بعد ذلك تشاركا سيجارة.

- لم لا تريدين إخباري أنكما شريكان؟

سحب هاري نفساً من السيجارة، ثم ناولها إياها.

- لأننا لسنا كذلك. إنه شيء مؤقت... لا أعرف... لم أعد أعرف

شيئاً... ينبغي أن أبقى بعيدة عن كل شيء وعن الجميع.

- إنه رجل طيب.

- هذه هي الفكرة. أنا بحاجة لرجل طيب. ولكن، لم لا أرغب

برجل طيب؟ لماذا نحن غير منطقيين حين نعرف تماماً ما هو الأفضل لنا؟

- البشر مخلوقات منحرفة ومتضررة، وما من علاج لهم... وإنما

مجرد مسكنات.

اندست راكيل به:

- هذا ما أحبه فيك... التفاؤل الشديد.
- أعتقد أنه من واجبي نشر الأمل يا حبيبتي.
- هاري؟
- ممم.
- هل من طريق للرجوع؟ بالنسبة لنا؟
- أغمض هاري عينيه، وأنصت إلى ضربات القلب... قلبه وقلبها.
- لا للعودة... لا. لكن، إن كنت تظنين أنه لا يزال لديك مستقبل...

- أتعني ذلك؟

- هذه مجرد دردشة. أليس كذلك؟

- غبي.

قبلته على وجنته، وناولته السيارة، ثم نهضت وارتدت ملابسها.

- يمكنك البقاء في الطابق العلوي في منزلي.

- هذا أفضل حالياً.

- لا تنس أنني أحبك... لا تنس ذلك أبداً مهما حدث. أتعديني؟

هز رأسه، وأغمض عينيه، وسمع صوت إغلاق الباب للمرة الثانية، ثم

فتح عينيه ونظر إلى ساعته.

- هذا أفضل حالياً.

ماذا كان بوسعه أن يفعل سوى ذلك؟ أيعود إلى هولمنكولفن معها

ليتمكن دبي من تعقبه هناك، ومن جرّ راكيل إلى هذه المواجهة كما

فعل مع رجل الثلج؟ لأنه يمكنه توقع ذلك الآن... يمكنه رؤية أنه يتعقب

خطواته منذ اليوم الأول. كان إرسال دعوة إلى دبي عبر تجاره أمراً

سطحياً، فهم سيجدونه قبل أن يجدهم، وبعدها سيجدون أوليخ.

إذاً، الميزة الوحيدة التي لديه هي أن بإمكانه اختيار المكان... مسرح

الجريمة. وقد اختاره... ليس هنا في البلازا... إنه هنا لأخذ قسط من الراحة،

والنوم بضع ساعات، واستجماع قواه... المكان هو فندق ليون.

كان هاري قد فكر بالاتصال بهاغن أو بيلمان، وبأن يشرح لهما

الوضع، لكن ذلك لن يمنحهما أي خيار سوى اعتقاله. كما أن الأمر مجرد

مسألة وقت حتى تقوم الشرطة بمطابقة الأوصاف التي يقدمها نادل المقهى

في كفادراتورين والحارس في مقبرة فيستر والسيدة العجوز في طريق

مادسيروود... رجل بطول متر واثنين وتسعين سنتم، يرتدي بذلة من الكتان،
ولديه ندبة على جانب وجهه ورقبة وذقن مضمّدان... قريباً سيبدأون البحث
عن هاري هول... لذا فالأمر مستعجل.

نهض وفتح الخزانة.

ارتدى سروالاً داخلياً وقميصاً عليه لاعب بولو ثم سروالاً من أرمانى.
هز رأسه بامتعاض، ثم ارتدى بذلته بدلاً عنها.

ثم أخرج حقيبة التنس المرمية على رف القبعة. كان هانز كريستيان
قد ذكر أنها الوحيدة التي لديه وتتسع لبندقية.

رماها هاري على كتفه، وغادر مغلقاً الباب وراءه، ومصدراً صوت قبلة

ناعمة.

لا أعرف إن كان من الممكن القول كيف ينتقل العرش تماماً... متى تولى الفيولين السلطة وبدأ بالتحكم بنا بدلاً من العكس. كل شيء انعكس... العقد الذي حاولت التوصل إليه مع إيسن... الهجوم في ألبرو... كما أن أوليغ كان مكتئباً ويشكو من أن الحياة من دون إيرين لا طعم لها. بعد ثلاثة أسابيع، كنا نحقق نفسينا بأكثر مما نجنه، وكنا منتشدين أثناء العمل، وكنا نعلم أن الأمر مجرد مسألة وقت حتى ننهار. لقد بدأ الأمر روتينياً... كان الأمر روتينياً، وهذا ما كان عليه جوهر الأمر... إنه بسيط للغاية ومستحيل للغاية. أظن أن بإمكانني القول إنني لم أحب أي إنسان حُباً حقيقياً، لكنني عاشق متيم بالفيولين. فبينما كان أوليغ يستخدم الفيولين كدواء لتسكين ألم قلبه الجريح، كنت أستخدمه للغرض الذي يجب أن أستخدمه لأجله... لأشعر بالسعادة... السعادة البالغة. كان أفضل من الطعام والنوم... نعم، حتى إنه كان أفضل من التنفس.

ولهذا لم يحدث الأمر أي صدمة لدي حين أخذني أندريه في إحدى الأمسيات بعد تصفية الحساب جانباً، وقال إن الرجل العجوز قلق.
- أنا بخير.

وشرح لي أنني إن لم أستقم وأذهب للعمل بذهن صافٍ كل يوم من الآن فصاعداً فسيضطر العجوز لإرسالني إلى مركز إعادة تأهيل. ضحكت وقلت إنني لم أدرك أن لهذا العمل مزايا إضافية كالرعاية الصحية ومثل ذلك. هل سأحصل أنا وأوليغ على عناية سنوية ومرتب تقاعد أيضاً؟

- أوليغ لا.

رأيت في عينيه ما يقصده.

لم تكن لدي أي نية بالإقلاع عن هذه العادة، ولا حتى أوليغ. لذا، لم نكثرث للأمر، وانتشينا في المساء التالي لأقصى الحدود، وبعنا نصف بضاعتنا، ثم أخذنا ما تبقى، وسرقنا سيارة وقدناها إلى كريستيانساند حيث غنينا أغنية سيناترا "آي غات بلينتي أوف نوئينغ" التي كانت كلماتها تناسبنا تماماً؛ إذ لم تكن معنا حتى رخصة قيادة. في النهاية، بدأ أوليغ بالغناء أيضاً؛ لكن فقط ليطغى على صوتي وصوت سيناترا حسبما زعم. ضحكنا واحتسينا الشراب كما في الأيام الخوالي، ونزلنا في فندق إرنست الذي لم يكن مملأً كاسمه. لكننا حين سألنا موظف الاستقبال عن مكان

تجار المخدرات لم نتلق سوى نظرة فارغة. كان أوليغ قد أخبرني عن مهرجان المدينة الذي أفسده أحمق يتوق لأن يكون مرشداً روحياً، لذا استدعى فرقاً رائعة. وبينما كنا نجول في مساء مظلم في منطقة المشاة وجدنا واحداً... واحداً!

قلت:

ولكنه لم يرغب في الفيولين، فعدنا إلى غرفة الفندق، وأخذنا حقنة في منتصف الليل. لم تكن لدي أي فكرة عن السبب، لكننا تخطينا كل الحدود، ولم نفعل شيئاً سوى الشعور بالنشوة والغناء. وفي إحدى الليالي، استيقظت ووجدت أوليغ واقفاً بالقرب مني وهو يحمل كلباً لعيناً على ذراعه، وقال إنه استيقظ على صوت مكابح خارج النافذة، وحين نظر خارجاً وجد الكلب ممدداً في الشارع. كان صوت الكلب واهناً، ولم يبد بحال جيدة، وقد توصلت أنا وأوليغ إلى أن ظهره مكسور، وأنه مصاب بالجرب، بالإضافة إلى الكثير من التقرحات. كان المخلوق المسكين قد تعرض للضرب؛ إما من مالكة أو من كلاب أخرى. وكان هادئاً، وينظر إليّ بعينين بنيتين كما لو أنه واثق من أنني سأصلح ما فسد. لذا، حاولت وقدمت له الطعام والماء، وربت على رأسه وأنا أكلمه. قال أوليغ إن علينا أن نأخذه إلى طبيب بيطري، لكنني كنت أعرف ما سيفعلونه، لذا تركنا الكلب في غرفة الفندق، وعلقنا بطاقة "الرجاء عدم الإزعاج" على الباب، وتركناه مستلقياً على السرير، بينما تناوبنا على العناية به، والتحقق من أنه يتنفس. كانت حرارته ترتفع ونبضه يضعف، وفي اليوم الثالث منحه اسماً... روفوس. لم لا؟ من الجيد أن يكون لديك اسم.

قال أوليغ:

- إنه يعاني. سينومه الطبيب البيطري بحقنة من دون أن يشعر بأي ألم.

- لن يقوم أحد بحقن روفوس بمخدر رخيص. وأخرجت الحقنة.

- أجننت؟ تبلغ قيمة الفيولين ألفي كرونر.

ربما كان ذلك صحيحاً، ولكنني ساعدت رافوس على التخلص من ألمه بأسلوب راق.

أذكر أن رحلة العودة إلى الديار كانت غائمة، ولم يكن هناك سيناترا ولا أي أحد آخر يغني.

في أوصلو، كان أوليغ خائفاً بشأن ما قد يحدث، أما أنا فقد كنت

غير مبالٍ؛ كما لو أنني أعرف أن الرجل العجوز لن يلمسنا. كنا مدمنين غير مؤذيين في طريقنا إلى الهاوية... وكنا مفلسين وعاطلين عن العمل، وبعد قليل بدون فيولين. كان أوليخ قد وجد أن التعبير "مدمن على المخدرات" يعود لأكثر من مائة عام منذ أن قام أول مدمني الهيرويين بسرقة الخردوات المعدنية من المرفأ في فيلادلفيا وبيعها للحصول على مال لشراء المخدرات، وهذا ما كنت أفعله أنا وأوليخ؛ حيث كنا نتسلل إلى مواقع البناء عند المرفأ في بيورفيكا ونسرق كل ما تقع عليه أيدينا كالنحاس والمعدات. كنا نبيع النحاس لتاجر خردوات في كالباكين والمعدات لتجار من ليتوانيا.

لكن، مع ازدياد عدد الأشخاص الذين يقومون بذلك، تم رفع السور وزيادة عدد الحراس الليليين والإكثار من زيارات الشرطة، وهكذا اختفى المشترون. لذا، ظلت رغباتنا تجلدنا وكأننا عبيد على مدار الساعة، حتى خطرت ببالي فكرة رائعة... الحل النهائي.

بالطبع لم أذكر شيئاً لأوليخ.

أمضيت يوماً كاملاً في تحضير الكلام، ثم اتصلت بها.

كانت إيرين قد عادت للتو إلى البيت من التدريب، وبدأت سعيدة لسماع صوتي، فتكلمت من دون توقف لمدة ساعة، وحين أنهيت كانت تبكي.

في المساء التالي، توجهت إلى محطة أوصلو الرئيسة، ووقفت على المنصة حين وصل قطار تروندهايم.

كانت دموعها تسيل وهي تعانقني.

صغيرة... حنونة... ثمينة.

وكما قلت، لم أكن أحب أحداً قط، لكنني كنت قريباً من الحب

لأنني كدت أبكي حينها.

عبر الفتحة الضيقة لناذة الغرفة 301 سمع هاري صوت جرس دار العبادة يقرع معلناً الساعة الحادية عشرة في مكان ما من الظلام. كانت لذقته وحلقه اللذين يؤلمانه ميزة واحدة: أبقياه مستيقظاً. نهض من السرير، وجلس على كرسي، وأدار ظهره إلى الجدار بجانب الناذة ليواجه الباب بالبندقية في حضنه.

كان قد توقف في مكتب الاستقبال وطلب مصباحاً قوياً لاستبدال المصباح الذي تعطل في غرفته، ومطرقة ليدق بها بعض المسامير البارزة من عتبة الباب؛ حيث قال إنه سيصلحها بنفسه. بعد ذلك، غير المصباح الضعيف في الممر، واستخدم المطرقة لخلع عتبة الباب. أصبح بإمكانه من حيث يجلس أن يرى الظل في الفجوة تحت الباب حين يأتون.

أشعل هاري سيجارة أخرى، وتفحص البندقية، ثم أنهى علبة السجائر بينما أعلن جرس دار العبادة أن الساعة تشير إلى الثانية عشرة. رن الهاتف... كانت بتي هي المتصلة، وقد قالت إنها حصلت على نسخ من أربع قوائم أو خمس من سيارات الدوريات التي تمشط منطقة بليندرن.

- قامت آخر سيارة دورية للتو بتسليم لائحتها لأورغكريم.
- شكراً. هل حصلت على الكيسين من ريتا في شرودر؟
- نعم. وقد طلبت من الاختصاصيين تحليل العينتين، وقلت لهم إن الأمر ذو أولوية. إنهم يحللون الدم الآن.
صمت.

سأل هاري:

- و؟
- وماذا؟
- أعرف نبرة صوتك يابتي. هناك شيء آخر.
- يستغرق فحص الحمض النووي أكثر من بضع ساعات يا هاري،
وقد...

- وقد يستغرق أياماً حتى نحصل على النتيجة النهائية.

- نعم، لذا هو غير كامل حتى الآن.

- ماذا تقصدين بغير كامل؟

- سمع هاري صوت خطوات في الممر.
- حسناً. هناك احتمال بنسبة خمسة بالمائة على الأقل في أنه لا يوجد تطابق.
 - لقد حصلت على نتيجة حمض نووي مؤقت، ولديك تطابق حول تسجيل الحمض النووي. أليس كذلك؟
 - نستخدم الاختبارات غير الكاملة لنقول من يمكننا استبعاده.
 - مع من التطابق؟
 - لا أريد قول شيء حتى...
 - هيا.
 - لا. لكن، يمكنني أن أقول إنه ليس دم غاستو.
 - و؟
 - وليس دم أوليغ... جيد؟
 - جيد جداً.
 - ثم انتبه هاري فجأة إلى أنه كان حابساً أنفاسه.
 - ظل تحت الباب.
 - هاري؟

أنهى هاري المكاملة، وصوب البندقية إلى الباب منتظراً... ثلاث طرقات قصيرة. انتظر منصتاً لكن الظل لم يتحرك. مشى على رؤوس أصابعه إلى جانب الجدار نحو الباب، بعيداً عن أي خط نار ممكن، ووضع عينه على ثقب الرؤية في وسط الباب.

رأى ظهر الرجل.

كان يرتدي سترة قصيرة، حيث كان بإمكانه رؤية خصر السروال، بينما تدلت قطعة سوداء من القماش من جيبه الخلفي... قبعة ربما. لم يكن يضع حزاماً، بينما تدلت ذراعه على جانبيه. إن كان الرجل يحمل سلاحاً فإنه موجود في قراب على صدره أو على الجانب الداخلي من ساقه.

استدار الرجل إلى الباب وطرقه مرتين بقوة أكبر هذه المرة، بينما حبس هاري أنفاسه وهو يفحص الصورة المشوهة لوجهه... كانت مشوهة لكن فيها شيئاً لا يمكنه أن يخطئ به. وكان يحك ذقنه ببطاقة معلقة بربطته، كما يقوم أحياناً رجال الشرطة بحمل بطاقات تعريفهم الشخصية حين يكونون في طريقهم للقيام باعتقال. تبا! الشرطة أسرع من دبي.

تردد هاري. إن كانت لدى الرجل تعليمات بالقبض عليه فسيكون معه أيضاً مذكرة زرقاء ومذكرة تفتيش قد أظهرهما لموظف الاستقبال،

وسيكون قد حصل على مفتاح رئيس. فكر هاري، ثم عاد أدراجه على رؤوس أصابعه وأخفى البندقية وراء الخزانة، ثم عاد وفتح الباب وقال:

- ماذا تريد؟ ومن أنت؟

وهو يحدق في أرجاء الممر.

حدق الرجل به:

- يا لحالتك المزرية ياهول! أيمكنني الدخول؟

ورفع بطاقة التعريف الشخصية.

- ترولس بيرنستن. كنت تعمل مع بيلمان أليس كذلك؟

- ما زلت كذلك. إنه يرسل لك تحياته.

خطا هاري جانباً، وترك بيرنستن يدخل أولاً.

قال بيرنستن وهو ينظر في الأرجاء:

- دافئ.

- تفضل بالجلوس.

أشار هاري إلى السرير، بينما جلس هو على الكرسي إلى جانب

النافذة.

قال بيرنستن وهو يقدم علبة:

- أتريد علكة؟

- إنها تؤذي الأسنان. ماذا تريد؟

ابتسم بيرنستن، ثم لف العلكة ووضعها داخل فمه الشبيه بالدرج

وجلس.

كان ذهن هاري يسجل النبذة ولغة الجسد وحركة العينين والرائحة.

كان الرجل مسترخياً لكنه متوعد. راحة يد مفتوحة... لا حركات مفاجئة...

لكن عينيه تجمعان المعلومات وتقرآن الوضع وتحضران لشيء ما. كان هاري

قد ندم على إخفاء بندقيته، فعدم حيازته على رخصة هو أبسط مشاكله.

- الفكرة هي أننا وجدنا دماً على قميص غاستو في قضية نبش

قبر في مقبرة فيستر الليلة الماضية، وأظهر اختبار الحمض النووي أنه دمك.

شاهد هاري بيرنستن وهو يطوي الورقة الفضية التي كانت ملفوفة

حول العلكة. لقد تذكره الآن بشكل أفضل، فقد كانوا ينادونه بيفيس أي

صبي بيلمان... إنه غبي وذكي وخطير... فوريست غامب.

قال هاري:

- ليست لدي أدنى فكرة عما تتكلم.

- لا... يمكنني تخيل الأمر. ربما هناك خطأ في السجل؟ علي

- اصطحبك إلى مركز الشرطة لأخذ عينة جديدة من دمك.
- أنا أبحث عن فتاة تدعى إيرين هانسن.
 - أهي في مقبرة فيستر؟
 - إنها مختفية منذ الصيف. إنها أخت غاستو بالرعاية.
 - في كل الأحوال، عليك القدوم معي إلى...
 - إنها الفتاة في الوسط.
- وأخرج هاري صورة عائلة هانسن من جيب سترته وناولها ليرنستن.
- أنا بحاجة لبعض الوقت... ليس الكثير. بعد ذلك ستفهم سبب اضطراري للقيام بأمور كهذه. أعدك بالقدوم خلال ثمان وأربعين ساعة.
- قال ليرنستن وهو يتفحص الصورة:
- 48 ساعة... فيلم جيد... نولت والزنجي... مكمارفي؟
 - مارفي.
 - صحيح... لم أعد مضحكاً. أليس ذلك غريباً؟ يكون لديك شيء ثم تفقده فجأة. كيف تشعر تجاه ذلك ياهول؟
- نظر هاري إلى ترولس ليرنستن. لم يعد واثقاً بفورست غامب بعد الآن. رفع ليرنستن الصورة إلى الضوء وركز نظره.
- أتعرفت عليها؟
 - لا.
- أعاد له ليرنستن الصورة واستدار. من الواضح أنه من غير المرشح الجلوس على قطعة القماش في جيبه الخلفي لأنه نقلها بسرعة إلى جيب سترته.
- سنذهب إلى مركز الشرطة حيث سناقش ساعاتك الثماني والأربعين.
- كانت نبرته خفيفة... خفيفة جداً. كما أن هاري قد فكر جيداً. كانت بتي قد أولت اختبارات الحمض النووي الأولوية في وحدة علم الأمراض، لكنها لم تحصل بعد على نتائج نهائية، فكيف حصل ليرنستن على نتائج اختبار الدم الموجود على كفن غاستو؟ كما أن هناك أمراً آخر. لم يتمكن ليرنستن من نقل القطعة السوداء بسرعة كافية، ولم تكن قبعة، وإنما كانت قناعاً؛ من النوع الذي استخدم أثناء إعدام غاستو.
- ثم جاءت الفكرة التالية فوراً... الحارق.
- أم تكن الشرطة هي الأولى التي وصلت إلى مسرح الجريمة؟ أهو رجل دبي؟

فكر هاري في البندقية وراء الخزانة، لكن الأوان كان قد فات على الهروب الآن. في الممر سمع صوت خطوات تقترب. هناك شخصان، أحدهما ضخم للغاية لدرجة أن الألواح الأرضية كانت تصر. توقفت الخطوات خارج الباب، بينما وقع على الأرض ظل ساقين متباعدين تحت الشق. تمنى أن يكونا زميلين في الشرطة، وأن هذا اعتقال حقيقي، لكنه سمع الأرض تتألم. إنه رجل ضخم بحجم الشخص الذي كان يركض وراءه عبر منتزه فروغنز. - هيا.

نهض بيرنستن ووقف أمام هاري، وحك صدره داخل السترة بطريقة عادية.

- رحلة صغيرة... أنا وأنت.

قال هاري:

- يبدو أننا لسنا وحدنا. أرى أن لديك دعماً.

وهز رأسه إلى الظل تحت الباب ليظهر ظل آخر... ظل مستقيم ومستطيل. تبع ترولس نظراته حيث رآها هاري... كانت الدهشة الصادقة على وجهه... دهشة لا يمكن لترولس بيرنستن اصطناعها. ليسا رجُلَي بيرنستن. همس هاري:

- ابتعد عن الباب.

توقف بيرنستن عن مضغ العلكة ونظر إليه.

كان ترولس بيرنستن يحب وضع مسدس ستير في قراب على كتفه، حيث يبقى المسدس مسطحاً على صدره؛ مما يجعل من الصعب رؤيته حين تقف وجهاً لوجه مع شخص ما. وبما أنه يعرف أن هاري هول محقق محترف تدرب في مكتب التحقيقات الفيدرالي في شيكاغو أدرك أن هول سيلاحظ تلقائياً أي شيء كبير في المكان المعتاد. لم يكن ذلك لأن ترولس يظن أنه سيحتاج إلى استخدام المسدس وإنما كتدابير احتياطية. إن قاوم هاري فسيرا فقه للخارج مصوباً مسدس ستير سراً إلى ظهره، بعد أن يضع القناع لئلا يتمكن أي شهود محتملين من قول إنهم رأوه مع هول قبل اختفائه عن وجه الأرض. كانت سيارة ساب مركونة في شارع جانبي، حيث كان قد حطم مصباح الشارع لئلا يتمكن أحد من رؤية لوحة الرقم. خمسون ألف يورو. عليه أن يكون صبوراً ويضع لينة فوق الأخرى حتى يبني بيتاً في هوينهول مع إطلالة عليهما... عليها.

بدا هاري هول أصغر من العملاق الذي كان يذكره وأكثر قبحاً. فهو

شاحب وقبيح ومنتسخ ومنهك ومستسلم ومشوش. ستكون هذه المهمة أسهل مما كان يتصور. لذا حين همس هول أن عليه الابتعاد عن الباب كانت ردة فعل ترولس بيرنستن الأولى هي الغيظ. هل يحاول الرجل المراوغة بعد أن بدا كل شيء على ما يرام؟ لكن ردة فعله الثانية كانت أن هذا ما يفعله رجال الشرطة في المواقف الحرجة. لا تلوين... لا إثارة... مجرد وضوح بارد ومحيد، مع أقل فرصة ممكنة لسوء الفهم، وأكبر فرصة ممكنة للنجاة.

لذا قام ترولس بيرنستن من دون أي تفكير بالخطو جانباً. في تلك اللحظة، نسف الجزء العلوي من الباب إلى الغرفة. حين استدار بيرنستن توصل بحدسه إلى أن ماسورة المسدس قصيرة حتى قامت بمثل هذه التغطية الواسعة من هذا النطاق القصير. كانت يده قد أصبحت داخل سترته لتجد قراب الكتف في مكانه المعتاد. ولولا السترة لكان سحبه أسرع؛ لأن المقبض سيكون ناتئاً للخارج. سقط ترولس بيرنستن إلى الخلف على السرير محرراً المسدس، ثم مد ذراعه عندما أزيلت بقايا الباب بضربة قوية. سمع الزجاج يتحطم وراءه قبل أن يغرق كل شيء بصوت انفجار، وملأت الضجة أذنيه لتتبعها عاصفة ثلجية تملأ الغرفة.

في الممر، وقف ظل رجلين. رفع الرجل الطويل مسدسه بينما لامس رأسه إطار الباب... لا بد أن طوله يتجاوز المترين. أطلق ترولس النار، ثم أطلق ثانية وأحس بالتراجع الرائع، وحتى التأكد الرائع من أن هذا مؤكد، وتباً للعواقب. تأرجح الرجل الطويل وأبعد غرته عن وجهه، ثم خطا للوراء واختفى عن الأنظار، فحول ترولس مسدسه ونظرته ليجد الرجل الثاني واقفاً هناك من دون حراك بينما يتطاير حوله الريش الأبيض. نظر إليه ترولس لكنه لم يطلق النار... لقد رآه بوضوح أكبر الآن، بوجه كوجه الذئب كتلك الوجوه التي كان ترولس دائماً يربطها بالفنلنديين والروس.

رفع الرجل مسدسه بهدوء مثبتاً إصبعه على الزناد.

قال بالإنكليزية:

- اهدأ يا بيرنستن.

فزأر ترولس بيرنستن زئيراً طويلاً وعميقاً.

سقط هاري على الأرض.

كان قد أخفض رأسه وجثم، ثم تراجع بينما تناثرت الرصاصات فوق

رأسه إلى النافذة، وأحس بالإفريز ينحني قبل أن يذكر أنه كان زجاجاً ويستسلم.

ثم بدأ بسقوط حر.

توقف الزمن كما لو أنه كان يسقط عبر الماء، بينما عملت يداه وذراعاها كمجذافين؛ كمحاولة لإيقاف جسده عن الدوران، والحوول دون سقوطه على رأسه. وقفزت أفكار مختلفة في طيات دماغه. سينزل على رأسه ويكسر عنقه.

من حسن الحظ أنه ليست لديه أي ستائر.

كانت المرأة العارية في النافذة المقابلة تقف بالمقلوب.

ثم سقط على أشياء طرية... صناديق كرتونية فارغة، وصحف قديمة، وحفاضات مستخدمة، وعلب حليب، وخبز قديم من مطبخ الفندق، وأكواب قهوة مبللة.

استلقى على ظهره في المساحة المفتوحة وسط دش من الزجاج المتناثر. ظهر شعاع الضوء من النافذة فوقه كفلاش الكاميرا... فوهة اللهب. لكن الهدوء كان غريباً؛ كما لو أن الشعاع قد جاء من تلفاز تم كتم صوته. أحس بالشريط اللاصق حول عنقه يتمزق وبالدم يسيل، وللحظة واحدة، فكر بالبقاء في مكانه وإغماض عينيه والنوم. ثم أدرك أنه ينهض ويقفز فوق حافة الفوهة ويركض باتجاه البوابة في نهاية الساحة ويفتحها وهو يسمع زئيراً غاضباً وممطوطاً من النافذة، ثم وصل إلى الشارع، وزلّت قدمه على غطاء بالوعة، لكنه تمكن من البقاء على قدميه. رأى امرأة سوداء ترتدي سروال جينز ضيقاً، ابتسمت له، لكنها في ما بعد فكرت بالوضع وحولت نظرتها بعيداً.

انطلق هاري.

وقرر أن يركض هذه المرة؛ حتى لا يبقى أي مكان يركض إليه.

حتى ينتهي الأمر ويمسكوا به.

تمنى أن لا يطول الأمر.

في هذه الأثناء، سيقوم بما تفعله الفريسة الهاربة عادة: الركض ومحاولة الهرب والنجاة لبضع ساعات أخرى... لبضع دقائق أخرى... لبضع ثوانٍ أخرى.

وثب قلبه اعتراضاً، وبدأ بالضحك وهو يقطع الشارع أمام حافلة ليلية، وأكمل طريقه إلى مركز مدينة أوصلو.

كان هاري عالقاً في الداخل. وحين استيقظ، لاحظ على الجدار فوقه ملصقاً لجسم بشري وإلى جانبه شكل خشبي محفور بعناية لرجل ينزف، وبجواره حجرات طبية واحدة تلو الأخرى.

تقلب على الأريكة، وحاول أن يكمل من حيث توقف في اليوم السابق... حاول أن يرى الصورة. كانت هناك الكثير من النقاط، لكنه لم يتمكن من الربط بينها، كما أن تلك النقاط مجرد افتراضات.

الافتراض الأول: ترولس بيرنستن هو الحارق، فهو يشغل منصباً ممتازاً لخدمة دبي كموظف في أورغكريم.

الافتراض الثاني: التطابق الذي وجدته بتي في سجل الحمض النووي يعود لبيرنستن، ولهذا لم تقل شيئاً حتى تتأكد مائة بالمائة... لقد أشار الدم تحت أظافر غاستو إلى أنه يعود لواحد منهم. وإن كان ذلك صحيحاً فهذا يعني أن غاستو قد أنشب أظافره في ترولس بيرنستن يوم مقتله.

لكن، هنا جاء الجزء الغامض. إن كان بيرنستن يعمل لصالح دبي وتم توكيله مهمة القضاء على هاري فلماذا ظهر هذان الأخوان وحاولا قتلها معاً؟ إن كانا من أتباع دبي فكيف يقومان هما والحارق بمهاجمة بعضهم بهذا الشكل؟ أليسوا في الجانب نفسه؟ أهي مجرد عملية غير منسقة جيداً؟ ربما لم تكن منسقة لأن ترولس بيرنستن قد تصرف من تلقاء نفسه لمنع هاري من تسليم الدليل من قبر غاستو وفضحه؟
سمع صوت مفاتيح ثم فتح الباب.

زقزت مارتين:

- صباح الخير. كيف أصبحت؟

كذب هاري:

- أفضل.

ونظر إلى ساعة يده... السادسة صباحاً. رمى الغطاء عنه وأنزل ساقه إلى الأرض.

- مشفانا غير مخصص للإقامة خلال الليل. تمدد لأضع ضمادات جديدة حول عنقك.

- شكراً على إبقائي الليلة الماضية. لكن، كما قلت لك من قبل،

منحي مكاناً للاختباء فيه لا يخلو من المخاطر، لذا أظن أن علي الرحيل.

- تمدد!

نظر هاري إليها وتنهَّد ثم أطاعها. أغمض عينيهِ، وأنصت لمارتين وهي تفتح وتغلق الأدراج، وإلى طقطقة على الزجاج، وصوت أول الواصلين لتناول الفطور في مقهى واتش تاور في الطابق السفلي.

حين أزالَت مارتين الضمادة التي وضعتها في اليوم السابق استخدم هاري يده الأخرى للاتصال ببتي، لترد عليه رسالة صوتية تطلب منه أن يترك رسالة موجزة.

- أعرِف أن الدم يعود لمحقق في كريبوس. وحتى لو تم تأكيد ذلك في وحدة علم الأمراض عليك الانتظار قبل أن تخبري أحداً؛ فهذه المعلومة غير كافية وحدها للحصول على مذكرة اعتقال. وإن نبهناه الآن فإننا نخاطر بأن يحرق القضية بكاملها ويهرب. لذا، علينا اعتقاله بتهمة أخرى لنتمكن من العمل بسلام. وما لم أكن مخطئاً، إن هذا شريك أوليخ في اقتحام مكان راكبي الدراجات في أنابرو، وبإمكان أوليخ أن يشهد على ذلك. لذا أرغب أن ترسلي بالفاكس صورة ترولس بيرنستن الذي يعمل في أورغكريم الآن إلى مكتب هانز كريستيان سيمونسين وتطلبي منه أن يريها لأوليخ ليتعرف عليها.

أنهى هاري المكالمة، وأخذ نفساً عميقاً، وأحس به يأتي فجأة وبقوة لدرجة أنه شهق. استدار وأحس بمحتويات معدته تصعد للأعلى. سألته مارتين وهي تمرر قطعة القطن المبللة بالكحول على ذقنه ورقبته:

- أتؤمك؟

هز هاري رأسه بالنفي، وأشار إلى عبوة الكحول المفتوحة.

قالت مارتين وهي تغلق الغطاء:

- صحيح. ألن تتحسن أبداً؟

سألها هاري بصوت أجش:

- ماذا؟

لكنها لم تجب.

جالت عينا هاري في أرجاء المشفى ليجد لنفسه شيئاً يلهيه ويغير تركيز دماغه... أي شيء على الإطلاق. وجد الخاتم الذهبي الذي كانت قد خلعتة ووضعتة على الأريكة قبل أن تقوم بتضميد الجروح. كانت قد تزوجت من ريكارد منذ بضع سنوات الآن، وأصبح الخاتم مليئاً بالخدوش، ولم يعد جديداً ولامعاً كخاتم توركيلدسن في تيلينور. أحس هاري ببرودة مفاجئة، وبدأ رأسه يحكه... بالطبع قد يكون مجرد عرق.

سألها:

- أهو ذهب حقيقي؟
- بدأت مارتين بلف ضمادة جديدة:
- إنه خاتم الخطبة ياهاري.
- إذاً؟
- إذاً بالطبع هو ذهبي. مهما كنت فقيراً وبخيلاً فإنك لا تشتري خاتم خطبة غير ذهبي.
- هز هاري رأسه، بينما كان يشعر بالحكة تزداد أكثر فأكثر، وأحس بالشعر في مؤخر رقبته يقف، ثم قال:
- لقد اشتريت.
- ضحكت:
- في تلك الحالة، أنت الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي فعل ذلك ياهاري.
- حدق هاري بالخاتم:
- تباً، أنا الشخص الوحيد...
- لكن شعر رقبته لم يكن يخطئ أبداً.
- هيه... انتظر... لم أنته بعد!
- قال هاري وهو ينهض:
- لا بأس.
- على الأقل، ينبغي أن تحصل على بعض الثياب النظيفة. تفوح منك رائحة القمامة والعرق والدم.
- قال هاري وهو يخلق أزرار قميصه:
- كان المنغوليون يدهنون أجسادهم بفضلات الحيوانات قبل المعارك الكبيرة. إن كنت تريدين إعطائي شيئاً فيمكنك تقديم كوب قهوة...
- نظرت إليه باستسلام وخرجت من الباب، ثم نزلت السلم وهي تهز رأسها.
- أخرج هاري هاتفه المحمول بسرعة.
- ألو؟
- بدا صوت كلاوس توركيلدسن كصوت شبح، بينما صدرت أصوات أطفال يصرخون بالقرب منه.
- أنا هاري هول. إن أسديت لي هذه الخدمة فلن أزعجك مطلقاً بعد الآن ياتوركيلدسن. أريدك أن تتحقق لي من بعض المحطات وتعرف لي

جميع الأماكن التي زارها ترولس بيرنستن - العنوان في مانغلوود - في ليلة 12 يوليو.

- لا يمكننا تحديد ذلك بدقة حسب المتر المربع...
- أريد تحركاته دقيقة بدقيقة. أعرف كل هذه الأمور، لكن ابذل قصارى جهدك.

صمت.

- أهذا كل شيء؟

- لا.. هناك اسم آخر.

أغمض هاري عينيه وفكر، ثم تذكر أحرف لوحة الاسم على الباب في مشفى راديوم وتمتم في سرّه، ثم قال الاسم بصوت مرتفع وواضح عبر الهاتف.

- فهمت. وماذا تعنيه عبارة بعد الآن؟

- مطلقاً بعد الآن.

- حسناً. شيء آخر.

- ماذا؟

- سألت الشرطة عن رقمك البارحة لكننا لم نجد لك أي رقم.
- معي رقم صيني غير مسجل.

- يبدو أنهم مهتمون بملاحقتك. ما الذي يجري؟

- أمتأكد من أنك تريد أن تعرف يا توركيلدسن؟

صمت توركيلدسن ثم قال:

- لا. سأتصل بك حين أحصل على أي نتائج.

أنهى هاري المكالمة واستغرق في التفكير... إنه مطلوب من قبل الشرطة. وحتى لو لم يكن اسمه معهم فيإمكانهم القيام بعملية بسيطة والتحقق من مكالمات راكيل وعندها سيجدون رقم هاتف صينياً، وسيدلهم الهاتف على موقعه، لذا عليه التخلص منه.

حين عادت مارتين مع كوب من القهوة الساخنة، احتسى هاري رشفتين، ثم سألها إن كان بإمكانه أن يستعير هاتفها لبضعة أيام.

تفحصته بتلك النظرة المباشرة وقالت نعم في حال كان متأكداً مما يفعل.

هز هاري رأسه، وأخذ الهاتف الأحمر الصغير، ثم قبلها على وجنتها، وحمل قهوته إلى المقهى. كانت هناك خمس طاولات مشغولة، بينما تدفق المزيد من الأشخاص المبكرين. جلس هاري إلى طاولة فارغة، وكتب الأرقام

من هاتفه الصيني، ثم أرسل للأشخاص المهمين رسالة نصية قصيرة يخبرهم فيها برقمه المؤقت.

المدمنون على المخدرات غامضون كالأخرين لكن يمكن توقع أفعالهم في مجال واحد. لذا، حين ترك هاري هاتفه الصيني وسط الطاولة وتوجه إلى الحمام كان متأكداً من النتيجة. عند عودته كان الهاتف مختفياً، حيث سيذهب في رحلة ستتمكن الشرطة من ملاحقتها في المدينة عبر المحطات. خرج هاري ومشى عبر توينغاتا إلى غرونلاند.

كانت هناك سيارة شرطة تصعد التلة متجهة إليه، فأخفض رأسه فوراً، وأخرج هاتف مارتين المحمول وتظاهر بالحديث لتغطية معظم أجزاء وجهه. تجاوزته السيارة. عليه في الساعات القليلة القادمة أن يبقى متخفياً. لكن الأهم أنه يعرف شيئاً... يعرف من أين يبدأ.

استلقى ترولس بيرنستن متجمداً تحت طبقتين من أغصان الصنوبر. كان يشاهد الفيلم نفسه طوال الليل مرة تلو الأخرى. وجه الذئب الذي تراجع بحذر يكرر كلمة "اهدأ" كدعوة لعقد هدنة، وهما يشيران بمسدسيهما إلى بعضهما... وجه الذئب... سائق الليموزين خارج مقبرة غامليبين... رجل دبي. حين توقف ليمسك الشخص الضخم الذي أطلق ترولس النار عليه اضطر لخفض مسدسه، فأدرك هاري أن الرجل مستعد للمخاطرة بحياته لإنقاذ زميله. لا بد أن صاحب وجه الذئب كان جندياً سابقاً... شرطياً سابقاً... لا بد أن هناك شيئاً ما. صدر أنين من الرجل الضخم في تلك اللحظة... إنه حي، فأحس ترولس بالراحة وخيبة الأمل. لكنه ترك صاحب وجه الذئب يقوم بذلك، وتركه يسند الرجل ليقف على قدميه، وسمع صوت سيلان الدم من حذائه وهما يمشيان في الممر ثم يخرجان من الباب الخلفي. وما إن خرجا حتى وضع قناعه وركض عبر مكتب الاستقبال إلى السيارة وقادها مباشرة إلى هنا، من دون أن يجرؤ على الذهاب إلى البيت؛ لأن هذا المكان آمن وسري، حيث لا يمكن أن يراه أحد... إنه مكان لا يعرفه سواه، حيث كان يذهب حين يريد رؤيتها. كان المكان في مانغلوود في منطقة شهيرة للمشبي، لكن الأشخاص الذين يمشون كانوا يبقون على الطريق ولا يتسلقون إلى صخرته التي كانت محاطة بغابة كثيفة ومنخفضة.

كان منزل مايكل وأولا بيلمان يقف على الحافة المقابلة للصخرة؛ مما يوفر له إطلالة ممتازة على نافذة غرفة الجلوس حيث كان يشاهدها وهي

تجلس لأمسيات كثيرة على الأريكة بوجهها الجميل وجسدها الرائع الذي لم يتغير طوال السنين... لا تزال أولا الفتاة الأكثر جمالاً في مانغلوود. كان مايكل أحياناً هناك أيضاً، وقد شاهدهما يقبلان ويداعبان بعضهما، لكنهما يتوجهان دائماً إلى غرفة النوم قبل أن يحدث أي شيء آخر. لم يكن يعرف إن كان يريد رؤية المزيد لأنه يحب رؤيتها هناك بمفردها على الأريكة تحمل كتاباً وتضع ساقتها تحتها. كانت تلقي نظرة على النافذة بين الفينة والأخرى كما لو أنها تشعر أن أحداً ما يراقبها. وفي بعض الأحيان، كان يشعر بالإثارة لمجرد فكرة أنها قد تعرف... تعرف أنه هناك في مكان ما. لكن نافذة غرفة الجلوس الآن مظلمة. فقد انتقلا... لقد انتقلت، وليست هناك أي أماكن آمنة مطلة على المنزل الجديد. لقد تحقق من الأمر، كما أنه لم يعد متأكداً من أنه سيحتاج لواحد... سيحتاج لأي شيء... فهو رجل مشبوه.

لقد حاولوا التخلص منه... حاولوا أن يحرقوا الحارق... لكن، لماذا؟ لأنه يعرف الكثير؟ لكنه كان حارقاً أليس كذلك؟ يعرف بيرنستن الكثير... لا يمكنه أن يفهم... تبا! لم يعد السبب يهم وإنما يهم أن يبقى على قيد الحياة. كان يشعر بالبرد ومنتعباً لدرجة أن عظامه آلمته، لكنه لم يأبه للذهاب إلى المنزل حتى يظهر الضوء ويتحقق من أن المكان خالٍ. إن تمكن من دخول شقته فستكون لديه أسلحة كافية ليتحمل الحصار. كان عليه أن يطلق النار على كليهما حين سنحت له الفرصة، لكنهما إن حاولا ثانية فسيريان أنه ليس من السهل القضاء على ترولس بيرنستن.

نهض ترولس وأزال الأشواك عن ملابسه، وارتعش ثم ضرب صدره بذراعه ونظر إلى المنزل مجدداً. كان الفجر على وشك البزوغ حين بدأ بالتفكير بالنساء الأخريات اللاتي يشبهن أولاً؛ كتلك الفتاة السمراء في واتش تاور... مارتين. كان يظن أن بإمكانه الحصول عليها؛ فهي تعمل مع أناس خطرين وبإمكانه حمايتها، لكنها تجاهلته، ولم تكن لديه الجرأة للاقتراب منها وتلقي الرفض. كان من الأفضل الانتظار متأملاً، وتعذيب نفسه ورؤية التشجيع المحتمل حيث يراه الرجال الأقل ياساً كنوع من الود؛ إلى أن جاء ذلك اليوم حين سمع شخصاً يقول لها شيئاً وأدرك أنها حامل... ساقطة لعينة... جميعهن ساقطات... كتلك الفتاة التي استخدمها غاستو هانسن للمراقبة. ساقطة... ساقطة... ساقطة. إنه يكره أولئك النسوة، كما يكره الرجال الذين يعرفون كيف يجعلون أولئك النسوة يقعن في حبهم.

قفز للأعلى والأسفل وهو يفرك بذراعيه جسده، لكنه كان يعلم أنه

لن يستعيد حرارة جسمه.

كان هاري قد عاد إلى كفادراتورين ووجد مقعداً داخل مقهى بوستكافيه الذي يفتح قبل أربع ساعات من شرودر، واضطر للوقوف في طابور مع الزبائن الذين يريدون شراء الشراب حتى يتمكن من شراء شيء يتناوله على الفطور.

اتصل أولاً براكيل، وطلب منها التحقق من بريد أوليغ الإلكتروني.

قالت:

- هناك شيء من بيلمان يبدو كقائمة عناوين.
- حسناً. أرسله إلى بتي لون.
- وأعطها عنوان البريد الإلكتروني.
- ثم أرسل رسالة نصية إلى بتي يخبرها فيها أنه قد تم إرسال القائمة وأنهى فطوره. بعد ذلك، ذهب إلى غجاستغيفيري في ستورتورفيت. وما إن حصل على كوب من القهوة الممتازة حتى اتصلت بتي.
- لقد قارنت القوائم التي نسختها مباشرة من سيارات الدوريات بالقائمة التي أرسلتها. ما هذه القائمة؟
- إنها القائمة التي استلمها بيلمان وأرسلها لي. كنت أرغب بمعرفة إن كان قد حصل على تقرير صحيح أو معدل.
- فهمت. جميع العناوين التي وجدتها من قبل موجودة على القائمة التي لديكما أنت وبيلمان.
- ممم... أليست هناك سيارة دورية لم تحسلي على القائمة منها.
- ما الأمر يا هاري؟
- إنني أحاول أن أدع الحارق يساعدنا.
- يساعدنا بماذا؟
- بتحديد المنزل الذي يقيم فيه دبي.
- صمت.
- سأرى إن كان بإمكانني الحصول على القائمة الأخيرة.
- شكراً. أكلّمك لاحقاً.
- انتظر.
- ماذا؟
- أأست مهتماً بباقي اختبار الحمض النووي للدم تحت ظفر

غاستو؟

خلال الصيف كنت ملك أوصلو، فقد كان في حوزتي نصف كيلو من الفيولين مقابل إيرين؛ وقد بعت نصفه في الشارع. كان من المفترض أن يكون رأس المال الأولي لمشروع ضخم... شبكة جديدة تبعد الرجل العجوز عن الساحة. لكن في البداية ينبغي الاحتفال، لذا أنفقت قسماً بسيطاً من العائدات لشراء بذلة تتطابق مع الحذاء الذي حصلت عليه من إيزابيل سكوين، فبدوت كمليونير. لذا، إن أحداً من الموظفين لم يستغرب حين دخلت فندق غراند وطلبت جناحاً حيث بقينا هناك وارتدنا الحفلات على مدار اليوم. كنت أنا والصيف وأوصلو والنساء والشباب كالأيام الخوالي لكن مع جرعة مخدر أقوى، وحتى أوليخ كان مبتهجاً وعاد لسابق عهده لبعض الوقت. وقد تبين لي أن لدي أصدقاء أكثر مما كنت أذكر، وهكذا انتهت كمية المخدر بأسرع مما يمكنك تصوره، فطردونا من الغراند وتوجهنا إلى كريستيانا ثم إلى راديسن في ساحة هولبيرغز.

بالطبع، لا يمكن أن يستمر الأمر إلى الأبد، لكن فليكن ما يكون. مرة أو مرتين رأيت سيارة ليموزين سوداء واقفة على الطرف المقابل من الشارع حين أخرج من الفندق. لكن هناك الكثير من السيارات المشابهة، كما أن هذه السيارة لا تتحرك.

ثم جاء اليوم المحتوم حين نفذ المال مني، واضطرت لبيع المزيد من المخدر، فصنعت مخبأً في إحدى خزائن المكاتب في الطابق الأسفل داخل غطاء السقف ووراء مجموعة من الأسلاك الكهربائية. لكن، إما أنني أفشيت الأمر حين كنت منتشياً، أو أن أحداً ما رأيني وأنا أذهب إلى هناك؛ لأنني وجدت المخبأً خالياً ولم يعد معي أي مخزون.

وهكذا عدنا إلى نقطة الصفر مع عدم وجود أحد إلى جانبي. وحين الوقت لمغادرة الفندق وحقن أول جرعة في اليوم بعد أن أشتريها من الشارع. لكن، حين قمت بتسوية حساب الغرفة التي نزلنا فيها لأكثر من أسبوعين نقصني خمسة عشر ألفاً.

فقمت بالتصرف المنطقي الوحيد.
ركضت.

ركضت مباشرة عبر الردهة إلى الشارع، ثم عبر المنتزه باتجاه البحر لكن أحداً لم يلحقني.

ثم بدأت المشي إلى كفادراتورين للتسوق، لكنني لم أجد أي لاعبي

أرسلنا وإنا مجرد حمقى فارغى العيون يتجولون فى الأرجاء بحثاً عن بائعين. تكلمت مع واحد يريد أن يبيعني ميثامفيتامين، فأخبرني أنه لم يعد هناك أي فيولين في السوق منذ عدة أيام، فقد نفذ المخزون. لكن هناك شائعات حول قيام بعض التجار ببيع آخر مخزونهم من الفيولين مقابل خمسة آلاف كرونر للقطعة في بلاتا لكي يتمكنوا من شراء الكمية الأسبوعية من الهيرويين.

بالطبع، لم تكن معي خمسة آلاف، لذا عرفت أنني في مأزق وليس أمامي سوى ثلاثة بدائل: البيع أو التملق أو السرقة. أولاً البيع. لكن، ما الذي أملكه لأبيعه بعد أن بعت أختي بالرعاية؟ تذكرت. المسدس الموجود في غرفة التدريب. لا بد أن الباكستانيين سيدفعون خمسة آلاف مقابل مسدس يطلق وإبلاً من الرصاص. لذا، توجهت شمالاً متجاوزاً دار الأوبرا ومركز مدينة أوسلو لكن، لا بد أنه سرق إذ هناك قفل جديد على الباب، كما اختفت مكبرات الصوت ولم يتبق سوى الطبول. بحثت عن المسدس، لكن لا بد أنهم أخذوه معهم... لصوص.

ثم التملق. ركبت سيارة أجرة وطلبت من السائق التوجه غرباً إلى بليندرن. طلب السائق مني المال لحظة صعودي للسيارة مما يعني أنه يعرف الخدعة. وقد أخبرته أن يتوقف عند نهاية الطريق عند السكة الحديدية، ثم قفزت من السيارة وتفاديت السائق بالركض فوق جسر المشاة، وبعدها ركضت عبر فورسكينينغزباركين على الرغم من أن أحداً لم يلاحقني... ركضت لأنني كنت في عجلة من أمري... لماذا؟ لا أدري. فتحت البوابة، وركضت عبر الطريق الحصوي إلى المرأب، واسترقت النظر عبر الشق في الستارة المعدنية، فوجدت سيارة الليموزين هناك... عندها طرقت الباب الأمامي.

فتح أندريه وقال إن الرجل العجوز غير موجود، فأشرت إلى المنزل المجاور وراء حوض الماء وقلت إنه هناك؛ فالليموزين في المرأب. لكنه كرر أن القائد ليس في المنزل، فقلت له إنني بحاجة للمال، فقال لي إنه لا يمكنه مساعدتي وينبغي أن لا آتي إلى هنا ثانية. فقلت إنني بحاجة للفيولين لمرة واحدة فحسب، لكنه قال إنه لا يوجد أي فيولين حالياً؛ فهناك نقص ببعض المكونات وعلي الانتظار لبضعة أسابيع. عندها قلت له إنني سأموت حتى ذلك الحين؛ فأنا بحاجة إما للمال أو للفيولين.

كان أندريه على وشك إغلاق الباب لكنني أقحمت قدمي. قلت إنني إن لم أحصل عليه فسأخبر الناس بمكان إقامته.

نظر إلي أندريه.

وقال بلكنته المضحكة:

- أتحاول قتل نفسك؟ أتذكر بيسكن؟

أقحمت يدي وقلت إن رجال الشرطة سيدفعون مبالغ طائلة ليعرفوا المكان الذي يعيش فيه دبي ورجاله، والمزيد لمعرفة ما حدث لبيسكن. كما سيدفعون أكثر إن أخبرتهم عن الشرطي المتخفي الميت المرمي على أرض القبو.

هز أندريه رأسه ببطء.

لذا، قلت للوضع القوقازي بأسهول فشورت والتي أظن أنها تعني إهانة باللغة الروسية، وغادرت.

وشعرت بعينه تلاحقني طوال طريقي نحو البوابة.

لم تكن لدي أدنى فكرة لماذا تركني الرجل العجوز من دون أن يعاقبني على سرقة المخدرات كما فعلت أنا وأوليغ، لكنني كنت متأكداً من أنني لن أنجو بفعلتي هذه. إلا أنني لم أكرث؛ على الرغم من أنني كنت في حالة مزرية ولم أسمع سوى الصرخات النهمة لأوعيتي الدموية.

مشيت على الطريق وراء دار العبادة فيستر أكبر، ووقفت هناك أشاهد بعض السيدات العجائز اللاتي يأتين ويذهبن... أرامل متجهات إلى القبور... قبور أزواجهن وأبنائهن ويحملن حقائب مليئة بالنقود. لكنني لم أجرو... أنا اللص ووقفت ساكناً أتعرق خوفاً من نساء عجائز في الثمانين من عمرهن... كان ذلك كافياً لدفعك للبكاء.

كان ذلك يوم السبت، وكنت أفكر بأصدقائي الذين من الممكن أن يقرضوني المال، لكن الأمر لم يستغرق الكثير من الوقت... ما من أحد. ثم خطر لي في النهاية أن هناك من سيقرضني المال إن كان يعرف أن ذلك لمصلحته.

تسللت إلى حافلة، واتجهت شرقاً إلى الجانب الأيمن من النهر، ونزلت في مانغلوود.

هذه المرة وجدت ترولس بيرنستن في المنزل.

كان يقف عند الباب في الطابق الخامس عشر من المبنى، وسمعني أعطيه تقريباً الإنذار نفسه الذي أعطيته في بليندرنفين... إن لم يعطني خمسة آلاف فسأعلن أنه قتل توتو ودفن الجثة في ما بعد.

لكن بيرنستن كان هادئاً، ودعاني للدخول إلى شقته؛ إذ كان متأكداً من أننا سنصل إلى اتفاق ما.

لكن، كان في عينيه شيء لم أفهمه.

لذا، لم أتحرك، وقلت له إنه ليس هناك ما نناقشه... إما أن يدفع أو أشي به مقابل المال، فقال لي إن الشرطة لا تدفع للناس الذين يشون رجال الشرطة، ومع ذلك فسيدفع لي خمسة آلاف لنصبح صديقين. ثم قال إنه لا توجد معه نقود في المنزل، لذا سنركب سيارته المركونة في المرأب إلى جهاز صراف آلي.

فكرت بالأمر... كان الوضع مثيراً للريبة، لكن توقي كان يجثم على صدري ككابوس لعين، حيث قضى على أي أفكار منطقية. لذا، هزرت رأسي موافقاً على الرغم من أنني كنت أعلم أن ذلك لن يسير على ما يرام.

- إذًا، حصلت على النتائج النهائية... أليس كذلك؟

كان هاري يتفحص الجموع في المقهى من دون أن يجد أي شخص مثير للريبة، أو بدقة أكبر وجد الكثير من المثيرين للريبة لكن أحداً منهم لا يبدو أنه من الشرطة.

- نعم.

- أظن أنني أعرف من الذي خدشه غاستو.

- حقاً؟

كان صوت بتي مليئاً بالدهشة.

- نعم. الشخص الذي لديه سجل حمض نووي يكون عادةً مشتبهاً به، أو مجرمًا مدانًا، أو شرطياً قد لوث مسرح الجريمة. في حالتنا هذه هو شرطي، واسمه ترولس بيرنستن، ويعمل في أورغكريم.

- كيف عرفت أنه هو؟

- جمعت الأحداث مع بعضها.

- حسناً، لكنني أشك في أن تفكيرك سليم.

- شكراً.

- كما أنك مخطئ.

- ماذا؟

- الدم تحت أظافر غاستو لا يعود لشخص يدعى بيرنستن.

بينما كنت واقفاً عند باب ترولس بيرنستن حين دخل لإحضار مفاتيح سيارته نظرت إلى الأسفل... إلى حذائي الرائع فخطرت ببالي إيزابيل سكوين. لم تكن خطرة كبيرنستن، كما أنها تعشقني بجنون... أليس كذلك؟ ربما؟

إنها مجنونة بي، بل وأكثر.

لذا، قبل أن يعود بيرنستن قفزت سبع درجات دفعة واحدة، وضغطت على زر المصعد في كل طابق.

ركبت قطار الأنفاق المتجه إلى مركز مدينة أوسلو. في البداية، فكرت بالاتصال بها، ثم غيرت رأيي؛ إذ يمكنها التخلص مني عبر الهاتف. لكن، إن ذهبت إليها شخصياً مهدداً بقوة فلن تتمكن من فعل ذلك أبداً. اليوم هو السبت، مما يعني أنها في المنزل. لذا، استقلت عربة مجانية على خط أوستفولد بما أن الرحلة إلى ساحل ريغ تكلف مائة وأربعاً وأربعين، وأنا لا أملك هذا المبلغ، ثم مشيت من المحطة إلى المزرعة على الرغم من أن المسافة طويلة؛ وخاصة إن كانت السماء تمطر.

حين دخلت الباحة رأيت سيارتها ذات الدفع الرباعي التي يقودها الناس ليشقوا طريقهم في شوارع مركز المدينة. طرقت على باب المنزل، لكن أحداً لم يفتح، فناديت لكن الصدى تردد في الأرجاء من دون رد. من الممكن أن تكون قد ذهبت في رحلة على صهوة فرس، وهذا ممتاز، فأنا أعرف أين تخفي نقودها، والناس في الريف لا يقفلون أبوابهم. لذا، ضغطت على المقبض ووجدت الباب مفتوحاً.

كنت في طريقي إلى الأعلى إلى غرفة النوم حين وجدتها... ساقان طويلتان متباعدتان على السلم في رداء حمام.

- ماذا تفعل هنا ياغاستو؟

قلت مبتسماً:

- أردت أن أراك.

ردت ببرودة:

- أنت بحاجة لطبيب أسنان.

فهمت ما تقصده، فقد كان هناك نخر في أسناني لا يمكن لفرشاة الأسنان أن تصلحه.

كررت:

- ماذا تفعل هنا؟ المال؟

هذا كان أفضل ما في علاقتي مع إيزابيل، فقد كنا متشابهين، ولسنا بحاجة للتظاهر.

- خمسة آلاف.

- لن يجدي هذا نفعاً ياغاستو، فقد انتهينا من هذا الأمر. هل

أوصلك بالسيارة إلى المحطة؟

- ماذا؟ هيا يا إيزابيل... ماذا عن بعض المتعة؟
- صه!
- لم أحتج سوى لثانية لأفهم الوضع... لقد كنت بطيء الفهم ربما بسبب نهمي للمخدر. كانت تقف هناك في وضح النهار مرتدية رداء حمام ومتبرجة بالكامل.
- أنتنظرين أحداً؟
- لم تجب.
- أهو صديق جديد؟
- هذا ما يحدث حين تختفي ياغاستو.
- لقد عدت متشوقاً لك.
- وسحبته من خصرها إلي حيث أفقدتها توازنها.
- قالت وهي تقاوم:
- أنت مبلل.
- المطر يهطل.
- لكن، ما عذرك أنت؟
- ومددت يدي تحت رداء الحمام.
- وتفوح منك رائحة نتنة. دعني!
- رفعت يدي لأصفعها، لكنها أمسكت بها وأوقفتني... إنها قوية.
- اذهب الآن ياغاستو.
- أحسست بشيء في عيني. لو لم أكن أعرف نفسي لقلت إنها دموع.
- همست بصوت أجش:
- خمسة آلاف.
- لا... ستعود إلي في ما بعد... هذا صعب.
- صرخت:
- أيتها الرخيصة! لقد نسيت بعد النقاط الهامة. ادفعي أو سأذهب إلى الصحفيين وأخبرهم بقصتك كاملة. ولا أعني بذلك علاقتنا، وإنما حقيقة تنظيف أوسلو بكاملها من المخدرات، وما فعلته أنت والرجل العجوز. اشتراكيون زائفون... أموال المخدرات والسياسة في السرير نفسه. كم تظنين أن فيردنس غانغ ستدفع؟
- سمعت باب غرفة النوم يفتح.
- لو كنت مكانك لهربت.
- سمعت صرير الألواح الأرضية من الظلمة وراءها.

أردت الركض لكنني لم أتحرك.

اقترب.

أظن أن بإمكانني رؤية الخطوط على وجهه تضيء في الظلام... الصديق الجديد... النمر.

سعل، ثم خطا إلى النور.

كان أنيقاً للغاية.

قال هاري:

- من قلت؟

سعلت بتي وكررت:

- مايكل بيلمان.

- بيلمان؟!

- نعم.

- دم مايكل بيلمان تحت أظافر غاستو حين مات؟!

- هذا ما يبدو عليه الأمر.

اتكأ هاري إلى الخلف... لقد تغير كل شيء... أليس كذلك؟ ليست هناك ضرورة لأن يكون ذلك مرتبطاً بجريمة القتل، لكنه مرتبط بشيء ما... شيء لم يرغب بيلمان بالحديث عنه.

- ارحل.

لم يكن صوت بيلمان مرتفعاً؛ لأنه لا يحتاج لذلك.

- إذًا، ... أنتما الاثنان... أليس كذلك؟ ظننت أنه ترولس بيرنستن

الذي استأجرته. من الذكاء التوجه إلى القمة يا إيزابيل. ما الترتيبات؟ هل بيرنستن مجرد خادم عندك يا مايكل؟

أحسست بالمتعة وأنا أناديه باسمه... في الأصل، هكذا عرفنا عن نفسينا أمام بيته في ذلك اليوم... غاستو ومايكل... كصبيين أو صديقين محتملين. رأيت كيف يبدو الأمر حين تتوهج عيناه. كان بيلمان شبه عارٍ... ربما لذلك تخيلت أنه لن يهاجم. كان سريعاً للغاية حين قفز علي وأمسك برأسي.

- دعني!

سحبني إلى أعلى السلم، بينما حشر أنفي بين صدره وإبطه حيث

تمكنت من شمهما. هنا راودتني فكرة: إن كان يريد طردي فلماذا سحبني إلى أعلى السلم؟ لم أستطع تحرير نفسي، فغرزت أظفري في صدره، وسحبت يديّ كمخالب. شتمني وأفلت قبضته، فابتعدت وقفزت، حيث سقطت في منتصف السلم، لكنني تمكنت من البقاء على قدمي، وانطلقت عبر الصالة، ثم أخذت مفاتيح سيارتها وركضت إلى الباحة. وبالطبع، لم تكن السيارة مقفلة أيضاً. دارت العجلات على الحصى حين أفلت المقبض، وعلى المرأة رأيت مايكل بيلمان يخرج راكضاً، بينما لمع شيء في يده، ثم انطلقت العجلات، بينما عبرت السيارة الباحة وخرجت إلى الطريق.

قال هاري:

- بيلمان هو من أخذ ترولس بيرنستن معه إلى أورغكريم. هل من المعقول أن بيرنستن يقوم بعمل الحارق بأوامر من بيلمان؟
- أتدرك ما وصلنا إليه يا هاري؟
- نعم... ومن الآن فصاعداً لم تعد لك أي علاقة بالقضية يا بتي.
- تبا... حاول أن توقفني!
- لم يستطع هاري تذكر أن بتي لون قد شتمت من قبل.
- أنا أعمل في الشرطة يا هاري، ولا أريد لأشخاص كبيرنستن أن يجروها إلى الهاوية.
- حسناً. لكن، دعينا لا نتوصل إلى استنتاجات سريعة؛ فالدليل الوحيد المتوفر لدينا هو أن بيلمان قد التقى غاستو. ليس لدينا حتى أي شيء ملموس حول ترولس بيرنستن.
- ماذا ستفعل إذاً؟
- سأبدأ من مكان ما. وإن كان الأمر كما أتمناه فستتجمع القطع مع بعضها كقطع الدومينو. لكن المشكلة تكمن في البقاء حراً لفترة كافية للبدء بالخطة.
- أتقصد أن لديك خطة؟
- بالطبع لدي خطة.
- أهي خطة جيدة؟
- لم أقل ذلك.
- لكن هناك خطة، أليس كذلك؟
- بالطبع.
- أنت تكذب. أليس كذلك؟

- ليس تماماً.

كنت مسرعاً باتجاه أوسلو على الطريق إي 18 حين أدركت المأزق الذي وضعت نفسي فيه.

لقد حاول بيلمان أن يجبرني إلى الأعلى إلى غرفة النوم حيث لديه المهندس الذي طاردني به؛ مما يعني أنه مستعد لتصفيتي ليسكتني. هذا يعني أنه غارق في الفساد حتى أذنيه. ما الذي سيفعله الآن؟ بالطبع، سيعتقلني بتهمة سرقة سيارة والاتجار بالمخدرات وعدم دفع فاتورة الفندق، وسيضعني وراء القضبان قبل أن أتمكن من إفشاء الأمر لأحد. وما إن يتم سجنني فإنه ما من شك في أنهم سيجعلون الأمر يبدو كما لو أنه انتحار، أو كما لو أن سجيناً آخر قد اعتدى علي. لذا، كان أغبى شيء أفعله هو التجول بهذه السيارة الموضوعة على رادار الشرطة. كان المكان الذي سأذهب إليه في الطرف الشرقي من المدينة، ويمكنني تجنب الذهاب عبر مركز المدينة. لذا، قدت السيارة صعوداً على التلة، وتوجهت إلى المناطق السكنية الهادئة، حيث ركنت السيارة بعيداً وبدأت المشي.

كانت الشمس قد ظهرت مجدداً، والناس يتجولون في الأرجاء، ويدفعون عربات الأطفال، ويضعون الحقائب على مقابض العربات وهم يتسمون للشمس؛ كما لو كانت هذه هي السعادة بذاتها.

رمى المفاتيح إلى حديقة، وتوجهت إلى الشقق.

وجدت الاسم على جرس الباب فضغطت عليه.

حين أجاب أخيراً قلت:

- هذا أنا.

قال الصوت عبر جهاز الاتصال:

- أنا مشغول.

- وأنا مدمن مخدرات.

كنت أقصد الأمر كدعابة، لكنني أحسست بتأثير الكلمات. كان أوليغ يظن أن الأمر مضحك حين كنت أسأل مشتري المخدرات إن كانوا يعانون من الإدمان على المخدرات ويريدون بعض الفيولين.

سأل الصوت:

- ماذا تريد؟

لقد أصبح طابور مشتري المخدرات أنا.

صمت.

- ليس لدي أي شيء. لقد نفذ مني؛ إذ لم تعد هناك أي مادة أولية لصنع المزيد.
- مادة أولية؟
- ليفورفانول. أتريد الصيغة أيضاً؟
- كنت أعرف أنها الحقيقة. لكن، لا بد أن لديه القليل... لا بد من ذلك. لم يكن بإمكانني التوجه إلى غرفة التدريب لأنهم سيكونون بانتظاري. أوليغ... أوليغ طيب القلب سيستقبلني.
- معك ساعتان يا إيسن. إن لم تأت إلى بوابة هوسمنز محضراً معك أربعة أرباع فسأتوجه مباشرة إلى الشرطة وأخبرهم بكل شيء. لم يعد عندي ما أخسره بعد الآن... أتفهم؟ بوابة هوسمنز 92، ادخل مباشرة وتوجه إلى الطابق الثاني.
- حاولت تخيل وجهه المذعور والمتعرق... المنحرف الكهل المسكين.
- أجاب:
- حسناً.
- هكذا يتم الأمر. ليس عليك سوى أن تجعلهم يفهمون خطورة الوضع.
- كان هاري يرتشف بقية قهوته ويحدق في الشارع... حان وقت المضي قدماً.
- في طريقه عبر يونغستورغيت إلى محل الكباب في تورغاتا تلقى مكالمة هاتفية.
- كان كلاوس توركيلدسن.
- أخبار جيدة.
- حقاً؟
- في الفترة التي طلبتها تم تسجيل هاتف ترولس بيرنستن في أربع محطات إرسال في مركز مدينة أوسلو؛ مما يشير إلى أنه كان في منطقة بوابة هوسمنز 92.
- ما مدى مساحة المنطقة التي نتكلم عنها؟
- ممم... إنها مساحة بيضاوية يبلغ قطرها ثمانمائة متر.
- قال هاري وهو يفكر في المعلومات:
- حسناً. ماذا عن الشخص الآخر؟
- لم أستطع أن أجد أي شيء باسمه بالضبط، لكن معه هاتف شركة مسجلاً في مشفى راديوم.

- و؟
- وكما قلت... هناك أخبار جيدة. كان ذلك الهاتف المحمول في المنطقة نفسها، والوقت نفسه.
- دخل هاري عبر باب، وتجاوز ثلاث طاولات مشغولة، ثم وقف أمام منضدة وضعت عليها مجموعة من الكباب البهيج بشكل غير طبيعي.
- أمعك عنوانه؟
- قرأ كلاوس توركيلدسن العنوان بصوت مرتفع، بينما كتبه هاري على منديله.
- أليديك رقم آخر لذلك العنوان؟
- ماذا تقصد؟
- كنت أتساءل إن كانت لديه زوجة أو شريك.
- سمع هاري توركيلدسن ينقر على لوحة المفاتيح، ثم جاءه الجواب:
- لا. ما من أحد آخر في ذلك العنوان.
- شكراً.
- هل توصلنا إلى اتفاق إذاً؟ لن نتكلم مع بعضنا مجدداً، أليس كذلك؟
- نعم، باستثناء أمر آخر. أريدك أن تتحقق لي من مايكل بيلمان. مع من تكلم خلال الأشهر الماضية، وأين كان في وقت الجريمة. ضحكة مدوية:
- رئيس أورغكريم؟! انس الأمر. يمكنني إخفاء أو تبرير أي بحث عن شرطي عادي، لكن ما تطلبه سيتسبب بطردي مباشرة.
- المزيد من الضحك؛ كما لو أنّ الفكرة كانت دعابة.
- أتوقع منك أن تلتزم باتفاقنا ياهول. قطع الخط.
- حين وصلت سيارة الأجرة إلى العنوان على المدون المنديل، كان هناك رجل ينتظر في الخارج.
- ترحل هاري وتوجه إليه:
- أولاً كفيرنبرغ البواب؟
- هز الرجل رأسه.
- أنا المفتش هول الذي اتصلت بك.
- رأى البواب يختلس النظر إلى سيارة الأجرة التي تنتظره.

- نستخدم سيارات الأجرة حين لا تتوفر أي سيارة دورية.
تفحص كفيرنبرغ بطاقة التعريف الشخصية التي أمسكها الرجل أمامه
وقال:

- لم أر أي دلائل على الاقتحام.
- لكن أحداً ما اتصل بي. لذا، دعنا نتحقق. معك المفتاح الرئيس،
أليس كذلك؟
هز كفيرنبرغ رأسه، وفتح الباب الرئيس، بينما تفحص الشرطي الأسماء
على الجرس:

- لقد أكد الشاهد أنه رأى أحداً يتسلق الشرفات ويدخل الطابق
الثاني.

سأل البواب في طريقه إلى الأعلى:

- من الذي اتصل؟
- المسألة سرية يا كفيرنبرغ.
- هناك شيء على سروالك.
- صلصة كباب. كنت أفكر في تنظيفه. يمكنك فتح الباب؟
- الصيدلاني؟
- أوه... أهذا عمله؟
- إنه يعمل في مشفى راديوم. ألا ينبغي أن نتصل به في العمل
قبل أن ندخل؟
- أفضل أن أرى إن كان هناك لص هنا لنتمكن من القبض عليه
إن كنت لا تمانع؟

تمتم البواب معتذراً، وأسرع في فتح الباب.

دخل هول الشقة.

كان من الواضح أن رجلاً أعزب يعيش هنا، لكنه أعزب مرتب.
أسطوانات مضغوطة كلاسيكية على الرف بالترتيب الأبجدي، ومجلات علمية
حول الكيمياء والصيدلة مكدسة بشكل مرتب، وعلى أحد رفوف الكتب
كانت هناك صورة لشخصين بالغين وصبي سرعان ما تعرف عليه هاري.
كان يميل قليلاً لأحد الجانبين بتعابير جادة، ولم يكن يتجاوز الثانية عشرة
أو الثالثة عشرة من العمر. وقف البواب عند الباب الأمامي وهو يشاهد
بحذر. لذا، تحقق هاري من باب الشرفة قبل أن يتجه من غرفة لأخرى
ويفتح الأدراج والخزائن، لكنه لم يجد أي شيء يثير الريبة.

لكن هاري كان قد رأى ذلك من قبل؛ فبعض الناس ليس لديهم أي

أسرار. لم يكن الأمر شائعاً لكنه يحدث أحياناً. سمع البواب يتحرك عند باب غرفة النوم من ورائه.

قال هاري وهو يمشي متجاوزاً إياه نحو الباب:

- ما من دلائل على الاقتحام أو السرقة... ربما يكون بلاغاً كاذباً.

قال البواب وهو يقفل الباب وراءه:

- رأيت. ماذا كنت ستفعل لو كان هناك لص؟ أستأخذه في سيارة الأجرة؟

ابتسم هاري وهو يتفحص الأحذية على المنصب إلى جانب الباب:

- كنا سنتصل بسيارة دورية. أليست هذه الأحذية من مقاسات مختلفة؟

فرك كفيرنبرغ ذقنه وهو يتفحص هاري:

- نعم ربما. إنه أعرج. أيمكنني إلقاء نظرة أخرى على بطاقة

تعريفك الشخصية؟

ناول هاري البطاقة.

- تاريخ الانتهاء...

قال هاري وهو ينتزع البطاقة من يده وينزل على السلم هرولة:

- شكراً على المساعدة يا كفيرنبرغ.

توجهت إلى بوابة هوسمنز، وبالطبع لم يكن هناك أحد قد أصلح الأقفال. لذا، صعدت مباشرة إلى الشقة، لكن أوليغ لم يكن هناك ولا أي أحد آخر. كانوا في الخارج مجهدين يحاولون الحصول على جرعة... بضعة مدمنين يعيشون معاً... هذا ما بدا عليه المكان. لكن بالطبع لم يكن هناك أي شيء... مجرد زجاجات فارغة، وحقن مستخدمة، وقطن ملطخ بالدم، وعلب سجائر فارغة، وأرضية محترقة. وبينما كنت جالساً على فرشاة قذرة أشتم رأيت الفأرة. حين يصف الناس الفئران فإنهم يقولون دائماً فأرة ضخمة، لكن الفئران ليست ضخمة وإنما صغيرة جداً لكن ذيلها طويل جداً... حسناً... إن أحست بالتهديد ووقفت على قوائمها الخلفية فإنها تبدو أكبر مما هي عليه. وباستثناء ذلك، إنها مجرد مخلوقات مسكينة تتوتر مثلنا... أحتاج لجرعة.

سمعت جرس دار العبادة فقلت لنفسي إن إبسن في طريقه إلى هنا.

ينبغي أن يأتي... تبا! أحسست بالسوء... كنت أراهم يقفون وينتظرون

حين كنت أعمل، وأشعر بالسعادة لرؤيتهم يرتعشون ممسكين بنقودهم

كشحاذين سيئين. أما الآن، فأنا هنا أتوق لسماع صوت خطوات إبسن

العرجاء على السلم ورؤية مسحوقه الغبي.
كنت ألعب أوراقى كأحمق؛ فقد كنت أريد جرعة ولا شيء آخر.
وكل ما حققته هو أنني عاديتهم جميعاً... الرجل العجوز ورجاله، وترولس
بيرنستن بعينيه المجنونتين والنفاذتين، والمملكة إيزابيل، والشرطي عشيقها.
خربشت الفأرة على لوح التزلج. وبسبب اليأس الشديد بحثت تحت
الفرشات والسجاد حيث وجدت تحت إحدى الوسائد صورة وقطعة سلك
فولاذي. كانت الصورة صورة جواز سفر باهتة ومجعدة لإيرين، لذا خمنت
أنها فرشة أوليغ، لكنني لم أستطع فهم الغرض من السلك حتى اتضح لي
الأمر ببطء، وأحسست براحتي يدي تتعرقان وقلبي يدق بسرعة، فقد قمت
سابقاً بتعليم أوليغ كيف يصنع مخبأ لنفسه.

شق هانز كريستيان سيمونسين طريقه بين السياح صاعداً المنحدر الرخامي الإيطالي الأبيض الذي جعل دار الأوبرا تبدو كجبل جليدي عائم في نهاية المجرى المائي. وعندما وصل إلى السقف نظر حوله، فعثر على هاري هول جالساً على الجدار وحيداً، في حين تحركت حشود السائحين متجهة نحو الجانب الآخر لتستمتع بمنظر المجرى المائي. لكن هاري جلس وهو يحدق في الجزء القديم البشع من البلدة.

جلس هانز كريستيان بجواره.

- هـ. ك.

قال هاري ذلك من دون أن يرفع نظره عن الكتيب الذي كان يقرأه.

- هل تعلم أن هذا الرخام يسمى رخام كارارا وأن دار الأوبرا تكلف كل نروجي أكثر من ألفي كرونر؟

- نعم.

- هل تعرف أي شيء عن دون جيوفاني؟

- كتبها موزارت من فصلين... عن شاب متعجرف يعتقد أنه هبة للنساء، ويخدع الجميع ويدفعهم لكرهية أنفسهم. لكن تمثالاً غامضاً سلبه حياته في النهاية حين انشقت الأرض وابتلعتها معاً.

- ممم... سيقام العرض الأول لإنتاج حديث للمسرحية خلال أيام. دون في الكتيب أن الجوقة ستغني في المشهد الأخير "هكذا تكون نهاية فاعل الشر ووفاته، فموت العاصي يعكس دوماً حياته". هل تعتقد ذلك يا هـ. ك؟

- لا. بل أنا واثق من عدم صحته.

- ممم... هل تعلم أن المياه جرفت شرطياً هنا؟

- نعم.

- أهناك ما لا تعلمه؟

- من أطلق النار على غاستو هانسن.

أجاب هاري وهو يضع الكتيب جانباً:

- آه... التمثال الغامض. أتريد أن تعرف هويته؟

- ألا تريد ذلك؟

- ليس بالضرورة. ما يهمني إثباته هو من لم يرتكب ذلك... أي أن

أوليغ لم يقم بذلك.

قال هانز كريستيان متفحّصاً هاري:

- أوافقك الرأي، لكن ما سمعته منك لا يتوافق مع ما سمعته عن هاري هول.

- إذًا، ربما يكون بإمكان الناس أن يتغيروا.

ابتسم هاري بسرعة وأضاف:

- هل تابعت تطورات التحقيق مع صديقك محامي الشرطة؟

- لم يعلنوا اسمك بعد، لكنهم أرسلوه إلى جميع المطارات ووحدات

مراقبة الحدود؛ أي إن جواز سفرك أصبح غير ذي قيمة.

- ها قد تبخرت فرصة رحلة ميورقة.

- لم تلاقيني هنا في أشهر موقع سياحي في أوصلو مع علمك بأنك

مطلوب لدى السلطات؟

- منطوق مجرب لدى العامة ياهانز كريستيان... السير وسط الزحام

أكثر أماناً.

- ظننت أنك تعتبر الوحدة أكثر أماناً.

أخرج هاري علبة سجائره وهزها ورفعها.

- هل أخبرتك راكيل بذلك؟

أوماً هانز كريستيان برأسه وتناول سيجارةً.

سأل هاري عابساً:

- كم مضى عليكما من الوقت وأنتما معاً؟

- مدة من الزمن. أتشعر بالألم؟

- حلقي؟ قد يكون التهاباً بسيطاً.

أشعل هاري سيجارة هانز كريستيان.

- أنت تحبها. أليس كذلك؟

أخذ المحامي نفساً بطريقة أوحث لهاري أنه لم يدخن منذ حفلات

أيام الدراسة على الأغلب.

- نعم، أحبها.

هز هاري رأسه فتابع كريستيان:

- لكنك كنت حاضراً دائماً.

قال هانز كريستيان ذلك وهو يدخن سيجارته مستدركاً:

- في الظلال... في الخزانة... تحت السرير.

- كأنك تصف شبحاً.

رد هانز كريستيان:

- يبدو كذلك. حاولت إبعادها عنك لكنني فشلت.
- لست بحاجة لأن تدخن السيارة كاملة يا هانز كريستيان.
- رمى المحامي السيارة.
- شكراً لك. ماذا تريد هذه المرة؟
- عملية سطو.

استقلا السيارة بعد هبوط الظلام مباشرةً.

أخذ هانز كريستيان هاري بسيارته من بوكا في غرانلوكا.
علق هاري.

- سيارة جميلة، سيارة عائلية.

أجاب كريستيان هانز:

- كان لدي كلب نروجي من فصيلة إلكهوند يلقب "صائد الأطباء"،
وهو يحتاج لمكان في السيارة كما تعرف.
أوماً هاري:

- حياة رغيدة.

- داسه ظبي حتى الموت. واسيت نفسي بأن هذه هي الطريقة
المثلى لموت صائد الأطباء... أن يموت خلال تأدية الخدمة كما يقال.
هز هاري رأسه. توجهها بالسيارة إلى ريبن، وتسلا عبر المنعطفات إلى
أفضل موقع بإطلالة على أوسلو في الشرق.
- إنه هناك تماماً.

قال هاري مشيراً إلى منزل غير مضاء.

- اركن السيارة في زاوية تسمح للأضواء الأمامية بأن تنعكس على
النوافذ.

- هل علي...؟

أجابه هاري:

- لا. انتظر هنا واترك هاتفك مفتوحاً، وفي حال جاء أي أحد
اتصل بي.

أخذ هاري رافعة معه، وسار عبر الطريق المفروش بالحصى نحو
المنزل. هواء الخريف الليلي اللاسع ورائحة التفاح. اجتاحتته ذكرى تسله
هو وأويستن يوماً إلى الحديقة، حيث وقف تريسكو للمراقبة بجانب
السياج، وفجأة قفز من تحت جناح الظلام جسم يرتدي تاج الريش الهندي

ويصرخ كحيوان مقزز.

رن الجرس.

انتظر.

لم يأت أحد.

ورغم ذلك، اعتري هاري شعور بوجود أحد في المنزل. أدخل الرافعة في الشق بجانب القفل ونزل عليها بثقله حذراً. كان الباب قديماً، ذا خشب ناعم رطب وقفل تقليدي عتيق. ثم استخدم يده الأخرى لإقحام بطاقة هويته داخل مزلاج القفل المنحني، وضغط بقوة أكبر فاندفع القفل مفتوحاً. انسل هاري إلى الداخل، وأغلق الباب خلفه، ثم وقف في الظلام كاتماً أنفاسه حتى شعر بخيط رفيع على يده قد يكون بقايا شبكة عنكبوت. كانت هناك رائحة هجر رطبة وشيء آخر أيضاً... شيء لاذع. مرض... مستشفى... فوط... وأدوية.

أشعل هاري مصباحه، فرأى مشجب معاطف خالياً، ثم تابع طريقه في المنزل.

بدأت غرفة الجلوس وكأنها رشت بمسحوق، وبدأ وكأن الألوان قد أزيلت عن الجدران والأثاث. تحرك مخروط الضوء عبر الغرفة وصعق هاري حين انعكس الضوء على عينين تنظران إليه، ثم زال خوفه... بومة محشوة رمادية بلون الغرفة.

جال هاري في أرجاء المنزل حتى تمكن في النهاية من التأكد من أن كل شيء فيه طبيعي كما في أي شقة، ولا شيء خارج عن المألوف. حتى وصل إلى المطبخ واكتشف وجود جوازي سفر وتذكرتي طائرة على منضدة الطعام.

ورغم أن الصورة في الجواز قد التقطت منذ ما يقارب عشر سنوات، إلا أنه تمكن من معرفة صاحبها من زيارته إلى مستشفى راديوم. أما جوازها فكان جديداً، وصورتها تكاد لا تعرف: شاحبة يتدلى شعرها في خصل هزيلة. كانت الوجهة المحددة على التذكريتين هي بانكوك وموعد السفر بعد عشرة أيام.

نزل هاري إلى القبو، واتجه إلى الباب الوحيد الذي لم يبحث خلفه. كان المفتاح في القفل، ففتح الباب لتقابله الرائحة ذاتها التي لاحظها في الردهة. أدار المفتاح الكهربائي في الداخل، فأثار مصباح عارٍ درجات السلم التي تقود لمخزن القبو. أحس بوجود أحد في المنزل، أو إنه "آه.. نعم.. الإحساس الداخلي الغريزي" الذي تكلم عنه بيلمان حين سأله هاري إن

كان قد تفقد تسجيلات مارتين بران... شعور أدرك هاري الآن أنه خادع. أراد هاري النزول للأسفل، لكن شيئاً ما كان يمنعه... المخزن. إنه يشبه ذلك الذي عاش وكبر معه عندما كانت أمه تطلب منه إحضار البطاطا التي كانوا يخزنونها في كيسين كبيرين في زاوية مظلمة. كان هاري يجري مسرعاً للأسفل؛ محاولاً طرد كل الأفكار من رأسه، ومحاولاً تخيل أنه يجري بسبب البرد... لأنهم مستعجلون لتحضير الطعام... لأنه يحب الجري، وأن ذلك ليست له علاقة بالرجل الأصفر العاري وقذر الرائحة الذي ينتظر في الأسفل بلسانه الطويل المنزلق إلى خارج فمه وداخله بصوت مسموع. لم يكن ذلك ما استوقف هاري، وإمّا شيء آخر... الحلم... الانهيار في ممر المخزن.

قمع هاري تلك الخاطرة، ووضع قدمه على أول درجة، فصدر صوت صرير تحذيري. أجبر نفسه على السير بخطى بطيئة وهو يحمل الرافعة بيده. بدأ يسير عبر غرف التخزين في الأسفل، بينما ألقى المصباح المعلق في السقف ضوءاً خافتاً، وولّد ظلالاً أكثر. لاحظ هاري أن الغرف كلها كانت مغلقة بأقفال معدنية. من الذي سيغلق غرفة تخزين في قبوه الخاص؟

أقحم هاري الطرف المدبب من الرافعة في إحدى المفصلات، وأخذ نفساً عميقاً خشية من الضوضاء التي قد تنتج، ودفع الرافعة إلى الوراء بسرعة، فنجم صوت كسر. كتم نفسه وأصغى السمع، فبدأ وكأن المنزل يكتم أنفاسه أيضاً. لم يكن هنالك أي صوت.

فتح الباب برفق، فغاصت الرائحة في منخريه. وجدت أصابعه السبيل إلى مفتاح كهربائي في الداخل، وخلال دقيقة كان هاري يغتسل بالنور الأبيض الناصع... مصباح نيون أسطواني.

كانت غرفة التخزين أكبر مما بدت عليه من الخارج. عرفها... كانت نسخة عن غرفة رآها سابقاً؛ مخبر مستشفى راديووم... منصات عليها دوارق وحوامل أنابيب تحليل. رفع هاري الغطاء عن صندوق بلاستيكي كبير. كان المسحوق الأبيض مشوباً بالبنّي. لعق هاري طرف إصبعه السبابة ثم غمسها في المسحوق وحك بها لثته. طعمه مر. إنه فيولين.

أجفل هاري... هناك صوت ما. حبس أنفاسه ثانية... ها هو الصوت مرة أخرى. أحد ما ينشق.

أسرع هاري لإطفاء النور، وانحنى في الظلام ممسكاً بالرافعة وهو على أهبة الاستعداد.

سمع نشقة أخرى.

انتظر هاري بضع ثوان، ثم مشى بخطوات سريعة وهادئة إلى خارج الغرفة باتجاه الصوت. كان الصوت صادراً من الغرفة المجاورة إلى اليسار. أمسك الرفاعة بيمينه، ومشى على رؤوس أصابعه إلى الباب الذي كان يحتوي ثقباً ومغطى بشبكة أسلاك؛ تماماً كتلك التي كانت لديهم في المنزل. الفرق الوحيد هو أن هذا الباب كان مدعماً بالمعدن. أمسك هاري بمصباحه باستعداد، ووقف مقابل الجدار بجانب الباب. عد تنازلياً من الثلاثة، ثم أشعل المصباح ووجهه عبر الفتحة. انتظر.

وبعد أن مضت ثلاث ثوانٍ من دون أن يطلق أحد النار أو يندفع نحو الضوء، وضع هاري رأسه على الأسلاك ونظر إلى الداخل. جال شعاع الضوء على الجدران القرميدية منعكساً على سلسلة تتأرجح على فراش، ثم عثر عما كان يبحث عنه... وجه بشري. كانت عيناها مغمضتين وهي تجلس بهدوء وثبات؛ وكأنها معتادة على أن تراقب.

سأل هاري بتردد.

- إيرين؟

وفي تلك اللحظة، بدأ الهاتف في جيب هاري بالارتجاج.

نظرت إلى ساعتني. لقد بحثت في الشقة كلها ولم أعثر على مخبأ أوليغ، وكان يتوجب على إبسن أن يكون هنا منذ عشرين دقيقة. سيرى ذلك المنحرف ما سأفعله به إن لم يأت! حياته زاخرة بالخطف والاعتصاب. يوم أتت إيرين إلى محطة أوسلو المركزية أخذتها إلى غرفة التدريب، حيث قلت لها إن أوليغ ينتظرها هناك، لكن الأمر لم يكن كذلك طبعاً... كان إبسن في انتظارها. ثبتها، بينما حققتها وأنا أفكر في رافوس وأن ذلك لمصلحة الجميع. هدأت فوراً، فأصبح كل ما علينا فعله هو جرّها إلى سيارته حيث خبأ لي نصف كيلوغرام في صندوق السيارة. هل ندمت على شيء؟ نعم، ندمت لأنني لم أطلب كيلو! بالطبع لا! لقد ساورني الندم، فلست مجرداً تماماً من المشاعر. لكن عندما تجاوزت مرحلة "تباً، لم يكن علي القيام بذلك" أقنعت نفسي أن إبسن سيعتني بها جيداً، وأنه يحبها بطريقته المنحرفة بلا شك. وعلى كل حال، كان ندمي متأخراً. المهم الآن هو الحصول على بعض المخدر والتعافي مجدداً.

كان هذا أسلوباً جديداً علي: أن لا أحصل على حاجاتي الجسدية؛ إذ لطالما كنت أحصل على ما أريده. أدركت ذلك الآن، وإن لم يستمر ذلك في المستقبل فأفضل الموت فوراً... أن أموت يافعاً ووسيماً وكل أسناني تقريباً بخير. لن يأتي إبسن... عرفت ذلك الآن. وقفت بجانب نافذة المطبخ وأنا أنظر إلى الشارع. لكن الأحمق الضعيف لم يظهر في أي مكان لا هو ولا أوليغ.

لقد جربتهم جميعاً ولم يبق إلا واحد. لقد استبعدت هذا الاحتمال منذ زمن بعيد. كنت خائفاً. نعم، كنت كذلك. لكنني علمت أنه في المدينة. إنه هنا منذ أن اكتشف اختفاءها.. شتاين... أخي بالرعاية.

نظرت إلى الشارع مرة أخرى. لا، أفضل الموت قريباً على الاتصال به. مرت الثواني... لن يأتي إبسن. تباً! أفضل الموت على الشعور بالمرض لهذا الحد. أغمضت عيني مرة أخرى، لكن الحشرات كانت تخرج من التجاويف وتتحرك تحت أجفاني لتحك وجهي كله. خسر الموت المعركة.

في انتظار القرار النهائي.
أأصل به أم أموت؟
تباً! تباً! تباً!

أطفأ هاري المصباح عندما بدأ الهاتف يرن، ورأى أن الرقم يعود
لهانز كريستيان.

- أحدهم قادم.

اتسم صوته ببحة توتر وهو يهمس في أذن هاري:

- لقد ركن سيارته خارج المدخل، وهو في طريقه إلى المنزل الآن.

أجاب هاري:

- حسناً، هوّن عليك. ابعث لي رسالة إن رأيت أي شيء، وغادر

إن...

- أغادر؟!!

كان صوته يحمل استياءً عميقاً.

- إن أحسست أن الأمور ستسوء. هل فهمت؟

- لم علي أن...

قطع هاري الاتصال، وأشعل المصباح ثانية ووجهه إلى الشبك المعدني.

- إيرين؟

رفت عينا الفتاة المرهقتان في وجه الضوء.

- استمعي إلي، اسمي هاري. أنا شرطي، وقد جئت إلى هنا

لأخرجك، لكن أحدهم قادم. إن نزل إلى هنا فتصرفي وكأن شيئاً لم يكن.

اتفقنا؟ سأخرجك من هنا قريباً يا إيرين، أعدك بذلك.

- هل لديك...

تمت بتلك الكلمات، ولم يتمكن هاري من فهم تتمتها.

- أأدي ماذا؟

- هل لديك بعض ال... فيولين؟

صر هاري أسنانه. وهمس لها:

- اصمدي قليلاً بعد.

جرى هاري إلى أعلى السلم وأطفأ النور، ثم دفع الباب قليلاً واسترق

النظر. كان يكشف الباب الأمامي بوضوح. سمع صوت خطوات متثاقلة على

الحصى خارجاً... قدم تُجر بعد قدم بخطى ثملة، ثم انفتح الباب.

دخل الضوء.

ها هو: شخص ضخم وممتلئ.

ستيخ نيباك.

رئيس القسم في مستشفى راديوم الذي تذكر هاري من أيام المدرسة، والذي يعرف تريسكو، والذي كان يضع خاتم زواج بثلم أسود، والذي يملك شقة أعزب لا تجد فيها شيئاً خارجاً عن المألوف، بالإضافة إلى منزل تركه والداه ولم يبعه.

علّق معطفه على العلاقة، وسار باتجاه هاري بيد ممدودة، ثم توقف فجأة وارتعشت يده أمامه. كانت لديه ندبة عميقة في حاجبه. وقف منصتاً، وقد عرف هاري السبب الآن. الخيط الذي لامس وجه هاري واعتقده شبكة عنكبوت كان شيئاً آخر بلا شك؛ نسيجاً خفياً مرره نيباك عبر الردهة ليكشف مرور أي زوار غير مرغوب بهم.

تحرك نيباك بسرعة وخفة نحو الخزانة، وأدخل رأسه فيها، ثم تلقف منها شيئاً. لمع المعدن الباهت... بندقية.

تباً! تباً! تباً! كان هاري يكره البنادق.

أخرج نيباك علبة خراطيش مفتوحة في الأصل، وتناول خرطوشتين كبيرتين حمراوين أمسكهما بين إصبعيه السبابة والوسطى.

فكر هاري وفكر، ولم يستطع الخروج بأي حل جيد فاختر حلاً سيئاً. أخرج هاتفه وبدأ يكبس الأزرار:

ز - م - ر

ث - م

ا - ن - ت - ط - ز

تباً. أخطأت!

سمع الرنة المعدنية حين فتح نيباك بندقيته.

حذف. أين أنت؟ سنمحو الطاء والزاي ونكتب ظاءً وراء.

ا - ن - ت - ظ - ر

ح - ت - ي

ي - ظ - ه - ر

أيتها المفاتيح الصغيرة اللعينة! هيا!

سمع صوت السبطانة تعود لمكانها.

ع - ن - د

ا - ل - ن - ا - ق

خطأ! سمع هاري خطوات نيباك المتثاقلة تقترب. لا يوجد وقت كافي.

أمل أن يتمكن هانز كريستيان من استخدام مخيلته.

ا- ل- أ- ن- و- ا- ر!

ضغط مفتاح الإرسال.

تمكن هاري من رؤية نيباك يرفع بندقيته على كتفه، وصدّم حين لاحظ انتباه الصيدلاني لكون باب المخزن مفتوحاً قليلاً. وفي تلك اللحظة، انطلق نفير سيارة عالٍ ومستمر. أجفل نيباك، ونظر إلى غرفة الجلوس التي كانت تقابل الطريق. تردد ثم توجه إلى الغرفة.

انطلق النفير ثانية من دون توقف هذه المرة.

فتح هاري باب المخزن، وتبع نيباك من دون أن يحتاج للسير على رؤوس أصابعه لعلمه أن صوت الزمور سيطغى على وقع خطواته. وعند الباب، شاهد نيباك يزيح ستائر النافذة. كانت الغرفة تشع بضوء ساطع يعمي النظر من المصابيح الأمامية القوية لسيارة هانز كريستيان العائلية.

مشى هاري أربع خطوات واسعة. لم يره نيباك، ولم يسمعه يقترب، فقد كان يرفع يده قبالة وجهه ليرد عنه الضوء؛ حتى أحاطت يدا هاري بكتفي ستيج نيباك، ثم أمسك سلاحه وضغط بالسبطانة على رقبة نيباك البدنية، ودفع بركبتيه رجلي نيباك من الخلف مجبراً إياه على أن يجثو، بينما جاهد يائساً للتنفس.

لا بد أن هانز كريستيان أدرك أن النفير قد أدى غرضه لأنه توقف، لكن هاري تابع الخنق إلى أن تباطأت حركة نيباك وفقد طاقته وبدت الحياة تذوي داخله.

عرف هاري أن نيباك كان يفقد وعيه؛ فالدماغ يتعرض للضرر بعد بضع ثوانٍ من انقطاع الأوكسجين عنه، وبعد زمن إضافي سيصبح ستيج نيباك الخاطف والعقل المدبر للفيولين ميتاً.

أجرى هاري حساباته، وعد حتى الرقم ثلاثة، ثم أفلت يداً واحدةً عن السلاح؛ فانزلق نيباك على الأرض من دون ضجيج.

جلس هاري على الكرسي يلهث، وتدرجياً عاوده ألم ذقنه ورقبته بسبب انخفاض مستوى الأدرينالين في دمه. وضعه يتفاقم ساعةً بعد ساعة. حاول تجاهل ألمه، وأرسل كلمة "أوكيه" لهانز كريستيان.

بدأ نيباك يئن بصوت ضعيف، وانحنى متخذاً وضعية الجنين.

فتشه هاري، ووضع كل ما وجدته في جيوبه على طاولة القهوة. محفظة، هاتف محمول، قارورة حبوب ذات وصفة طبية... زيستريل. تذكر هاري أن جده كان يتناولها للوقاية من الأزمات القلبية. وضع الحبوب في

جيب سترته، ووضع فوهة البندقية على جبين نيباك الشاحب وأمره بالوقوف.

نظر نيباك إلى هاري. كان على وشك أن يقول شيئاً لكنه غير رأيه وجاهد للوقوف مترنحاً.

سأل حين نكزه هاري للتحرك نحو الردهة.

- إلى أين سنذهب؟

أجابه هاري:

- إلى الأسفل.

ظل ستيغ نيباك يترنح، فسنده هاري بوضع يده على كتف نيباك والبندقية في يده الثانية موجهة إلى ظهره، بينما نزلا الدرجات بجهد إلى المخزن. توقفا عند الباب الذي وجد إيرين خلفه.

- كيف عرفت أنني الفاعل؟

أجابه هاري:

- الخاتم. افتح الباب.

أخرج نيباك المفتاح من جيبه، وبرمه في القفل المعدني.

أشعل النور في الداخل.

غيرت إيرين مكانها. كانت تجثم في أبعد زاوية عنهما وهي ترتعد وترتجف، رافعة كتفها وكأنها تخاف من أن يضربها أحد، وحول كاحلها التف قيد موصول بسلسلة تتجه للسقف ومثبتة بعارضة.

لاحظ هاري أن السلسلة طويلة بما يسمح لها أن تتحرك داخل

الغرفة وتكفيها للوصول إلى مفتاح النور وتشغيله.

لكنها فضلت الظلام.

قال هاري:

- أطلق سراحها ووضع القيد.

سعل نيباك ورفع كفه قائلاً:

- هاري، اسمع...

ضربه هاري. ثار جنونه وضربه. سمع صوت الضربة الخامدة للمعدن

على جسده، ورأى آثار ضربته الحمراء التي تركها السلاح على أنف نيباك.

همس هاري في أذنه وقد أحس بكلماته تخرج بقوة:

- انطق اسمي مرةً أخرى وسأجعل رأسك يتناثر على الجدار

مستخدماً الطرف الخاطئ من البندقية.

فتح نيباك يديه المرتعدين القيد الملفوف حول قدم إيرين، بينما

كانت تحرق متبيسةً ومتبلدة وكان أياً من ذلك لا يعنيه.

ناداها هاري:

- إيرين، إيرين!

بدا وكأنها استيقظت ونظرت إليه.

قال لها:

- اخرجي من هنا.

فركت عينيها وكأنها في حاجة لكل ذرة من التركيز لتستوعب الأصوات التي يصدرها، ولتحول الكلمات إلى معانٍ وتصرفات. مشت بجانبه متجهةً إلى ممر المخزن بخطى بطيئة وثابتة.

جلس نيبك على الفراش، ورفع رجل سرواله. كان يحاول ضم القيد الضيق حول كاحله السمين الأبيض.

- أنا...

قاطعها هاري قائلاً:

- حول معصمك.

أطاع نيبك الأوامر، وشد هاري السلسلة ليتأكد من متانتها.

- اخلع الخاتم وأعطني إياه.

- لماذا؟ إنه مجرد خاتم رخيص من الـ...

- لأنه ليس ملكك.

خلع نيبك الخاتم بلطف ومرره لهاري. ثم قال:

- لا أعرف شيئاً.

- عم؟

- عما أعرف أنك ستسألني عنه... عن دبي. لقد قابلته مرتين.

لكنهم في المرتين قادوني إليه معصوب العينين، لذا لم أعرف أين أنا. كان يرسل روسيين ليأخذوا البضاعة مرتين في الأسبوع، لكنني لم أسمعهما يذكران أية أسماء. اسمعني: إن كنت تريد مالاً فس...

- هل هذا كل ما في الأمر؟

- أي أمر؟

- كل شيء. هل كان من أجل المال؟

رمش نيبك بعينه بضع مرات وهز كتفيه. انتظر هاري جواباً حتى

لاحت على وجه نيبك ابتسامة كئيبة:

- إذاً ماذا تظن يا هاري؟

تحرك نحو قدمه.

لم يجبه هاري. لم يدر إن كان يريد سماع الإجابة. ربما كان يفهم أنه بالنسبة لشابين يعيشان في أوبسال تحت وطأة الظروف نفسها يمكن لأصغر عيب خلقي ظاهر أن يغير مسرى حياة أحدهما جذرياً. بعض عظمات غير مستوية تحرف القدم إلى الداخل... حنف القدم... قدم الحصان... لأن طريقة مشي شخص أحنف القدم تذكرك بمشية حصان متهادية. تشوه يدفعك قليلاً نحو بداية أسوأ في الحياة قد تجعلك تبحث عن طرائق للتعويض عنها أو لا. وهذا يعني ازدياد نواقصك التي يتوجب عليك تعويضها لتصبح الشخص المحبوب الذي يريده الجميع؛ صاحب الجسد الرشيق الذي يقود فريق المدرسة، الشاب الظريف الذي يملك الأصحاب الظرفاء والفتاة الواقفة في الطابور عند النافذة تجعل القلب ينفطر ولو لم تكن موجهة إليك. عاش ستيغ نيبك أعرج طوال عمره من دون أن يلاحظه أحد. كان كذلك لدرجة أن هاري لم يستطع تذكره. وسار ذلك على ما يرام، فقد حصل على التعليم، وعمل بجد، وتعين رئيس قسم؛ حتى إنه بدأ يقود فريق المدرسة بنفسه. لكن المكون الجوهرى كان مفقوداً... الفتاة الواقفة في الطابور عند النافذة ولا تزال تبتسم للآخرين. الثراء... لا بد أن يصبح ثرياً.

لأن المال كمستحضرات التجميل يغطي كل شيء ويجلب لك كل شيء؛ بما في ذلك الأشياء التي يقال إنها ليست للبيع: كالا احترام والإعجاب والحب. انظر حولك: الجمال يتزوج المال دائماً. إذًا، حان دوره: ستيغ نيبك ذو القدم الحنفاء.

اخترع الفيولين فأصبح العالم عند قدميه. إذًا، لماذا لم ترغب هي به؟ لم أدبرت عنه وهي تكاد تخفي اشمزازها رغم أنها تعرف أنه أصبح ثرياً وسيزداد ثراءً كل أسبوع. أكان ذلك لوجود شخص آخر في بالها... الشخص الذي قدم لها ذلك الخاتم المبهرج الذي تضعه في إصبعها؟ هذا ظلم. لقد عمل بجد ومن دون كلل أو ملل لتحقيق المستوى الذي يجعله محبوباً، والآن يجب عليها أن تحبه. لذلك أخذها، انتزعها من الطابور بجانب النافذة وقيدها هنا حتى لا تختفي مرة أخرى. ولإتمام زواج الإكراه أخذ منها الخاتم ووضعها في إصبعه؛ الخاتم الرخيص الذي أعطاه أوليغ لإيرين، والذي كان قد سرقه من أمه التي أهداها إياه هاري الذي اشتراه من سوق شعبية، حيث... يشبه ذلك أغنية الأطفال النرويجية "خذ الخاتم ودعه يجول". نقر هاري على الثلم الأسود على سطح الخاتم المطلي باللون الذهبي. كان متنبهاً وغافلاً في الوقت ذاته.

تبه في المرة الأولى التي التقى فيها ستيغ نيباك وقال: "الخاتم. كان لدي واحد يشبهه"، وغفل إذ لم يدرك وجه الشبه. الثلم في النحاس تحول إلى اللون الأسود.

لم يدرك الصلة بين أوليغ ونيباك إلا عندما شاهد خاتم زواج مارتين وسمعها تقول إنه الشخص الوحيد في العالم الذي يشتري خاتماً مبتدلاً. لم يساور هاري الشك لحظة؛ على الرغم من أنه لم يجد أي شيء مريب في شقة ستيغ نيباك بل على العكس. فقد دفع خلوها من أي شيء مريب هاري للاعتقاد مباشرة بوجود مكان آخر يخفي فيه نيباك جانبه السيئ... منزل والديه الفارغ الذي لم يستطع بيعه... المنزل الأحمر على التلة المشرفة على منزل عائلة هاري.

- هل قتلت غاستو؟

سأل هاري، فهز نيباك رأسه نافياً وأجفانه متثاقلة ويبدو عليه النعاس.

- أديك حجة غياب؟

- لا. ليست لدي حجة.

- أخبرني.

- كنت هناك.

- أين؟

- في بوابة هوسمنز. كنت ذاهباً لمقابلته فقد هدد بفضحي، لكنني عندما وصلت إلى هناك وجدت سيارات الشرطة منتشرة، وكان غاستو قد قتل مسبقاً.

- مسبقاً؟! إذًا، كنت تخطط لفعل ذلك أيضاً.

- ليس بالطريقة ذاتها، لم يكن لدي مسدس.

- إذًا، ماذا لديك؟

- دراسات كيميائية. كان غاستو يعاني من أعراض الانقطاع ويحتاج للفيولين.

نظر هاري لابتسامة نيباك المرهقة وهز رأسه.

- لذا كنت واثقاً من أنه سيحقن نفسه على الفور بأي مادة بيضاء تملكها.

جلجت السلسلة حين رفع نيباك يده مشيراً إلى الباب، وقال:

- إيرين. هل لي أن أقول لها بضع كلمات قبل أن...؟

رأى هاري ستيغ نيباك، وأبصر شيئاً يعرفه... شخصاً مدمراً... رجلاً

منتهياً... شخصاً ثار على ما ساقته إليه الأقدار ثم خسر.
أجابه:

- سأسألها.

وجد هاري إيرين في الطابق الأعلى في غرفة الجلوس. كانت تجلس على كرسي ورجلاها مثنيتان تحتها. أحضر هاري معطفاً من خزانة البهو وألقاه على كتفها. تحدث إليها همساً، فأجابت بصوت رقيق وكأنها تخاف من صدى جدران غرفة الجلوس الباردة.

أخبرته أن غاستو ونيباك أو إبنس كما يدعونه عملاً معاً على الإيقاع بها، وكان الثمن نصف كيلو من الفيولين. لقد كانت محبوسة لأربعة أشهر. تركها هاري تروي جانبها من الحكاية، وانتظر حتى أنهت قبل أن يطرح عليها سؤاله.

لم تعرف أي شيء عن مقتل غاستو إلا ما أخبرها به إبنس، ولم تعرف من هو دبي أو أين يسكن. لم يخبرها غاستو بشيء، ولم تكن لديها الرغبة في المعرفة. كل ما عرفته عن دبي هو من وحي الشائعات السائدة عن تنقله حول البلدة كالشبح، وأن أحداً لا يعرف هويته ولا شكله، وأنه كالريح يصعب الإمساك به.

هز هاري رأسه. لقد سمع هذا التشبيه مراراً في الفترة الأخيرة.

- سيقلك هـ ك إلى مركز الشرطة. إنه محام، وسيساعدك في التبليغ عن هذا، ثم سيأخذك إلى والدة أوليغ حيث يمكنك البقاء هناك في الوقت الراهن.

هزت إيرين رأسها معترضة وقالت:

- سأتصل بشتاين أخي. يمكنني البقاء معه و...

- وماذا؟

- هل علي التبليغ عن ذلك؟

نظر إليها هاري. كانت يافعة وضيئة كفرخ عصفور... يستحيل التكلم عن مقدار الضرر الذي ألم بها.

قال هاري:

- يمكن الانتظار حتى الغد.

رأى عينيها تغرورقان بالدمع، فكان أول ما خطر له: وأخيراً. كان على وشك أن يضع يده على كتفها، لكنه تراجع عن ذلك في الوقت الحالي، فقد لا تكون يد رجل غريب ما تحتاجه إيرين. لكن دموعها جفت في لحظة.

سألت:

- هل... هل هناك بديل؟
- مثل ماذا؟
- كعدم الحاجة لرؤيته مجدداً.
- لم تبعد عينيها عن عينيه، ثم أكدت:
- أبداً.
- وحينها شعر بذلك. بيدها فوق يده قائلةً:
- أرجوك.
- ربت هاري على يدها، ثم أعادها إلى حضنها.
- تعالي. سأخذ إلى هـ. ك.

بعد أن راقب هاري السيارة وهي تغادر، عاد إلى المنزل ونزل إلى المخزن. لم يجد أي حبل، لكنه وجد خرطوم بستنة معلقاً تحت السلم. أخذه لغرفة التخزين، ورماه على نيباك، ثم نظر للأعلى إلى العارضة... ارتفاعها مناسب.

أخذ علبة حبوب الزيستيريل التي كان قد وجدها في جيب نيباك، وأفرغ محتواها في يده... ست حبات.

سأل هاري:

- أديك مشكلة قلبية؟

هز نيباك رأسه.

- كم حبة عليك أن تأخذ في اليوم؟

- اثنتين.

وضع هاري الحبوب في يد نيباك، والعلبة الفارغة في جيب سترته.

- سأعود بعد يومين. لا أعرف ما الذي تعنيه سمعتك لك. لا بد أنك كنت ستشعر بخزي أكبر لو كان أبواك على قيد الحياة، لكنني متأكد من سماعك كيفية معاملة السجناء مرتكبي الجرائم الجنسية. إن لم تكن موجوداً لدى عودتي فستصبح منسياً ولن يذكر اسمك مرة أخرى، أما إن وجدتك فسأخذك إلى مركز الشرطة. أفهمت؟

لاحقت صرخات نيباك هاري طوال سيره حتى الباب الأمامي. صرخات شخص وحيد تماماً في مواجهة ذنبه ومخاوفه ووحدته وقراراته. نعم، كان الأمر مألوفاً. أطبق هاري الباب بقوة خلفه.

نادى هاري سيارة أجرة في فيتلاندسفين، وطلب من السائق الذهاب إلى أورتيجاتا.

كانت رقبتة تؤلمه وترتجف وكأن لها نبضاً منفصلاً... حية كحيوان ملتهب من البكتيريا يريد الفكاك من أسره. سأل هاري سائق السيارة إن كان يملك أية مسكنات، لكنه هز رأسه نافياً.

وحين انعطفا باتجاه بيورفيكا، رأى هاري صواريخ تنفجر في السماء فوق دار الأوبرا... أحدهم يحتفل بشيء ما. وقد تفاجأ حين تذكر أنه يجب أن يكون محتفلاً هو أيضاً، لقد أنجز العمل. لقد وجد إيرين، وأوليغ حر. لقد حقق الهدف الذي وضعه لنفسه. إذًا، لماذا لا يشعر برغبة في الاحتفال؟

سأل هاري:

- ما مناسبة الاحتفال؟
- آه، إنها ليلة الافتتاح لدار أوبرا. لقد أوصلت بعض الأشخاص الأنيقين إلى هناك في وقت مبكر من هذا المساء.
- دون جيوفاني. لقد كنت مدعوًا.
- لماذا لم تذهب؟ من المفترض أن يكون جيدًا.
- تشعرتي التراجيديا بحزن الشديد.
- نظر السائق إلى هاري في المرأة باندهاش وضحك.
- رن هاتفه. كان المتصل كلاوس توركيلدسين.

قال هاري:

- ظننت أننا لن نتكلم ثانيةً.
- فرد عليه كلاوس:
- وأنا كذلك. لكنني... حسنًا، على كل حال اتصلت لأطمئن.
- لم يعد الأمر على قدر من الأهمية بعد الآن. لقد أغلقت القضية بالنسبة لي.
- لا بأس. لكن، قد يكون من المثير للاهتمام أنه قبل وبعد وقت جريمة القتل مباشرةً كان بيلمان أو هاتفه على الأقل في أوستفولد، أي إنه من المستحيل عليه الوصول إلى مكان الجريمة والعودة منه.
- حسنًا كلاوس. شكرًا.
- حسنًا، لن نعيدها، أليس كذلك؟
- لن نعيدها. سأذهب الآن.
- أنهى هاري المكالمة واتكأ على مسند الرأس وأغمض عينيه.

عليه أن يشعر بالسعادة الآن.
إنه يرى عبر أجفانه وميض الألعاب النارية.

القسم الرابع

"سأنضم إليك".

انتهى الأمر.

عادت له مرة أخرى.

تقدم هاري في طابور التفتيش ضمن الحشود الضخمة في غاردموين. أصبح لديه فجأة مخطط... خطة لبقية حياته... خطة وشعور لم يستطع أن يصفه بكلمة أفضل من السعادة .

ظهر على الشاشة فوق مكتب التفتيش "الخطوط الجوية التايلندية درجة رجال الأعمال"... جرى ذلك بسرعة.

لقد ذهب مباشرة من منزل نيبك إلى مارتين في ووتش تاور ليعيد لها هاتفها، لكنها أخبرته أن بإمكانه الاحتفاظ به لأنها حصلت على واحد جديد. سمح لنفسه أن يتم إقناعه بقبول معطف بالكاد تم استخدامه - لذا بدا مظهره أنيقاً نسبياً - إضافة لثلاث حبات باراسيت مسكنة للألم، لكنه رفض أن يدعها تفحص جرحه. ما كانت تريد سوى تضميده، ولم يكن هناك وقت لذلك. اتصل بالخطوط الجوية التايلندية ودبر لنفسه تذكرة سفر.

ثم حصل ذلك.

اتصل براكيل، وأخبرها بعثوره على إيرين وإطلاقه سراح أوليغ وإتمامه مهمته، وأنه الآن بات عليه مغادرة البلاد قبل أن يتم القبض عليه. وعندئذ قالها.

أغمض هاري عينيه، واسترجع كلمات راكيل ثانية: "سأنضم إليك يا هاري". سأنضم إليك... سأنضم إليك.
ثم: "متى؟".

متى؟

أراد أكثر من أي شيء آخر أن يجيبها "الآن". احزمي حقيبتك وتعال

الآن!

لكنه فكر بعقلانية إلى حد ما.

- اسمعيني ياراكيل. أنا مطلوب للعدالة، وقد تكونين تحت مراقبة الشرطة، وربما ستقودينهم إلي. أفهمت؟ سأذهب وحدي الليلة، ثم ستلحقين بي غداً في الرحلة المسائية. سأنتظرك في بانكوك، ومن هناك يمكننا الذهاب إلى هونغ كونغ.

- بإمكان هانز كريستيان الدفاع عنك إن تم اعتقالك. لن يكون الحكم...
- ليست مدة الحكم ما يهمني، فما دمت في أوصلو فسيتمكن دبي من العثور علي. هل أنت متأكدة من أن أوليغ في مكان آمن؟
- نعم. لكنني أريده أن ينضم إلينا ياهاري. لا يمكنني السفر...
- طبعاً سينضم إلينا.
- أتريد ذلك؟
- أحس بنبرة ارتياح في صوتها.
- سنكون معاً، ولن يستطيع دبي العثور علينا في هونغ كونغ. سننتظر بضعة أيام ثم سأرسل رجلين من رجال هيرمان كلوت للسفر إلى أوصلو ومرافقته.
- سأخبر هانز كريستيان، ثم سأشترى تذكرة الطائرة للغد ياعزيزي.
- سأكون في انتظارك في بانكوك.
- لحظة صمت.
- لكنك مطلوب ياهاري. كيف ستركب الطائرة من دون أن...
- التالي.
- التالي؟
- فتح هاري عينيه ثانيةً، ورأى المرأة خلف المكتب تبتسم له. تقدم وأعطاهما تذكركه وجواز سفره، ثم شاهدها وهي تدخل الاسم المكتوب في جواز السفر.
- لا أجدك مسجلاً هنا ياسيد نيباك...
- أبدى هاري ابتسامة واثقة ثم أجابها:
- في الحقيقة، لقد حجزت في الرحلة المتوجهة إلى بانكوك بعد عشرة أيام، لكنني اتصلت منذ ساعة ونصف وغيّرت الحجز إلى رحلة هذا المساء.
- ضغطت المرأة على المزيد من المفاتيح بينما كان هاري يعد الثواني. تنفس: شهيق... زفير... شهيق.
- ها هو. لا تظهر الحجوزات المتأخرة مباشرة، لكن المدرج عندي هو أنك ستسافر مع إيرين هانسن.
- ستسافر هي حسب الحجز السابق.
- آه، حسناً. هل من أمتعة تود إدخالها.
- لا.

عبست وتحققت من جواز السفر مرة أخرى. تمالك هاري أعصابه حتى وضعت بطاقة الصعود إلى الطائرة داخله وأعطته إياه.

- يجدر بك الإسراع ياسيد نيباك، فقد بدأ الركاب يصعدون إلى الطائرة. رحلة سعيدة.

- شكراً لك.

قالها هاري بصدق أعمق مما توقع، ثم جرى إلى نقطة التفتيش. ولم يلاحظ استلامه رسالة نصية إلا على الجانب الآخر من جهاز الفحص بالأشعة، بينما كان يلتقط المفاتيح وهاتف مارتين الجوال. كان على وشك أن يحفظها مع باقي رسائل مارتين لولا أنه لاحظ اسم المرسل مختصراً: ب... إنها بتي.

انطلق إلى البوابة 54. بانكوك النداء الأخير.

قرأها.

"استلمت القائمة الأخيرة. هناك عنوان واحد لم يكن على القائمة التي استلمتها من بيلمان. بليندرفين 74".

حشر هاري الهاتف في جيبه. لم يكن هناك صف عند المكتب. فتح هاري جواز السفر، وقام الموظف الرسمي بالتحقق منه ومن بطاقة الصعود إلى الطائرة ثم نظر إلى هاري.

قال هاري:

- الندبة أحدث من الصورة.

دقق الموظف في هاري. ثم قال:

- احصل على صورة جديدة يانيباك.

ثم أعاد له الوثائق، وأشار إلى الشخص الواقف خلف هاري بأن دوره قد حان.

أصبح هاري حراً. ها قد نجا، وحياة جديدة باتت في انتظاره.

وجد عند البوابة خمسة أشخاص في صف غير منتظم.

نظر هاري إلى بطاقة صعود الطائرة... درجة رجال الأعمال. لم يسافر يوماً إلا على الدرجة الاقتصادية حتى بعد عمله لدى هيرمان وكلوت. أما ستيج نيباك فقد كان ثرياً ودبي كان ثرياً. كانا ثريين بل لا يزالان. والآن، هذا المساء، في هذه اللحظة يقف المدمنون هناك مرتعشين جائعين وهم ينتظرون أن يقول لهم الرجل الذي يرتدي قميص أرسنال: "تعالوا".

بقي اثنان في الصف.

سأنضم إليك. أغمض هاري عينيه ليسمع صوت راكيل مرة أخرى ثم أتاه. هل أنت شرطي؟ هل هذا ما أصبحت عليه؟ رجل آلي؟! خاضع للنظام وأفكار الآخرين؟ هل كان كذلك؟

جاء دوره. رفعت المرأة الجالسة خلف المكتب حاجبيها. لا، لم يكن كذلك.

مرر لها بطاقة صعود الطائرة.

مشى. سار عبر النفق نحو الطائرة، وتمكن عبر الزجاج من رؤية أضواء طائرة تهبط على الأرض فوق منزل ترود شالتز. بليندرفيين 74.

دم مايكل بيلمان تحت أظافر غاستو. تبا... تبا... تبا.

صعد هاري إلى الطائرة، ووجد مقعده، وغرق في المقعد الجلدي. يالنعومته وطراوته! ضغط زراً، فرجع ظهر الكرسي للخلف حتى بات يستلقي في وضعية أفقية. أغمض عينيه مرة أخرى، فقد أراد النوم... النوم حتى يأتي يوم يستيقظ فيه ليجد نفسه شخصاً مختلفاً وفي مكان جديد تماماً. بحث عن صوتها، لكنه عثر على آخر باللغة السويدية: - لدي ياقة رجل دين مزيفة، وأنت لديك شارة ضابط مزيفة. هل عقيدتك ثابتة؟

دم بيلمان "... في أوستفولد. أي إنه من المستحيل له أن...". اكتملت الصورة.

شعر هاري بيد على ذراعه ففتح عينيه.

ابتسمت له مضيئة الطيران التايلندية ذات عظام وجنتين مرتفعة.

- أعتذر ياسيدي، لكن عليك أن ترفع ظهر كرسيك إلى وضعية معتدلة قبل الإقلاع. وضعية معتدلة.

أخذ هاري نفساً عميقاً، ثم أخرج هاتفه المحمول ونظر إلى قائمة الاتصالات.

- سيدي، عليك أن تغلق ال...

رفع هاري يده وضغط على زر الاتصال.

أجاب كلاوس توركيلدسين.

- ظننت أننا لن نتكلم ثانية.

- في أي مكان من أوستفولد تحديداً؟
- عذراً؟
- بيلمان. في أي مكان من أوستفولد كان تحديداً عند مقتل غاستو؟
- في ريخ. بالقرب من موس.
- أعاد هاري هاتفه ووقف.
- سيدي. إشارة ربط أحزمة المقاعد قد...
- عذراً، لكن هذه الرحلة ليست رحلتي.
- أنا واثقة من أنها رحلتك. لقد تأكدنا من أرقام الركاب و...
- سار هاري وهو يحث الخطى إلى مؤخر الطائرة، وهو يسمع وقع قدمين تسيران خلفه.
- سيدي، لقد أقفلنا ال...
- افتحوه إذاً.
- انضم إليهما مراقب الطائرة:
- سيدي، لا تسمح لنا القوانين بفتح...
- لقد نفذ دوائي.
- رد هاري وهو يبحث في جيوب سترته، ثم عثر على علبة الزيستريل الفارغة ورفعها في وجه المراقب معقباً:
- أنا السيد نيباك. أترى؟ هل تريد أن يصاب أحد الركاب على متن الطائرة بنوبة قلبية بينما نكون في المجال الجوي لأفغانستان مثلاً؟

تجاوزت الساعة الحادية عشرة في حين كان القطار السريع العائد من المطار باتجاه أوسلو شبه خال. قرأ هاري شارداً الأخبار المعروضة على اللوح المتدلي من السقف. لقد كانت لديه خطة، مشروع حياة جديدة. والآن، لديه عشرون دقيقة ليضع خطة جديدة. هذا ضرب من الجنون. كان من الممكن أن يكون على متن الطائرة المتوجهة إلى بانكوك، لكن هنا تكمن المشكلة: كان من الممكن أن يكون على متن الطائرة المتوجهة إلى بانكوك الآن لكنه ببساطة لم يستطع. كان هذا عيبه... خلله... إعاقته: لم يستطع يوماً إجبار نفسه على عدم الاهتمام، على النسيان، على التجاهل. أمكنه أن يحتسي الشراب لكنه بقي متيقظاً. أمكنه الذهاب إلى هونغ كونغ لكنه عاد. لقد كان رجلاً محطماً بلا شك، ومفعول الحبوب التي أعطته إياها مارتين بدأ يزول، وأصبح بحاجة للمزيد؛ فقد بدأ الألم يشعره بالدوار.

ركز هاري نظره على الأرقام الموسمية والنتائج الرياضية ففاجأته فكرة: ماذا لو كان ما يقوم به الآن هروباً وجنباً؟

لا. هذه المرة تختلف عن المرات السابقة؛ فقد أجل موعد الرحلة إلى ليلة الغد في الرحلة ذاتها التي ستستقلها راكيل. حتى إنه حجز لها مقعداً بجانبه في درجة رجال الأعمال ودفح الفرق. فكر بإخبارها بما فعله، لكنه عرف ما سيخطر ببالها. أنه لم يتغير، وأن الجنون ذاته لا يزال يدفعه ولن يتغير أي شيء أبداً. لكن جلوسهما في الطائرة معاً، وتسارعها الذي يدفعهما للخلف ويضغطهما على مقعديهما، وذلك الشعور بالارتفاع والخفة والقوة سيجعلها تدرك أخيراً أنهما تركا حياتيهما السابقتين وراءهما... بل تحتهما... وأن رحلتها قد بدأت.

نزل هاري من القطار السريع، وعبر الجسر متجهاً إلى دار الأوبرا حيث مشى على الرخام الإيطالي إلى المدخل الرئيس. استطاع أن يرى عبر الزجاج أناساً أنيقين يتبادلون أطراف الحديث، وأصناف الطعام والمشروبات خلف الحبال في الردهة الفارهة.

وخارج المدخل، وقف رجل يرتدي بذلة ويضع سماعة أذن ويده أمامه وكأنه يحمي نفسه من ضربة حرة. كان عريض المنكبين وغير مكتنز، وذا عينين مدريتين ملحنا هاري من بعيد، وبدأت بدراسة كل ما حوله؛ مما يمكن أن يعطي فكرة عنه. كل ذلك يعني أنه بالتأكيد شرطي من الخدمات الأمنية النروجية، وأن رئيس الشرطة أو أحد أعضاء الحكومة يحضر الحفل. تقدم الرجل خطوتين من هاري بينما كان يقترب منه.

- عذراً، إنه حفل خاص...

هكذا بدأ كلامه، لكنه توقف حين رأى بطاقة تعريف هاري.

- لا عمل لي مع رئيسك يا صاحبي. لكنني أحتاج للتحدث بإيجاز مع أحد الحاضرين. إنها مهمة رسمية.

أوماً الرجل، ثم تحدث في الميكروفون المثبت على سترته وترك هاري يمر.

تقع الردهة تحت قبة ضخمة، وقد امتلأت بوجوه تمكن هاري من التعرف عليها بالرغم من طول مدة نفيه تواجد في المكان الإعلامي المتكلفون، وكبار الوجوه التلفزيونية، ومضيفو البرامج الرياضية والسياسية، بالإضافة إلى أهم صناعات القرار المتنفذين في مجال الثقافة من وراء الكواليس بطريقة أو بأخرى. فهم هاري ما كانت إيزابيل سكوين تعنيه عندما قالت إنه يصعب عليها إيجاد مرافق طويل يناسبها عندما ترتدي الكعب العالي،

فقد كان من السهل العثور عليها وهي تطل على باقي الضيوف المجتمعين.
مشى هاري نحوها بخطى واسعة، متخطياً الحبل، وشق طريقه بين
الحشود مردداً كلمة "عفواً" وكؤوس الشراب تنسكب حوله.

كانت إيزابيل تتحدث إلى رجل يصل طوله إلى منتصف رأسها، لكن
ملاحظها المتملقة والمهتمة أوحى لهاري بأن ذلك الرجل أعلى منها مرتبة
بأشواط؛ نفوذاً ومركزاً. فصلت هاري عنها ثلاثة أمتار حين اقترب منه رجل
ووقف أمامه.

قال هاري:

- أنا الضابط الذي تحدث إلى زميلك في الخارج. أريد التحدث
معها.

قال الحارس:

- تفضل.

خيل لهاري أنه سمعه يلمح لشيء آخر.

خطا هاري الخطوات الأخيرة.

- مرحباً إيزابيل.

رأى هاري ملامح الدهشة على وجهها وأضاف:

- أرجو أن لا أكون أقاطع... عمالك؟

أجابته وهي تطلق ضحكة عالية وكأنها قد ألقّت نكتة:

- المحقق هول.

سارع الرجل الذي كان برفقتها بمد يده والتعريف عن نفسه من غير
داع. ربما تكون خدمته الطويلة في أعلى مكاتب مجلس البلدية قد علمته
أنه يوم الانتخابات يحصل على مكافأة من التقرب من الرجل العادي.

- هل استمتعت بالعرض أيها المحقق؟

أجاب هاري:

- نعم ولا. سررت لانتهائه على الأغلب، وكنت في طريقي إلى

المنزل حين أدركت أنني لم أفهم بعض الأشياء بوضوح.

- مثل ماذا؟

- بما أن دون جيوفاني لص وفيلسوف فمن المؤكد أنه سينال عقابه

في المشهد الأخير. أظن أنني عرفت هوية التمثال الذي جاء دون جيوفاني

وأخذه. لكن ما يثير حيرتي هو من أخبره بالمكان الذي سيجد فيه دون

جيوفاني تحديداً؟ هل يمكنك إجابتي؟

التفت هاري وتابع:

- إيزابيل؟
- كانت ابتسامتها جامدة. أجابت:
- إن كانت لديك نظرية مؤامرة فمن الممتع دائماً أن نسمعنا إياها، لكن في وقت آخر. فأنا الآن أتحدث مع...
- قال هاري متوجهاً إلى محدثها:
- أحتاج للحديث معها على انفراد بعد إذنك طبعاً.
- أحس هاري أن إيزابيل على وشك أن تعترض، لكن الرجل كان أسرع.
- تفضل.
- ابتسم وأوماً، ثم التفت إلى زوجين مسنين يبحثان عن صحبة.
- أخذ هاري إيزابيل من ذراعها وقادها نحو لافتة الحمامات.
- همست له وهو يضع يديه على كتفيها ويدفعها على الجدار المقابل
- لمدخل حمامات الرجال.
- رائحتك نتنة.
- لقد تعرضت هذه البذلة للإهانة مرات عدة.
- وبعد أن قال هاري ذلك لاحظ أنهما يلفتان انتباه بعض الأشخاص المحيطين بهما، فأعقب:
- اسمعي. يمكن القيام بذلك بطريقة حضارية أو بأسلوب جلف. ما هو أساس تعاونك مع مايكل بيلمان؟
- اللعنة عليك يا هول.
- ركل هاري باب حمامات الرجال وجرها نحو الداخل.
- رمقهما رجل يرتدي سترة رسمية ويقف بجانب مغسلة بنظرة استغراب
- عبر المرأة، بينما دفع هاري إيزابيل إلى باب حجيرة ووضع ذراعه على رقبته.
- كان بيلمان في منزلك حين قتل غاستو.
- تنفس هاري بصعوبة مصدراً أزيزاً وتابع:
- وجدنا دم بيلمان تحت أظافر غاستو. ومخير دبي هو الصديق
- والزميل المقرب لبيلمان. إن لم تتكلمي الآن فسأتصل بمعارفي في صحيفة
- أفتنبوستن وسيتم نشر ذلك في إصدار الغد، ثم سأضع كل ما أعرفه بين
- يدي المدعي العام. ما ردك؟
- سأل الرجل ذو السترة الرسمية محاولاً الحفاظ على مسافة مقبولة
- منهما.
- عفواً، هل تحتاجين لمساعدة؟

- اخرج من هنا أيها الأحمق!
بدا الرجل مذهولاً؛ ليس بسبب الكلمات بحد ذاتها، بل لأنها خرجت
من إيزابيل، فانسحب خارجاً.
- كنا على علاقة.
أجابت إيزابيل وهي على شفير الاختناق.
تركها هاري، وعرف من رائحة أنفاسها أنها كانت تحتسي الشراب
اللذيذ.

- كنت على علاقة مع بيلمان؟
قالت وهي تفرك عنقها:
- أعرف أنه متزوج. لم تكن بيننا سوى علاقة جسدية فقط. ظهر
غاستو من العدم، وخمش بيلمان بأظافره عندما رماه خارجاً. إن كنت تريد
إخبار الصحافة بذلك فافعل. أفترض أنك لم تكن على علاقة بامرأة متزوجة
أبداً، لكن فكر بأثر عناوين الصحف على زوجة بيلمان وأطفاله.
- وكيف التقيت بيلمان؟ أتريدون إقناعي أن لقاء غاستو بكما أنت
وبيلمان كان محض مصادفة؟
- كيف يلتقي أصحاب المناصب برأيك يا هاري؟ انظر حولك. انظر
للمدعوين وللحفل. الكل يعرف أن بيلمان سيصبح رئيس الشرطة التالي.
- وأنت ستحصلين على منصب في البلدية؟
- التقينا في افتتاح ما... عرض أول... حفل خاص. لا أذكر تحديداً.
هكذا تجري الأمور. يمكنك أن تتصل ببيلمان وتسأله عن لقائنا الأول، لكن
ليس الليلة فهو يقضيها مع عائلته. هذا... كل ما في الأمر.
حملق هاري بها.

هذا كل ما في الأمر.
- وماذا عن ترولس بيرنستن؟
- من؟
- هو المخبر أليس كذلك؟ من أرسله إلى فندق ليون ليتولى أمري؟
أنت أم دبي؟
- عم تتكلم تحديداً؟
أدرك هاري أنها لم تكن تعرف أبداً من هو ترولس بيرنستن.
شرعت إيزابيل سكوين بالضحك.
- لا تكتئب بهذا الشكل يا هاري.
كان بإمكانه أن يكون على متن طائرة متجهة إلى بانكوك؛ إلى حياة

جديدة.

سار في طريقه للخروج.

- انتظر يا هاري.

التفت. كانت متكئة على باب الحجيرة رافعةً تنورتها إلى الأعلى حتى كشفت له عن بداية جوربيها، وبينما تدلت خصلة شعر شقراء على حاجبها.

- والآن، بما أن الحمامات لنا وحدنا...

نظر هاري في عينيها؛ كانتا ضابيتين. ليس بسبب الشراب، بل إنه شيء آخر. أكانت تبكي؟ إيزابيل سكوين القوية الوحيدة المحترقة لذاتها! وماذا بعد؟ كانت رغم ذلك شخصاً قاسياً عازماً على تدمير حياة الآخرين في سبيل الوصول إلى ما تظنه حقها الشرعي: الحب. استمر الباب بالتأرجح جيئةً وذهاباً بعد مغادرة هاري وهو يحتك بالقفل المطاطي أسرع وأسرع كنهاية تصفيق حار.

سار هاري عائداً على الجسر المسقوف إلى مركز أوصلو، ثم نزل الدرجات إلى بلاتا حيث تقع الصيدلية التي تفتح على مدار الساعة في الطرف الآخر، لكن المصطفين أمامها كثر كالعادة. كان يعلم أن المسكنات المعتادة التي تصرف من دون وصفة طبيب لن تجدي نفعاً مع ألمه، فتابع عبر حديقة هيرون. بدأت السماء تمطر، وتلألأت المصابيح تحت سلاسل المطر حتى بوابة برينسنس. كان يفكر بالقضية أثناء سيره. كانت بندقية نيباك في أوبسال هي الاختيار الأسهل. أضف إلى ذلك أن البندقية تتيح له مجالاً أوسع للمناورة. يجب التسلل إلى فندق ليون لاستعادة البندقية من خلف خزانة الملابس في الغرفة 301، لكنه لم يكن على ثقة من أنهم لم يعثروا عليها بعد. لكن البندقية كانت أمراً مفروغاً منه.

كان القفل على البوابة الخلفية لفندق ليون محطماً وقد كسر حديثاً. افترض هاري أن هذه كانت الطريقة التي دخل عبرها الرجلان اللذان زاراه في المرة الماضية.

دخل هاري، وكالمتوقع كان قفل المدخل الخلفي مكسوراً أيضاً.

صعد هاري السلام الضيقة التي تؤدي أيضاً دور مخرج الطوارئ. لم يكن هناك أحد في ممر الطابق الثاني. طرق هاري باب الشقة 302 ليسأل كاتو إن كانت الشرطة أو أي أحد آخر قد زار المكان لكنه لم يتلق أي جواب. وضع أذنه على الباب... هدوء.

لم تكن هناك أي محاولة لإصلاح باب غرفته، لذا لم تكن هناك حاجة إلى مفتاح. دفع الباب فانفتح. ولاحظ الدماء التي سالت على الإسمنت حيث أزال العتبة.

لم يقم أحد بفعل شيء للنافذة أيضاً.

لم يضحى هاري النور، ودخل رغم كل شيء وبحث خلف الخزانة وتأكد من عدم عثورهم على البندقية ولا على علبة الخراطيش التي لا تزال إلى جانب الكتاب المقدس في درج الطاولة المجاورة. أدرك هاري أن الشرطة لم تأتِ إلى المكان... إلى فندق ليون؛ إذ لم يشعر القاطنون أو الجيران بضرورة الرجوع إلى القانون وتبليغ الشرطة عن بضع طلقات بندقية بائسة؛ على الأقل لعدم وجود أي جثة. فتح الخزانة، حتى ثيابه وحقائبه وجدها في مكانها وكأن شيئاً لم يكن.

لمح هاري المرأة في الغرفة المقابلة.

كانت تجلس مقابل مرآة وظهرها له وهي تسرح شعرها حسب ما رأى. كانت ترتدي ثوباً بدا قديم الطرز لحد غريب. لم يكن بالياً وإنما كان طرازه قديماً وحسب؛ كزي من حقبة أخرى. ومن دون أن يفهم السبب، صرخ هاري عبر النافذة المكسورة صرخة قصيرة لكن المرأة لم تقم بأي ردة فعل.

وحين عاد إلى الشارع، علم هاري أنه سيعاني؛ فقد أحس برقبتة وكأنها تشتعل، والحرارة تدفع مسامه لضخ العرق. كانت ثيابه تقطر ماء، واجتاحته أول نوبات الارتعاش.

تغيرت الموسيقى الصادرة من المقهى، حيث صدر من الباب المفتوح صوت فان موريسون وهو يغني "أند إت ستوند مي". مسكن أُم.

سار هاري في الشارع وسمع رنة حادة يائسة، وفي اللحظة التالية ملأ جدار أبيض وأزرق مجاله البصري. وقف متمسراً مكانه لأربع ثوانٍ وسط الشارع، ثم سار الترام وعاد باب المقهى المفتوح بادياً أمامه. جفل الساقى عندما رفع عينيه عن الصحيفة ولمح هاري.

قال هاري:

- جيم بيم.

رمش الساقى بعينه مرتين من دون حراك، ووقعت الصحيفة على الأرض.

وضع على المنضدة مبلغاً باليورو أخرجه من محفظته وقال:

- أعطني زجاجة كاملة.
فغر الساقى فاه، وظهرت كتلة دهنية فوق حرف اللام في نهاية كلمة
"أكل" الموشومة على جلده.

قال هاري:

- الآن، وبعدها سأغادر.
نظر الساقى إلى المال ثم رفع بصره إلى هاري. مد يده إلى زجاجة
جيم بيم وعيناه مسمرتان على هاري.
تنهد هاري حين رأى أن الزجاجة أقل من نصف ممتلئة ووضعها في
جيب معطفه، ثم نظر حوله وهو يحاول التفكير في إهانة لا تنسى ليلقيها
في وجه الساقى قبل أن يخرج، ثم استسلم وأوماً وغادر.

وقف هاري في الزاوية بين برينيسنس ودروينجينز، وبدأ أولاً بالاتصال
بالاستعلامات ثم فتح الزجاجة. رائحة الشراب جعلت معدته تتشنج، لكنه
ما كان سيقدر على إنجاز ما يريد القيام به من دون تخدير. لقد مرت
ثلاث سنوات منذ آخر مرة. ربما تحسنت الأوضاع. وضع الزجاجة على فمه
وأسند ظهره ورفعها. ثلاث سنوات من دون شرب. ضرب السم أجهزة
جسده كقنبلة نابالم... لم تتحسن الأوضاع، بل باتت أسوأ من أي وقت
مضى.

انحنى هاري، وأدخل يده في حلقة متكئاً على الجدار لكي لا يتسخ
بنطاله أو حذاؤه.

سمع طرق كعب عالٍ على الأسفلت خلفه.

- مرحباً ياسيد. أنا جميلة؟

- طبعاً.

تمكن هاري من الرد قبل أن يمتلئ حلقة، ويضرب الانبعاث الأصفر
الرصيف بقوة وانتشار رهيبين. وسمع صوت ضربات الكعب العالي وهي
تدوي بعيداً. مسح فمه بظاهر كفه، وحاول ثانية، ثم رفع رأسه. نزل
الشراب والصفراء ثم خرجاً قيناً.

الثالثة ثابتة في الوقت الحالي.

والرابعة أصابت الهدف.

والخامسة ممتعة.

نادى هاري سيارة أجرة، وأعطى السائق العنوان.

أسرع ترولس بيرنستن في الظلام، وعبر مرأب السيارات أمام بناء الشقة الذي تضيئه الأنوار المنبثقة من البيوت الهائلة والآمنة التي يتناول قاطنوها الوجبات الخفيفة ويحتسون القهوة وربما الشراب أيضاً وهم يتنقلون بين قنوات التلفاز بجهاز التحكم؛ بعد أن انتهت الأخبار الآن وأصبحت مشاهدته أكثر متعة. كان قد اتصل بمقر الشرطة الرئيس وأخبرهم أنه مريض. لم يسأله عن مرضه، بل استفهموا فقط عما إذا كان سيتغيب ثلاثة أيام من دون شهادة مرضية. أجابهم: كيف يمكن لأحد أن يعرف مسبقاً أنه سيمرض لثلاثة أيام فقط؟! يالها من دولة متقاعسين! ويا لهم من سياسيين منافقين يدعون أن الناس يريدون حقاً العمل عند استطاعتهم. لقد انتخب النرويجيون الحزب الاشتراكي لأنه جعل التقاعس من حقوق الإنسان. ومن في الدنيا يصوت لحزب يعطيه عطلة لثلاثة أيام من دون شهادة من الطبيب؟ يعطيه حرية الجلوس في المنزل وممارسة المتع أو الخروج للتزلج أو التعافي من آثار الإفراط في الشرب؟ لقد علم الحزب الاشتراكي طبعاً أثر ذلك في رفع المعنويات، لكنه حاول الظهور بمظهر مسؤول رغم هذا... متأنقين بشعار "الثقة في الغالبية"، ومعلنين حق التمارض كشكل من أشكال الإصلاح الاجتماعي. وكان حزب التقدم أكثر إثارةً للحقن بشرائه أصوات الناخبين بتخفيضات في الضرائب من دون أن يتكبد عناء إخفاء ذلك.

قضى يومه كله وهو يفكر في هذا الموضوع، بينما تفقد أسلحته ولقمها وتفحصها وراقب الباب المغلق ودقق في كل العربات التي عبرت مرأب السيارات باستخدام ماركلين: بندقية القنص العملاقة التي حصل عليها من قضية قديمة، حيث لا يزال الضابط المسؤول عن الأسلحة المصادرة على الأغلب يظن أنها في مقر الشرطة الرئيس. عرف ترولس أنه سيضطر للخروج عاجلاً أم آجلاً لشراء الطعام، لكنه انتظر حتى هبط الظلام وتناقص عدد الناس المتجولين في المنطقة. وقبل الحادية عشرة - موعد إغلاق متجر ريمي بقليل - أخذ مسدسه من نوع ستير وتسلل خارجاً، ثم بدأ يعدو إلى المتجر. مشى بين ممراته وهو يجول بنظره بين الأطعمة والزبائن، واشترى ما يكفيه لأسبوع من مخبوزات فيوردلانند، وأكياس صغيرة شفافة من البطاطا المقشرة، والبازلاء بالكريمة والصلصة. وضعها في مقلاة بها ماء مغلي لعدة دقائق، ثم أفرغها في طبق. إن أغمضت عينيك فلا شك في أنك ستخاله طعاماً منزلياً حقيقياً.

كان ترولس بيرنستن عند مدخل بناء الشقة يدخل المفتاح في القفل

عندما سمع وقع خطوات مستعجلة خلفه في الظلام. التفت مذعوراً ويده داخل سترته على مقبض مسدسه محملاً في وجه فيجديس إيه المرعوبة.

- هـ... هل أخفتك؟

سألت متلعثمة. أجابها ترولس بلباقة:

- لا.

ثم دخل من دون أن يمك لها الباب مفتوحاً، لكنه سمع تمكنها من إقحام جسدها البدين قبل أن يغلق الباب.

ضغط زر المصعد. أخفتك؟! بالطبع كان خائفاً حتى الموت؛ فهناك سيبريان من القوقاز يلاحقانه. وهل في ذلك شيء لا يثير الرعب؟

كانت فيجديس إيه تلهث خلفه. كانت بدينة جداً. لم لا يتكلم أحد بصراحة عن هذا الموضوع؟ فهو لن يرفض. لقد أصبحت النساء الزوجيات على قدر من البدانة لا يقتصر ضرره على اجتذاب قائمة طويلة من الأمراض والعلل التي تؤدي إلى الموت، بل يصل إلى درجة الحؤول دون تكاثر جنسنا. سيخلين البلد من السكان، لأنه ببساطة لن يكلف أي رجل نفسه أي عناء معهنّ.

وصل المصعد ودخله، ثم صرخت الأسلاك من الألم.

لقد قرأ أن الرجال أيضاً يزدادون وزناً بالقدر نفسه إن لم يكن أكثر؛ إلا أنه لا يظهر عليهم بالوضوح ذاته، فأجسامهم أكثر تناسقاً وتضاريسهم أقل؛ لذا تبدو أضخم وأقوى كما يبدو هو. فمظهره الآن أفضل بكثير مما كان عليه قبل زيادة عشرة كيلو غرامات. أما النساء فتكتسب أجسادهن زيادات شحمية متموجة ومتدلّية تستفزهن لركلها حتى يرى قدمه تختفي وسط ذلك المستنقع الدهني. بات الكل يعرفون أن الدهون هي السرطان الجديد، ومع ذلك يمتعضون من جنون التنحيف ويصفقون لجسد المرأة "الحقيقي"؛ وكأن ترك التمارين الرياضية والإفراط في تناول الطعام مثال يحتذى. كما أنهم يرفعون شعارات مثل "احتفل بجسدك" وما إلى ذلك، وكأن موت المئات نتيجة أمراض القلب أفضل من وفاة شخص واحد بسبب اضطرابات التغذية. والآن، حتى مارتين أصبحت مثلهن. صحيح أنها حامل... هو يعلم ذلك لكنه لم يستطع تجاهل أنها أصبحت مثلهن .

قالت فيجديس إيه مبتسمة:

- يبدو عليك البرد.

لم يعلم ترولس معنى إيه في اسمها، لكن هذا هو ما كتب على جرس بابها: فيجديس إيه. شعر برغبة في لكمة لكمة يميني بكل ما أوتي

من قوة، ولم يكن يخشى على برامجه من تلك الخدود التي تشبه خدود السناجب.

عرف ترولس سبب غضبه. إنه الهاتف الجوال. عندما اقتنعت تيلينور أخيراً بتعقب هاتف هول، قام موظفوها بتحديد موقعه في وسط المدينة، وبدقة أكثر: حول محطة أوسلو. لا يوجد مكان أكثر ازدحاماً من هذا ليلاً أو نهاراً. انطلق اثنا عشر شرطياً إلى هناك وهم يجوبون المكان بين الحشود بحثاً عنه لمدة ساعة... ولا شيء. في النهاية، اقترح شرطي جديد اقتراحاً سخيلاً بتوحيد الوقت في ساعات جميع العناصر والانتشار في المنطقة، ثم يقوم واحد منهم بالاتصال برقمه كل ربع ساعة، وإن سمع أي منهم هاتفاً يرن أو رأى أحداً يخرج هاتفه في اللحظة نفسها، يتوجب عليهم عندها التحرك لإلقاء القبض عليه؛ إذ لا بد أنه في مكان ما هناك. نفذوا الخطة على الفور، وما لبثوا أن وجدوا هاتفه في جيب رجل يجلس نصف نائم على درجات جيرنبايتورغيت قال إن رجلاً "أعطاه" الهاتف في ووتش تاور.

توقف المصعد، وتمتم ترولس: "تصبحين على خير". وخرج. سمع الباب يغلق وراءه والمصعد يتحرك ثانية. والآن، حان وقت الطعام والفيلم. ربما أشاهد فيلم فاست أند فيوريوس. .. إنه فيلم مقرف طبعاً، لكنه يحتوي مشهداً أو مشهدين يستحقان المشاهدة، أو ترانسفورمرز وأمتع نفسي طويلاً بمشاهدة ميغان فوكس.

سمع صوت أنفاسها. لقد خرجت من المصعد معه... يالها من امرأة! يبدو أن ترولس بيرنستن سيقوم علاقة الليلة. ابتسم وأدار رأسه، فقابله شيء ما قاس وبارد. دقق النظر... سبطانة بندقية. خاطبه صوت مألوف:

- شكراً جزيلاً، يسعدني الدخول.

جلس ترولس بيرنستن على الأريكة وهو يحرق في فوهة مسدسه. لقد عثر عليه والعكس بالعكس. قال هاري هول وهو يضع سيجارة في زاوية فمه لكي لا يدخل الدخان عينيه.

- لا يمكننا الاستمرار بمقابلة بعضنا بهذه الطريقة.

- لم يجب ترولس.
- أتعلم لم أفضل استخدام سلاحك؟
- سأل وهو يربت على بندقية الصيد التي وضعها في حضنه.
- تابع ترولس صمته.
- لأني أفضل أن يعود مصدر الرصاصات التي سيجدونها داخلك إلى سلاحك أنت .
- رفع ترولس كتفيه.
- انحنى هاري للأمام، وبات بإمكان ترولس أن يشم أنفاسه بوضوح:
رائحة شراب. تبا... كان الرجل ثملاً. لقد سمع قصصاً تروى عما فعله وهو
بكامل وعيه... والآن عاد إلى احتساء الشراب.
- أنت حارق أدلة، وها هو الإثبات.
- رفع بطاقة الهوية التي كانت في المحفظة التي أخذها منه مع
السلاح.
- توماس لاندر؟ أليس ذلك الرجل الذي أخذ المخدرات من
غاردموين؟
- أجابه ترولس مغمضاً عينيه ومستنداً على ظهر الأريكة... الطعام
والفيلم.
- ما الذي تريده؟
- أريد أن أعرف الرابط بينك وبين دبي وإيزابيل سكوين ومايكل
بيلمان.
- اعتدل ترولس في جلسته. مايكل؟! ما علاقة مايكل بكل هذا؟
وإيزابيل سكوين؟ أليست تلك السياسية؟
- ليست لدي أدنى فكرة...
- رأى هاري يحشو البندقية.
- احذر ياهول! فزناد البندقية حساس فوق ما تتخيل. إنه...
ارتفع زناد البندقية أكثر.
- انتظر! انتظر بالله عليك!
- جال لسان ترولس بيرنستن في فمه بحثاً عن اللعاب.
- لا أعرف شيئاً عن بيلمان أو سكوين. أما دبي...
- نعم؟
- فيمكنني إخبارك عنه.
- ماذا تعرف عنه؟

أخذ ترولس بيرنستن نفساً عميقاً وحبسه، ثم أطلقه مع تنهيدة:
- كل شيء.

ثلاث عيون كانت متجهة صوب ترولس بيرنستن. اثنتان ذواتا حدقتين زرقاوين فاتحتين غسلهما الشراب، وأخرى سوداء مستديرة وهي فوهة بندقيته الستير. كان الرجل الممسك بالبندقية أقرب للاستلقاء منه للجلوس على الأريكة، ورجلاه الطويلتان ممتدتان على السجادة. قال بصوت أجش:

- أخبرني يا بيرنستن. أخبرني عن دبي.

سعل ترولس مرتين... حنجرة جافة لعينة.

- رن جرس الباب في إحدى الليالي، وحين رفعت سماعة الهاتف الداخلي سمعت صوت شخص يقول إنه يريد التحدث معي بإيجاز. لم أرد السماح له بالدخول بدايةً، لكنه ذكر اسماً ثم...

أمسك ترولس بيرنستن بفكه بين إبهامه والإصبع الوسطى.

انتظر الرجل الآخر.

- لقد قمت بعمل مشؤوم لم أعتقد أن أي أحد يعرف عنه شيئاً.

- وماذا كان؟

- معتقل كان بحاجة لمن يربيه. لم أعلم أن أحداً ما عرف أنني

من... رباه.

- أي إصابات؟

- طالب الوالدان برفع قضية، لكن الولد لم يتمكن من التعرف

علي في صف المتهمين. لا بد من أنني آذيت عصبه البصري. شر البلية، أليس كذلك؟

ضحك ترولس ضحكته العصبية الناخرة ثم صمت فوراً.

- والآن، وقف عند بابي ذلك الرجل وهو على علم بها، وقال إن

لدي موهبة في التخفي، وإنه مستعد ليدفع الكثير لرجل مثلي. كان يتحدث النروجية لكن بلهجة غريبة. بدا محترماً فتركته يدخل.

- قابلت دبي؟

- نعم، كان وحده. رجل عجوز في حلة أنيقة لكنها قديمة الطراز

وصدرة وقبعة وقفازين. أخبرني بما يريدني أن أفعله وبما سيدفعه لي. كان

رجلاً حذراً. قال لي إننا لن نتقابل وجهاً لوجه ثانيةً، ولن يكون بيننا

اتصال بالهاتف أو الرسائل الإلكترونية أو أي شيء يمكن تتبعه. ولم تكن

عندي مشكلة في ذلك.

- كيف نظمتما العمل إذًا؟

- كانت المهام تعلق على شاهدة قبر كان قد دلني عليها.
- أين؟
- مقبرة غامليين. وهناك أيضاً كنت أقبض المال.
- أخبرني عن دبي. من هو؟
- حملك ترولس بيرنستن في المدى، وحاول أن يحل المسألة بطرحها وجمعها وناتجها.
- ما الذي تنتظره يا بيرنستن؟ أنت قلت لي إن بوسعك إخباري كل شيء عن دبي.
- أتدرك ما أخطر به بإخبار...
- حين رأيته آخر مرة، كان هناك اثنان من رجال دبي يحاولان ملأك بالرصاص. لذا، حتى إن لم أوجه هذه البندقية إليك فأنت لا تزال في خطر يا بيرنستن. تكلم وقل لي من هو؟
- كانت عينا هاري هول تخترقانه حتى ظن ترولس أن هاري يرى ما بداخله. وها هو الزناد يتحرك الآن، وسؤاله يصبح أسهل.
- قال بيرنستن وهو يرفع راحتيه:
- حسناً، حسناً. اسمه ليس دبي. يدعونه بذلك الاسم لأن تجار المخدرات العاملين لديه يرتدون قمصان فريق كرة قدم يروج لشركة طيران تُسَيَّر رحلات إلى دول عربية.
- معك عشر ثوان لتخبرني شيئاً لم أبحث عنه وأكتشفه مسبقاً.
- تمهل، تمهل. سأتيك بالحديث! اسمه رودولف أسايف. هو روسي، ووالداه مفكران منشقان ولاجئان سياسيان، أو على الأقل هذا ما قاله في المحاكمة. عاش في دول كثيرة، ويتحدث تقريباً سبع لغات. قدم إلى النروج في السبعينيات، وكان من أحد رواد تهريب الحشيش كما يقال. استطاع التخفي وعدم لفت الأنظار إليه، لكن أحد رجاله وشى به في الثمانينيات حين كانت عقوبة استيراد المخدرات وبيعها تساوي عقوبة الخيانة. لذا، قضى مدة طويلة في السجن، وعندما خرج انتقل إلى السويد وغير تجارته إلى الهيروين.
- عقوبته تساوي عقوبة الحشيش لكن أرباحه أفضل بكثير.
- بالطبع. لقد بنى شبكة في غوتنبرغ، لكن بعد مقتل شرطي متخفٍ اضطر للاختباء، فجاء إلى أوصلو منذ سنتين تقريباً.
- وهل أخبرك هو بذلك؟
- لا، لا. لقد اكتشفت ذلك بنفسي.

- آه، حقاً! كيف؟ ظننت الرجل شبحاً لا يعرف أحد عنه شيئاً.
نظر ترولس إلى يديه، ثم رفع نظره إلى هاري هول ثانية. كان عليه
أن يتسم تقريباً، فلطالما أراد إخبار أحد بذلك... بكيفية تمكنه من خداع
دبي نفسه، لكن لم يكن هناك أحد ليخبره. لعق ترولس شفتيه:
- كان يجلس على الأريكة التي تجلس أنت عليها الآن، وذراعه
على طرفيها.

- ثم ماذا؟

- ارتفع كما قميصه، وانكشفت فتحة بينهما وبين قفازيه. كانت
لديه ندب بيضاء كتلك التي تحصل عندما تزيل وشماً. وعندما رأيتها على
معصمه فكرت...

- السجن. كان يرتدي قفازين لكي لا يترك بصمات أصابع تمكنك
من التحقق من سجلاته لاحقاً.

أوماً ترولس. كان هاري سريع البديهة... لا بد من أن يقر له بذلك.
- تماماً. لكن، بعد أن وافقت على شروطه بدأ أكثر ارتياحاً، وعندما
صافحته لإتمام الاتفاق خلع قفازه. رفعت بضع بصمات شبه كاملة عن
ظاهر كفي لاحقاً، ووجد الحاسوب بصمات مطابقة.

- رودولف أسايف... دبي. كيف تمكن من إخفاء هويته طوال
هذه المدة؟

هز ترولس كتفيه.

- تمر علينا حالات كهذه دائماً في فرقة مكافحة الجريمة المنظمة.
هناك شيء واحد يميز الكبار الذين لا ينكشفون عن أولئك الذين ينكشفون.
المنظمة الصغيرة: صلات محدودة، ومساعدون مؤتمنون معدودون. فملوك
المخدرات الذين يظنون أنهم في مأمن بينما يحيط بهم جيش من العاملين
ينكشف أمرهم دائماً. لا يخلو الأمر أبداً من الخدم الخونة... منهم من
يريد الاستيلاء على العمل، ومنهم من يشي بغيره لتخفيف الحكم.

- ولم تره سوى مرة واحدة وفي هذا المكان؟

- كانت هناك مرة أخرى في ووتش تاور. أعتقد أنه هو. لقد رأيته،

ثم التفت إلى الباب وخرج.

- إذًا، فإشاعة تنقله حول المدينة كالشبح صحيحة؟

- من يدري؟

- ماذا كنت تفعل في ووتش تاور؟

- أنا؟

- لا يسمح للشرطة بالعمل هناك.
- أعرف فتاةً تعمل هناك.
- ممم... مارتين؟
- هل تعرفها؟
- هل جلست هناك تراقبها؟
- أحس ترولس بالدم يندفع إلى رأسه.
- أنا...
- استرخ يا بيرنستن، فقد استثنيت نفسك للتو من قائمة التحقيق.
- ... ماذا؟
- أنت المترصّد... الرجل الذي ظنته مارتين شرطياً متخفياً. لقد كنت في ووتش تاور عند مقتل غاستو أليس كذلك؟
- المترصّد؟
- انس ذلك، وأجيني.
- يا إلهي. لم اعتقدت أنني...؟ ما الذي يجعلني أرغب بقتل غاستو هانسن؟
- أجابه هول:
- كان من الممكن أن يكون أسايف قد أوكل إليك بهذه المهمة. لكنك تملك سبباً قوياً شخصياً. فغاستو قد رآك وأنت تقتل رجلاً في ألنابرو بمثقب كهربائي.
- فكر ترولس بيرنستن بما قاله هول. فكر به على طريقة رجل شرطة حياته عبارة عن كذبة متواصلة... في كل يوم، وفي كل ساعة، عليه أن يحاول التمييز بين الكذب والحقيقة.
- جريمة القتل تلك التي ارتكبتها تعطيك دافعاً لقتل أوليغ فوك؛ وهو شاهد آخر عليك. السجين الذي حاول طعن أوليغ...
- لم يعمل لصالحه! يجب أن تصدقني يا هول. ليست لي علاقة بذلك، فقد قمت فقط بإحراق الدليل... لم أقتل أحداً. أما قضية ألنابرو فقد كانت محض حظ عاثر.
- أمال هول رأسه:
- وعندما جئت إلى فندق ليون، ألم يكن غرضك قتلي؟
- بلع ترولس لعابه. فهذا الرجل هول يمكنه قتله. نعم، بإمكانه ذلك. يمكنه أن يضع رصاصة في صدغه ويمسح بصماته عن البندقية ويتركها في يده. لا دلالة على وجود اقتحام، وفيجديس إيه ستشهد بأنها رأته يعود

للمنزل وحده والبرد والوحدة باديان عليه، كما أنه أخذ إجازة مرضية... أعراض اكتئاب.

- من الرجلان اللذان أتيا لقتلنا؟ أهما من رجال رودولف؟
أوما ترولس.

- لقد هربا. لكنني تمكنت من إصابة أحدهما.

- ما الذي حدث؟

هز ترولس كتفيه:

- أظن أنني أعرف معلومات أكثر مما ينبغي لي.

حاول أن يضحك، لكن الضحكة بدت كسعال.

جلسا يتبادلان النظرات.

سأل ترولس:

- ما الذي تخطط لفعله؟

- الإمساك به.

الإمساك... مضى زمن طويل منذ أن سمع ترولس أحداً يستخدم هذه

الكلمة.

- هل سيكون حوله أحد؟

- ثلاثة أو أربعة على الأكثر.

- ممم... هل لديك أي معدات ثقيلة أخرى؟

- معدات ثقيلة؟

- عدا عن هذه.

أشار هول إلى الطاولة الصغيرة حيث وضع المسدسين ورشاش البي إم

فايف وجميعها ملقمة وجاهزة للإطلاق.

- سأقيدك وأبحث في الشقة كلها، لذا من الأفضل لك أن تخبرني.

فكر ترولس بيرنستن في خياراته، ثم أشار إلى غرفة النوم.

هز هول رأسه، بينما فتح ترولس باب الخزانة وأشعل مصباح نيون

أسطوانياً يلقي ضوءاً أزرق على محتوياتها: ستة مسدسات، سكينان كبيرتان،

هراوة سوداء، برآجم معدنية، قناع الوقاية من الغازات السامة، وما يدعى

بندقية مكافحة الشغب: وهي سلاح ثخين وقصير ذو أسطوانة في المنتصف

تحمل خراطيش كبيرة من الغاز المسيل للدموع. حصل ترولس على غالبية

معدات الشرطة من المخزن؛ حيث يحتفظون بكل شيء من دون أدنى هدر.

- هل فقدت عقلك يا بيرنستن؟

- لم تقول ذلك؟

أشار هول بيده. لقد دق ترولس مسامير في الجدار، ورسم عليه الخطوط الخارجية لكل سلاح، فأصبح لكل شيء مكانه الخاص.

- أتعلق السترة الواقية من الرصاص على علاقة ثياب ؟ أتخشى عليها من التجعد؟

لم يجب ترولس بيرنستن.

قال هول وهو يأخذ السترة:

- حسناً. أعطني بندقية مكافحة الشغب، وقناع الواقية من الغاز السام، وذخيرة رشاش الإم بي فايف في غرفة الجلوس، وحقبة ظهر.

لحق هول بترولس بينما قام بهلاء الحقيبة، ثم عادا إلى غرفة الجلوس حيث أخذ هاري الإم بي فايف.

ثم وقفا عند الباب.

قال هاري:

- أعلم ما تفكر فيه ياترولس. لكن، قبل أن تقوم بأي اتصال أو

تحاول إيقافي بأي طريقة أخرى، ليكن في علمك أن كل ما أعرفه عنك

وعن هذه القضية موجود بين يدي محامٍ. وقد أعطيته الإرشادات للتصرف في حال حصل لي أي شيء. أفهمت؟

كذب... هذا ما خطر في بال ترولس. أوما برأسه.

ضحك هاري ثم أردف:

- تظن أنني أكذب. أليس كذلك؟ لكن، لا يمكنك التأكد من ذلك

مئة بالمئة. أليس كذلك؟

شعر ترولس بكره عميق لهول، وبيغض لابتسامته المتعالية اللامبالية.

- ماذا سيحصل لو نجوت ياهول؟

- عندها ستكون مشكلاتك قد انتهت. سأختفي، سأسافر إلى النصف

الآخر من الأرض ولن أعود أبداً. شيء أخير...

زرر هاري معطفه الطويل فوق السترة الواقية من الرصاص.

- أنت من حذف بليندرن فيين 74 من القائمة التي استلمتها أنا

وبيلمان. أليس كذلك؟

كان ترولس على وشك أن ينفي من دون تفكير، لكن شيئاً ما منعه؛

بمثابة حدس أو فكرة غير مكتملة. الحقيقة هي أنه لم يعرف أبداً مكان

إقامة رودولف أسايف.

- نعم.

أجاب ترولس بيرنستن وعقله يدور محاولاً استيعاب ما يجري. حاول تحليل معنى: القائمة التي استلمتها أنا وبيلمان. حاول الوصول إلى استنتاج، لكنه لم يستطع التفكير بالسرعة الكافية؛ فسرعة البديهة ليست من صفاته، وهو بحاجة لمزيد من الوقت.

- نعم.

كررها وهو يأمل أن لا تبدو عليه ملامح الدهشة.

- طبعاً، أنا من حذف العنوان.

- سأترك هذه البندقية.

خاطبه هاري وهو يفتح المخزن ويفرغ منه الخراطيش. وتابع:

- إن لم أعد ساملاً فستنتقل المعلومات إلى شركة حمامة تدعى باك

وسيمونسين.

صفق هول الباب، وسمع ترولس وقع خطواته الواسعة على السلام.

انتظر ليتأكد من أنه لن يعود ثم قام بالعمل.

لم يعثر هول على بندقية الماركلين المستندة إلى الجدار خلف الستائر

قرب باب الشرفة. سحب ترولس البندقية، وشرع باب الشرفة، ثم أسند

البندقية على السياج. كان الجو بارداً مع مطر خفيف، لكن الأهم هو

عدم وجود رياح.

رأى هول وهو يخرج من البناء في الأسفل، ورأى معطفه يرفرف

حوله وهو يهرول مسرعاً نحو سيارة الأجرة التي تقف في انتظاره في مرأب

السيارات. حدد موقعه عبر المنظار الحساس للضوء... نتاج خبراء الهندسة

والبصريات الألمان. كانت الصورة مشوشة قليلاً، لكنها مقربة. باستطاعته

إصابة هول من مكانه من دون مشكلة، وستخرقه الرصاصة من الرأس

لإصبع القدم، والأفضل من ذلك أن تخرج من أعضائه التناسلية، فالسلاح

قد صنع في الأصل لصيد الفيلة. لكنه إن انتظر حتى يمر هول تحت أحد

مصابيح الإنارة في المرأب فستكون الإصابة أضمن. هذا تفكير عملي: إذ لا

يوجد الكثير من الناس في المرأب في هذا الوقت المتأخر، وليس مكانه

بعيداً عن ترولس ليسحب جثته إلى السيارة.

استعان بمحامٍ! هل تجرأ؟ بالطبع بات عليه الآن أن يقدر ما إذا

كان عليه التخلص منه أيضاً توخياً للحد. هانز كريستيان سيمونسين.

ها هو هول يقترب. الرقبة أم الرأس؟ كانت السترة الواقية من

الرصاص مرتفعة نحو الأعلى وثقيلة جداً. ضغط الزناد للخلف... صوت

منخفض يكاد لا يسمع أخبره أن عليه عدم القيام بذلك؛ إنها جريمة قتل.

لم يقم ترولس بيرنستن بقتل أحد من قبل، لم يعتمد ذلك. أما ترود شالتز فلم يكن موته ذنبه، إذ كانت كلاب رودولف أساييف الضارية وراء ذلك. وغاستو؟ نعم. من الحيوان الذي قتل غاستو؟ لم يكن هو بأي حال من الأحوال. مايكل بيلمان... إيزابيل سكوين.

سكت الصوت الهامس، وبدأت نقطة الهدف مثبتة على مؤخر رأس هول. الآن! أصبح بإمكانه رؤية الضوء. خلال ثانيتين سيصل هول إلى النور. لسوء الحظ لم يصور ما يجري لينسخه على قرص ليزري. كان ليتفوق على ميغان فوكس حتى من دون مخبوزات فيوردلاند.

أخذ ترولس بيرنستن نفساً عميقاً ببطء، وكان نبضه يتسارع ولكنه تحت السيطرة.

كان هاري هول تحت الأضواء مكشوفاً تماماً أمامه. للأسف الشديد لم يستطع التصوير... تردد ترولس بيرنستن.

لم تكن سرعة اتخاذ القرارات من مهاراته. لم يكن غيباً، لكنه كان بطيئاً في بعض الأحيان.

كان هذا هو الفرق بينه وبين مايكل طوال حياتهما: فمايكل هو المفكر المتحدث. المهم أن ترولس كان ينجح في النهاية. كما حدث الآن. إنها مجرد أساسيات رياضية؛ هذا ما كان مايكل سيقوله. هول يسعى خلف رودولف أسايف وترولس: بهذا الترتيب لحسن الحظ. لذا، إن قتل هول أسايف فسيكون على الأقل قد أنهى واحدة من مشاكل ترولس، وإن حصل العكس فالنتيجة هي ذاتها. لكن إن... لا يزال هاري هول تحت الأضواء.

ضغطت إصبع ترولس على الزناد بشكل متساوٍ. إنه ثاني أفضل رام بالبندقية في مكتب التحقيقات المركزي وأفضل رام بالمسدس. أفرغ رتيه من الهواء واسترخى تماماً. لن تخرج أي حركة عن السيطرة، أخذ نفساً ثانياً. أخفض البندقية.

امتد شارع بليندرنفين أمام ناظري هاري متوهجاً وهو يتعرج عبر التضاريس المرتفعة، وتحيط به المنازل القديمة والحدائق الكبيرة والمباني الجامعية والمروج.

انتظر حتى تمكن من رؤية أضواء سيارة الأجرة تتلاشى في الأفق، ثم بدأ سيره.

كانت الساعة الواحدة إلا أربع دقائق ولم يكن هناك أحد يُرى. لقد أخبر سائق سيارة الأجرة أن يتوقف عند العنوان 68.

كان المنزل 74 محاطاً بسيج يرتفع ثلاثة أمتار، وبيتعد خمسين متراً عن الطريق. ويقع بجانب المنزل بناء أسطواني بحدود أربعة أمتار تقريباً طولاً وقطراً يشبه برج تخزين المياه. لم ير هاري برج مياه بهذا الشكل في

النروج من قبل، لكنه لاحظ أن للمنزل المجاور واحداً مثله. افترش الطريق المؤدي إلى الدرجات الأمامية للمنزل بالحصى طبعاً، وأضاء مصباح وحيد الباب الخشبي الداكن والميتين على الغالب.

انبعث الضوء من نافذتين في الطابق الأرضي وواحدة في الطابق الأول. وقف هاري في ظل شجرة بلوط على الجانب المقابل من الطريق، وأنزل حقيبة الظهر وفتحها. جهز بندقية مكافحة الشغب، ووضع القناع الواقي من الغازات السامة على رأسه، حيث يتمكن من إنزاله على وجهه فوراً عند الحاجة.

أمل أن تساعد الأمطار على الاقتراب بقدر ما يحتاج. تأكد من أن رشاش الإم بي فايف ملقم، وذراع الأمان مرفوعة. حان الوقت.

لكن تخديره يخف بسرعة.

أخذ زجاجة شراب وفتح غطاءها. لم يجد فيها إلا كمية قليلة تكاد لا ترى في قعرها. نظر إلى المنزل مرة أخرى، ثم نظر إلى الزجاجة. إن نجحت هذه العملية فسيحتاج لجرعة كبيرة بعدها. أغلق الزجاجة ثانيةً، وحشرها في الجيب الداخلي مع مخزن الإم بي فايف الإضافي. تأكد من أنه يتنفس على نحو طبيعي، وأن دماغه وعضلاته تحصل على الأوكسجين الكافي. نظر إلى ساعته... تجاوزت الواحدة بدقيقة. ستغادر الطائرة بعد ثلاث وعشرين ساعة... طيارته هو وراكيل.

أخذ نفسين عميقين آخرين. البوابة مزودة بجهاز إنذار على الأغلب، لكن حملة ثقيل ولن يتمكن من الدخول عبر تسلق السياج بسرعة. وهو ليس راغباً في أن يعلق فوقه كهدف حي مكشوف كما حصل معه في شارع مادسيرود.

تابع العد في عقله: اثنان ونصف، ثلاثة.

مشى نحو البوابة، وضغط على المقبض وفتحها، ثم ركض وهو ممسك ببندقية مكافحة الشغب بيد ورشاش الإم بي فايف باليد الأخرى. لم يجر على الطريق المعبد بالحصى بل على العشب، واتجه نحو نافذة غرفة المعيشة. كان كشرطي اشترك في الكثير من غارات الاعتقال يعرف مدى أهمية عنصر المفاجأة؛ لا أن تكون البادئ في إطلاق النار وحسب، بل أن تصدم الخصم باستخدام الأضواء والأصوات؛ مما قد يؤدي إلى شل حركته تماماً. لكنه يعرف أيضاً مدة انتهاء صلاحية المفاجأة: خمس عشرة ثانية. أدرك أن هذا هو كل ما لديه من وقت. إن لم يستطع القضاء عليهم في

هذه المدة فسيتمكنون من تمالك أنفسهم والتجمع ورد الهجوم. وهم يعرفون المنزل جيداً، بينما لم يطلع هو على مخططه. أربع عشرة... ثلاث عشرة.

أطلق خرطوشتي غاز عبر نافذة غرفة المعيشة، فانفجرتا مصدرتين سحابة بيضاء كبيرة. ومنذ أن أحس بأن الوقت قد توقف وتحول إلى فيلم مهتز يسجل فيه حركته، قام جسده بما ينبغي عليه فعله، لكن عقله كان مشوشاً.

اثنتا عشرة.

أنزل قناع الغاز على وجهه، ورمى بندقية مكافحة الشغب إلى داخل غرفة المعيشة، ثم أزاح قطع زجاج النافذة المكسور الكبيرة برشاش الإم بي فايف، ووضع حقيبة الظهر على حافة الشباك، ووضع يده عليها، ثم رفع قدمه عالياً وقفز داخل الدخان الأبيض الزاحف نحوه. أثقلت السترة المعدنية الواقية من الرصاص حركته، لكن بمجرد أن أصبح في الداخل خفت حركته كما لو كان يطير بين السحب. سمع صوت طلقات نار فانبطح. ثمانية.

المزيد من الطلقات. ارتفع الصوت الحاد نتيجة تحطم الأرضية الخشبية. لم يصبهم ذلك الشلل الذي يمنعهم من التحرك. انتظر، ثم سمع ما كان ينتظره... السعال؛ سعال لا تملك حيلة لمقاومته والغاز المسيل للدموع يلسع عينيك وأنفك ورئتيك. خمسة.

هز هاري رشاش الإم بي فايف، وأطلق النار على مصدر الصوت وسط الضباب الرمادي والأبيض، ثم سمع وقع خطوات قصيرة وخفيفة كأنها تصعد الدرج. ثلاثة.

نهض هاري واقفاً ثم انطلق.

اثنان.

لم يكن هناك دخان في الطابق الأول. إن أفلت منه الهدف فستسوء الفرص المتبقية أمام هاري إلى حد كبير. واحد... صفر.

تمكن من تمييز الدرج، ثم الدرابزين والقضبان تحته. مرر رشاش الإم بي فايف على القضبان، وأداره للجانب ثم رفعه إلى الأعلى. ضغط الزناد فاهتز السلاح في يده، لكنه أمسكه بإحكام وأفرغ المخزن. سحب السلاح

للخلف، وفك المخزن بينما يده الثانية تجول في معطفه بحثاً عن المخزن الآخر. لم يجد سوى الزجاجاة. لقد أضع المخزن الآخر عندما انبطح على الأرض! وما تبقى من ذخيرة وأسلحة لا يزال في حقيبة الظهر على النافذة. علم هاري أنه ميت لا محالة عندما سمع صوت خطوات تنزل على الدرج. بدأت الخطوات بطيئة ومترددة، ثم تسارعت وهي تجري نحو الأسفل. رأى هاري خيلاً يخرج من بين الضباب، طيفاً مترنحاً بقميص أبيض وبزة سوداء. هوى على الدرايزين، وانثنى نصفين، ثم انزلق إلى نهاية الدرج جثة هامدة. رأى هاري أطراف الجرح المحترقة في ظهر البزة حيث دخلت الرصاصة. سار نحو الجثة وأمسك بطرفها ثم رفع الرأس. شعر بالاختناق، وكان عليه مقاومة الرغبة العارمة في نزع القناع الواقي من الغازات.

لقد مزقت رصاصة نصف أنفه لدى خروجها، لكن هاري استطاع التعرف عليه. إنه الرجل الضئيل الذي قابله عند مدخل فندق ليون... الرجل الذي أطلق النار عليه من السيارة في شارع مادسيروود.

أصغى هاري السمع بينما ساد سكون لا يعكره سوى صوت حسيس خرطوشة الغاز المسيل للدموع التي لا تزال تطلق الدخان الأبيض. عاد إلى نافذة غرفة المعيشة، وأدخل مخزناً جديداً في الرشاش، وآخر تحت سترته الواقية من الرصاص. عندئذ فقط لاحظ العرق الذي يسيل في الداخل.

أين الرجل الكبير؟ وأين دبي؟ أصغى هاري ثانية. حسيس الغاز. لكن، ألم يسمع وقع أقدام في الطابق العلوي؟

لمح عبر الدخان غرفة أخرى وباباً مفتوحاً يؤدي إلى المطبخ. كان هناك باب واحد مغلق. وقف بجانب الباب وفتحه، ووجه البندقية إلى الداخل وأطلق مرتين، ثم أغلق الباب وانتظر. عد للعشرة ثم فتح الباب ودخل.

فارغة. ميز بعض رفوف مكتبة وسط الدخان ومقعداً جليداً أسود ومدفأة كبيرة. وفوق المدفأة، علقت لوحة رجل يرتدي زي الشرطة السرية النازية الغستابو. أهذا منزل نازي قديم؟ يعرف هاري أن كارل مارتينسن رئيس قوات الصاعقة النروجية كان يسكن في منزل مصادر في بليندرنفيين حين انتهت حياته رميةً بالرصاص خارج مبنى العلوم.

تتبع هاري خطواته عائداً عبر المطبخ، فالباب خلفه، وصولاً إلى غرفة الخادمة التقليدية في ذلك الوقت، ثم وجد ما كان يبحث عنه: السلام الخلفية.

تعمل هذه السلام عادة كمخرج طوارئ، لكن هذه السلام لم تقف

عند الباب الخارجي، بل على العكس امتدت نزولاً إلى القبو وما كان في السابق باباً خلفياً أغلق بالقرميد.

تأكد هاري من وجود خرطوشة غاز في مخزن البندقية، ثم سار بخطوات واسعة وصامتة وأطلق الخرطوشة الأخيرة في الرواق. عد حتى العشرة، ثم دخل ودفع الباب ليفتحه والألم يطعن رقبتة، لكنه مع ذلك استطاع التركيز. عدا عن الباب الأول الذي كان مقفلاً، كانت جميع الغرف فارغة. بدت اثنتان من غرف النوم قيد الاستعمال، إلا أن السرير في إحدهما لم يكن مغطى، واستطاع هاري رؤية الفراش الغامق وكأنه مغمور بالدم. وعلى الطاولة بجوار السرير في الغرفة الأخرى وجد كتاباً مقدساً. تأمله هاري، حروف سريالية؛ إنهم من الروس، وبجواره زجوك: الخنفس. قرميدة حمراء بسماكته نفسها مثبتة عليها ستة مسامير.

عاد هاري إلى الباب المغلق. تكاثف العرق على زجاج القناع من الداخل، فاتكأ على الجدار المقابل للباب ورفع قدمه وركل القفل. تحطم الباب بعد الركلة الرابعة. جثم هاري على الأرض وأطلق الرصاص داخل الغرفة، وسمع صوت تكسر زجاج. انتظر حتى يدخل الدخان من الرواق إلى الغرفة. دخل ثم وجد مفتاح الضوء.

كانت الغرفة أكبر من غيرها، والسرير ذو الأعمدة الأربعة بجانب الجدار الكبير غير مرتب، والجوهرة الزرقاء التي ترصع الخاتم المتروك على الطاولة بجوار السرير تلمع.

وضع هاري ذراعه تحت اللحاف... لا يزال دافئاً. نظر حوله. ربما غادر الشخص الذي كان يستلقي على ذلك السرير -كائناً من كان- الغرفة منذ قليل وأغلق الباب خلفه. هذا لو لم يكن المفتاح في الباب من الداخل. تفحص هاري النافذة: إنها مغلقة ومقفولة. قرر أن يفتش الخزانة المتينة قبالة الجدار القصير. فتحها. للوهلة الأولى، بدت خزانة عادية، لكنه حين ضغط على جدارها الخلفي انفتح.

ممر للهرب... إنها الشمولية الألمانية.

أزاح هاري القمصان والسترات إلى الجانبين، وأدخل رأسه عبر الجدار المتحرك، فقابلته نفحة هواء بارد... تيار هوائي. تلمس المكان. لقد ثبتت درجات حديدية على الجدار، ويبدو أن هناك المزيد منها نحو الأسفل... لا بد أنها تصل إلى القبو. رفت في ذهنه صورة كأنها مجتزأة من حلم. كتبها، أزاح قناع الغاز وحشر نفسه داخل الجدار المتحرك. عثرت قدماه

على الدرجات، وعندما تمكن من النزول بحذر بضع خطوات وأصبح وجهه مقابلاً للأرضية الخزانة وجد شيئاً عليها. كان من القطن المقوى، وذا شكل منحني. وضعه هاري في جيب معطفه وتابع النزول نحو الأسفل وسط الظلام. أخذ يعد الدرجات، وبعد الدرجة الثانية والعشرين لامست قدمه الأرض. لكنه حين شرع في إنزال قدمه الأخرى لم تعد الأرض ثابتة تحته. فقد توازنه، لكن سقوطه كان خفيفاً. خفيفاً لدرجة تثير الشك.

تسمر هاري في مكانه وأصغى السمع، ثم أخرج الولاة من جيب بنطاله. أشعلها. كشف ما أراد رؤيته. لقد كان مستلقياً فوق رجل.

إنه رجلٌ سمينٌ جداً وعارٍ جداً. بشرته باردة كالرخام، ويكسوه لون أزرق شاحب؛ كأى جثة حديثة الوفاة.

نأى هاري بنفسه عن الجثة، وسار على الأرضية الإسمنتية نحو باب القبو الذي كشفه. لكن ضوء الولاة جعله هدفاً مكشوفاً؛ فكلما ازدادت الإضاءة كشفت الجميع. أمسك رشاش الإم بي فايف على أهبة الاستعداد، بينما تابع الضغط على مقدمح الولاة بيسراه.

لاح حبل من المصابيح يمتد عبر نفق منخفض وضيق. فهم هاري أنه ليس هناك أحد سواه هو والرجل العاري. نظر إلى الجثة على الأرض... كانت تستلقي على بساط وحول بطنها ضمادة ملوثة بالدماء، وعلى صدرها وشم لامرأة تحديق به. وذلك حسب اعتقاد هاري يرمز إلى أن صاحب الوشم مجرم منذ سنوات طفولته. لم تكن هناك أي علامات مرئية تدل على إصابة أخرى، لذا جزم هاري أن الجرح تحت الضمادة هو سبب الوفاة، ويغلب احتمال أنها طلقة من مسدس ستير الذي يملكه ترولس بيرنستن.

ضغط هاري على باب القبو بأصابعه. مقفل. انتهى النفق بصفيحة معدنية مثبتة في الجدار؛ أي إنه لم يكن لدى رودولف أسايف سوى مخرج واحد... النفق. وعلم هاري سبب تجربته باقي المخارج كلها... الحلم. حديق في النفق.

رهاب الأماكن الضيقة يشكل إعاقه في هذه الحالة؛ فهو يعطي إحساساً مزيفاً بوجود خطر لذا يجب مقاومته. تأكد من إدخال مخزن الذخيرة في رشاش الإم بي فايف بالشكل الصحيح. أيها الأحمق، لا تظهر الأشباح إلا إن سمحت لها بذلك.

ثم شرع في السير.

كان النفق أضيق حتى مما تصور. ورغم أنه انحنى، إلا أن رأسه وكتفيه ظلت ترتطم بالسقف والجدران المكسوة بالعفن. حاول شغل تفكيره بشتى الوسائل لكي لا يترك فرصة لرهاب الأماكن الضيقة بالسيطرة عليه. ورغم أن هذا الطريق مَهْرَبٌ استخدمه الألمان لا محالة، إلا أنه يتناسب مع الباب الخلفي المسدود بالقرميد. لقد قضت العادة أن يحفظ جميع الاتجاهات. وإن لم يكن مخطئاً فهو يسير نحو المنزل المجاور ذي برج تخزين المياه المطابق لبرج هذا المنزل. لقد تم بناء النفق بعناية فائقة؛ إذ كان هناك عدد من فتحات التصريف في الأرضية. لكن المستغرب أن الألمان الذين بنوا الطريق السريع شيّدوا نفقاً ضيقاً كهذا. وبمجرد أن فكر بكلمة ضيق أطبق الرهاب على أنفاسه. ركز تفكيره على عد خطواته، وحاول تخيل مكانه تحديداً من التلة... التلة في الخارج حيث الهواء الطلق. تابع العد... تابع العد بالله عليك. عندما وصل للرقم 110، رأى خطأً أبيض مرسوماً على الأرض تحته. رأى أن الضوء يقف عند نقطة ما أمامه. وعندما التفت وراءه، أدرك أن الخط علامة تحدد منتصف النفق. قدّر المسافة التي قطعها بناءً على الخطوات الصغيرة التي اضطر إلى أن يتقيد بها؛ ما بين سبعين وثمانين متراً. لقد اقترب. حاول حث خطاه وتحريك قدميه تحته كرجل عجوز. سمع نقرة فنظر للأسفل. لقد صدرت عن إحدى فتحات التصريف، حيث تحركت الأعمدة التي تغطيها حتى اصطكت مع بعضها كفتحات التهوية في سيارة. وفي تلك اللحظة، سمع ضجيجاً مختلفاً، قعقعة عميقة تأتي من خلفه. استدار.

رأى الضوء يتلألأ على المعدن. إنها الصفيحة المعدنية التي كانت مثبتة في نهاية الممر؛ لقد تحركت وانزلقت على الأرض وهذا ما أصدر الضجيج. وقف هاري ورفع رشاشه متأهباً. لم يستطع رؤية ما يوجد خلف الصفيحة، فالظلام حاله. لكن شيئاً ما لمع كأشعة الشمس التي تسطح على خليج أوسلو في نهار يوم خريفي. مرت لحظة صمت مطبق، بينما دق قلب هاري بقوة. هنا كان يستلقي بيريت مان في منتصف النفق ليتم إغراقه. برجا تخزين المياه... النفق الضيق... العفن على السقف والجدران لم يكن عنفاً بل كان طحالب. رأى الجدار يتقدم... أسود مائلاً إلى الأخضر بحواف بيضاء. استدار ليهرب، فرأى جداراً مثله يقترب منه في الاتجاه المقابل.

كان الوضع أشبه بالوقوف بين قطارين متجهين نحوك. صدمه جدار الماء القادم أمامه أولاً ثم رماه إلى الخلف، فشعر برأسه يرتطم بالأرض، ثم يرتفع ويندفع بحركة لولبية نحو الأمام. قاوم باستماتة وهو يحاول التشبث بأصابعه وركبتيه بالجدار؛ عله يتمكن من الإمساك بأي شيء لكنه عدم الوسيلة لمواجهة القوة المحيطة به. ثم انتهت كما بدأت بسرعة. أحس بالتيارات تهدأ حين حيد شلالا الماء بعضهما. ورأى شيئاً ما خلفه. ذراعان بيضاوان تشعان اخضراراً عانقتا هاري من الخلف، وأصابع باهتة امتدت إلى وجهه. قام هاري بحركة ركل والتفاف، فرأى الجثة ذات الضمادة المحيطة بطنها تلتف في المياه المظلمة كرجل فضاء عار عديم الوزن بقم مفتوح، وشعر ولحية يتمايلان ببطء. وضع هاري قدميه على الأرض، وتمدد للسقف، فوجد أن الماء قد وصل لأعلى نقطة. جلس القرفصاء فلمح رشاش الإم بي فايف والخط الأبيض على الأرض تحته، ثم شرع في السباحة. كان قد فقد الإحساس بالاتجاهات، لكن الجثة أرشدته إلى حيث عليه أن يتجه ليعود أدراجه. سبح هاري متخذاً وضعية عرضية مع الجدران ليحصل على الامتداد الأقصى للذراعين. اندفع بقوة مرغماً نفسه على عدم التفكير بالشيء الآخر. لم يكن الارتفاع مشكلته بل العكس. كانت السترة المضادة للرصاص تجذبه للأسفل عميقاً. فكر هاري إن كان عليه هدر بعض الوقت في التخلص من معطفه الذي ظل يطفو فوقه مضيفاً المزيد من المقاومة لحركته. حاول التركيز على ما يتوجب عليه فعله... السباحة رجوعاً إلى الفتحة، وليس عدّ الثواني والأمطار. لكنه بدأ يحس بالضغط يزداد في رأسه وكأنه سينفجر. ثم جاءت تلك الفكرة. الصيف... المسبح الخارجي بطول خمسين متراً... الصباح الباكر... يكاد المكان يخلو من الناس... شعاع الشمس... راكيل ترتدي ملابس سباحة صفراء. كان على هاري وأوليغ تحديد من منهما يستطيع السباحة تحت الماء لمسافة أبعد. كان أوليغ متحمساً منذ نهاية موسم التزلج، لكن تقنيات هاري في السباحة تمنحه فرصة التفوق عليه. شجعت راكيل كليهما وهي تضحك ضحكتها الرائعة، بينما كانا يقومان بالإحماء. كانا يستعرضان أمامها بخيلاء، وكانت كملكة فروغز ليدو التي يسعى أوليغ وهاري لنيل نظرة منها ثم بدأ. كانت المنافسة محمومة، وبعد أربعين متراً، خرج كلاهما من الماء وهما يلهثان وكل منهما واثق من فوزه. أربعون متراً... قبل النهاية بعشرة أمتار، وبوجود جدار لحوض السباحة يمكن ركله للحصول على

الدفع، ومساحة لا محدودة لحركة الذراعين. أراهن أنها أكثر بقليل من نصف المسافة التي تفصلني عن الفتحة. فقد الأمل... سيموت هنا... سيموت الآن... قريباً. شعر بعينه كأنهما تُعتصران من رأسه. غادرت الطائرة عند منتصف الليل... لباس السباحة الأصفر... عشرة أمتار للنهاية. جُدِّف مرة أخرى. يمكنه القيام بأخرى بعد، لكنه عندئذ... عندئذ سيموت.

كانت الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل. قاد ترولس بيرنستن سيارته في شوارع أوصلو والمطر الخفيف يهمس ويتمتم للزجاج الأمامي. مضت ساعتان وهو على الحال نفسها، ليس لأنه يبحث عن شيء ما، بل لأن ذلك يريح أعصابه. يرتاح ليفكر ويرتاح من التفكير. حذف أحد ما عنواناً من القائمة التي أعطيت لهاري هول ولم يكن هو الفاعل.

ربما لم يكن كل شيء بالوضوح الذي تخيله.

استرجع ما حصل ليلة الجريمة مرة أخرى.

مر به غاستو يائساً يطلب المخدر، لدرجة أنه كان يرتجف، وهدده بأن يشي بهم إن لم يعطه ترولس المال لبيتاع الفيولين. ولسبب ما، كان الفيولين مفقوداً منذ أسابيع، وعمت حالة من الهلع ساحات التعاطي، فأصبح الربع يكلف ثلاثة آلاف على الأقل. أخبره ترولس أنه سيقود سيارته إلى جهاز الصراف الآلي، لكن عليه إحضار مفتاح السيارة أولاً. أخذ مسدسه الستير معه؛ إذ لم يكن هناك شك في ما ينبغي فعله؛ إذ سيستخدم غاستو التهديد ذاته مرة تلو الأخرى، حيث يسهل توقع تصرفات المدمنين من هذه الناحية. لكن، عندما عاد للباب الأمامي وجد الصبي قد هرب. ربما اشتم رائحة دماء... لا بأس. لن يقوم غاستو بالوشاية طالما أنها لن تعود عليه بشيء، كما أنه مشارك في عملية السرقة أصلاً. كان ذلك يوم السبت، وكان ترولس في حالة ما يعرف بالخدمة الاحتياطية: أي يجب أن يكون على استعداد في حال تم استدعاؤه لمهمة ما. لذا ذهب إلى ووتش تاور، وقرأ قليلاً، وشاهد مارتين إيكهوف، واحتسى القهوة، ثم سمع أصوات صافرات الشرطة. وبعد ثوان، رن هاتفه الجوال... كانت غرفة العمليات. لقد اتصل أحدهم ليخبره بوقوع إطلاق نار في 92 بوابة هوسمنز، ولم يكن هناك أحد من فرقة مكافحة الجريمة في الخدمة. أسرع ترولس إلى هناك، حيث لم يبعد المكان عن ووتش تاور سوى بضع مئات من الأمتار. تيقظت كل غرائزه البوليسية، ولاحظ الناس الذين مر بهم في الطريق بكل ما أوتي

من علم يضيف الأهمية على ملاحظاته. كان أحد الأشخاص الذين لاحظهم شاباً يعتمر قبعة صوفية ويتكئ على منزل. ما استرعى انتباه الصبي هو سيارة شرطة مركونة بالقرب من بوابة عنوان مسرح الجريمة. لاحظ ترولس الصبي بسبب كرهه للطريقة التي دفن بها يديه داخل جيبي سترته التي تحمل علامة نورث فيس التجارية. كان مقاس السترة كبيراً جداً عليه، وكانت سميكة ولا تناسب أجواء هذا الفصل من السنة، كما أن جيوبها يمكن أن تخفي أشياء من مختلف الأحجام. ارتسمت على وجه الصبي ملامح الجدية، إلا أنه لم يبد كبائع مخدرات. وعندما رافقت الشرطة أوليغ فوك من النهر إلى سيارة الدورية، أدار الصبي ظهره وغادر متجهاً إلى بوابة هوسمنز.

وعلى الرغم من أنه باستطاعة تروس الإتيان بعشرة أشخاص آخرين ممن رأهم حول مسرح الجريمة وحبك النظريات عنهم، إلا أنه تذكر هذا الشخص تحديداً لأنه رآه ثانية في صورة عائلية عرضها عليه هاري هول في فندق ليون.

سأله هاري حينها إن كان بوسعه التعرف على إيرين هانسن فأجابه بصدق: لا. لكنه لم يخبر هول بالشخص الذي أمكنه التعرف عليه في الصورة... غاستو بالتأكيد. وكان هناك شخص آخر... الصبي الثاني... أخ غاستو بالرعاية... التعابير الجادة ذاتها. إنه الصبي الذي رآه بالقرب من مسرح الجريمة.

أوقف ترولس السيارة عند بوابة برينسينس قريباً من فندق ليون. ترك مذياع الشرطة مفتوحاً، وفي النهاية وصل لغرفة العمليات التبليغ الذي كان ينتظره.

- صفر واحد. لقد تأكدنا من التبليغ عن الضجيج في شارع بليندرنفين. يبدو أن معركة دارت هناك. غاز مسيل للدموع، وآثار إطلاق نار كثيف وسلاح رشاش. لا شك في ذلك. هناك رجل قتل رمياً بالرصاص. نزلنا إلى القبو فوجدناه مغموراً بالماء. أظن أنه يجدر بنا طلب فرقة دلتا للتحقق من الطابق الأول.

- أيمكنك تأكيد وجود أحياء؟
- تعال وتأكد بنفسك! ألم تسمع ما قلته؟ غاز وسلاح رشاش!
- حسناً، حسناً. ماذا تريد؟
- أربع سيارات دورية لتأمين المنطقة. فرقة دلتا، ومجموعة التحقيق في مسرح الجريمة و... سباكاً.

أخفض ترولس بيرنستن صوت المذياع. سمع صوت سيارة يعلو إلى أن توقف، ثم رأى رجلاً طويلاً يعبر الشارع أمام السيارة... إنه السائق. استشاط غيظاً وأطلق النفير، لكن الرجل لم يلاحظ، بل استمر في مشيته متجهاً إلى فندق ليون.

أمعن ترولس بيرنستن النظر.

هل يمكن أن يكون هو؟ هاري هول؟

كان رأس الرجل محنياً بين كتفي معطفه الرث. ولم يتبين وجهه إلا حين أمال رأسه فانعكس ضوء مصباح الشارع عليه. عندها أدرك ترولس أنه مخطئ. كان هناك شيء مألوف فيه، لكنه لم يكن هول.

أسند ترولس ظهره على المقعد، وتأكد الآن من الذي فاز. أجال النظر في بلدته... لقد أصبحت له الآن. همس المطر لسقف السيارة أن هاري هول قد مات، وبكى سيولاً على الزجاج الأمامي.

ينهي أغلب الناس عموماً متعتهم ثم يغادرون إلى منازلهم بحدود الساعة الثانية، ليصبح فندق ليون بعدها أكثر هدوءاً. بالكاد رفع الصبي الجالس خلف مكتب الاستقبال رأسه لدى دخول رجل الدين. لقد جرت الأمطار على رأسه ومعطفه. اعتاد سؤال كاتو عما كان يفعله حتى وصل بحالة كهذه في منتصف الليل بعد غياب عدة أيام. لكن الأجوبة تأتيه دائماً مرهقة ومفرطة في الطول والانفعال والتفصيل عن تعاسة الآخرين التي وضع حدّاً لها. إلا أن كاتو بدا مرهقاً أكثر من المعتاد.

- أليست ليلة صعبة؟

وجّه سؤاله آملاً أن يحصل على إجابة تقتصر على نعم أو لا.

قال الرجل العجوز وقد رسم على وجهه شبه ابتسامة:

- آه كما تعلم: الإنسانية. كدت ألقى حتفي منذ قليل.

قال الصبي وهو نادم على سؤاله، فلا بد أنه أمام إجابة طويلة.

- هاه؟

أجاب كاتو وهو يتابع على السلام:

- كادت سيارة تدهسني.

تنفس الصبي الصعداء مرتاحاً، ثم عاد يصب تركيزه على الشيخ .

أدخل الرجل العجوز المفتاح في الباب وأداره، لكنه تفاجأ حين اكتشف أنه مفتوح أصلاً.

دخل وأشعل الضوء، لكن المصباح المعلق في السقف لم يشتعل. رأى

أن المصباح بجانب السرير مضاء. كان الرجل الجالس على السرير طويلاً ومحدودباً ويرتدي معطفاً طويلاً مثله. وكان الماء يقطر من طرف معطفه على الأرض. كانا مختلفين عن بعضهما كثيراً، إلا أن العجوز لم ينتبه إلى الشبه بينهما حتى اللحظة: كان كمن ينظر إلى المرأة.

همس له قائلاً:

- ماذا تفعل؟

- لقد اقتحمت الغرفة طبعاً لأرى إن كان لديك أي شيء ذي

قيمة.

أجابه الرجل الآخر.

- وهل وجدت شيئاً؟

- ذا قيمة؟ لا. لكنني وجدت هذا.

أمسك الرجل بما رُمي إليه، أمسكه بين إصبعيه وهز رأسه ببطء. كان مصنوعاً من القطن المقوى ومنحني الشكل، ولم يكن بالبياض المطلوب.

سأل الرجل العجوز:

- إذاً، لقد وجدت هذه في غرفتي؟

- نعم. في غرفة النوم؛ في الخزانة. ضعها.

- لماذا؟

- لأني أريد الاعتراف بذنوبي، ولأنك تبدو عارياً من دونها.

نظر كاتو إلى الرجل الجالس على السرير محني الظهر. كان الماء يقطر من شعره، ويسيل على الندبة عند فكه وذقنه، ثم يسيل على الأرض. كان قد وضع الكرسي الوحيد في الغرفة في منتصفها؛ كرسي الاعتراف، وعلى الطاولة علبة سجائر من نوع الجمل غير مفتوحة، وقربها ولاعة وسيجارة مبتلة ومكسورة.

- كما تريد يا هاري.

جلس وهو يفك أزرار معطفه، ووضع ياقة رجل الدين البيضاء المحنية في فتحات قميصه. جفل الرجل الآخر حين وضع يده في جيب سترته.

قال الرجل العجوز:

- أتريد سجائر؟ لنا نحن الاثنين، فسجائرك تبدو غارقة.

- أوماً الشرطي، فأخرج العجوز يده ورفع علبة سجائر مفتوحة.

- أنت تتكلم النروجية بطلاقة.

- أفضل بقليل مما أتكلم السويدية. لكن، لكونك نروجياً فلن تميز

اللكنة عندما أنكلم باللغة السويدية.

أخذ هاري إحدى السجائر السوداء وتفحصها.

- أتقصد اللكنة الروسية؟

قال الرجل:

- سوبراني بلاك روشان.

- إنها السجائر الوحيدة اللائقة الموجودة في روسيا، ويتم إنتاجها

حالياً في أوكرانيا. في العادة أسرقها من أندريه. وبالحدث عن أندريه، كيف حاله؟

أجاب الشرطي سامحاً للعجوز بأن يشعل له سيجارته:

- سيئة.

- يؤسفني سماع ذلك. وبالحدث عن السوء، كان يجب أن تكون

ميتاً يا هاري. كنت أعلم أنك في النفق حين فتحت صمامي المياه.

- نعم، حصل ذلك.

- فتحت الصمامين في الوقت ذاته، وكان برج المياه ممتلئين. كان

يجب أن يجرفك الماء للمنتصف.

- نعم، حصل ذلك.

- إذًا، لا أفهم كيف نجوت! الغالبية يعانون من الصدمة ويغرقون

في المنتصف.

نفث الشرطي الدخان من زاوية فمه.

- أتعني مقاتلي المقاومة الذين سعوا للنيل من رئيس الغستابو؟

- لا أعلم إن كانوا قد جربوا فحه أثناء عملية حقيقية.

- لكنك فعلت ذلك مع الشرطي المتخفي.

- كان مثلك وحسب يا هاري؛ فالرجال الذين يعملون بإخلاص

خطرون على أنفسهم وعلى محيطهم. كان يجب أن تغرق مثله.

- لكنني هنا كما ترى.

- ما زلت لا أفهم كيف أمكنك ذلك. هل تزعم أنك بعد أن

تقاذفت المياه بقي لديك ما يكفي من الهواء في رئتيك لتسبح ثمانين متراً

في مياه برودة الثلج وسط نفق ضيق مرتدياً كامل ملابسك؟

- لا.

- لا؟

تبسم الرجل العجوز، بينما بدت عليه ملامح حيرة حقيقية.

- لا. كان لدي القليل من الهواء في رئتي، لكنه كفاي لخوض

أربعين متراً.

- ثم ماذا؟
 - ثم تم إنقاذي.
 - إنقاذك! من أنقذك؟
 - الرجل الذي قلت عنه خيراً في الأسفل.
 - رفع هاري زجاجة الشراب الفارغة.
 - أنقذك الشراب؟
 - بل زجاجة الشراب.
 - زجاجة فارغة!
 - على العكس، زجاجة مليئة.
- وضع هاري السيارة في زاوية فمه، وفتح الزجاجاة وأمسكها فوق رأسه.

- مليئة بالهواء.
 - نظر الرجل العجوز نظرة شك.
 - أنت...؟
 - أكبر مشكلة واجهتني بعدما فرغت رئتاي من الهواء تحت الماء كانت وضع فمي على الزجاجاة، وإمالتها حيث يشير عنقها للأعلى لأتمكن من التقاط نفس. الوضع أشبه بالغوص للمرة الأولى؛ إذ يعترض جسدك بسبب معرفته المحدودة بالفيزياء، واعتقاده أنه لن يجيد التصرف ولا بد سيغرق. هل تعلم أن باستطاعة الرئتين أن تستوعبا أربعة لترات من الهواء؟ لذا، كانت زجاجة من الهواء مع الإرادة كافيتين لي لأتمكن من سباحة أربعين متراً إضافية.
- وضع الشرطي الزجاجاة جانباً، وأخرج السيارة من فمه ونظر إليها بشك.

- كان على الألمان بناء نفق أطول بقليل.
- شاهد هاري الرجل العجوز. رأى الوجه العجوز العابس ينفرج، وسمعه يضحك. كان صوته كصافرة باخرة.
- كنت أعلم أنك مختلف يا هاري. أخبروني أنك ستعود إلى أوصلو بمجرد أن تسمع عن أوليغ. لذا، قمت بتحرياتي، وتبين لي الآن أن الشائعات كانت في محلها.
- قال هاري وعينه على يد رجل الدين المضمومة:
- حسناً.

جلس على حافة السرير وقدماه الاثنتان على الأرض وكأنه في وضعية الاستعداد، مركزاً وزنه على أطراف قدميه، لدرجة أنه أحس بخيط النايلون الرفيع تحت حذائه.

- ماذا عنك يارودولف؟ هل الشائعات المنتشرة عنك في محلها؟
- أيها؟
- حسناً. على سبيل المثال، أنت تدير شبكة متاجرة بالهيريون في غوتنبرغ، وقد قتلت شرطياً هناك.
- يبدو وكأنني من عليه الاعتراف وليس أنت، أم ماذا؟
- ظننت أنه يستحسن أن تتخلص من عبء آثامك قبل أن تموت. وها هي ضحكة القطار مرة أخرى.
- نكتة جيدة ياهاري! نعم، كان علينا التخلص منه. كان حارق الأدلة التابع لنا، وكان لدي شعور بأنه ليس محل ثقة. وما كنت لأعود للسجن ثانية، ففيه كآبة قاتلة تأكل روحك كما يأكل العفن الخشب... تأخذ منها كل يوم قزمة تستهلك إنسانيتك ياهاري. إنه شيء لا أتمناه إلا لألد أعدائي.

نظر إلى هاري وأكمل:

- عدو أكرهه أكثر من أي شيء.
- أنت تعلم بسبب عودتي إلى أوصلو، فما كان سبب عودتك؟
- ظننت أن السويد سوق جيدة لك بقدر ما هي الزوج.
- عدت للسبب ذاته ياهاري.
- ذاته؟

- أخذ رودولف أساييف نفساً من سيجارته السوداء قبل أن يجيب:
 - لا عليك. كانت الشرطة تلاحقني إثر جريمة القتل. وغريب شعورك بالبعد عن السويد وأنت في الزوج؛ بالرغم من قرب المسافة.
 - ثم عدت وأصبحت دبي الغامض... الرجل الذي لم يره أحد، والذي ظنه الجميع شبحاً يسكن المدينة في الليل... شبح كفادراتورين.
 - كان علي البقاء متخفياً، ليس لأجل العمل وحسب، بل لأن اسم رودولف أساييف سيستحضر ذكريات سيئة لدى الشرطة أيضاً.
- قال هاري:

- في السبعينيات والثمانينيات كان مدمنو الهيريون يموتون كالذباب. أكنت تدعو لهم أيضاً؟
- هز رجل الدين كتفيه:

- لا أحد يحكم على صناع سيارات السباق أو منصات القفز المظلي أو المسدسات أو البضائع الأخرى التي يشتريها الناس للمتعة؛ مع أنها قد ترسلهم إلى حتفهم. أنا أقدم شيئاً يريدُه الناس، وبجودة عالية وأسعار تنافسية. أما ما يفعله المستهلكون بالسلعة فهذا يعود لهم. أنت تعرف أنهم مواطنون راشدون يمارسون حرية الاختيار، أليس كذلك؟

- بلى، وقد كنت أحدهم. والفرق بينك وبين صناع سيارات السباق هو أن ما تفعله يجرمه القانون.

- يجب أن يحذر المرء من الخلط بين القانون والأخلاق ياهاري.

- إذًا، أنت تعتقد أن ما فعلته سيُغفر لك. أليس كذلك؟

أسند الرجل العجوز ذقنه على يده، وتمكن هاري من الإحساس بإرهاقه، لكنه يعرف أنه قد يكون مصطنعاً لذا استمر بمتابعة تحركاته بحذر.

- لقد سمعت أنك شرطي متحمس وذو أخلاق؛ فقد أخبر أوليغ غاستو الكثير عنك. أكنت تعلم ذلك؟ أحبك أوليغ حباً يتمنى أي أب أن يجده لدى ابنه. يمتاز الآباء الأخلاقيون المتعطشون للحب مثلنا بالنشاط الهائل، لكن نقطة ضعفهم هي سهولة توقع تصرفاتهم. كان قدومك مجرد مسألة وقت. لدينا معارف مطلعون على قوائم الركاب في غاردموين، وكنا نعلم بأمر سفرك حتى قبل أن تستقل طائرتك في هونغ كونغ.

- ممم... أهو حارق الأدلة ترولس بيرنستن؟

ابتسم العجوز ابتسامة تحمل الإجابة.

- وماذا عن إيزابيل سكوين في مجلس البلدية، هل عملت معها أيضاً؟

أطلق الرجل العجوز تنهيدة ثقيلة.

- تعلم أنني سأخذ الإجابة عن هذا السؤال معي إلى القبر. يسعدني الموت كالكلاب على أن أموت واشياً.

- حسناً. وماذا حصل بعد؟

- لحق بك أندريه من المطار إلى فندق ليون. أحجز في فنادق عديدة عندما أجول بصفتي كاتو، وليون من الفنادق التي تردت عليها كثيراً. لذا حجزت فيه ذلك اليوم، بعدك.

- لماذا؟

- لأتابع ما تفعله. أردت أن أعرف إن كنت تقترب من الوصول

إلينا.

- كما فعلت حين حجز بيريت مان هنا؟

أوماً العجوز برأسه:

- عرفت أنك تشكل مصدر خطر ياهاري لكنني أحببتك، لذا حاولت أن أعطيك بعض التحذيرات اللطيفة، لكنك لم تصغ إليها. بالطبع لن تفعل، فالأشخاص مثلي ومثلك لا يصغون لأحد ياهاري. وهذا هو سر نجاحنا، كما أنه أيضاً سبب فشلنا في النهاية.

- ممم... وما الذي كنت تخشى أن أفعله؟ أن أقنع أوليغ بالوشاية بكم؟

- هذا سبب إضافي. لم يرني أوليغ قط، لكنني لا أعرف ما أخبره به غاستو عني. إذ يؤسفني أن غاستو أصبح غير جدير بالثقة؛ خاصة بعد أن بدأ يتعاطى الفيولين بنفسه.

رأى هاري في عيني العجوز نظرة لا تنتج عن التعب. لقد صعق حين أدرك أن الألم هو ما يقف وراءها... محض ألم عميق.

- إذًا، حاولت قتل أوليغ عندما ظننت أنه سيتحدث إلي. وعندما لم تنجح في ذلك، عرضت علي المساعدة حتى أقودك إليه.

أوماً الرجل العجوز ببطء:

- لم يكن الأمر شخصياً ياهاري. هذه هي قوانين المهنة... التخلص من الواشين. لكنك تعرف ذلك في الأصل، أليس كذلك؟

- نعم، أعرف هذا. لكنه لا يعني أنني لن أقوم بقتلك لاتباعك قوانينك.

- إذًا، لم لم تفعل ذلك حتى الآن؟ ألا تجرؤ؟ أتخشى من عواقب ذلك ياهاري؟

أطفأ هاري سيجارته في الطاولة:

- لأنني أريد أن أستفهم عن بعض الأمور أولاً. لم قتلت غاستو؟ أكنت تخشى أن يبلغ عنك؟

مسح الرجل العجوز شعره الأبيض للخلف، وراء أذنيه الكبيرتين:

- كان الدم الذي يجري في عروق غاستو فاسداً مثلي، فقد كان مخبراً بطبعه، وكان سيبلغ عني في وقت أبكر. كل ما كان ينقصه هو المقابل من وراء ذلك. لكنه أصبح يائساً بسبب إدمانه على الفيولين. القصة قصة كيمياء بحتة. الجسد قوي، ولكننا نضعف حين تضربنا الرغبة.

أجاب هاري:

- نعم، نضعف جميعاً حينها.

- لقد...
- سعل الرجل العجوز:
- لقد كان علي تركه يذهب.
- يذهب؟
- نعم يذهب... يغرق... يختفي. لم يكن بوسعي السماح له بالسيطرة على العمل. أدركت ذلك. كان ذكياً كفاية، فقد ورث هذا عن أبيه. لكن ما كان ينقصه هو الجرأة، وقد ورث تلك النقيصة عن أمه. حاولت تسليمه بعض المسؤوليات لكنه فشل في الاختبار.
- ظل الرجل العجوز يمسد شعره للخلف بقوة أكبر، وكأنه يحاول تنظيفه من شيء عالق به:
- لم ينجح في الاختبار؛ دمه فاسد. لذا، قررت تسليم العمل لغيره. في البداية، فكرت بأندرية وبيتر؛ فهما سيبريان من القوقاز من أومسك. هل كنت تعلم أن كلمة قوقازي تعني الرجل الحر؟ كان أندرية وبيتر ساعدَيَّ وعزوتي... ستانيتسا . وتميزا بالإخلاص للقائد... الإخلاص حتى الموت. لكنهما لم يكونا رجلي أعمال. أتعرف ما أعنيه؟
- لاحظ هاري إيماءات الرجل بينما تابع حديثه:
- لم أستطع ترك التجارة لهما ففكرت في سيرغييه. كان شاباً، والمستقبل أمامه، ويسهل تشكيله...
- أخبرتني مرة أنه قد يكون لديك ابن.
- قد لا يملك سيرغييه مهارة غاستو في الحساب، لكنه كان منضبطاً وطموحاً وعازماً على القيام بما ينبغي ليصبح قائداً؛ لذا سلمته السكين، إذ لم يتبقَّ أمامه سوى امتحان واحد: كان على القوقازي ليصبح قائداً حسب العادات القديمة أن يذهب إلى غابة الصنوبر ويرجع بذئب حي مقيد. عزم سيرغييه على القيام بذلك، وكان يجب أن أدرك قدرته على إنجاز شتو نوشنا .
- عفواً؟
- ما يلزم.
- أكان غاستو ابنك؟
- مسد العجوز شعره للوراء بقوة جعلت عينيه تبدو كأنه كشقين ضيقين.
- كان عمر غاستو ستة أشهر عندما سُجنت، وبحثت أمه عن التسلية حيث أمكنها إيجادها، ولم تكن في حال يسمح لها بالاعتناء به.
- الهيرويين؟

- أخذه مركز العناية الاجتماعية منها، وأمن له عائلة ترعاه، واتفقنا على إخفاء وجودي عنه بسبب سجنني، ثم توفيت والدته بسبب جرعة زائدة في الشتاء التالي. كان يجب أن تفعل ذلك من قبل.

- لقد قلت إنك جئت إلى أوصلو للسبب ذاته الذي دفعني للعودة... ابنك.

- وصلني الخبر بأنه ابتعد عن عائلته بالرعاية، وانحرف عن الصراط المستقيم. كنت أفكر في ترك السويد على كل حال، كما أن المنافسة هنا في أوصلو لا تذكر. عثرت على مكان غاستو وراقبته عن بعد أولاً. كان وسيماً جداً، وسيماً للغاية... يشبه أمه طبعاً. لم أقاوم رغبتني في الجلوس والنظر إليه... أنظر وأنظر وأفكر في أنه ابني. ابني أنا.

اختنق صوت الرجل العجوز.

حدق هاري في قدميه، في خيط النايلون الذي أعطي إياه بدلاً من حامل ستائر جديد. ضغطه على الأرض بنعل حذائه.

- ثم وظفته عندك واختبرت قدرته على تولي العمل.

هز الرجل رأسه وهمس:

- لكنني لم أقل له شيئاً أبداً، وعندما مات لم يكن يعلم أنني والده.

- ولم العجلة فجأة؟

- العجلة!

- لم احتجت من يتولى عملك بهذه السرعة؟ أولاً غاستو، ثم سيرغيبه.

ابتسم العجوز ابتسامة مرهقة، وانحنى للأمام وهو جالس على كرسيه تجاه الضوء الصادر عن مصباح القراءة فوق السرير.

- أنا مريض.

- توقعت أن يكون السبب شيئاً كهذا... السرطان؟

- أمهلني الأطباء سنة منذ ستة أشهر. لا تزال السكين التي استعملها سيرغيبه تحت فراشي. أتشعر بالألم بسبب جرحك؟ هذا عذابي الذي نقلته لك السكين يا هاري.

أوماً هاري. كان ذلك منطقياً وغير منطقي في الوقت نفسه.

- إن كان لم يتبق في عمرك سوى أشهر، فلماذا فكرت في قتل ابنك خشية أن يشي بك. أتشتري حياتك القصيرة بعمره الطويل؟

كتم العجوز سعاله.

- الأوركا والقوقازيون جماعة صارمون ياهاري. أقسمنا على الولاء لمبادئنا والتزمنا بها؛ ليس اتباعاً أعمى، بل بفكر منفتح. لقد تدرّبنا على ضبط مشاعرنا، وهذا ما يجعلنا نملك السيطرة على حياتنا.
- لا أدري ما المبادئ التي تتكلم عنها، لكن هل تتفق هذه المبادئ مع ترك شاب في الثامنة عشرة من العمر يدخل السجن بسبب جرائمك؟
- هاري... هاري، ألم تفهم؟ أنا لم أقتل غاستو. حدق هاري بالرجل العجوز.
- ألم تقل للتو إن ذلك من مبادئك؟ أن تقتل ابنك إن اضطررت لذلك؟
- نعم، قلت ذلك. لكنني قلت أيضاً إنني ولدت من نسب سيئ. أنا أحب ابني، ولن أستطيع قتله أبداً، بل على العكس. تحولت ضحكة الرجل العجوز إلى سعال. وضع يديه على صدره، وانحنى على ركبتيه وسعل.
- رمش هاري بعينه:
- إذًا، من قتله؟
- اعتدل الرجل العجوز حاملاً مسدساً يميناً. كان كبيراً وبشعاً، وبدا أعتق من صاحبه.
- كان عليك أن تكون أذكى من أن تزورني أعزل من السلاح ياهاري.
- لم يجبه هاري. كان رشاش الإم بي فايف في قعر قبو ممتلئ بالماء، والبندقية في شقة ترولس بيرنستن.
- كرر هاري:
- من قتل غاستو؟
- قد يكون أيّاً كان.
- خيّل لهاري وكأنه سمع صريراً حين التفت إصبع العجوز على الزناد.
- ليس القتل أمراً صعباً ياهاري. ألا توافقني الرأي؟
- بلى.
- قالها هاري وهو يرفع قدمه عن الأرض. صدر صغير من تحت نعل حذائه حين انطلق خيط النايلون باتجاه حامل عمود الستائر.
- رأى هاري علامات التعجب في عيني الرجل العجوز، ورأى دماغه يعمل بسرعة البرق لربط شظايا أفكار غير مكتملة.

الضوء الذي لم يشتغل.

الكرسي الموضوع في منتصف الغرفة.

هاري الذي لم يفتشه.

هاري الذي لم يتحرك سنتيمتراً واحداً من مكان جلوسه.

وربما تمكن من رؤية خيط النايلون في الغرفة شبه المظلمة وهو

ينطلق من تحت قدم هاري عبر حامل عمود الستائر نحو المصباح المعلق

في السقف فوق رأسه تماماً. لم يكن هناك مصباح، بل كان مكانه الشيء

الوحيد الذي أخذه هاري من بليندرنفين عدا عن ياقة رجل الدين. لم يكن

في بال هاري سواه وهو مستلق على سرير رودولف أسايف ذي الأعمدة

الأربع مشبعاً بالماء، ولاهثاً، وزائغ البصر، ووثقاً من أنه سيفقد وعيه في

أية لحظة، لكنه قاوم للحفاظ على وعيه والهرب من الظلام. ثم نهض

وأخذ قرميدة الخنفس "زجوك" التي كانت بجانب الكتاب المقدس.

ارقى رودولف أسايف يساراً، وهكذا لم تخترق المسامير المغروسة في

القرميدة رأسه، بل اخترقت الجلد بين الترقوة وعضلات الكتفين، وما تحتها

من أربطة النسيج العصبي وشبكة الضفيرة عنق عضدية. والنتيجة هي أنه

خلال جزئين من مئة من الثانية سيضغط الزناد. ستكون عضلة ساعده قد

شلت، وسينخفض المسدس سبعة سنتيمترات، ثم سيشتعل البارود ويحترق في

جزء من ألف من الثانية، وستخرج الرصاصة من سبطانة مسدس الناجانت،

وبعد ثلاثة أجزاء من ألف من الثانية ستستقر الرصاصة في إطار السرير

بين ساقَي هاري.

نهض هاري، وثبت ذراع الأمان للجانب، وضغط على زر الفتح، فاهتز

الغمد بانطلاق النصل منه. صوب هاري يده تحت مستوى وركه، وبذراع

ممدودة، أدخل النصل الطويل للسكين في قميص رودولف بين طيتي الصدر

حتى شعر بالقماش والجلد يتمزقان، ثم انزلت السكين حتى مقبضها من

دون أي مقاومة. أفلت هاري السكين مدركاً أن رودولف أسايف بات رجلاً

يحتضر؛ إذ انقلب به الكرسي للخلف، وارتطم الرجل الروسي بالأرض متأوهاً.

ركل الكرسي بعيداً، لكنه بقي في مكانه يتلوى كدبور مصاب لا يزال يشكل

خطراً. وقف هاري فوقه منفرج الساقين، ثم انحنى وأخرج السكين من

جسده، ونظر إلى لون الدم الأحمر الغامق غير الطبيعي... ربما يكون من

الكبد. تحركت يد العجوز اليسرى على الأرض مصدرة صوت خربشة، ثم

أحاطت بيميناه المشلولة باحثة عن المسدس. وللحظة جامحة، ود هاري لو

تجد تلك اليد المسدس ليصبح لديه العذر الذي يحتاجه ل...

ركل هاري المسدس بعيداً، وسمع صوته وهو يرتطم بالجدار.
همس الرجل العجوز.

- إنها تحرق. كرامةً لنا نحن الاثنين أنه الأمر.
أغمض هاري عينيه هنيهة، وشعر أنه فقدوها. لقد غادرته... الكراهية؛
الكراهية الرائعة التي كانت تدفعه قدماً... لقد نفذت منه.
أجاب هاري:
- لا، شكراً.

ثم تخطى العجوز وابتعد عنه وزرر معطفه المبتل.
- أنا ذاهب الآن يارودولف أسايف. سأطلب من الصبي في قاعة
الاستقبال أن يتصل بالإسعاف، ثم سأتصل برئيسي السابق وأخبره بمكانك.
سعل الرجل العجوز، وتشكلت فقاقيع حمراء عند زاوية فمه.
- السكين يا هاري. هذا ليس قتلاً، فأنا ميت في الأصل.
- ليس قتلك ما أريده.
وضع هاري علبة سجائر الجمل المبتلة في جيب معطفه.
- أنا شرطي، ومهمتنا أن نحضر المشتبه بخرقهم للقانون إلى
العدالة.

انفجرت الفقاقيع لدى سعال الرجل.
- هيا يا هاري. ما شارة الشرطة التي تحملها سوى قطعة بلاستيكية.
أنا مريض. لن يكون بوسع القاضي سوى توفير الرعاية والمورفين المسكن لي.
وقد ارتكبت الكثير من جرائم القتل، كما شنقت منافسي من على الجسر،
واستخدمت القرميدة لقتل موظفي؛ مثل ذلك الطيار وحتى الشرطة أيضاً...
بيريت مان، بالإضافة إلى أنني أرسلت أندريه وبيتر إلى غرفتك كي يقتلاك
أنت وترولس بيرنستن. أتعرف لماذا؟ لتبدوا وكأنكما أطلقتما النار على
بعضكما بعضاً، وتركنا الأسلحة كدليل. هيا يا هاري.

مسح هاري الدم بغطاء السرير.
- لماذا أردت قتل بيرنستن؟ إنه يعمل لصالحك في النهاية!
مال أسايف على جنبه، وبدأت قدرته على التنفس تتحسن. استلقى
على هذه الحال بضع دقائق قبل أن يجيب:

- لقد سرق مخزون الهيرويين من ألبانو من دون علمي. لم يكن
الهيرويين ملكي، لكن عندما تكتشف أن حارق أدلتك جشع لهذه الدرجة
فستفقد ثقتك به، وهو في الوقت ذاته يملك من المعلومات ما يكفي
للإيقاع بك، وبهذا يصبح مصدر خطر كبيراً. كما أن رجال الأعمال مثلي

يتخلصون من مصادر الخطر ياهاري. وقد رأينا الفرصة سانحة لقتل عصفورين بحجر واحد: أنت وبيرنستن.

ضحك ضحكة خافتة:

- كما حاولت قتل صبيك في بوتسين. أتشعر بالكراهية حيالي الآن ياهاري؟ كدت أقتل صبيك.

وقف هاري عند الباب.

- من قتل غاستو؟

- تعيش الإنسانية على شريعة الكراهية. اتبع الكره ياهاري.

- من معارفك في الشرطة وفي مجلس البلدية؟

- أستساعدني على إنهاء هذا إن أخبرتك؟

نظر هاري إليه، وهز رأسه بسرعة وهو يرجو أن لا يكون الكذب واضحاً عليه.

همس له الرجل العجوز:

- اقترب.

انحنى هاري، وفجأة أمسكت قبضة الرجل العجوز بهاري من قميصه كمخلب حاد وجذبتة أقرب. صفر الصوت الأجدب في أذنه بنعومة:

- أنت تعلم ياهاري أنني قد دفعت لرجل حتى يعترف بقتله غاستو، لكنك ظننت أن السبب هو عدم قدرتي على قتل أوليغ طالما أنه مخبأ في مكان سري. أخطأت، فرجلي في سلك الشرطة يملك الوصول إلى برنامج حماية الشهود. كان بوسعي قتل أوليغ طعنًا بكل سهولة حيثما كان، لكنني غيرت رأيي. لم أرد أن يفلت بهذه الـ...

حاول هاري تخليص نفسه، لكن الرجل العجوز أحكم قبضته عليه.

- أردته أن يتدلى رأساً على عقب ورأسه داخل كيس من النايلون.

دمدم صوته:

- ورأسه داخل كيس من النايلون شفاف، والماء يسيل على قدميه ويجري على جسده حتى يصب في الكيس. أردت تصوير ذلك بالصوت حتى تتمكن من سماع الصراخ، ثم كنت سأرسل لك التسجيل بعدئذ. وإن تركتني الآن فهذه هي خطتي، وهي لا تزال كذلك. ستفاجأ ياهاري بالسرعة التي سيطلقون بها سراحي لعدم كفاية الأدلة، ثم سأعثر عليه ياهاري، أقسم على ذلك. واطب فقط على متابعة بريدك إلى أن يصلك التسجيل.

تصرف هاري غريزياً، وصوّب يده حتى شعر بالنصل يدخل عميقاً، ثم

لواه وسمع شهقة الرجل العجوز. تابع ليه، وأغمض عينيه حتى شعر
بأحشائه وأعضائه تلتوي وتنفجر وتخرج. وحين سمع صرخة الرجل العجوز
في النهاية... كانت تلك صرخة هاري ذاته.

استيقظ هاري والشمس تلمح جانباً من وجهه. أكانت الضوضاء ما أيقظه؟

فتح بحذر عيناً واحدة، وأجال النظر حوله. أبصر نافذة غرفة جلوس وسماءً زرقاء. لم تكن هناك ضوضاء في تلك اللحظة.

غادر غرفة الرجل العجوز قاصداً حجرته، وحزم حقيبته القماشية بهدوء، ثم غادر الفندق عبر السلام الخلفية، واستقل سيارة أجرة إلى المكان الوحيد الذي تيقن من أن لا أحد سيبحث عنه فيه: منزل والدي نيباك في أوبسال. بدا وكأن أحداً لم يدخل المنزل منذ غادره هو. وأول ما قام به كان تفتيش أدراج المطبخ والحمام حتى وجد علبة دواء مسكن للألم. تناول أربعة أقراص، ثم غسل دم العجوز عن يديه ونزل إلى القبو ليرى ما إذا كان ستيج نيباك قد توصل إلى قرار. وكان قد فعل.

عاد هاري، وخلع ثيابه وعلقها في الحمام لتجف، ثم أخذ لحافاً ونام على الأريكة قبل أن يبدأ عقله بالترنح.

نهض هاري، وذهب إلى المطبخ حيث تناول قرصين من مسكن الألم مع كأس من الماء، ثم فتح الثلاجة ونظر داخلها:

كانت عامرة بالطعام الفاخر. من الواضح أنه كان يغذي إيرين جيداً. عاوده الغثيان الذي شعر به في اليوم السابق، وأدرك أنه سيستحيل عليه تناول الطعام فعاد إلى غرفة الجلوس. لقد رأى خزانة الشراب أيضاً في اليوم السابق، وابتعد عنها قدر الإمكان قبل أن يخلد للنوم.

فتح هاري باب الخزانة؛ إنها فارغة. تنفس الصعداء. بحث في جيبه ووجد خاتم الزواج المشؤوم. وفي تلك اللحظة، سمع صوتاً.

إنه الصوت ذاته الذي ظن أنه سمعه عندما كان يستيقظ من النوم. ذهب إلى باب القبو المفتوح وأصغى السمع... جو زاوينول؟ نزل السلام، واتجه إلى باب غرفة التخزين، ونظر عبر الشبك. كان ستيج نيباك يتلوى ببطء كرجل فضاء عديم الوزن يسبح في الفراغ. تساءل هاري إن كان الهاتف الخليوي الذي يرتج في جيب بنطال ستيج هو ما يحركه... كانت نغمة رنين الهاتف الخليوي المؤلفة من أربع أو بالأحرى ثلاث علامات موسيقية من معزوفة بالديوم لفرقة ويذر ريبورت. هذا بالضبط ما

خطر ببال هاري عندما أخرج الهاتف.
نظر هاري إلى رقم المتصل الظاهر على الشاشة، وضغط زر الإجابة.
تعرف هاري على صوت موظف الاستقبال في مستشفى راديوم.
- ستيغ! مرحباً! هل أنت معي؟ يمكنك سماعي؟ نحن نحاول
الاتصال بك يا ستيغ. أين أنت؟ كان يجب أن تكون هنا لحضور اجتماع...
بل العديد من الاجتماعات. نحن قلقون. لقد ذهب مارتين إلى شقتك ولم
يجدك هناك أيضاً. ستيغ؟
قطع هاري الاتصال، ووضع الهاتف في جيبه، فقد يحتاج إليه؛ إذ
تعطل هاتف مارتين حين غرق في الماء.
أحضر كرسيّاً من المطبخ، وجلس على الشرفة وأشعة الشمس تنعكس
على وجهه. تناول علبة الدخان، وعلق إحدى تلك السجائر السخيفة السوداء
بين شفثيه ثم أشعلها. لا بد من ذلك. طلب رقم هاتف يعرفه حق
المعرفة:

- راكيل.
- مرحباً، هذا أنا.
- هاري؟! لم أعرف رقمك.
- لقد حصلت على هاتف جديد.
- تغمرني السعادة لسماع صوتك. هل سار كل شيء على ما يرام؟
- نعم.
- قالها هاري مجبراً على التبسم بسبب الفرح الذي يحمله صوتها... سار
كل شيء على ما يرام.
- هل الجو حار؟
- حار جداً، والشمس ساطعة، وأنا على وشك تناول الفطور.
- الفطور؟ أليست الساعة الرابعة أو نحو ذلك؟
- أثر علي اختلاف التوقيت ولم أستطع النوم في الطائرة. لقد عثرت
على فندق رائع لنا في سوخومفيت.
- ليست لديك أدنى فكرة كم أنا متشوقة للقائك مجدداً يا هاري.
- أنا...
- لا، مهلاً. أنا أعني ما أقوله. لقد بقيت مستيقظة طوال الليل
وأنا أفكر في ذلك. صدقني. سنكتشف إن كان ذلك حقيقياً، وهنا يكمن
الجمال... في الاكتشاف. تخيل يا هاري لو أنني قلت لا.
- راكيل...

- أنا أحبك يا هاري... أحبك... أتسمعني؟ أتسمع مدى بساطة وغبابة وروعة هذه الكلمة؟ عليك أن تشعر بها بكل جوارحك لتليق بها، فهي كثوب أحمر متألّق... أحبك... أليس في هذا شيء من الجنون؟
- ضحكت... أغمض هاري عينيه، وأحس بأروع شمس تقبل بشرته، وأروع ضحكة في العالم تقبل طبلّة أذنه.
- أتسمعني يا هاري؟
- بالطبع أسمعك.
- هذا غريب. أحسست أنك قريب جداً.
- مممم... سأكون قريباً للغاية عاجلاً يا عزيزتي.
- قلها ثانية.
- ماذا أقول؟
- عزيزتي.
- عزيزتي.
- مممممم.
- أحس هاري أنه يجلس على شيء ما، شيء قاس في جيبه الخلفي. أخرجه... أضفى عليه نور الشمس لمعاناً كالمعان الذهب.
- قال وهو يطرق الثلم الأسود برأس إصبعه:
- ما رأيك بالزواج ياراكيل؟
- لا تمزح معي يا هاري.
- أنا لا أمزح. أعلم أنك لم ولن تتخيلي الزواج بمحصل ديون من هونغ كونغ.
- لا، لم أقصد ذلك. بمن علي أن أتخيل الزواج إذاً؟
- لا أعلم. بشخص مدني، بشرطي سابق يلقي محاضرات عن التحقيقات في جرائم القتل في كلية الشرطة؟
- لا أعرف أحداً بهذه المواصفات.
- ربما يكون شخصاً ستتعرفين عليه لاحقاً... شخصاً يمكنه مفاجأتك. حدثت أشياء أغرب من ذلك.
- أنت من قلت إن الناس لا يتغيرون.
- إذاً، إن قلت لك الآن إن بإمكان الناس أن يتغيروا فسيكون هذا إثباتاً على إمكانية ذلك.
- أيها الفيلسوف النذل!
- لنقل فرضاً إنني على حق، وإن الناس قادرون على التغير، وإنه

من الممكن أن ندير ظهرنا للماضي.

- أي أن تتغلب على الهواجس التي تراودك؟

- إذًا، ما رأيك؟

- بم؟

- بسؤالي الافتراضي عن الزواج.

- هل يفترض أن يكون ذلك خطبة؟ فرضاً؟ عبر الهاتف؟

- أنت الآن تبالغين بعض الشيء. إنني فقط جالس تحت أشعة

الشمس أتحدث إلى امرأة ساحرة.

- سأنهاي المكالمة!

قطعت الاتصال؛ وارتقى هاري على كرسي المطبخ مغمضاً عينيه مع ابتسامة كبيرة تكشف عن أسنانه، متنعمًا بدفء الشمس والتحرر من الأم. بعد أربع عشرة ساعة سيرها. لقد تخيل ملامح راكيل عندما تصل إلى بوابة غاردموين وتراه جالساً هناك ينتظرها. وجهها متقلص ورأسها يميل على كتفه بينما تغفو.

ظل مستلقياً على هذه الحال حتى انخفضت درجة الحرارة، ففتح إحدى عينيه بكسل. لقد عبرت زاوية غيمة أمام الشمس لا أكثر. أغمض عينه ثانيةً.

عندما قال الرجل ما قاله، ظن هاري أنه قصد أن عليه أن يتبع حقه ويقتله. لكن، ماذا لو كان يعني غير ذلك؟ لقد قال مقولته مباشرة بعدما سأله هاري عن هوية من قتل غاستو. هل كانت تلك إجابته؟ هل كان يعني أنه إن تبع هاري حقه فسيقوده للقاتل؟ في كلتا الحالتين يوجد مرشحان. لكن، من لديه أسباب أكثر لكراهية غاستو؟ إنها إيرين بالطبع. لكنها كانت محبوسة عند مقتل غاستو.

استعادت الشمس سطوعها، ورأى هاري أنه يبالغ في تحليل كلمات العجوز، فقد انتهت المهمة، وعليه أن يرتاح، وسيحتاج قريباً لقرص آخر. سيتوجب عليه أيضاً الاتصال بهانز كريستيان لإخباره أن أوليغ لم يعد في خطر بعد الآن.

خطرت فكرة أخرى في بال هاري. لم يكن من الممكن أبداً أن يتمكن الضابط الوغد ترولس بيرنستن في فرقة الجريمة المنظمة من الوصول إلى المعلومات المدرجة في سجلات برنامج حماية الشهود. لا بد أن شخصاً آخر قام بذلك؛ شخصاً أعلى رتبةً.

لحظة... توقف عن ذلك... فكر بالرحلة... الرحلة المسائية... بالنجوم في

سماء روسيا.

عاد مجدداً إلى القبو، وفكر في ما إذا كان عليه تقطيع نيباك ثم تخلى عن الفكرة، ووجد الرافعة الصغيرة التي كان يبحث عنها. كانت البوابة 92 - المدخل الرئيس لهوسمنز - مفتوحة، لكن الباب المؤدي للشقة قد أعيد إغلاقه وقفله. ربما كان ذلك بسبب الالتباس الأخير الذي وقع... هذا ما ظنه هاري قبل أن يدخل الرافعة بين الباب وإطاره. بدا كل شيء في الداخل على حاله، وكأن أحداً لم يلمسه. وبدت خيوط أشعة شمس الصباح الممتدة على أرضية غرفة الجلوس كمفاتيح بيانو.

وضع حقيبته القماشية الصغيرة على الأرض مقابل الجدار وجلس على إحدى الفرش. تفقد جيبه الداخلي ليتأكد من وجود تذكرة الطائرة، ثم ألقى نظرة على ساعته... بقيت ثلاث عشرة ساعة للإقلاع. نظر حوله، أغمض عينيه... حاول تخيل المشهد. رجل يضع قناعاً يغطي رأسه، ولم ينطق بكلمة لأنه علم أنهما سيعرفان صوته.

إنه رجل زار غاستو من قبل، ولم يأخذ منه أي شيء سوى حياته... رجل حاقد.

كانت الرصاصة من نوع ماكاروف 9 × 18 ملم، لذا من المرجح جداً أن يكون القاتل قد استخدم سلاحاً من نوع ماكاروف أو فورت 12، وعند الضرورة أوديسا؛ إن كان يستخدم المعدات المعتمدة في أوصلو. وقف هناك وأطلق النار ثم غادر.

أنصت هاري آملاً أن تتحدث الغرفة إليه.

مرت الثواني وأصبحت دقائق.

دق جرس دار العبادة.

لا يوجد أي شيء آخر يمكن اكتشافه.

نهض هاري وعزم على المغادرة.

وعندما وصل إلى الباب سمع صوتاً بين دقات الأجراس. انتظر حتى نهاية الدقات التالية. ها هو مرةً أخرى... إنه صوت خربشة ضعيف. عاد خطوتين إلى الغرفة، خطوتين على رؤوس أصابعه، ودقق النظر حوله.

كانت عند المدخل تدير ظهرها لهاري... فأرة ذات ذيل لامع براق وأذنين ورديتين من الداخل وبقعة غريبة بيضاء على جلدها. لم يعلم هاري سبباً لبقائه هنا. فأرة في المكان... ليس ذلك بالشيء

المستبعد.

إنها البقعة البيضاء.

بدا له وكأن الفأرة قد مرّت على مسحوق غسيل أو...

دقق هاري النظر في أرجاء الغرفة... منفضة السجائر الكبيرة بين الفرش. علم أن لديه فرصة واحدة فقط، لذا خلع حذاءه وتسلل عبر الغرفة أثناء الدقات التالية للأجراس، وتناول منفضة السجائر وتسمر في مكانه من دون حراك على بعد متر ونصف المتر من الفأرة التي لم تتنبه بعد لوجوده. قام بحساباته... حسب الوقت. وما إن عاودت الأجراس الرنين حتى قفز إلى الأمام ماداً ذراعه. كانت ردة فعل الفأرة أبطأ من أن تستطيع تجنب الوقوع في شرك الطبق الخزفي. سمع هاري حسيماً، وأحس بها تتحرك جيئةً وذهاباً داخل الطبق. دفع هاري الطبق على الأرض باتجاه النافذة حيث توجد كومة من المجلات، ووضعها فوقه ثم بدأ بالبحث. وبعد أن بحث في مختلف الأدراج والخزائن الموجودة في الشقة لم يتمكن من العثور على خيط أو حبل.

انتشل السجادة الرثة من على الأرض، ونسل منها فتيلة؛ إذ ستفي جديلة القماش الطويلة هذه بالغرض. عقد هاري حلقةً في أحد طرفيها، وأزاح كومة المجلات عن الطبق، ورفعها بما يكفي لحشر يده داخله. استعد لما أيقن أنه سيحصل تالياً. وبينما شعر بأسنان الفأرة تنغرز في لحمه الطري بين الإبهام والسبابة، قلب المنفضة، وقبض على الفأرة بيده الأخرى. أطلقت الفأرة حسيماً، فيما كان هاري يحك البقعة البيضاء العالقة على وبرها ويشمها ويتذوقها... مرة... بابايا ذابلة... فيولين... أحد ما يملك مخبأً قريباً من هنا.

أحكم هاري العقدة حول قاعدة ذيل الفأرة، ووضعها على الأرض، وأفلتها فجرت بسرعة، ومرت الفتيلة عبر يد هاري... إلى الجحر. تبعها هاري إلى المطبخ، بينما انطلقت كالسهم ودخلت خلف موقد قديم مغطى بالشحم. ركز هاري ذلك الجهاز العتيق الثقيل على عجلته الخلفية ورفعها. كانت هناك فجوة في الجدار بحجم قبضة اختفت الفتيلة عبرها.

حتى توقف.

حشر هاري يده التي عضها الجرذ في الفجوة، وتحسس داخل الجدار... ألواح عازلة عن اليسار واليمين. تحسس أعلاه... لا شيء. لقد تم نبش الجحر سابقاً. علق هاري طرف الفتيلة تحت إحدى قوائم الموقد،

وذهب إلى الحمام حيث فك المرأة المبقعة باللعب والبلغم وحطمها على طرف حوض المغسلة، واختار شظية كبيرة بما فيه الكفاية. ذهب إلى غرفة النوم، وانتزع مصباح قراءة من الجدار ثم عاد إلى المطبخ. أدخل شظية المرأة داخل الفجوة، وأوصل المصباح بالقابس القريب من الموقد، وسلط ضوءه على المرأة. وجه النور على الجدار حتى أصاب الزاوية الصحيحة ووجده.

المخبأ.

لقد كان كيساً قماشياً معلقاً بخطاف بارتفاع نصف متر عن الأرض. كانت الفتحة أضيق من أن تتمكن من إدخال يدك وثنى ذراعك للأعلى لتصل إلى الكيس. أعمل هاري عقله... ما الأداة التي كان المالك يستخدمها ليصل إلى مخبئه؟ لقد فتش عدة أدراج وخزائن في الشقة، لذا أخذ يتذكر المعلومات التي جمعها.

السلك.

عاد إلى غرفة الجلوس. هناك رآه أول مرة عندما كان هنا برفقة بتي. كان ناتئاً من الفراش ومعقوفاً بزاوية قائمة. لم يكن يعرف طريقة استخدام هذا السلك إلا صاحبه. أدخل هاري السلك في الفجوة، واستخدم طرفه المعقوف لحل الكيس من الخطاف.

لقد كان الكيس ثقيلًا، ثقيلًا بقدر ما تمنى... لدرجة أنه توجب عليه سحبه بقوة ليخرج.

كان الكيس معلقاً على مسافة مرتفعة من الأرض لكي لا تتمكن الجرذان من الوصول إليه، إلا أنها رغم ذلك تمكنت من ثقبه من الأسفل. هز هاري الكيس فتناثرت منه بضع حبيبات، وهذا ما يفسر المسحوق الذي كان على ظهر الفأرة. فتح الكيس، وأخرج منه ثلاث محافظ فيولين صغيرة قد تكون أرباعاً. لم يحتو الكيس على عدة المدمن الكاملة... بل مجرد ملعقة ذات مقبض معقوف وحقنة مستعملة.

كان في أسفل الكيس.

استخدم هاري منشفة أطباق لكي لا يترك بصمات أصابع عليه وهو

يخرجه.

كان ذلك بديهياً، ووضيحاً، وغريباً. يكاد يكون مضحكاً مثل فرقة فو فايترز. كان من نوع أوديسا. شمّ هاري رائحة السلاح، إذ يمكن أن تعلق رائحة البارود بالسلاح لأشهر بعد استخدامه إذا لم يتم تنظيفه وتزييته. لم يمض وقت طويل على استخدام هذا. تفقد المخزن... ثماني عشرة... تنقصه

اثنتان. لم يعد لدى هاري أي شك.

كان هذا سلاح الجريمة.

عندما دخل هاري متجر الألعاب في ستورغاتا، كانت لا تزال لديه اثنتا عشرة ساعة حتى موعد الإقلاع.

كانت في المتجر مجموعتان من معدات كشف بصمات الأصابع وعليه أن يختار إحدهما. اختار هاري أغلاهما ثمناً، والتي تحتوي على عدسة مكبرة وضوءاً كاشفاً، وفرشاة ناعمة، ومسحوق البودرة بثلاثة ألوان، وشريطاً لاصقاً لرفع البصمات، وألبوماً لجمع بصمات العائلة وحفظها.

- إنها لابني.

كان ذلك تبريره عندما دفع ثمن المعدات.

عاد ماشياً إلى بوابة هوسمنز، وباشراً العمل مستخدماً الضوء الكاشف الصغير إلى حد سخيف للبحث عن البصمات، ناثراً مسحوق البودرة من إحدى العلب المصغرة. كانت الفرشاة ضئيلة الحجم، وجعلته يحس أنه عملاق من قصص رحلات غوليفر.

وجد بصمات على مقبض السلاح.

إحدى البصمات كانت واضحة، ويغلب أنها بصمة إبهام انطبعت على أحد جانبي مكبس الحقنة، حيث وجد أيضاً نقطاً سوداء يمكن أن تكون ناجمة عن أي شيء، إلا أنه استنتج أنها بقايا بارود.

ومجرد انتهائه من حفظ جميع البصمات على الشريط اللاصق بدأ فوراً بمقارنتها. الشخص ذاته الذي أمسك بالسلاح أمسك أيضاً بالحقنة. تفحص هاري الجدران والأرضية بجوار الفراش، ووجد عدداً من البصمات، لكن لم يطابق أي منها تلك الموجودة على المسدس.

فتح حقيبته القماشية والجيب الداخلي وأخرج منه محتوياته ووضعها على طاولة المطبخ ثم أشعل الضوء الكاشف.

نظر إلى ساعته... بقيت إحدى عشرة ساعة للمغادرة... بحر من الوقت.

كانت الساعة الثانية، وبدا هانز كريستيان سيمونسين خارجاً عن المألوف عندما دخل مطعم شرودر.

كان هاري يجلس في الزاوية إلى جانب النافذة على طاولته المفضلة. جلس هانز كريستيان، وسأل مشيراً إلى إبريق القهوة القريب من

هاري:

- أهي جيدة؟
- أوما هاري برأسه.
- شكراً على مجيئك.
- لا مشكلة. السبت يوم عطلة. ولم يكن لدي شيء أقوم به. كيف الحال؟

- بإمكان أوليخ العودة إلى المنزل.
- انشرح وجه المحامي.
- أعني هذا أن...؟
- من كانوا يمثلون خطراً على أوليخ ذهبوا.
- ذهبوا؟!
- نعم. أهو في مكان بعيد؟
- لا. على بعد عشرين دقيقة من المدينة... في نيتيدال. ماذا تعني بأنهم ذهبوا؟

- رفع هاري كوب قهوته.
- أمتأكد من أنك تريد أن تعرف ياهانز كريستيان؟
- حدّق المحامي في وجه هاري قائلاً:
- أعني ذلك أنك حللت القضية أيضاً؟
- لم يجب هاري.
- انحنى هانز كريستيان إلى الأمام وقال:
- أنت تعرف من الذي قتل غاستو. أليس كذلك؟
- ممم...
- كيف؟
- بعض البصمات المتطابقة.
- ومن هو ال...؟
- ليس هذا مهماً. لكنني سأغادر اليوم، لذا سيكون من اللطيف أن ألقى السلام على أوليخ.
- تبسم هانز كريستيان متأماً، لكنه تبسم رغم ذلك.
- أتعني قبل أن تغادر بصحبة راكيل؟
- حرك هاري كوب قهوته.
- إذاً، فقد أخبرتك.
- لقد تناولت معها الغداء، ووافقت على أن أعني بأوليخ لعدة أيام. وفهمت منها أن بعض الرجال سيأتون من هونغ كونغ لأخذه، وهم

من رجالك. لكنني أظن أنني أسأت فهم شيء ما، فقد ظننت أنك في بانكوك.

- لقد تأخرت. هناك ما أود سؤالك عنه.
- وأضافت أيضاً أنك عرضت عليها الزواج.
- هاه؟
- نعم. بطريقتك الخاصة بالطبع.
- لقد...
- وقالت إنها ستفكر في الموضوع.
- رفع هاري يده. لم يكن يريد أن يسمع المزيد.
- كان الجواب الذي توصلت إليه بعد التفكير هو لا ياهاري. أطلق هاري نفساً.
- جيد.
- لذا، فهي ستتوقف عن التفكير في ذلك كما قالت، وستترك العنان لإحساسها.
- هانز كريستيان...
- وجوابها هو نعم ياهاري.
- استمع إلي ياهانز كريستيان...
- ألم تسمعي؟ إنها تريد الزواج بك هاري، أيها النذل المحظوظ.
- أشرق وجه هانز كريستيان كما لو أنه كان فرحاً. لكن هاري علم أنها إشراقة يأس.
- لقد قالت إنها تريد أن تبقى معك حتى تموت.
- تحركت تفاحة آدم في حنجرته صعوداً ونزولاً، وتهدج صوته بين طبقة عالية مصطنعة وصوت أجش.
- قالت إنها ستخوض معك أوقاتاً فظيعة كارثية، وستمر معك بأوقات عادية تميل للاعتدال، وستحظى معك بأوقات رائعة.
- أدرك هاري أنه يقتبس كلماتها بحرفيتها، وعلم سبب ذلك، فقد انحفرت كل كلمة قالتها في قلبه.
- سأله هاري:
- كم تحبها؟
- أنا...
- هل تحبها بما يكفي لتعتني بها وبأوليغ حتى آخر عمرها؟
- ماذا؟

- أجبني.
- نعم... بالطبع... لكن...
- أتقسم؟
- هاري...
- سألتك... أتقسم؟
- أنا... أقسم. لكن ذلك لن يغير شيئاً.
- ابتسم هاري ممتعضاً.
- أنت على حق. لم يتغير شيء، ولا يمكن لشيء أن يتغير. لا يمكن لشيء أن يتغير، وسيبقى النهر يسري في مجراه الملعون ذاته.
- هذا ليس منطقياً. أنا لم أفهم.
- ستفهم.
- قال هاري وأضاف:
- وستفهم هي أيضاً.
- لكن... أنتما تحبان بعضكما. لقد قالت ذلك منذ البداية. أنت حب حياتها يا هاري.
- وهي كذلك. لقد كانت كذلك، وستبقى إلى الأبد.
- نظر هانز كريستيان إلى هاري بمزيج من الحيرة وما يشبه التعاطف.
- ومع ذلك لا تريدها؟!
- لا أفضل شيئاً في الحياة عليها، لكنني لست واثقاً من أنني سأبقى هنا مدة أطول. وإن لم أبق فقد وعدتني.
- قال هانز كريستيان ساخراً:
- ألا تظن أنك تتصرف بسخافة ومبالغة يا هاري؟ أنا لا أعلم حتى إن كانت ستقبل بي.
- أفنعها.
- بدأ الألم في رقبتة يزيد من صعوبة تنفسه.
- أتعدني؟
- هز هانز كريستيان رأسه وأجاب:
- سأحاول.
- تردد هاري ثم مد يده.
- تصافحا.
- أنت رجل صالح يا هانز كريستيان. لقد حفظت اسمك في خانة

الحرف هـ.

رفع هاتفه الخليوي.

- لقد استبدلت هالفورسن بك.

- من؟

- زميل سابق أتمنى أن ألتقيه مجدداً. علي الذهاب الآن.

- ما الذي ستفعله؟

- سألتقي قاتل غاستو.

نهض هاري، والتفت إلى المنضدة وحيا ريتا التي لوحث له بدورها. وبمجرد أن خرج وعبر الشارع بين السيارات أحس بانفجار خلف عينيه وكان حنجرته ستمزق.

قابل الفتاة في دوفريغاتا، ووقف بالقرب من جدار حانياً ظهره إلى الأسفل في منتصف الشارع الهادئ، والتقط اللحم المقدد والبيض والقهوة التي أحضرتها ريتا، ثم اعتدل ومشى نحو بوابة هوسمنزن.

في نهاية المطاف، كان القرار سهلاً بالرغم من كل شيء.

كنت أجلس على فراش قذر، وأشعر بقلبي المذعور يخفق وأنا أتصل.

أملت أن يجيب على الهاتف وأملت أن لا يفعل.

كنت على وشك أن أنهي الاتصال عندما أجاب، وكان صوت أخي

بالرعاية كئيباً وواضحاً.

- شتاين.

كنت أفكر في بعض الأحيان في مدى ملاءمة ذلك الاسم له: صخر...

سطح غير قابل للاختراق، وقلب متحجر وعديم الإحساس وكئيب وثقيل.

لكن، حتى الحجارة تملك نقطة ضعف... نقطة يمكن لأدنى ضربة عليها أن

تفلقها. وفي حالة شتاين، كان الأمر سهلاً.

تنحنحت.

- أنا غاستو. أعرف مكان إيرين.

سمعت نفساً خفيفاً. لطالما كانت أنفاس شتاين خفيفةً.

بإمكانه الجري لساعات وساعات من دون أن يحتاج للأوكسجين أو

لسبب للجري.

- أين؟

أجبت:

- إليك الأمر. أنا أعرف المكان، لكن معرفته ستكون مكلفة لك.

- لماذا؟

- لأني أحتاج ذلك.
- شعرت بموجة من الحرارة... لا... من البرودة، واستطعت أن أحس بكراهيته. سمعته يبلع لعابه.
- كم...
- خمسة آلاف.
- حسناً.
- أقصد عشرة.
- لقد قلت خمسة.
- اللعنة.
- لكن الأمر عاجل.
- قلت ذلك مع أنني على علم باستعداده التام.
- حسناً، أين أنت؟
- بوابة هوسمنز 92. قفل الباب مكسور... الطابق الثاني.
- أنا في طريقي. لا تغادر مكانك.
- أغادر؟! تناولت بعض أعقاب السجائر من المنفضة في غرفة الجلوس وأشعلتها في المطبخ وسط صمت العصر الذي يصم الآذان. تَباً! الجو هنا حار جداً. هناك شيء ما يصدر صوتاً. لحقت بالصوت.. إنها الفأرة ثانية، تجري بمحاذاة الجدار.
- لقد أتت من خلف الموقد... لديها هناك مكان مناسب للاختباء.
- دخنت عقب السيارة الثاني.
- ثم قفزت.
- كان الموقد الحقير يزن طناً، إلى أن اكتشفت أن له عجلتين في الخلف.
- كان جحر الفأرة أكبر مما يجب أن يكون.
- أوليغ... أوليغ... يا صديقي العزيز. إنك ذكي، لكنك تعلمت هذه الحيلة مني أنا.
- جثوت على ركبتي. كنت منتشياً وأنا أستخدم السلك. ارتجفت أصابعي حتى شعرت برغبة في قضمها وانتزاعها. أحسست بأني وصلت إليه لكنني فقدته. لا بد أنه فيولين. يجب أن يكون كذلك!
- وبعد مرور وقت وجهد جهيد أمسكته. كان كبيراً... سحبته إلي... إنه كيس قماشى كبير. فتحته. يجب أن يكون كذلك، يجب أن يكون! أنبوب مطاطي وملعقة وحقنة وثلاث رزم صغيرة شفافة. كان المسحوق

الأبيض داخلها مبقعاً بالبني. بدأ قلبي يغني. لقد اجتمعت ثانية بصديقي ومحبوبي الوحيد الذي لطالما تمكنت من الاعتماد عليه.

حشرت رزمتين في جيبي وفتحت الثالثة. أصبح لدي الآن ما يكفي لأسبوع إن اقتصدت. علي الآن أن أحقن الإبرة وأرحل قبل أن يأتي شتاين أو أحد آخر. نثرت بعض المسحوق على الملعقة وأشعلت ولاعتي. اعتدت أن أضيف بضع قطرات من الليمون من النوع الذي تشتريه في زجاجات ويضيفه الناس إلى الشاي. يمنع عصير الليمون تكتل المسحوق ويسهل عليك إدخاله كله إلى الحقنة. لكن، لم يكن لدي ليمون ولا صبر، وإنما لدي شيء واحد فقط يهمني: إيصال هذه القذارة إلى مجرى دمي.

للفت المطاط حول بداية ذراعي، وأمسكت نهايته بين أسناني وشدته. وجدت وريداً أزرق كبيراً. أملت الحقنة لأحقق هدفاً أكبر وأقلل من الارتعاش؛ لأني كنت أرتعش... أرتعش كالمجنون. أخطأت.

مرة... مرتين. أخذت نفساً. لا تفكر كثيراً الآن. لا تتحمس كثيراً. لا تذعر.

اهتزت الإبرة. حاولت طعن الدودة الزرقاء. أخطأت مجدداً.

حاربت يأسِي، وفكرت أن أدخن بعضاً منه لأتمالك نفسي، لكني كنت أريد النشوة... الذروة التي تحصل عليها عندما تجتاح الجرعة بأكملها الدم وتذهب مباشرةً للدماغ... الهزة... السقوط الحر!!

كان الحر وضوء الشمس يعمياني، فانتقلت إلى غرفة الجلوس، وجلست في الظل قرب الجدار. تباً، لم يعد بإمكانني رؤية الوريد الغبي الآن! هونٌ عليك. انتظرت أن يتوسع بؤبؤأي. من حسن الحظ أن ساعدتي أبيضان كشاشة السينما. بدا الوريد وكأنه نهر على خريطة غرينلاند... الآن. أخطأت.

لم تكن لدي الطاقة لتحمل ذلك كله، وشعرت بالدموع تنهمر، ثم سمعت صرير حذاء.

لقد كنت منهمكاً جداً لدرجة أنني لم أسمع يدخل. وعندما نظرت إلى الأعلى، كانت عيناي تغورقان بالدموع؛ لدرجة أنني كنت أرى الأشكال مشوهة كما في المرايا الحمقاء في مدينة الألعاب!

- مرحباً يا لص.

لم أسمع أحداً يناديني هكذا منذ زمن.

تخلّصت عيناى من الدمع، فعادت الأشكال إلى طبيعتها. نعم، أصبحت
أميّز كل شيء... حتى السلاح... لم يسرقه اللصوص العابرون من غرفة
التمارين كما اعتقدت.

الغريب في الأمر أنني لم أكن خائفاً على الإطلاق. أصبحت فجأةً
هادئاً وساكناً.

نظرت إلى الوريد ثانية.

قال لي الصوت:

- لا تفعل ذلك.

تفحصت يدي. كانت ثابتةً كيد نشال، وكانت هذه الفرصة المناسبة.

- سأطلق النار عليك.

قلت له:

- لا أظن ذلك لأنك عندها لن تعرف مكان إيرين أبداً.

- غاستو!

- سأفعل ما علي فعله.

قلتها وحققت. أصبت الوريد ورفعت إبهامي لأضغط المكبس وقلت:

- لذا، يمكنك أن تفعل ما عليك فعله.

بدأت أجراس دار العبادة تقرع مرة أخرى.

جلس هاري في الظل قرب الجدار، بينما سطع الضوء المنبثق من
مصباح الشارع في الخارج على الفرش. تفقد ساعته... تسعة. ثلاث ساعات
لموعد رحلة بانكوك. احتد الألم الذي يشعر به في رقبته فجأةً كما يحصل
لحرارة الشمس قبل أن تختفي وراء غيمة، لكن الشمس ستغيب قريباً،
وقريباً سينتهي ألمه. عرف هاري كيف يجب أن ينتهي ذلك. كان الأمر
حتمياً كعودته إلى أوصلو. كما أدرك أيضاً أن الحاجة البشرية للنظام
والتماسك تعني أن يتلاعب بعقله ليرى نوعاً من المنطق في ذلك، لأن
النظرية القائلة إن كل شيء ما هو إلا فوضى باردة، وإنه ليس هنالك
مغزى لأي شيء أصعب تحملاً حتى من المأساة الأسوأ والأشمل.

فتش داخل سترته عن علبة سجائر، وأحس بمقبض سكين على أطراف
أصابعه. انتابه إحساس بأنه يجب أن يتخلص منها... إنها ملعونة.. إنه
ملعون، لكن ذلك لن يصنع أي فرق، فقد كان ملعوناً قبل أن تظهر هذه
السكين بوقت طويل، وكانت اللعنة أسوأ من أي سكين: لقد قضت أن
يكون حبه كطاعون يحمله معه حيثما ذهب؛ تماماً كما قال أسايف: تنقل

السكين معاناة صاحبها واعتلاله لأي شخص تطعنه. كذلك دفع كل أولئك الذين استسلموا لحب هاري ثمناً غالياً، لقد دُمروا وسلبوا منه، ولم يبقَ منهم سوى أطياف... جميعهم... وقریباً ستتحول راكيل وأوليغ إلى طيفين أيضاً.

فتح الرزمة ونظر داخلها.

ما الذي تخيله؟ أظن أن سيُسمح له بالإفلات من اللعنة؟ أنه سيتمكن من الهرب معهما إلى الطرف الآخر من العالم ليعيشوا بسعادة وهناء إلى الأبد؟ فكر في ذلك، بينما تفقد ساعته ثانيةً متسائلاً عن مقدار الوقت الذي يمكنه أن يتأخره قبل أي يغادر ثم يتمكن من اللحاق بالرحلة رغم ذلك. كان يستمع إلى قلبه الأناني الجشع حينها.

أخرج صورته العائلية مثنية الزاوية، ونظر إليها مرةً أخرى... إلى إيرين... إلى الأخ... شتاين... الشخص ذي النظرة الباهتة. كانت لدى هاري واقعتان في صندوق ذكرياته: واحدة في تلك الصورة، والأخرى كانت ليلة قدومه إلى أوصلو حين ذهب إلى كفادراتورين. لقد كان التمحيص الدقيق الذي عرضه له شتاين سبباً في اعتقاده أنه شرطي في بادئ الأمر، لكنه كان على خطأ؛ خطأ فادح.

ثم سمع وقع خطوات على السلام.

قرعت أجراس دار العبادة. حمل صوتها إحساساً بالضعف والوحدة.

صعد ترولس بيرنستن الدرجة العلوية وحقق بالباب الأمامي؛ إذ كان يشعر بقلبه يدق. كانا سيقابلان بعضهما مرةً أخرى. لقد ترقب هذه المقابلة، لكنه خشياً في الوقت ذاته. أخذ نفساً عميقاً.

رن الجرس.

ملس ربطة عنقه. لم يشعر بالارتياح وهو مرتدٍ البذلة الرسمية، لكنه عرف أن لا مخرج له عندما أخبره مايكل بهوية من سيأتي إلى حفلة الترحيب بالمسكن الجديد: جميع كبار الضباط؛ بمن فيهم رئيس الشرطة، وقادة الوحدات، بل وحتى غونار هاغن؛ خصمهم القديم في فرقة مكافحة الجريمة، وكذلك جمع من السياسيين، وإيزابيل سكوين المستشارة المثيرة التي كان يحدق في صورتها، بالإضافة إلى بعض مشاهير التلفاز. لم تكن لدى ترولس أي فكرة عما جمع بينهم وبين مايكل.

فتح الباب.

أولاً.

قالت له:

- تبدو وسيماً ياترولس.

كانت عيناها تلمعان، لكنه يعرف أن الوقت لا يزال باكراً. اكتفى بإيماءة برأسه عاجزاً عن قول ما كان ينبغي قوله، وهو أنها كانت تبدو هي أيضاً على قدر عالٍ من الجاذبية.

عانقته عناقاً خاطفاً ودعته للدخول. سيقومون بالترحيب بضيوفهم بكؤوس من الشراب اللذيذ، لكنها لم تملأ الكؤوس بعد. ابتسمت، واعتصرت يديها، وألقت نظرة شبه مذعورة على السلام وصولاً إلى الدور الأول آملة على الأغلب أن يأتي مايكل قريباً ويتولى زمام الأمور. لا بد أنه يغير ثيابه ويتأمل نفسه في المرآة ليتأكد من أن كل شعرة على رأسه في مكانها الصحيح.

كانت أولاً تتحدث بسرعة كبيرة عن أشخاص من طفولتهم في مانغلوود. هل لدى ترولس أي فكرة عما يفعلونه في هذه الأيام؟ لم تكن لديه أدنى فكرة. أجابها:

- لم أعد على تواصل معهم.

مع أنه كان على ثقة من أنها تعلم أنه لم يكن بينه وبينهم أي اتصال... ولا مع أي فرد منهم. لا جوجن ولا جيمي ولا آندرس ولا كروك. لم يكن لدى ترولس سوى صديق واحد: مايكل. حتى إن مايكل نفسه كان يحافظ على مسافة تفصل بينهما فيما كان يرتقي في المنزلة الاجتماعية والوظيفية.

نفد الكلام بينهما. لم يعد لديها شيء تقوله، أما هو فلم يكن لديه ما يقوله منذ البداية. صمت.

- ماذا عن النساء ياترولس؟ هل من جديد؟

- لا جديد، أبداً.

حاول أن تكون إجابته بالنبرة المازحة نفسها التي استخدمتها. كان يجب أن يكون قد أنهى شرابه الترحيبي في هذه الأثناء.

- أليست هناك امرأة يمكنها الاستحواذ على قلبك؟

أمالت رأسها وغمزته مبتسمة، لكنه رأى أنها ندمت على سؤالها. قد يكون السبب هو أنها لاحظت احمرار وجهه، أو ربما لأنها عرفت الإجابة: أنت... أنت... أنت يا أولاً من استحوذت على قلبي. لقد سار خلف الثنائي الخارق مايكل وأولاً بثلاث خطوات في مانغلوود، حاضراً في خدمتهما رغم

نظراته الكثيبة اللامبالية التي تنطق "أنا أشعر بالملل، لكن ليس لدي شيء أفضل أقوم به". وكان قلبه يحترق ألماً لأجلها، وكان يسجل في زاوية عينه كل حركاتها وسكناتها. لم يكن باستطاعته الحصول عليها... كان ذلك من المستحيلات. عرف ذلك، لكنه تاق إليها كتوق الإنسان للطيران. وأخيراً، نزل مايكل بخطواته الواسعة على السلام وهو يسحب كمّي قميصه من تحت السترة الرسمية ليظهر أزرار كمّيه الفاخرة.

- ترولس!

بدأت في صوته مبالغة في التعبير عن الحماسة تستخدم غالباً مع الأشخاص الذين لا تعرفهم معرفةً وثيقةً.

- لِمَ تبدو ملامح الأسي على وجهك يا صديقي القديم؟ لدينا قصر نحتفل به!

- ظننت أننا نحتفل بمنصبك الجديد كرئيس للشرطة.
هكذا قال ترولس وهو ينظر حوله وأضاف:

- شاهدت الخبر اليوم.
- إنه تسريب. لم يتم إعلان ذلك رسمياً بعد. لكننا سنشيد بالشرفة التي بنيتها في حفلتنا الليلة ياترولس. ألا توافقني؟ كيف تسير الأمور يا عزيزتي؟

- سأسكب الشراب الآن.
أجابت أولاً وهي تنفض ذرة غبار غير مرئية عن كتف زوجها وتغادر.

سأل ترولس:

- أتعرف إيزابيل سكوين؟
أجاب مايكل محتفظاً بابتسامته:
- نعم، ستأتي هذا المساء. لم تسأل؟
- لا سبب معين.
تنفس ترولس الصعداء. إنه الوقت المناسب... إن لم أفعّلها الآن فلن أفعّلها أبداً.

- هناك شيء يشغل تفكيري.
رد مايكل وهو لا يزال مبتسماً:
- ما هو؟
- تم إرساله منذ بضعة أيام في مهمة للقبض على رجل في ليون...
ذاك الفندق، أتعرفه؟

- أعتقد أنني أعرفه... نعم.
- لكن، بينما كنت أعتقل ذلك الشخص أتى شرطيان آخران لا أعرفهما وأرادا اعتقالنا معاً.
- ضحك مايكل ثم قال:
- أهى مصادفة؟ أسأل فين فهو الذي ينسق أمور العمليات.
- هز ترولس رأسه ببطء.
- لا أظن أنها كانت مصادفة.
- ألا تظن ذلك؟
- أعتقد أن هناك من أرسلني في هذه العملية لغاية ما.
- أتقصد أنها كانت مقلباً؟
- لقد كانت مقلباً، نعم.
- رد ترولس وهو يدقق النظر في عيني مايكل، لكنه لم يجد دليلاً على أنه فهم ما كان يرمي إليه في الحقيقة. هل كان مخطئاً في استنتاجه؟ صدق ترولس ما سمعه.
- كنت أتساءل إن كنت تعرف أي شيء عن ذلك، أو إن كنت مشتركاً فيه.
- أنا؟!!
- انحنى مايكل للخلف وانفجر ضاحكاً. وعندما وقع نظر ترولس داخل فم مايكل تذكر كيف كان يعود دوماً من عيادة طبيب الأسنان المدرسية من دون أية نخور. لم يسعده شيء في الدنيا أكثر من ذلك، ولا حتى مشاهدة برنامجه المفضل كاريوس وباكتوس.
- ليتني كنت كذلك! قل لي، هل طرحتك أرضاً وكبلا يديك؟
- نظر ترولس إلى مايكل، ورأى أنه قد أخطأ في ظنه فضحك معه... ضحك ارتياحاً، وضحك حين تخيل نفسه وقد جلس عليه شرطيان آخران يكبلانه، وضحك لأن ضحكة مايكل المعدية لطالما دعتة للضحك معه بل أمرته بمشاركته الضحك. لكنها في الوقت ذاته كانت تغطيه وتدفعه وتجعله جزءاً من شيء ما، عضواً في تنظيم ما، ثنائياً يتكون منه هو ومايكل بيلمان؛ إنهما صديقان. سمع شهقات ضحكته بينما خفت ضحكة مايكل.
- سأل مايكل بنظرة متأملة.
- هل ظننت حقاً أنني جزء مما حصل؟
- نظر إليه ترولس مبتسماً، وفكر في كيفية وصول دبي إليه... في الصبي الذي ضربه حتى أعماه في الحبس الاحتياطي. من الذي يمكن أن

يكون قد أخبر دبي بذلك؟ فكر في الدم الذي وجدته فريق جمع الأدلة في مسرح الجريمة تحت أظافر غاستو في بوابة هوسمنز؛ الدم الذي لوثة ترولس قبل أن يصل حتى لمرحلة اختبار الحمض النووي DNA ، لكنه حصل على بعضه واحتفظ به، فأدلة كهذه ستكون ذات قيمة حين تسوء الأحوال. وبما أن الوضع بدأ يضطرب، قاد سيارته نحو وحدة علم الأمراض هذا الصباح حاملاً عينة الدم معه. وجاءته النتائج قبل حضوره إلى هنا هذا المساء. أشارت الفحوصات حتى الآن إلى أن الدم وشظايا الأظافر تعود للشخص ذاته الذي تعود له العينات المستلمة من بتي لون قبل بضعة أيام. ألم يتحدث مع بعضهما هناك؟ ألم يعتقد أن لديهما ما يكفيهما من العمل لدى الطب الشرعي؟ اعتذر ترولس وأنهى المحادثة. فكر في الإجابة... الدم الذي كان تحت أظافر غاستو هانسن يعود لمايكل بيلمان. مايكل وغاستو.

مايكل ورودولف أسايف.

خفف ترولس عقدة ربطة عنقه. لم يكن والده من علمه كيف يعقدها، فهو نفسه لم يكن يعرف كيف يفعل ذلك، بل كان مايكل من علمه حين كانا ذاهبين لحفلة نهاية العام الدراسي. علمه كيف يربط عقدة بسيطة. وعندما سأل ترولس مايكل عن السبب في أن عقدة ربطة عنقه تبدو أكبر أجابه أنها عقدة مزدوجة لكنها لن تليق بترولس على الأرجح. تسمرت نظرات مايكل عليه، حيث إنه لا يزال ينتظر إجابة عن سؤاله. لِمَ ظن ترولس أن مايكل كان مشاركاً في اللعبة؟

كان مشاركاً في قرار قتله هو وهاري هول في فندق ليون.

رن جرس الباب ولم يتحرك مايكل.

تظاهر ترولس بأنه يحك جبينه، بينما كان يستخدم أطراف أصابعه ليحفف عرقه.

- لا.

قالها، وسمع شهقات ضحكته.

- إنها مجرد فكرة لا أكثر. انس الموضوع.

أصدرت السلام صريراً تحت وطأة ثقل شتاين هانسن. كان بوسعه الإحساس بكل خطوة، وتوقع كل صرّة وتنهيدة، ثم توقف في أعلى السلم وطرق الباب.

سمع صوتاً من الداخل.

- تفضل ادخل.
- دخل شتاين هانسن.
- كانت الحقيقية أول شيء لفت انتباهه.
- سأل:
- هل حزمت أشياءك واستعددت؟
- قوبل بإيماءة.
- أوجدت جواز السفر؟
- نعم.
- طلبت سيارة أجرة لتقلك إلى المطار.
- سآتي.
- حسناً.
- تفقد شتاين المكان، كما تفقد الغرف الأخرى، ثم استمع إلى أصداء طفولتهم: صوت والدهم المشجع، وصوت أمهم المطمئن، وصوت غاستو الحماسي، وصوت إيرين المبتهج... الصوت الوحيد الذي لم يسمعه كان صوته هو. كان صامتاً.
- شتاين؟
- كانت إيرين تحمل في يدها صورةً. عرف شتاين الصورة؛ إنها تلك التي علقها فوق سريرها ليلة أحضرها المحامي سيمونسين إلى هنا. كانت صورة لها مع غاستو وأوليغ.
- نعم.
- ألم تشعر أبداً برغبة بقتل غاستو؟
- لم يجب شتاين، وإنما تذكر فقط تلك الليلة.
- الاتصال الهاتفي الذي جاءه من غاستو وأخبره فيه أنه يعرف مكان إيرين، وركضه حتى بوابة هوسمنز، ووصول سيارة الشرطة، والأصوات حوله التي كانت تردد أن الصبي في الداخل مات بطلق ناري، وشعوره بالحماسة: نعم... حماسة تشبه السعادة، ثم الصدمة والأسى: نعم. لقد أحس بطريقة أو بأخرى بالأسى تجاه موت غاستو، وفي الوقت ذاته حافظ على أمله بأن تكون إيرين بخير أخيراً. بدأ هذا الأمل يزوي بالطبع مع مرور الأيام، وأدرك أن وفاة غاستو باتت تعني أنه فقد طريقه للعثور عليها.
- كانت شاحبة من أعراض الانقطاع عن المخدر. سيكون ذلك صعباً لكنهما سيتدبران أمرهما... سيتدبران أمرهما معاً.
- هل علينا...؟

أجابته وهي تفتح الدرج بجانب السرير، ثم تنظر إلى الصورة وتضغط بها على شفتيها، ثم تودعها داخل الدرج مقلوبةً إلى الأسفل: نعم.

سمع هاري صوت الباب يفتح. كان يجلس في الظلام بلا حراك وهو يستمع إلى صوت الخطوات على أرضية غرفة الجلوس. لاحظ حركة بالقرب من الفرش، ولمح السلك الذي عكس ضوء إنارة الشارع. تحركت الخطوات باتجاه المطبخ، وصدر ضوء، ثم سمع صوت تحريك الموقد. نهض ولحق به.

وقف هاري عند الباب يشاهده وهو جاثٌ على ركبتيه مقابل الجحر، ويفتح الكيس بأنامل مرتعشة، ويصف أغراضاً بجانب أخرى: الحقنة، والأنبوب المطاطي، والملعقة، والولاعة، والمسدس، ورزم الفيولين. أصدر المدخل صريراً بتحرك هاري، لكن الصبي لم يلاحظه بل تابع نشاطه المحموم.

علم هاري أنه الإدمان. كان دماغ الصبي منصباً على شيء واحد. فسعل.

تيسب الصبي في مكانه، واحدودبت كتفاه، لكنه لم يلتفت، بل جلس من دون حراك، وأطرق برأسه محدقاً في المخبأ. لم يلتفت. قال هاري:

- اعتقدت ذلك. أنك ستأتي إلى هنا أولاً. لقد أدركت أن الساحة أصبحت خالية الآن.

لم يتحرك الصبي بعد.

- أخبرك هانز كريستيان أننا وجدناها لأجلك، أليس كذلك؟ ومع ذلك، كان عليك القدوم إلى هنا أولاً.

نهض الصبي، وتفاجأ هاري ثانيةً بالطول الذي بلغه... يكاد يصبح رجلاً.

- ماذا تريد يا هاري؟

- جئت لأعتقلك يا أوليغ.

عبس أوليغ.

- بتهمة حيازة كيسين من الفيولين؟

- ليس بسبب المخدرات يا أوليغ، بل لقتلك غاستو.

- لا تفعل ذلك!
- أعادها وكررها.
- لكن الحقنة أصبحت مغروسة في عمق وريدي الذي كان يرتعش منتظراً، فقلت:
- اعتقدت أن شتاين أو إبسين من سيقوم بذلك وليس أنت.
- لم أر قدمه اللعينة قادمة حتى ركلت الإبرة، فطارت في الهواء وهبطت في مؤخر المطبخ قرب الحوض المليء بالأطباق.
- اللعنة يا أوليغ!
- ورفعت نظري إليه.
- حملك أوليغ بهاري لوقت طويل.
- كانت نظرة جادة هادئة خالية من المفاجأة؛ وكأنه يحاول أن يختبر الأرض وأن يكشف مكنوناتها.
- وعندما تكلم أوليغ بدا فضولياً أكثر من كونه غاضباً أو مشوشاً.
- لكنك صدقتني يا هاري عندما قلت لك إن من فعل ذلك كان شخصاً آخر... شخصاً مقنعاً... لقد صدقتني.
- نعم، لقد صدقتك لأنني أردت أن أصدقك.
- لكن، هاري...
- قالها أوليغ برقة، محملاً بكيس المسحوق الذي فتحه وتابع:
- إن لم تصدق صديقك المقرب فمن ستصدق؟
- رد هاري وهو يشعر بحنجرته تتورم.
- الأدلة.
- أية أدلة؟ لقد وجدنا تبريرات للأدلة يا هاري. أنا وأنت... لقد دمرنا الأدلة في ما بيننا.
- الأدلة الأخرى... أشياء جديدة.
- أية أشياء جديدة؟
- أشار هاري إلى الأرض بجانب أوليغ.
- هذا المسدس من نوع أوديسا. إنه يستخدم العيار ذاته الذي أطلق على غاستو. ماكاروف 9 × 18 ملم. مهما يكن، ستؤكد نتائج فحص المقذوفات 100% أن هذا المسدس هو سلاح الجريمة يا أوليغ، وعليه بصماتك أنت وحدك. لو استخدمه أحد غيرك ومسح بصماته لزال بصماتك أنت أيضاً.

لمس أوليغ المسدس، وكأنه يؤكد أنه السلاح الذي يتكلمان عنه.
قال هاري:

- وهناك الحقنة، عليها الكثير من البصمات؛ ربما تعود لشخصين آخرين. لكن بصمة إبهامك موجودة على المكبس حتماً؛ المكبس الذي عليك أن تضغطه عندما تحقن نفسك بالمخدر، وعلى تلك البصمة توجد آثار بارود يا أوليغ.

مرر أوليغ إصبعه على الحقنة.

- لِمَ توجد أدلة جديدة ضدي؟

- لأنك قلت في إفادتك إنك كنت منتشياً عندما دخلت الغرفة، لكن بقايا البارود على الحقنة تثبت أنك حقنت المخدر بعد ذلك؛ لأن ذرات البارود كانت عليك. إنها تثبت أنك أطلقت النار على غاستو أولاً، ثم حقنت نفسك لاحقاً. لم تكن منتشياً في لحظة ارتكاب الجرم يا أوليغ وإنما كان ذلك قتلاً متعمداً.

هز أوليغ رأسه ببطء.

- وقد رفعت بصماتي عن السلاح والحقنة وفحصتها بعلم الشرطة، لذا باتوا يعرفون أنني...

- لم أتصل بالشرطة. أنا الشخص الوحيد الذي يعلم بذلك.

بلع أوليغ لعابه ولاحظ هاري الحركة الضئيلة في حنجرته.

- كيف تعرف أنها بصماتي إن لم تراجع الشرطة؟

- لدي بصمات أخرى لك استخدمتها في المقارنة.

أخرج هاري يده من جيب معطفه، ووضع جهاز الألعاب الإلكترونية على طاولة المطبخ.

حملق أوليغ في الجهاز، وطرفت عينه مراراً وكأن شيئاً ما دخلها ثم

همس:

- ما الذي جعلك تشك بي؟

- الكراهية. لقد قال الرجل العجوز رودولف أسايف إن علي أن

أتبع الكراهية.

- ومن ذاك؟

- إنه الرجل الذي تدعوه دبي. لقد استغرقت وقتاً حتى أدركت

أنه كان يشير إلى نفسه... كراهيته لك؛ كرهه لحقيقة أنك قتلت ابنه.

رفع أوليغ رأسه ونظر إلى هاري مشدوهاً.

- ابنه؟!!

- نعم. كان غاستو ابنه.
أطرق أوليغ رأسه، وجثم محدقاً في الأرض.
- إن...
هز رأسه وبدأ من جديد:
- إن كان دبي والد غاستو بحق، وإن كان يكرهني إلى هذه
الدرجة، فلمَ لم يحرص على أن أُقتل في السجن مباشرة؟
- لأنك حيث يريدك أن تكون تماماً، ولأن السجن بالنسبة له أسوأ
من الموت. السجن يفترس الروح أما الموت فيحررها. كان السجن أمنيته لمن
يكن له أشد الكره... لك يا أوليغ، كما أن له سلطة على ما تفعله هناك.
لم تمثل خطراً عليه حتى بدأت بالتحدث إلي. حينها، أصبح عليه أن يقنع
بقتلك، إلا أنه لم يتمكن من ذلك.
أغمض أوليغ عينيه وهو جالس جلسته ذاتها، وكأن أمامه سباقاً هاماً
عليه خوضه يقتضي من الجميع التزام الصمت والتركيز.
كانت المدينة تعزف موسيقاها في الخارج: السيارات، صوت نفير بعيد
يحدّر من الضباب، صفارة إنذار كسولة، ضوضاء تختصر النشاط البشري
ككثيب نمل أزلي مكافح ورتيب ومخدر ومطمئن مثل لحاف دافئ.
انحنى أوليغ ببطء من دون أن يبعد عينيه عن هاري.
هز هاري رأسه.
لكن أوليغ التقط المسدس بحذر، وكأنه يخاف من أن ينفجر بين
يديه.

فر ترولس ليختلي بنفسه على الشرفة.

لقد وقف على حدود محادثتين، وهو يرتشف الشراب اللذيذ ويتناول المقبلات، ويحاول التصرف كما لو أنه ينتمي لهذه البيئة. حاول بعض الأشخاص المهذبين ضمه إليهم، ورحبوا به، وسألوه عن هويته وعمله، فأجابهم ترولس باقتضاب، ومن دون أن يخطر بباله أن يرد الجميل؛ وكأنه ليس بمنزلة تسمح له بذلك، أو ربما اعتراه خوف من أن يعرف هويتهم والمناصب الهامة اللعينة التي يشغلونها.

كانت أولاً مشغولةً بالضيافة والبشاشة والحديث مع أولئك الناس وكأنهم من معارفها القدماء. أما ترولس فلم يحرز تبادلاً للنظرات معها إلا في مناسبتين، ثم وبابتسامة أومأت له إيماة فسرهما بأنها تود الحديث إليه لكن واجب الضيافة شغلها. اتضح أنه لم يتمكن أي من العاملين من تلبية الدعوة، ولم يتعرف رئيس الشرطة على ترولس، كما لم يعرفه أي من قادة الوحدات. أحس برغبة في إخبارهم أنه هو من تسبب للصبى بالعمى. لكن الشرفة كانت رائعة، وتلألأت أوصلو تحتها كجوهرة براقعة.

هجمت برودة الخريف بقسوة، فقد ذكرت النشرات الجوية أن درجات الحرارة في الليل ستصل إلى الصفر في المناطق الأكثر ارتفاعاً. سمع صفارات الإنذار البعيدة، سيارة إسعاف ترافقها عربة شرطة واحدة على الأقل في مكان ما في مركز المدينة. تاق ترولس للتسلل خارجاً، وتشغيل مذياع الشرطة، وسماع ما يجري والإحساس بنبض المدينة وبانتمائه.

فتح باب الشرفة، وانسحب ترولس تلقائياً خطوتين إلى الظل ليتجنب استدراجه إلى محادثة تزيد من تفوقه.

كان ذلك مايكل والسياسية إيزابيل سكوين.

ظهرت عليها الثمالة بوضوح. كان مايكل يسندها تماماً. امرأة ضخمة تميل فوقه. وقفا إلى جانب حاجز الشرفة، وظهراهما لترولس. وقفا مقابل جدار لا نافذة له، لذا كانا مخفيين عن الضيوف داخل الصالة.

وقف مايكل خلفها، وتوقع ترولس قليلاً أن يرى شخصاً يخرج ولاءةً ويشعل سيجارة؛ إلا أن ذلك لم يحصل. لكن، عندما سمع حفيف ثوب وضحكة إيزابيل سكوين المعترضة والخافتة بات الإعلان عن وجوده متأخراً جداً. رأى بياض رجليها قبل أن تشد حاشية ثوبها بحزم ثم تلتفت إلى مايكل ويندمج رأسهما في خيال واحد على خلفية المدينة في الأسفل.

تناهت إلى سمع تروس أصوات قُبَل، فالتفت إلى الصالة، ورأى أولاً تبتسم وتجري بين الناس حاملة طبقاً من الأطعمة الجديدة. لم يستطع ترولس أن يفهم ما يحصل. لم يستطع أن يفهم الدناءة التي تحصل. ليس لأنه كان مصدوماً؛ فهذه ليست المرة الأولى التي ينخرط فيها مايكل في علاقة مع امرأة أخرى، لكنه لم يفهم جرأة مايكل على القيام بذلك... لم يفهم قسوته في القيام بذلك. عندما تملك امرأة كأولاً... عندما يكون لك مثل هذا الحظ المذهل... عندما تنال الجائزة الكبرى... كيف لك أن تغامر بكل ذلك لأجل خرقة على الرصيف؟ أألئك منحت الصفات التي تحبها النساء في الرجال: الوسامة والطموح واللسان المعسول الفصيح؟! ألهذا تشعر أنك مجبر على ممارسة قدراتك في كل وقت؛ كما يشعر الأشخاص الذين يصل طولهم إلى مترين وعشرين سنتيمتراً بوجوب ممارستهم لكرة السلة؟ لم يعرف. كل ما أيقنه هو أن أولاً تستحق شخصاً أفضل... شخصاً يحبها... يحبها كما أحبها هو على الدوام... وسيحبها على الدوام. علاقته بهارتين كانت مغامرةً سخيفةً تخلو من الجدية، ولن يعاودها أبداً. تعذريه رغبة بين الفينة والأخرى بإعلام أولاً بطريقة ما بما يحدث، لعلها إن تركت مايكل يكون بجانبها، لكنه لم يجد الكلمات المناسبة لإخبارها. أصغى ترولس السمع... كانا يتحدثان.

قال مايكل:

- كل ما أعرفه أنه ذهب.
- أدرك ترولس من تتاقل صوت مايكل أنه مثل بعض الشيء كذلك.
- لكنهم وجدوا الشخصين الآخرين.
- أهما من جماعته من القوقاز؟
- ما زلت أظن أن ما يشاع عن انتمائهم للقوقاز كلام فارغ. وعلى كل حال، اتصل بي غونار هاغن من فرقة مكافحة الجريمة وطلب مساعدتي. جرى استخدام الغاز المسيل للدموع والأسلحة الرشاشة، وقد دفعهم ذلك لاستنتاج أن الأمر قد يكون مجرد تسوية حسابات قديمة. وتساءل إن كان لدى فرقة مكافحة الجريمة المنظمة أي مشتبه بهم. كانت غاراتهم ليلية وفقاً لما قال.
- وبم أجبته؟
- أجبته أنه ليست لدي فكرة عن هوية الفاعل، وتلك هي الحقيقة. إن كانت عصابة فقد نجحت في التواري عن الأنظار.
- أظن أن الرجل العجوز قد تمكن من الفرار؟
- لا.

- لا؟
- أظن أن جثته تتعفن في مكان ما هناك.
- رأى ترولس يداً تشير إلى السماء المتلألئة بالنجوم.
- ربما نعثر عليها قريباً جداً، وقد لا نعثر عليها أبداً.
- ألا تظهر الجثث دائماً؟
- لا... أجاب ترولس في سرّه. وقف ووزنه موزع بالتساوي على قدميه الاثنتين وشعر بهما تضغطان على أرضية الشرفة الإسمنتية والعكس.
- لا تظهر الجثث دائماً.
- قال مايكل:
- إلا أن أحداً ما فعلها؛ شخصاً جديداً، وسرى قريباً من يكون ملك المخدرات الجديد في أوصلو.
- وما الذي سيجلبه علينا هذا برأيك؟
- لا شيء يا حبيبتى.
- استطاع ترولس رؤية مايكل بيلمان وهو يضع يده خلف رقبة إيزابيل سكوين. من يرى ظلّهما يخاله يخنقها، أما هي فمالت إلى جانبه.
- وصلنا إلى حيث نريد. لنقفز من هنا؛ فلن نحصل على نهاية أفضل من هذه في الواقع. نحن لم نعد في حاجة للرجل العجوز بعد الآن. وباعتبار ما يملكه ضدنا في ما يخص... تعاوننا... إنه...
- إنه؟
- إنه...
- أبعد يدك يا مايكل.
- ضحكة ناعمة مخملية.
- إن لم يتم هذا الملك الجديد العمل لأجلنا فقد يتوجب علي القيام به بنفسى.
- أتعني أنك ستجعل بيفيس يقوم به؟
- جفل ترولس لدى سماعه اللقب الذي يكرهه. كان مايكل أول من استخدمه ، ثم تلقفه الجميع ، وباتوا يقلدون حركة الفك السفلي المتقدم والضحكة الناخرة ، حتى إن مايكل واساه بقوله إنه كان يقصد "المنظور الفوضوي عن الواقع" و"الأخلاق الخارجة عن المألوف" للشخصية الكرتونية على قناة إم تي في. لقد بدا مايكل وكأنه يقلّد ترولس لقباً فخرياً لعيناً!
- لا، لن أدع ترولس يعرف دوري في ذلك أبداً.
- ما زلت أظن أن عدم ثقّتك به أمر غريب. أستمأ صديقين

قديمين؟ أم يشيد لك هذه الشرفة؟

- بلى، فعل ذلك في جنح الليل وحيداً. أفهمت قصدي؟ إننا نتكلم عن رجل لا يمكن توقع تصرفاته مئة في المئة. إنه عرضة لجميع أنواع الأفكار الغريبة والمدهشة.

- ومع ذلك نصحت الرجل العجوز بتجنيد بيفيس لحرق الأدلة!
- لأنني أعرف ترولس منذ الطفولة، وأعرف مدى فساد المستفحل وسهولة رشوته.

صرخت إيزابيل سكوين ضاحكةً، وأسكتها مايكل.
توقف ترولس عن التنفس، وضقت حنجرته، وشعر كأن في معدته كائناً حياً؛ حيواناً صغيراً يتجول باحثاً عن سبيل للخروج وهو يتلوى ويرتعش ويحاول سلوك الطريق نحو الأعلى وجثم على صدره.
تساءل مايكل:

- بالمناسبة، لم تخبريني لماذا اخترتني لأكون شريكك في العمل؟
- لأن لديك فحولةً مدهشة بالطبع.
- لا، حدثيني بجدية. لو لم أوافق على العمل معك ومع الرجل العجوز لاضطرت إلى أن ألقى القبض عليكما.
- تلقي القبض؟
ضحكت ساخرة.

- كل ما فعلته كان لمصلحة المدينة: تشريع الماريوانا، وتوزيع الميثادون، وتمويل غرفة للتعاطي، وتمهيد الطريق لمخدر جديد تنجم عنه حالات أقل من الإفراط في الجرعات. ما الفرق؟ فجميع القوانين الدوائية عملية ياماكيل.

- اهدي، أوافقك الرأي. لا شك في ذلك. لقد جعلنا أوصلو مكاناً أفضل. لنشرب نخب ذلك.
تجاهلت كأسه المرفوعة.

- لم تكن لتعتقني أبداً على أية حال؛ لأنك لو فعلت ذلك لأخبرت كل من يهمه الأمر أنني أقيم علاقة معك من وراء زوجتك اللطيفة الحلوة.
قهقهت.

- وراها مباشرةً. أتذكر المرة الأولى التي التقينا فيها في العرض الأول، حين سألتك هلاً أقمت علاقة معي؟ كانت زوجتك تقف خلفك تماماً وتكاد تسمعنا، لكنك من دون أن يرف لك جفن طلبت مني أن أنتظرك

ربع ساعة لتوصلها إلى المنزل.

- ششش... إنك ثملة.

قال مايكل ذلك وهو يضع يده خلف ظهرها.

- عندها، علمت أنك رجل تسعى لتكسب قلبي. لذا، عندما قال

الرجل العجوز إن علي العثور على حليف لي يملك طموحي ذاته كان يعرف تماماً من سأختار. نخبك ياماكيل.

- بالحديث عن ذلك، نحن في حاجة للمزيد. ربما علينا العودة

للدخل و...

- احذف ما قلته عن كسب قلبي؛ إذ لا يوجد رجل يسعى

لكسب قلبي؛ الكل يسعى وراء...

ضحكت ضحكة عميقة مدوية.

- هيا لنذهب.

- هاري هول!

- ششش.

- هنالك رجل يسعى لكسب قلبي. إنه غبي قليلاً بالطبع، لكن...

همم... أين تظنه الآن؟

- لقد جبت المدينة بحثاً عنه ولم أنجح في العثور عليه. أفترض

أنه غادر البلاد، فقد برأ أوليخ من تهمه، ولن يعود بعد ذلك.

ترنحت إيزابيل، لكن مايكل أمسك بها.

- أنت وغد ياماكيل، ونحن الأوغاد نستحق بعضنا بعضاً.

رد مايكل وهو ينظر إلى ساعته:

- ربما. لكن، علينا الدخول الآن.

- لا تتوتر أيها الرجل العجوز. بإمكانني تحمل الشراب... أترى؟

- أرى ذلك. لكن، ادخلي أنت أولاً. عندها لن يبدو الأمر...

- مريباً؟

- شيء من هذا القبيل.

سمع ترولس ضحكتها العالية، ورأى كعبيها العالين وهما يطرقان

الإسمنت.

لقد رحلت وتركت مايكل متكئاً على الحاجز. انتظر ترولس بضع ثوانٍ

ثم تقدم.

- مرحباً ياماكيل.

التفت صديق طفولته وعيناه تبرقان، فاستنتج ترولس من الوقت الذي

استغرقه ليستجيب بابتسامة مبتهجة أنه أفرط في الشرب.
- ها أنت ذا ياترولس. لم أسمعك وأنت تدخل الشرفة. هل هناك حياة في الداخل؟

- نعم، للغاية.

تبادلا النظرات. سأل ترولس نفسه: متى وأين بالتحديد نسيا كيف يتحدثان مع بعضهما؟ ما الذي حصل لتلك الحوارات العابثة ولأحلام اليقظة التي خاضها معاً؟ أين ذهب الزمن الذي كانا فيه يقولان أي شيء ويتكلمان في كل شيء. كانا كالشخص الواحد. في بداية مهنتهما، كانا يضربان معاً كل من تسول له نفسه التقرب من أولاً، ومرةً أساء رجل لعين يعمل في التحريات الجنائية إلى مايكل فاصطحباه بعد عدة أيام إلى غرفة المرسل في برين حيث بكى الرجل واعتذر قائلاً إنه أساء فهم مايكل. تجنبنا النظر إلى وجهه لكي لا يفضحنا ما حصل، لكن الرجل البكاء أغضب ترولس، فاستخدم معه الهراوة بقوة لم يكن يقصدها، وبالحد تمكن مايكل من إبعاده عنه. لم تكن تلك الذكريات مما يمكن تسميته بالذكريات الجميلة، لكنها تبقى تجارب تجمع شخصين معاً.

قال مايكل:

- حسناً. ها أنا أقف هنا معجباً بالشرقة.

- شكراً.

- لكن، خطر ببالي شيء. ليلة صببت الإسمنت...

- نعم؟

- قلت كما أذكر إنك كنت أرقاً ولم تستطع النوم، لكنني تفاجأت حين تذكرت أنها كانت ليلة قبضنا على أودين، وأغرنا على ألنابرو لاحقاً، ثم اختفى... ما كان اسمه؟
- توتو.

- توتو... نعم. كان من المفترض أن تكون معنا تلك الليلة، لكنك كنت مريضاً حسب ما أخبرتني، ثم قمت بخلط الإسمنت عوضاً عن ذلك؟
ابتسم ترولس بابتسامة متكلفة ونظر إلى مايكل، وأخيراً تمكن من النظر في عينيه وتبادل النظرات معه.

- أتريد أن تسمع الحقيقة؟

بدا التردد على مايكل قبل أن يجيب:

- أود ذلك.

- كنت أهرب من المهمة.

سكنت الشرفة لوهلة، وكل ما أمكن سماعه هو ضجيج المدينة البعيد.

- تهرب؟!

ضحك مايكل. كانت ضحكة متشككة لكنها طيبة. أحب ترولس تلك الضحكة، وأحبها الجميع رجالاً ونساءً على السواء. كانت ضحكة تخبرك أنك مسلٍ ولطيف وذكي على الأغلب وتستحق ضحكة ودية.

- أنت تهرب! أنت الذي لم تهرب في حياتك يوماً وتعشق

الاعتقالات!

أجاب ترولس:

- نعم. لم يثر الأمر اهتمامي فانسحبت.

ساد الهدوء ثانيةً.

ثم انفجر مايكل بضحكة مدوية. لقد انحنى للخلف وضحك حتى كاد نفسه ينقطع... لا نخور كالعادة. اعتدل ثانيةً، وضرب ترولس على كتفه. كانت ضحكة سعيدة محررة، حتى إن ترولس لم يقدر على مقاومتها لبضع ثوانٍ فانضم إليها.

- تتخلف لتبني الشرفة!؟

أخذ مايكل ييلمان نفساً عميقاً وأكمل:

- يا لك من رجل غريب ياترولس... رجل غريب.

أحس ترولس بالثناء يرفعه إلى حجمه الطبيعي... لحظات بدت شبيهة بالأيام الخوالي... لا، لا تشبهها، بل تماثلها.

نخر ترولس.

- أتعلم... الآن كما في الماضي، يجب أن تقوم بكل شيء بنفسك.

هذه هي الطريقة الوحيدة لإنجاز العمل بشكل لائق.

رد مايكل وهو يلف ذراعه حول كتفي ترولس ويضرب بقدميه على

الشرفة:

- صحيح. لكن هذا الإسمنت كثير على رجل واحد ياترولس.

نعم، أجب ترولس في سرّه وهو يضحك ضحكة جذلة. هذا الإسمنت

كثير على رجل واحد.

- كان علي الاحتفاظ بجهاز الألعاب عندما أحضرته.

قال أوليغ ذلك، ورد عليه هاري متكئاً على إطار الباب:

- توجب عليك ذلك. لكنك قد طورت تقنياتك في لعبة تتريس.

- وكان عليك إخراج مخزن هذا المسدس قبل أن تتركه هنا.

أجاب هاري وهو يحاول تجنب النظر إلى الأوديسا المصوب بينه وبين الأرض.

- ربما.

ابتسم أوليغ ابتسامة باهتة.

- أظن أن كلينا ارتكبنا بعض الأخطاء، أليس كذلك؟

هز هاري رأسه.

وقف أوليغ على قدميه بجانب الموقد.

- لكن، لم يكن كل ما أفعله خطأ؟

- لا، ليس كل شيء. فعلت الكثير من الصواب أيضاً.

- مثل ماذا؟

هز هاري كتفيه وأجاب:

- كزعمك أنك رميت نفسك على سلاح القاتل الخيالي، وأنه كان

مقنعاً ولم ينطق بكلمة واقتصر الأمر على استخدام الإشارات، وتركت

استنباط النتيجة الحتمية لي: أن ذلك برر وجود بقايا البارود على بشرتك،

وأن القاتل لم يتكلم لأنه خاف من أن تتعرف على صوته، لذا لا بد من

أنه على صلة بتجارة المخدرات أو بالشرطة. وأظن أنك استخدمت فكرة

القناع لأنك لاحظت أن الشرطي الذي يعمل معك ومع ألبانبرو يملك واحداً،

ووضعت في قصتك. أعطيتني تلميحات لأتمكن من بناء تفسيرات مقنعة تبرر

كونك لست قاتل غاستو، وكنت على علم بأن عقلي سيتوصل لتلك النتائج

لأن عقولنا تسمح لمشاعرنا باتخاذ القرارات، وهي على استعداد دائم لإيجاد

إجابات ترضي قلوبنا.

أوماً أوليغ ببطء.

- لكنك الآن تملك كل الإجابات الأخرى الصحيحة.

- إلا واحدة... لماذا؟

لم يجب أوليغ. رفع هاري يده اليمنى، بينما أدخل اليسرى في جيب

بنطاله وأخرج ولاعة وعلبة سجائر مجمعة.

- لماذا يا أوليغ؟

- ماذا تعتقد؟

- ظننت في بادئ الأمر أن القصة كلها تتعلق بإيرين... الغيرة، أو

معرفتك أنه باعها لأحد ما. لكن، لو كان هو الشخص الوحيد الذي يعرف

مكانها لما استطعت قتله قبل أن يخبرك به. لذا، لا بد أن هناك سبباً

آخر؛ سبباً قوياً بقوة الوقوع في حب امرأة، فأنت لست قاتلاً، أليس

كذلك؟

- أنت أدري.
- أنت رجل يملك دافعاً بسيطاً يدفع جميع الرجال الطيبين للقيام بأعمال مروعة بمن فيهم أنا. لقد دارت التحقيقات في حلقة مفرغة من دون الوصول إلى نتائج، وعدت إلى نقطة البداية؛ إلى علاقة حب من أسوأ العلاقات.
- ما الذي تعرفه عنها؟
- كانت تربطني علاقة حب بالمرأة ذاتها أو بأختها. فقد كانت رائعة الجمال في الليل وببشاعة الخطيئة في النهار.
- أشعل هاري السيجارة السوداء ذات المرشح الذهبي والنسر الملكي الروسي.
- لكن، عندما يأتي المساء تنسى وتقع في حبها من جديد، ولا شيء يضاهي ذلك الحب... ولا حتى إيرين. هل أنا مخطئ؟
- تناول هاري دواء وراقب أوليغ.
- ماذا تريدني أن أقول؟ لديك الحقيقة كاملة في الأصل.
- أريد أن أسمعك تقولها.
- لماذا؟
- لأنني أريد أن أسمعها منك أنت، لكي تسمع بنفسك أيضاً مدى اعتلالها وخلوها من المعنى.
- ماذا؟! أمن المرض أن تطلق النار على شخص حاول سرقة مخدراتك؛ تلك التي كدحت جاهداً لجمعها؟
- أسمع مدى تفاهة ما تقوله؟
- أنت من تقول ذلك؟
- نعم أنا. لقد خسرت أفضل امرأة في الكون لأنني لم أستطع المقاومة، وأنت قتلت صديقك المفضل يا أوليغ. قل اسمه.
- لماذا؟
- قل اسمه.
- كشر أوليغ.
- غاستو. ما ال...
- أعدته ثانيةً.
- أمال أوليغ رأسه ونظر إلى هاري.
- غاستو.

- صرخ هاري:
- مرةً أخرى!
- صرخ أوليغ في وجه هاري:
- غاستو!
- مرةً أ...
- غاستو!
- أخذ أوليغ نفساً عميقاً وكرر:
- غاستو... غاستو...
- بدأ صوته يرتجف.
- غاستو!
- انفتق جرحه.
- غاستو.. غاس...
- قاطعته تنهيدة.
- ... تو
- بدأت دموعه تنهمر وهو يغمض عينيه بإحكام ويهمس:
- غاستو. غاستو هانسن...
- تقدم هاري خطوة، لكن أوليغ رفع المسدس.
- لا تزال صغيراً يا أوليغ... يمكنك أن تتغير.
- وماذا عنك هاري؟ هل بإمكانك أن تتغير؟
- أتمنى لو أستطيع يا أوليغ. ليتني فعلت ذلك؛ لكنك استطعت تقديم رعاية أفضل لكما. لكنني تأخرت كثيراً، وهذا أنا الآن.
- مثل؟ خائن؟
- شرطي.
- ضحك أوليغ.
- أهذا كل ما لديك؟ شرطي؟ لست شخصاً أو شيئاً ما؟
- أنا شرطي في الغالب.
- شرطي في الغالب.
- كرر أوليغ بإيماءة.
- أليست هذه تفاهة؟
- تفاهة مملة أيضاً.
- قالها هاري وهو يخاطب نصف السيجارة المتبقي، وينظر إليها باستنكار وكأنها لم تؤدّ وظيفتها المرجوة.

- لأن ذلك يعني أن لا خيار لدي يا أوليخ.
- خيار؟!
- علي ضمان أن تنال عقوبتك.
- أنت لا تعمل مع الشرطة الآن ياهاري، فقد شطب اسمك، ولا أحد يعلم بما تعرفه أو أنك هنا. فكر في أمي... فكر بي! لمرة في حياتك فكر بنا... ثلاثتنا.
- اغرورقت عيناه بالدموع، وتهدج صوته بحدة من شدة اليأس.
- لِمَ لا يمكنك أن تغادر الآن للنسي كل شيء ونقول إنه لم يحدث أي من ذلك؟
- رد هاري:
- أتمنى لو أمكنني هذا، لكنك حاصرته. أعلم ما حدث وعلي إيقافك.
- لم تركتني آخذ المسدس إذًا؟
- هز هاري كتفيه قائلاً:
- لا يمكنني اعتقالك. سلم نفسك. إنه سباقك.
- أسلم نفسي! لِمَ علي فعل ذلك؟ لقد أطلق سراحني للتو!
- إن اعتقلتك فسأخسر أمك وسأخسر ك، ولا قيمة لي من دونك. لا يمكنني العيش من دونك. أتفهمني يا أوليخ؟ أنا جرد علق في الخارج، وليس لدي سوى طريق واحد للدخول وهو يمر عبرك.
- إذًا، دعني أذهب! لننس ما حصل ونبدأ بداية جديدة!
- هز هاري رأسه.
- قتل مع سبق الإصرار والترصد يا أوليخ. لا يمكنني ذلك. أنت من تمسك بالسلاح... بيدك المفتاح الآن. عليك أن تفكر في ثلاثتنا... إن ذهبنا إلى هانز كريستيان فسيحل الأمور وستخفف العقوبة إلى حد كبير.
- لكن المدة ستكون طويلة كفاية لتفقدني إيرين، فلا أحد ينتظر طويلاً هكذا.
- ربما وربما لا. ربما تكون قد فقدتها وانتهى الأمر.
- أنت تكذب! أنت تكذب دائماً.
- شاهد هاري أوليخ يعتصر عينيه من الدموع.
- ماذا ستفعل إن لم أسلم نفسي؟
- إذًا سيكون علي اعتقالك الآن.
- أفلت آهة من بين شفتي أوليخ، وتراوحت بين شهقة وضحكة

استنكار.

- أنت مجنون يا هاري.
- هكذا أنا يا أوليخ. أعمل ما علي عمله، كما عليك أن تقوم بما عليك القيام به.
- علي القيام به! تبدو وكأنك تتكلم عن لعنة لعناء.
- ربما.
- كلام فارغ.
- اكسر اللعنة إذاً يا أوليخ، فأنت لا تريد حقاً أن تقتل مرة ثانية.

أليس كذلك؟

صرخ أوليخ:

- اخرج!

ارتعش المسدس في يده.

- هيا! فأنت لم تعد في الشرطة بعد الآن!

قال هاري:

- هذا صحيح، لكني كما قلت لك...

ضم شفثيه حول السيجارة السوداء، وأخذ نفساً عميقاً مغمضاً عينيه. ولثانيتين وقف هناك وكأنه يتلذذ به، ثم أطلق الهواء والدخان من رئتيه ببطء.

- ...شرطي.

رمى السيجارة على الأرض أمامه، وداس عليها وهو يتحرك نحو أوليخ، ثم رفع رأسه. كان أوليخ بطوله نفسه تقريباً. نظر هاري في عيني الصبي خلف المسدس المرفوع، وراه يُعد المسدس. عرف النتيجة مسبقاً. كان في الطريق، ولم يكن لدى الصبي خيار أيضاً. كانا مجهولين في معادلة ليس لها حل؛ جسمين ثقيلين في طريقهما لاصطدام حتمي، لعبة تتريس لن يفوز بها سوى واحد منهما. وأحدهما فقط أراد الفوز. أمل أن يكون لدى أوليخ الذكاء للتخلص من المسدس بعد ذلك واللحاق بالطائرة المتجهة إلى بانكوك، وأن لا يهمس لراكيل بكلمة عمّا حصل، وأن لا يستيقظ في منتصف الليل وهو يصرخ وسط غرفة مليئة بأشباح من الماضي، وأن ينجح في أن يبني لنفسه حياة تستحق العيش؛ فحياته ليست كذلك... ليس بعد الآن. شحذ عزمته وتابع التقدم، حتى شعر بوزن جسده وشاهد فوهة المسدس السوداء تكبر. في يوم خريف، كان أوليخ ذو السنوات العشر والريح تنكش شعره وراكيل وهاري وأوراق الشجر البرتقالية يحدقون في الكاميرا الصغيرة

منتظرين دقة المؤقت. دليل مصوّر على نجاحهم ووجودهم هناك ووصولهم إلى قمة السعادة. كان مفصل سبابة أوليخ يزداد بياضاً كلما زاد انثاؤه حول الزناد. لا يوجد طريق للعودة. لم يكن هناك وقت للحاق بالطائرة، بل لم تكن هناك أي طائرة ولا هونغ كونغ... مجرد فكرة حياة لم يكن لأي منهما مكان ليحيا فيها. لم يشعر هاري بالخوف، وإنما شعر فقط بالأسى. صوت إطلاق النار الوجيز كان كضربة واحدة هزت النوافذ، وشعر بضغط الطلقة الجسدي وهي تصطم به في منتصف صدره. دفع الارتداد بالجدع وأصابته الطلقة الثالثة في رأسه، فسقط ومن ورائه الظلام؛ وقد غاص فيه إلى أن ابتلعه داخل عدمية باردة خالية من الألم. وأخيراً، قالها هاري في سرّه، وكانت تلك الفكرة الأخيرة لهاري هول... أنه بعد هذا الوقت الطويل... الطويل أصبح حرّاً.

أنصت الفأرة الأم لصرخات صغارها التي أصبحت أوضح الآن بعد أن قرعت أجراس دار العبادة عشراً، وحل السكون، وصفارات الشرطة التي كانت تقترب تلاشت في البعيد مرةً أخرى. لم تبق سوى ضربات القلب الخافتة. تخزنت في مكان ما في ذاكرة الفأرة رائحة البارود ورائحة جسد بشري أصغر سنّاً مستلق هنا وهو ينزف على أرضية المطبخ ذاتها. لكن ذلك كان في الصيف قبل أن يولد الصغار بزمن، ولم تكن الجثة تسد الطريق إلى الجحر.

اكتشفت أن بطن الرجل كانت أقصى مما تصورت لتعبر خلالها، وأن عليها العثور على طريق آخر، فعادت إلى حيث بدأت. عضت الحذاء الجلدي مرةً.

لعت المعدن مرةً أخرى... المعدن المالح الذي نتأ بين اثنين من أصابع اليد اليمنى.

خربشت على سترة البذلة التي فاحت منها رائحة العرق والدم والطعام... أنواع كثيرة من الطعام حتى تكاد تجزم أن القماش الكتاني كان في مقلب للقمامة.

وها هي ثانية؛ جزيئات من رائحة دخان قوية على غير العادة لم تختفِ كلياً، وحتى هذه الجزيئات القليلة أحرقت عينيها وأسالت دموعها وتسببت لها بصعوبة في التنفس.

جرت على الذراع وعبر الكتف فوجدت ضمادة ملوثة بالدماء على الرقبة لفتت انتباهها لبرهة، ثم سمعت صراخ صغارها ثانيةً فجرت إلى

الصدر. كانت الرائحة الصادرة عن الفتحتين المدورتين في السترة لا تزال قويةً؛ إنها مزيج من الكبريت والبارود. إحدى الرصاصتين اخترقت القلب، وتمكنت بدرجة ما من الإحساس باهتزاز دقاته الذي لا يكاد يدرك. تابعت صعوداً إلى الجبهة، ولعقت الدم النازف في خط واحد نزولاً من الشعر الأشقر، ثم هبطت إلى الأجنان وفتحتي الأنف والشفيتين. كانت هنالك ندبة على الوجنة. عمل دماغ الفأرة كما تعمل أدمغة الجرذان في تجربة المتاهة: بمنطقية وفاعلية صاعقة. الخد... باطن الفم... الرقبة مباشرةً تحت الرأس ثم ستصل إلى الخلف. حياة الفئران شاقة وبسيطة: عليك أن تفعل ما يتحتم عليك القيام به.

القسم الخامس

تلاً ضوء القمر على نهر أكرسلفا محولاً إياه من تيار ضئيل آسن إلى سلسلة ذهبية تمر عبر المدينة. لم ترغب العديد من النساء بالسير في الطرقات المهجورة قرب الماء، لكن مارتين فعلت. لقد كان يوماً طويلاً في ووتش تاور، وكانت مرهقة لكن بطريقة إيجابية... كان يوماً طويلاً جداً. اقترب صبي نحوها من الظل، ورأى وجهها تحت ضوء الكشاف، ثم تمتم بتحية بصوت منخفض وانسحب.

أخبرها ريكارد أكثر من مرة أن تتجنب سلوك هذا الطريق إلى المنزل؛ علماً بأنها الآن حامل. لكنها أجابت أنه كان الطريق الأقصر إلى غرانلوكا، وأنها ترفض أن يسلب أحد مدينتها منها. كما أنها كانت تعرف العديد من الناس الذين يعيشون تحت الجسور، حتى باتت تشعر بالأمان هناك أكثر مما تشعر في أوصلو الغربية. مرت أ ندي وساحة شوس، وكانت تقصد بيلا حين سمعت صوتاً مدوياً لخطوات قصيرة وقاسية تضرب الأسفلت... قدم شاب طويل يعدو باتجاهها. انسل وسط الظلام عبر الطريق. لمحت وجهه قبل أن يمر، وسمعت أنفاسه اللاهثة تتلاشى في المدى خلفها. كان وجهاً مألوفاً رآته في ووتش تاور؛ لكنهم كثر، وأحياناً يتراءى لها أنها رأت أناساً يخبرها زملاؤها لاحقاً عنهم أنهم ماتوا منذ أشهر أو حتى سنوات. لكن، لسبب ما، دفعها هذا الوجه للتفكير في هاري. لم تكلم عنه أي أحد عدا ريكارد طبعاً، لكنه اتخذ مكاناً صغيراً داخلها... غرفة صغيرة يمكنها زيارته فيها من حين لآخر. هل يكون ذلك أوليغ؟ هل هذا ما ذكرها بهاري الآن؟ التفتت ورأت ظهر الصبي الذي يعدو وكأنه يحاول الهرب من شيء ما. لكنها لم ترَ أحداً يلاحقه. كان يصغر ويصغر، وفي فترة وجيزة تلاشى في الظلام.

نظرت إيرين إلى ساعتها. تجاوزت الحادية عشرة بخمس دقائق. انحنى على مقعدها ثانية، ونظرت إلى الشاشة على الطاولة. خلال دقائق، سيسمحون للركاب بصعود الطائرة. أرسل الأب رسالة نصية مفادها أنه سيستقبلهما في مطار فرانكفورت. أصابها التعرق، وشعرت بالألم يسري في جسدها. لن يكون الأمر سهلاً، لكنه سيكون على ما يرام. ضغط شتاين على يدها.

- كيف تسير الأمور يا حبيبتي؟

ابتسمت إيرين وضغطت على يده.

- ستكون على ما يرام.

همست إيرين:

- هل نعرفها؟

- من؟

- ذات الشعر الغامق التي تجلس هناك وحدها.

كانت تجلس هناك حين وصلا أيضاً؛ على مقعد مقابل لهما بجانب البوابة، وهي تقرأ كتاباً من إصدارات شركة الكوكب الوحيد للسياحة يتحدث عن تايلاند. بدت جميلة جداً لا يذبل بتقدم العمر، وكانت تشع بنوع من السعادة الهادئة وكأنها تضحك في سرّها حتى لو جلست وحدها.

- أنا... لا. من تكون؟

- لا أعرف. تذكرني بأحد ما.

- من؟

- لا أعرف.

ضحك شتاين ضحكة أخ كبير واثق وهادئ، وضغط على يدها مرة

أخرى.

أذيعت إشارة طويلة تلاها صوت معدني يعلن أن طائرة فرانكفورت أصبحت جاهزة لعودة الركاب. نهض الناس واحتشدوا أمام المكتب، وتمسكت إيرين بستاين الذي أراد النهوض.

- ما الأمر يا حبيبتي؟

- لنتظر حتى يخلو الصف.

- لكنه...

- لا أشعر برغبة في الوقوف في صف مزدحم بالقرب من... الناس.

- حسناً... يا الغبائي. كيف تجري الأمور؟

- ما زالت بخير.

- حسناً.

- تبدو وحيدة.

- وحيدة؟!

نظر شتاين إلى المرأة.

- أخالفك الرأي، تبدو سعيدة.

- نعم، لكنها وحيدة.

- سعيدة ووحيدة.

ضحكت إيرين:

- لا، أنا على خطأ. ربما يكون الصبي الذي تشبهه وحيداً.
- إيرين؟
- نعم؟
- أتذكركين ما اتفقنا عليه؟ أفكار سعيدة...
- صحيح، فنحن الاثنان غير وحيدين.
- نعم. نحن هنا لندعم بعضنا بعضاً إلى الأبد. أليس كذلك؟
- للأبد.

علقت إيرين يدها بذراع أخيها، ووضعت رأسها على كتفه. فكرت بالشرطي الذي عثر عليها. قال إن اسمه هاري. في البداية، فكرت بهاري الذي كان أوليغ يحدثها عنه دائماً. كان شرطياً أيضاً. لكن، حسب ما ذكره أوليغ تخيلته دائماً رجلاً أطول وأكثر وسامة وشباباً من ذلك القبيح الذي حررها. إلا أنه زار شتاين أيضاً، والآن باتت تعرف أنه هو... هاري هول... كما علمت أنها ستتذكره لبقية حياتها... وجهه المغطى بالندب، وذقنه المجروح، والضمادة المحيطة برقبتة، وصوته. لم يخبرها أوليغ أن صوته كان لطيفاً لهذا الحد. وفجأة، أحست بالثقة، وأصبح لديها يقين لم تعلم منشأه: سيجري كل شيء على ما يرام.

بمجرد مغادرتها أوصلو ستتمكن من ترك كل شيء وراءها. لن تلمس مجدداً الكحول ولا المخدرات... مطلقاً... هذا ما شرحه لها والدها والطبيب الذي استشارته. سيتوفر الفيولين هناك، وسيتوفر دائماً، لكنها ستحافظ على مسافة فاصلة بينها وبينه. كما سيلاحقها شبغ غاستو، وشبغ إيسن، وكل الأرواح المسكينة التي اشترت المسحوق بالموت. ستزورها حين يقتضي الأمر، لكن بعد بضع سنوات ستبتهت وستعود إلى أوصلو. المهم في الأمر هو أنها ستكون على ما يرام. ستتمكن من صنع حياة تستحق العيش.

راقبت المرأة وهي تقرأ، فنظرت المرأة نحو الأعلى وكأنها لاحظتها، وقابلتها بابتسامة وجيزة لكنها متلألئة، ثم أعادت أنفها إلى الدليل السياحي.

قال شتاين:

- لنغادر.

ردت إيرين:

- لنغادر.

قاد ترولس بيرنستن السيارة عبر كفادراتورين نزولاً باتجاه تولبوغاتا،

ثم صعوداً خلال بوابة برينسينس، وانحدر إلى رادهاسغاتا. لقد غادر الحفلة مبكراً، وركب سيارته وقادها حيثما قاده هواه. كان الجو بارداً وصحواً، وضجت كفادراتورين بالحياة تلك الليلة. نادت عليه المومسات... لا بد أنهن اشتممن رائحة التيستوستيرون تفوح منه، وتنافس باعة المخدرات في عرض سلعهم بسعر أرخص، وعلا صوت البوق من سيارة كورفيت مركونة: بووم... بووم... بووم. وقف ثنائي يتبادلان القبل في محطة الترام، وجرى رجل على طول الشارع وهو يضحك، وسترة بذلته مفتوحة على آخرها ترفرف، بينما يلحقه رجل آخر يرتدي البذلة ذاتها. وفي زاوية بوابة درونينجينز شخص وحيد يرتدي قميص أرسنال. لم يره ترولس قبلاً، لا بد أنه جديد على هذا المكان. أصدر مذياع الشرطة طقطقة. أحس ترولس بشعور غريب من السعادة: تدفق الدم في عروقه.. الصوت الجهير، وإيقاع كل ما يجري حوله... جلوسه هنا وهو يشاهد... مراقبة كل أولئك الأشخاص الثانويين الصغار الذين لا يعرفون شيئاً عن بعضهم ومع ذلك يحركون بعضهم بعضاً كالمسنيات. كان الوحيد الذي يرى الصورة كاملةً، وهكذا يجب أن تجري الأمور بالضبط فقد أصبحت هذه بلدته الآن.

فتح رجل الدين باب دار العبادة المقفل، وخرج واستمع إلى صوت حفيف الأشجار في المدفن. رفع بصره للقمر. مساء جميل. كان الاحتفال ناجحاً والحضور جيداً... أفضل مما سيكون في الصباح الباكر غداً. تنهد. ستتناول العظة التي سيلقيها للمقاعد الفارغة الذنوب. نزل الدرجات وتابع السير عبر المدفن. قرر أن يعيد العظة نفسها التي ألقاها في الدفن يوم الجمعة. كان المتوفى وفقاً لأقرب معارفه وهي زوجته السابقة متورطاً في تعاملات إجرامية في النهاية، وحتى قبل ذلك كانت حياته مليئة بجبال من الخطايا التي سيتوجب على كل من يريد إكمال الرحلة تسلقها. لم يكن عليهم القلق، فلم يبك موته سوى زوجته وأطفالهما، إضافةً إلى زميلة كانت تنشق بصوت عال أثناء المراسم. أسرت طليقته لرجل الدين أن تلك المرأة قد تكون مضيعة الطيران الوحيدة التي لم يكن المتوفى على علاقة معها.

مر رجل الدين بشاهدة قبر رأى عليها بقايا شيء أبيض تحت ضوء القمر، وكأن أحداً ما كتب عليها بالطباشير ثم محا ما كتبه. كان قبر أسكيلد كاتو رود المعروف أيضاً بأسكيلد أوريجود. سرت القوانين منذ زمن سحيق بأن تنتهي مدة تأجير القبر بعد مرور جيل، إلا أن ثمن التمديد

دُفع، وهذه ميزة يحتكرها الأغنياء. لكن، لسبب مجهول بقي قبر الفقير آسكيلد كاتو رود في الحفظ والصون، وحينما تقدّم به الزمن أصبح محمياً. ربما كان هناك أمل بأن يتحول هذا القبر إلى معلم ذي أهمية خاصة: شاهدة قبر من أفقر منطقة في أوصلو الشرقية حيث تمكن الأقرباء التعساء من تحمل كلفة حجر صغير كتب عليه الأحرف الأولى من اسمه وكنيته والتواريخ فقط؛ من دون أي نص تحتها لأن النقاش يقبض أجرته على كل حرف. وأصرت إحدى الجهات المسؤولة على أن كنيته هي روود أي إنهم وفروا مبلغاً ضئيلاً إضافياً. تقول الخرافات إن آسكيلد أوريغود لا يزال يتجول على الأرض، لكنها لم تنتشر كثيراً، فآسكيلد أوريغود قد أصبحاً نسياً منسياً، وتُرك بالمعنى الحرفي ليرقد بسلام.

وبينما هم رجل الدين بإقفال بوابة المدفن خلفه، انسل شخص من الظلال قرب الجدار فتصلب رجل الدين مباشرةً.
- ساعدني.

قالها صوت بنبرة مهتاجة، وامتدت يد كبيرة مفتوحة أمامه. نظر رجل الدين إلى الوجه تحت القبعة. كان وجهاً عجوزاً بأخاديد عميقة، وأنف غليظ، وأذنين كبيرتين، وعينين صافيتين زرقاوين بريئتين تثيران الدهشة. نعم، كانتا بريئتين. هذا تحديداً ما فكر فيه رجل الدين بعد أن أعطى الرجل المسكين قطعة نقدية بقيمة عشرين كروناً وتابع طريقه إلى منزله. عيان زرقاوان بريئتان لطفل رضيع. يمكنه أن يستخدم هذا في مراسم الغد.

وصلت إلى النهاية الآن يا أبي.
إنني أجلس هنا وأوليغ واقف فوقي. إنه يمسك سلاح الأوديسا بيديه الاثنتين كما لو أنه يتمسك بغصن ساقط لينقذ حياته الغالية. يمسك بإحكام ويطلق النار... لقد فقد عقله تماماً.

- أين هي؟ أين إيرين؟ أخبرني وإلا... وإلا...
- وإلا ماذا يا أحمق؟ لست قادراً على استخدام المسدس على أية حال. ليس ذلك من طبعك يا أوليغ. أنت من الأشخاص الصالحين. هيا، استرخ وستشارك المخدرات. حسناً؟

- بالتأكيد سأفعل، لكن ليس قبل أن تخبرني بمكانها.
- حسناً، سأخذ المخدرات كلها إذاً.
- نصفها... هذه آخر ما لدي.

- موافق. ضع المسدس أولاً.

فعل الغبي ما أمرته به. إنه غير قابل للتعلم، ويسهل خداعه كما حصل أول مرة عند الخروج من حفل جوداس. انحنى للأسفل، ووضع المسدس الغريب على الأرض أمامه، ورأيت الذراع المؤمن على جانبه مضبوطاً على وضعية الإطلاق؛ مما يعني أنه سيطلق دفعة واحدة. أبسط ضغطة على الزناد و...

- إذًا، أين هي؟

والآن، حين لم تعد فوهة السلاح مصوبةً نحوي، أصبح بإمكانني الشعور بما سيأتي: إنه الحنق. لقد هددني كما كان أبي بالرعاية يفعل. وإن كان هناك شيء لا أطيق احتمالاه فهو التهديد. لذا، استعضت عن النسخة التافهة اللطيفة - أنها في مركز إعادة تأهيل سري معزول في الدانمارك، ويجب أن لا يتصل بها أي من أصدقائها خشية أن يعيدوها إلى المخدرات وما إلى ذلك - بالحقيقة. كان علي أن أفقم الوضع... الدم الفاسد يجري في عروقي ياأبي، لذا أبق فمك مغلقاً. قصدت طبعاً ما تبقى من دمي؛ لأن غالبه أصبح على أرضية المطبخ. لكنني فاقمت الوضع كما يفعل الحمقى مثلي.

- بعثها مقابل غرامات من الفيولين.

قلت ذلك له.

- ماذا؟

- بعثها لألماني في مركز أوصلو. لا أعرف اسمه ولا مكان إقامته... ربما ميونيخ. ربما يكون جالساً في شقته في ميونيخ مع صديق له ويقيمان معها علاقة وهي منتشية للغاية حتى إنها لا تميّزهما؛ فكل ما يشغل تفكيرها هو حبها الحقيقي واسمه...

وقف أوليخ فاغراً فمه، وهو يرمش بعينه ويبدو أحمر؛ كتلك المرة التي أعطاني فيها خمسمائة في كشك الكباب. مددت يدي كساحر معتوه.

- ... فيولين!

ظل أوليخ يرمش بعينه مذهولاً، لدرجة أنه لم يستجب لانطلاقي نحو السلاح.

أو هذا ما ظننته.

لأني نسيت شيئاً.

لقد تبعتني مرةً حين علم أنه لن يحصل على أي مخدر. لديه قدرات معينة، وباستطاعته قراءة الأفكار أيضاً. إنه لص على جميع

المستويات.

كان علي أن أدرك ذلك. كان علي أن أرضى بنصف جرعة. لقد وصل إلى المسدس قبلي، ربما يكون قد لامس الزناد الذي كان مضبوطاً على وضعية الإطلاق، ورأيت وجهه المصدوم قبل أن أقع على الأرض. سمعت أنيناً نائحاً منخفضاً كمحرك معطل؛ وكأنه أراد البكاء لكنه لم يستطع. ثم سار ببطء إلى نهاية المطبخ. المدمن الحقيقي يقوم بالأشياء وفقاً لأولويتها: وضع الحقنة بجانبني، وسألني أيضاً إن كان علينا التشارك... هذا جيد، ولكن لم يعد بوسعي الحديث بعد الآن، يمكنني الاستماع وحسب. وسمعت صوت خطواته البطيئة المتثاقلة على السلام حين غادر. أصبحت وحيداً... وحيداً أكثر من أي وقت مضى.

توقفت أجراس دار العبادة.

أظن أنني رويت الحكاية.

لم أعد أحس بألم عميق الآن.

هل أنت هنا ياواليدي؟

هل أنت هنا ياروفوس؟ هل كنت تنتظرنني؟

على كل حال، أذكر شيئاً قاله الرجل العجوز: الموت يطلق سراحنا.

أهذا صحيح؟

انتهى